

جامعة محمد خيضر - بسكرة
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي
دراسة ميدانية على عينة من طلبة الاقامات الجامعية بجامعة محمد
بوضياف بالمسيلة

أطروحة نهاية الدراسة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع
تخصص: التربية

إعداد الطالب:

تحت إشراف:

تألي جمال

أ. د تاويريت نور الدين

لجنة المناقشة			
دبلة عبد العالي	أستاذ	جامعة بسكرة	رئيسا
تاويريت نور الدين	أستاذ	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
بوعنقة علي	أستاذ	جامعة قسنطينة 2	عضوا مناقشا
النوي الجمعي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة سطيف	عضوا مناقشا
عوفي مصطفى	أستاذ	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
مناصرية ميمونة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2014-2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محاضرة شكر

بأسمى معاني التقدير والوفاء،

وبكل عبارات العرفان والامتنان، يتقدم الطالب بشكره الخالص،

إلى كل من تفضل وأثرى جوانب هذا البحث، سواء برأي، أو توجيه، أو نصيحة.

وفي مقدمة هؤلاء الأستاذ الدكتور: **تاومير مريت نور الدين**،

والذي كان نعم الموجه والمرشد والمشرف،

خاصة وأن البحث في القيم والاغتراب شيق وشاق، فالقيمة شرط كل وجود لكن هي بذاتها

ليست وجود،

والباحث كلما يحس أنه سيطر على الموضوع يجد نفسه وكأنه يبدأ من جديد .

فلك أستاذي جميل الشكر والعرفان، ولكل الأساتذة الذين ساعدوني في إعداد هذه الدراسة،

وأخص بالذكر الذين ساهموا في تحكيم أدواتها البحثية.



إلى أبي

وأمي

إلى آية صوفيا

ونزوجتي الحبيبة

وكل العائلة والأصدقاء

.....أهدي هذا العمل .

ملخص الدراسة:

إن انخراط المجتمع الجزائري في عملية التحديث، تجعل منه مجتمعا انتقاليا يجتاز فترة التحول من المجتمع التقليدي والثقافة التقليدية إلى المجتمع الحديث والثقافة الحديثة، غير أنه لم يستوفي شروط هذا الانتقال بعد، بحيث مازالت التقليدية تعيش في قلب الحداثة والعكس، إنها التعبير عن الازدواجية بين الفكر والسلوك، بين القيم التي ننادي بها والممارسات التي لا تمت بصلة لها. وهو ما يؤثر على سلوكيات الأفراد وقيمهم، ولأن فئة الشباب بصفة عامة و الشباب الجامعي بصفة خاصة هم أكثر الفئات إقبالا على تبني قيم جديدة وتعرضا للاغتراب بمختلف مظاهره، والذي يعتبر من المشكلات الهامة التي يعاني منها شبابنا. حيث تعد مشكلة الاغتراب ظاهرة بارزة ومتميزة في العصر الحديث، ذلك لأنه عصر يعكس تحولات وأزمات سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية وتربوية.

وعلى ضوء ذلك تتبع الأهمية النظرية والعملية لهذه الدراسة، والتي تناولت التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي من خلال الاعتماد على اقتراب نظري نفسي اجتماعي، يحاول تحليل وتفسير بيانات الدراسة الميدانية وفقا للربط والتركيب بين معطيات التحليل النفسي ومقولات علم الاجتماع الماركسي. وهي بذلك اتسمت بطابع التركيب في الجانب النظري والحصري في الميدان والعينة على الطلبة الجامعيين.

حيث تم إعداد مقياس للتغير القيمي تضمن خمسة أبعاد هي القيم السياسية والأسرية والدينية والاقتصادية والتعليمية، ومقياس لمظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي تضمن خمسة أبعاد وهي: التشيؤ، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، العجز، اللامعنى، وباستعمال المعاملات الإحصائية المناسبة في تحليل وتفسير البيانات، توصلت الدراسة الى أن هناك علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين التغير القيمي وظهور الاغتراب بمختلف مظاهره لدى الطلبة الجامعيين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

Résumé :

L'inscription de la société algérienne dans le processus de modernisation la met dans une phase transitoire entre une valorisation des traits traditionnels (société traditionnelle) et une accentuation des traits de la société moderne, où l'esprit traditionnel survit encore au cœur de la modernité : en effet c'est l'expression de la dualité esprit/comportement, la séparation entre valeurs mobilisées et pratiques.

Cette situation influe sur les valeurs et les comportements des individus et surtout la catégorie des jeunes, car cette catégorie (en particulier les universitaires) est la plus exposée aux diverses formes d'aliénation (forme typique de la ère moderne, cet ère qui reflète des mutations, des crises politiques, sociales, culturelles, morales et éducatives) et à l'adoption de nouvelles valeurs.

L'importance théorique et pratique de cette étude dérive des arguments cités ci-dessus. Elle a comme objet le changement des valeurs et les formes de l'aliénation dans le milieu universitaire, et ceci en mobilisant une approche théorique psychosociologique (la psychanalyse et les propositions du paradigme marxiste). Elle est donc caractérisée par la synthèse dans la partie théorique et focalisée sur les étudiants universitaires dans la partie du terrain.

Le chercheur a procédé à la construction de deux échelles de mesure : la première celle du changement des valeurs qui a inclus les cinq dimensions suivantes: les valeurs politiques, familiales, religieuses, économiques et éducatives; la deuxième échelle mesure les différentes formes de l'aliénation dans le milieu universitaire qui a inclus aussi cinq dimensions : la réification, l'anomie, l'isolement social, l'impuissance, l'absence de sens. En utilisant les coefficients statistiques pertinents pour l'analyse et l'interprétation des données, une corrélation peut être dégagée entre le processus de changement des valeurs et les différentes formes d'aliénation au milieu des étudiants universitaires au niveau de la cité universitaire Mohamed Boudiaf de Msila.

مقدمة

مقدمة:

إن التغير والتحول سمة المجتمعات الإنسانية، وهذا النص الذي اكتشفه علماء آثار مكتوب على أجر بابلي منذ حوالي ألف سنة قبل الميلاد يدل بوضوح على التغير في نسق القيم في المجتمع من مرحلة لأخرى تبعا للتحويلات التي تحدث فيه: "هذه الشبيبة فاسدة في صميمها. إن شبان اليوم سيئون وكسالى ولن يشبهوا أبدا شباب الأيام الغابرة. إن شبان اليوم اعجز من أن يحافظوا على ثقافتنا"¹.

فموضوع القيم السائدة في المجتمع ومدى تغيرها وتطورها من المواضيع التي أخذت حيزا كبيرا من الاهتمام عبر مر التاريخ وفي مختلف الحضارات والعصور، وهو من بين الموضوعات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة السوسيولوجية، لا سيما وأن المجتمع الجزائري مرّ ولا زال يمر بتحويلات اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية واسعة النطاق من حيث عمقها أو أبعادها، غير أن التحويلات التي تطرأ على هذه الأنساق المكونة للبناء الاجتماعي في المجتمع الجزائري، لا شك أنها تترك تغيرات على مستوى الأفراد والجماعات والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه، وعلى مستوى منظومة القيم لديه.

لذلك فإن أي تحول وتغير يطرأ على هذه الأنساق لا بد أن تواكبه تطورات وتغيرات على قيم ومفاهيم الأفراد والجماعات المختلفة، إنطلاقا من أن نسق القيم وفي كل مرحلة يرتبط ارتباطا بنائيا ووظيفيا ببقية الأنساق الاجتماعية الأخرى.

فالتغيرات الجذرية التي مسّت المجتمع الجزائري على الصعيد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي، لها أثر واضح وفعال على حياة الأفراد في المجتمع وتفاعلهم معها، فتطور الحياة والاستفادة من التكنولوجيا في مجال الاتصالات ووسائل الإعلام، والانتشار الواسع لنمط الثقافة الغربية التي تعلي من شأن الثقافة الاستهلاكية وتمجد القيم المادية، لم تواكبه تطورات في المفاهيم المكونة لنسق القيم للأفراد، فظهرت ازدواجية قيمية لدى الأفراد والجماعات من حيث الفكر والممارسة، والمزج بين التقليدي والحداثي في مختلف المواقف والسلوكات، وهو مما أثر بلا شك على زيادة مفهوم الاغتراب للفرد، وتفشي مظاهره على نطاق واسع تعكسها مختلف مناحي الحياة الاجتماعية للأفراد.

ولأن فئة الشباب وخاصة الشباب الجامعي هم أكثر الفئات إقبالا على تبني قيم جديدة وتعرضا للاغتراب، الذي يعتبر من المشكلات الهامة التي يعاني منها شباننا، وقد انتشرت بين أوساطهم في الآونة بشكل كبير، ينم عن وجود نقص أو خلل في أمورهم الحياتية، سواء أكانت الأسرية أو الاقتصادية أو الدراسية أو السياسية أو غير ذلك.

ولقد لاحظ الباحث من خلال تواجده في الجامعة، (وخاصة في الاقامات الجامعية)، وجود مظاهر تشير إلى انتشار ظاهرة الاغتراب بينهم من خلال ظهور حالة من عدم الاستقرار والقلق الدائم

¹ - Diaz B. et Lietard-Dulac B., *Contre violence et mal-être, la médiation par élèves*, Nathan, Paris, 1998. Cite par Lebailly Philippe, *La violence des jeunes, comprendre et prévenir*, éditions ASH, Paris, 2001

بين أوساط هؤلاء الطلبة، بالإضافة إلى التشاؤم في النظرة إلى المستقبل وعدم القدرة على اتخاذ القرارات السليمة. كل ذلك يظهر بشكل واضح في عبارات الضيق والتبرم المصبوغة بنبرة القلق والشكوى التي تحمل طابع اليأس والإحباط. ومع وجود هذه الظواهر وغيرها الكثير تظهر معاناة هؤلاء الطلبة من مشاعر الاغتراب. وهذا ما دفع الباحث للقيام بهذا البحث الميداني للتعرف على العلاقة بين التغير القيمي ومظاهر الاغتراب لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

حيث تسعى الدراسة الحالية للبحث في التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعيين من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وعلاقته بانتشار مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، حيث تم تقسيم الدراسة إلى جانب نظري وجانب ميداني.

الجانب النظري تم تقسيمه الى أربعة فصول؛ يتناول **الفصل الأول** الاطار النظري للدراسة حيث تضمن تحديد إشكالية الدراسة والسؤال الرئيسي الذي تنطلق منه، ثم صياغة فرضيات للدراسة قصد التحقق من صحتها ميدانيا، ثم أهمية الدراسة وموقعها العلمي وأسباب اختيار الموضوع التي دفعت بالباحث الى دراسته، وأهداف الدراسة التي تسعى الى تحقيقها، كما يتناول التراث النظري لموضوع الدراسة حيث وضحنا بالتحديد نوع المقاربة النظرية التي تتناسب مع موضوع الدراسة واعتمدها الباحث في تحليلاته، كما يعرض للدراسات السابقة التي تناولت التغير القيمي أو مظاهر الاغتراب، حيث تم تصنيفها وفقا للبيئة التي أجريت فيها؛ دراسات أجنبية ودراسات عربية ودراسات جزائرية.

أما **الفصل الثاني** فتناولنا فيه الاتجاهات النظرية المفسرة للقيم، وكيف تبلور مفهوم القيم من بداية الاهتمام به، وخصائصها وأسس تصنيفها ومكوناتها، وكيفية اكتسابها، ومصادرها ووظائفها، كما حاولنا تقديم نظرة سوسيولوجية للتغير القيمي في المجتمع الجزائري، تأثير العولمة والتحولت التي يشهدها المجتمع، وسلطنا الضوء على الأزمة القيميّة ومظاهرها في المجتمع الجزائري.

و**الفصل الثالث** تناول الاتجاهات النظرية المفسرة للاغتراب من الفكر الفلسفي والى تبلور مفهوم الاغتراب سوسيولوجيا، وأنواعه ومظاهره، والأشكال التي يأخذها الاغتراب لدى الشباب، ومصادره في الثقافة العربية.

كما خصصنا **الفصل الرابع** للشباب الجامعي والوسط الجامعي، حيث أوضحنا ماهية هذا الوسط والأدوار التي يقوم بها، والنظريات التي تفسر دور الجامعة في المجتمع، وعملية التنشئة الاجتماعية التي تحدث فيه بطريقة عرضية أو مقصودة، كما حاولنا تقديم قراءة سوسيولوجية للشباب الجامعي من حيث الخصائص النفسية والاجتماعية التي تميز المرحلة العمرية التي يمرون بها، والمشكلات التي تواجههم وتأثير هذا الوسط على القيم التي يحملونها.

أما الجانب الميداني للدراسة فيتكون من ثلاث فصول؛ خصص **الفصل الخامس** فيه لعرض الإجراءات المنهجية التي اتبعتها الدراسة الميدانية والتي تكشفنا لنا بعد القيام بالدراسة الاستطلاعية،

حيث عرضنا في البداية لمجالات الدراسة، والمنهج المعتمد، والأدوات التي تمت بواسطتها جمع البيانات، وأساليب المعالجة الإحصائية التي اعتمدت في التحليل الكمي لبيانات الدراسة المتحصل عليها.

أما الفصل السادس فقمنا فيه بعرض وتحليل وتفسير نتائج مقياس التغير القيمي الذي طبق على عينة الدراسة، بداية بعرض ومناقشة البيانات العامة للأفراد عينة الدراسة، ثم قمنا بتحليل وتفسير استجابات أفراد عينة الدراسة حول محاور مقياس التغير القيمي والتي تمثلت أساساً في القيم الاقتصادية والتعليمية والأسرية والسياسية والدينية، كما قمنا باستخراج الفروق في الاستجابات بين الجنسين ثم ترتيب القيم حسب الأولوية لدى أفراد عينة الدراسة بناءً على درجات الاستجابة.

أما الفصل السابع فتتمت فيه مناقشة مظاهر الاغتراب وعلاقتها بالتغير القيمي، وتمثلت مظاهر الاغتراب في هذه الدراسة في: التشيؤ واللامعيارية واللامعنى والعجز والعزلة الاجتماعية، ثم قمنا بمناقشة الفرضية العامة للدراسة، وعرضنا للنتائج العامة التي خلصت إليها الدراسة، ثم التوصيات التي يراها الباحث مفيدة للمهتمين بدراسة التغير القيمي ومظاهر الاغتراب.

الجانب النظري للدراسة

الفصل الأول: الاطار النظري للدراسة

الاطار النظري للدراسة

أولاً.التصور النظري للدراسة

- 1.الإشكالية
- 2.فرضيات الدراسة
- 3.أسباب اختيار الموضوع
- 4.أهداف الدراسة
- 5.أهمية الدراسة
- 6.مفاهيم الدراسة

ثانياً.التراث النظري للدراسة

1. المقاربة النظرية للدراسة
 2. الدراسات السابقة
- خلاصة

أولاً. البناء التصوري للدراسة:

1. الإشكالية:

تعتبر الجامعة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، حيث تلعب دوراً مميزاً في تكوين الاتجاهات، وتأسيس القيم الاجتماعية والثقافية، وتعمل بالتالي على تطوير المجتمع وتنمية كافة جوانبه الحياتية بما في ذلك الجانب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والتربوي. والجامعة هي المعنية أصلاً ببناء ثقافة المجتمع، وتحديد السمات العامة للشخصية الأساسية فيه، والتي تشكل القاسم المشترك لأفراد المجتمع¹، وتتمثل مسؤولية الجامعة، باعتبارها تمثل القيادة الفكرية والعلمية في المجتمع، لما يتوفر لديها من موارد بشرية مؤهلة تأهيلاً عالياً في التعامل مع المشكلات والتحديات التي تواجهها في المجتمعات المعاصرة. فهي إحدى المؤسسات الاجتماعية التي تقوم بعملية التربية والتنشئة، إذ تقوم بنقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل، وفي مساعدة الأفراد على تقبل المعايير والقيم السائدة في المجتمع، وفي غرس مجموعة من القيم والاتجاهات في نفوس الطلبة على مختلف مستوياتهم وانتماءاتهم الجغرافية، وتزويدهم بحصيلة من المعارف والمهارات التي تمكنهم من المساهمة الإيجابية في صنع المستقبل، وتهيئة المناخ العلمي الذي يساعد على البحث والتجديد والابتكار والإبداع، ولعل من أهم ما تلتزم الجامعة بغرسه في نفوس الطلبة نجد القيم لما لها من دور كبير في تشكيل الشخصية الإنسانية.

غير أن المجتمع الجزائري وفي ظل التغيرات العالمية المعاصرة والتي مست كافة المستويات، وما نجم عنها من مشكلات أخلاقية وقيمية، عرف العديد من التحولات التي انعكست على الشباب الجامعي وعلى دور الجامعة وعلاقتها بمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى، حيث بات لزاماً على الجامعات أن تهتم بالجانب الثقافي والتربوي أكثر من أي وقت مضى، سيما وأن أكثر فئات المجتمع تعرضاً لهذه التغيرات والتحولات الثقافية والاجتماعية هم فئة الشباب الجامعي، وذلك بحكم وضعهم الاجتماعي من حيث هم فئة تعيش مرحلة انتقالية في الجامعة، من خلال تحصيل العلم والمعرفة، وتتجه نحو تغيير وضعهم الاجتماعي إلى الأفضل، وهذه التغيرات ليست مجرد عناصر تتجاوز مع ما يتلقاه الطالب الجامعي من معارف ومهارات وقيم، وإنما تدخل في نسيج التكوين الشخصي بحيث تلتحم بما يتعلم وتتفاعل معه، بل وقد تكونه وتوجهه.

¹ - علي أسعد وطفة: الثقافة العربية وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي العدد 192، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت 1995، ص 215.

وبفعل النظرة المستقبلية التي يتصف بها الشباب الجامعي نراهم أكثر حرصاً على تغيير الواقع وأكثر حساسية اتجاه متغيراته، ونظرتهم للواقع تمتزج بالمثالية في توجهاتهم وآمالهم الذاتية والاجتماعية، وهذا يضعهم غالباً في مشكلة قيمية مع الإطار الاجتماعي الذي يحيط بهم وينتمون إليه، فهم يرون أن القيم التي اكتسبوها من الوالدين والأسرة والبيئة الاجتماعية لم تعد كافية ومناسبة للتفاعل مع متطلبات الواقع، إن محاولة التخلص من كافة ألوان الضغط والتعبير عن الرغبة في التحرر تعد من الخصائص المميزة للشباب الجامعي.

والواقع أن الشباب الجامعي يعايش عالمين متناقضين، حاملاً في شخصيته ثقافتين متباعدتين يصعب التقريب بينهما، ثقافتين غير متكافئتين؛ ثقافة تراثية مفعمة بالمواطنة والأصالة، وأخرى عولمية تغريبية تسلبه الأولى وتدفعه نحو عصره فردية كوكبية.

وبين العالم الأول والعالم الثاني يقف الطالب الجامعي. عاجزاً عن الوصل بين ماضيه التراثي وبين عصره الآخر المغتربة عنه، فيصبح لا يعرف كيف يواجه الكثير من المواقف الاجتماعية، أو يتطلع إلى صنع مستقبله فيعيش في عالم من الوهم ونسق من الخيال يصنعه لذاته، إما هرباً من واقعة أو عجزاً عن الفكك منه.

ومع ذلك قد يسعى للعصرنة المظهرية المصطنعة فيصبح ممسوخ الشخصية، فاقد الهوية غير قادر حتى على التكيف مع الواقع أو التصالح مع الأنا أو التعايش الحر مع الآخر من أجل إعادة إنتاج الذات، ومن هنا يمكن القول أن الطالب الجامعي بهذه الحال يعيش حالة من الاغتراب.

إذ تعد مشكلة الاغتراب ظاهرة بارزة ومتميزة في العصر الحديث، ذلك لأنه عصر يعكس تحولات وأزمات سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية وتربوية، ولذلك فقد غلبت عليه جوانب اللاعقلانية، ومن جهة أخرى شهد هذا العصر شعور الإنسان بقدراته وإنجازاته الهائلة التي سببت له القلق على مصيره والخوف من سرعة التغيير على مختلف الأصعدة والمستويات، لذا فإن وضع الجامعة والطلبة وما ينتظرهما من أدوار في هذا الواقع لا يثير الاستقرار وإنما القلق والتساؤل.

لقد أصبح ينظر إلى الطالب الجامعي على أنه عاجز على السيطرة على الأحداث والمجريات، وليس له القدرة على فهمها وتحليلها، وحتى التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها، كما ينظر إليه كفاقد للقدرة والسيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، وهو ما يجعله غير قادر على تقرير مصيره، فمصيره وإرادته تتحدان من قبل عوامل وقوى خارجة عن إرادته الذاتية.

وهو بهذا المعنى يكون عاجزا عن صنع قراراته المصيرية التي تحدد خطواته المستقبلية وغير قادر على التعبير بصراحة عن إرادته وتطلعاته ويصاحبه الفشل في تدبير أموره، وبالتالي يكون عاجزا عن تحقيق ذاته يمتلكه الاستسلام والخنوع الدائم، إن جوهر العجز عند الفرد يتأتى أساسا من توقعه بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط وهذا راجع إلى كون الأشياء التي تحيط به تسيطر عليها ظروف خارجية اقوي منه ومن إرادته.

وكثيرا ما يدور الحديث في المجتمع الجزائري حول دور نخبة المجتمع ومواقفهم إزاء العديد من القضايا المصيرية، ويعم النقاش حول أسباب تدني المستوى التعليمي لهم، وافتقاد الطالب الجامعي إلى الموجه أو المرشد فيما يتعلق بسلوكه ومعتقداته، ما ينتج عنه شعور بفراغ كبير لانعدام الأهداف الأساسية التي تقوده وتعطيه معنى للحياة وتحدد اتجاهه وتستقطب نشاطاته، وبهذا فان الطالب الجامعي يرى بان الحياة خالية من المعنى وأنها تسير وفق منطق غير معقول، هذا ما يدفعه فيها للعيش غير مبال وفاقد للواقعية في الحياة الجامعية، ويرى بأنها غير مجدية ومليئة بالروتين والملل مع عدم الرغبة في أن يكون فيها أصلا.

ومن حالات الاغتراب أيضا نجد اللامعيارية والتي تعني عدم تمسك الفرد بالمعايير والضوابط والأعراف وشعوره بأن الوسائل غير الشرعية مطلوبة وضرورية لانجاز الأهداف وان تعاكست مع القيم والعادات السائدة، كالغش في الامتحانات، وسرقة المعدات والتجهيزات المختلفة التي تتوفر عليها المؤسسة الجامعية التي ينتمي إليها.

كما بينت بعض الدراسات أن من مظاهر الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين تبرز في الشعور بالعزلة الاجتماعية؛ حيث يحس الطالب بالإقصاء والرفض كنقيض للقبول الاجتماعي، مما يجعل الطالب الجامعي يقصي نفسه من المشاركة في الفعاليات والنشاطات الجامعية ويتولد لديه الإحساس بعدم الانتماء، ومن ثم كراهية الوسط الجامعي والقيم السائدة فيه، وهذا ما قد يدفعه إلى تبني أفكار ومعايير مخالفة لأعراف المجتمع ومعالمه. ما يشكل قطيعة بين الطالب الجامعي وثقافة المجتمع.

كما يتمظهر الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين في التشيؤ أو في النظرة المادية التي تفسر بها علاقاتهم الاجتماعية، فيحس الطالب بأنه يعامل كما ولو كان شيئا وانه قد تحول إلى موضوع وفقد هويته التي هي بمثابة مركز إنسانيته، والتشيؤ يتأتى أساسا من إحساس الفرد بفقدان هويته وانه تحول إلى مجرد شيء، وأنه تحول من كيان معرفي يعول عليه في بناء الحضارة إلى مجرد موضوع غير قادر على تقرير مصيره ويرى بأنه لا يرتبط بواقعه أو بنفسه أو بالآخرين.

وبناء على ما تقدم فإن الأبعاد الخمسة للاغتراب تكاد تكون متداخلة ومتراطة بينها ويكمل بعضها الآخر، ولكل بعد منها أهميته وتأثيره في تحديد طبيعة ودرجة وحدة الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، ونحاول في هذا الصدد دراسة ظاهرة الاغتراب والتعرف عليها وعلى تأثيراتها النفسية والاجتماعية على الطلبة الجامعيين في مختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة من خلال علاقتها بالقيم التي يحملها الطلبة، وهي قيم مستدمجة فيهم من قبل من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري.

ومما سبق تتضح إشكالية الدراسة وهي التغير القيمي لدى الطلبة الجامعيين من الجنسين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة وعلاقته بظهور حالات الاغتراب لديهم في الوسط الجامعي. وفي إطار هذه الإشكالية تسعى الدراسة الراهنة إلى الإجابة عن تساؤل رئيسي مفاده:

هل توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور حالات الاغتراب لديهم؟

ويمكن أن تتفرع عن هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية كل سؤال منها يعكس مظهرا من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي وهي كالتالي:

أ. هل توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعنى لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي؟
ب. هل توجد علاقة التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعيارية لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي؟
ج. هل توجد علاقة التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور العزلة الاجتماعية لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي؟

د. هل توجد علاقة التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور التشيؤ لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي؟
هـ. هل توجد علاقة التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور العجز لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي؟

2.فرضيات الدراسة:

1.2.الفرضية العامة:

توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور حالات الاغتراب لديهم؟

2.2.الفرضيات الفرعية:

أ. توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعنى لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

ب. توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعيارية لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

ج. توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور العزلة الاجتماعية لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

د. توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور التشيؤ لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

هـ. توجد علاقة بين التغير القيمي لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور العجز لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

3.مبررات وأسباب اختيار الموضوع:

إن عملية اختيار موضوع ما للبحث والدراسة في العلوم الاجتماعية، عملية تتميز بالتعقيد والتداخل بين العوامل العلمية والعملية والذاتية للباحث، مما يتطلب أخذ جملة من الاعتبارات العلمية والموضوعية ليكون الاختيار صائبا وناجحا للموضوع، وعليه فانه من جملة الأسباب التي أدت إلى اختيار موضوع "التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي".

ميل الباحث إلى الدراسات الاجتماعية التي تسلط الضوء على قضايا ومشكلات الشباب، خاصة الشباب الجامعي وما يعيشه من مظاهر سلوكية تتناقض مع الأهداف التي تنادي بها الجامعة كمؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري.

كما أن الباحث لاحظ العديد من المظاهر السلوكية في الوسط الجامعي التي يميزها التناقض والازدواجية، فالشباب يناادي بقيم معينة ويضعها في سياقها الديني والاجتماعي، لكن سرعان ما يقوم بسلوكات مناقضة مع قيمه، ومثال ذلك ظاهرة الغش في الامتحانات.

كما أن التغيرات والتحولات التي مرّ بها المجتمع الجزائري ولا يزال، لها انعكاساتها على المستوى القيمي خاصة لدى الشباب، وما المظاهر السلوكية إلا انعكاس لها، هذا ما جعل الباحث يتساءل عن أسباب الثقافة الاستهلاكية وبروز النظرة المادية والتبريرية للأمور وهل مازال شبابنا يحافظ على قيمه واهتمامه بها أم أن هناك تغيرا في السلم القيمي لديه؟ وهل هناك علاقة بين التغير القيمي لدى الطلبة الجامعيين ومظاهر الاغتراب.

4. أهداف الدراسة:

- تسعى هذه الدراسة إلى التحقق من صحة الفرضيات المصاغة من أجل الخروج بنتائج علمية حول أبعاد الظاهرة المدروسة وتأثيراتها.

- وصف المؤثرات الخارجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تلعب دورا في التأثير على ظهور حالة الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين، وتحديد مظاهر الاغتراب الأكثر انتشارا في الوسط الجامعي.

- تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على القيم السائدة لدى طلبة الجامعة ومدى علاقتها بالاغتراب باعتبار الدور المنوط بالجامعة في تدعيم وتنمية القيم.

- التعرف على النسق القيمي لدى الطلبة الجامعيين والتغيرات التي طرأت عليه، والذي يسود في الوسط الجامعي لدى عينة من الطلبة الجامعيين، وذلك من خلال بعض المواقف والاتجاهات الحياتية في صورة كمية، مما يتيح فرصة أكبر لمعرفة المجتمع الجزائري باعتبار أن القيم مرتبطة بجوانب متعددة في الحياة الاجتماعية المختلفة.

5. أهمية الدراسة:

موضوع التغير القيمي لدى الطلبة الجامعيين وعلاقته بالاغتراب، جاء ليجيب على كثير من الأسئلة المطروحة حول وضع الطالب الجامعي والقيم التي يحملها في حين نلاحظ انتشار بعض الظواهر الاجتماعية داخل الحرم الجامعي، أو سلوكيات الطلبة الجامعيين تتناقض مع الأهداف التي تنشدها الجامعة، كمؤسسة تهتم بالتنشئة الاجتماعية وتسعى إلى تحقيق أهدافها في المجتمع. خاصة على مستوى الاقامات الجامعية.

وأهمية الموضوع تكمن كذلك في محاولة فهم الازدواجية القيمية بين الفكر والسلوك لدى الطلبة الجامعيين، بين دور المتعلم في الجامعة وبين دور الإنسان الممارس حياتيا، ففي الحياة اليومية نلاحظ التقليد والنظرة المتخلفة للواقع أما في المناسبات العلمية فيكون غير ذلك.

كما تتبع أهمية البحث من أهمية الشباب الجامعي كعنصر منتج في المجتمع، ودورهم الفاعل فيه، فالشباب هم عصب الحياة، إنهم الأمل المنشود في تجديد بناء الأمة وبعث نهضتها،

ويستطيعون بما يملكون من إمكانيات وطاقات المشاركة الفعالة والايجابية في أداء الوظائف والأعمال التي يسندھا إليهم المجتمع، ولهم المكانة والقيمة الكبيرة في حياة الأمة.

وفي الجزائر يمثل الشباب نسبة كبيرة، يمكننا الحديث عن حجم التأثير الذي يمكن أن يحدثه الشباب في مسارات التنمية المختلفة، وتطوير القيم السائدة، وإعطاء إطار جديد وعصري للثقافة يكون في البداية متقدماً على كل ما هو سائد وليس نقيضاً له.

وأكثر ما يعطي الأهمية للشباب، تلك الثورة الرقمية التي يطرحها علينا هذا العصر، حيث ستكون قيادة المجتمع في المراحل القادمة في أيديهم، فتورة المعلومات وتراكمها جعلاً هذا الجيل الشاب يستفيد من انجازاتها دونما الحاجة الى انتظار تراكم الخبرة الحياتية.

ويستمد هذا الموضوع أهميته من كونه أحد المواضيع التي حظيت بعناية الباحثين في مختلف التخصصات وخصوصاً الدراسات النفسية والاجتماعية، وهذا فيه دلالة على أهمية المكانة البحثية لظاهرة الاغتراب وربما يرجع ذلك لما لهذه الظاهرة من دلالات تعبر عن معاناة الإنسان المعاصر وصراعاته مع مجتمعه في ظل التغيرات التي يشهدها باستمرار.

فيبدو أن إنسان اليوم أصبح يعيش حياة روتينية ابتعدت به تدريجياً عن العلاقات الإنسانية الحميمية بالآخرين، فمع التقدم التقني المتزايد أصبح الإنسان يمتلك التكنولوجيا أو يخترع الآلة ولا يعتمد عليها في الإنتاج فحسب؛ بل أصبح هو الآخر يعمل بصورة روتينية آلية، الأمر الذي أدى بالإنسان إلى الشعور بعدم الأمن والطمأنينة حيال واقع الحياة في هذا العصر بل ربما النظر إلى هذه الحياة وكأنها غريبة عنه أو بمعنى آخر لا يحس بالانتماء إليها، وهكذا أصبح الإنسان غريباً عن نفسه مثلما أصبح غريباً عن الآخرين الذين قد يضحى بهم من أجل المادة ومن ثم فقد أصبح الاغتراب كما لو كان نوعاً من الوباء الاجتماعي الذي يهدد استقرار المجتمعات الحديثة .

6. مفاهيم الدراسة:

تعتبر المفاهيم لغة أساسية في كافة النظريات والبحوث العلمية، كما أن التحديد العلمي لها يعد خطوة لا غنى عنها في سبيل تيسير الطريق للباحث لتوضيح وبشكل نسق الظاهرة المدروسة، وعليه نحاول أن نوضح أهم المفاهيم التي تدور حولها الدراسة.

6-1. القيم والتغير القيمي:

أ. مفهوم القيم لغويا:

لغويا تعني القيمة في الفعل اللاتيني (voléo)، والذي يعني أصلا أنني قوي، ثم أصبح هذا المصطلح يشير الى فكرة عامة، فكرة أن يكون الإنسان بالفعل مفيدا أو متكيفاً، وان كلمة (valeur) بالفرنسية والكلمات التي تقابلها بالانجليزية أو الألمانية ما زالت تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني، وان كان المصطلح الفرنسي أكثر تشعباً.¹

وكما جاء في قاموس علم الاجتماع فان القيمة تعتبر مرادفا لكلمة المصلحة، على أساس أن المصلحة هي كل ما يثير اهتمام الجماعة وما تعتبره مربحا لها أو مفيدا أو مشبعا لحاجات اجتماعية وما إن تحس الجماعة بالقلق إذا لم تحققه أو تحصل عليه.²

والقيمة في اللغة العربية تعني قيمة الشيء: قدرة وقيمة المتاع: ثمنه. وجمع القيمة: القيم.

ب. المفهوم السيكولوجي للقيم :

يمكن اعتبار القيم تنظيمات معقدة لأحكام عقلية وانفعالية معممة نحو الأشخاص أو الأشياء أو المعاني، إذ يعرفها احمد زكي بدوي بأنها أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد، ويحكم بها وتحدد مجالات تفكيره وتحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه.³

ويرى ماسلو (maslow) أن مفهوم القيم مرده الحاجات الأساسية التي تسعى الى الإشباع، فالحاجات الأساسية هي التي تؤسس الكائن بيولوجيا وتحدد له نسق اختياراته، فهي تبدأ بمثابة قيم بيولوجية ثم تتحول بفعل النمو والتعليم والتدريب إلى قيم اجتماعية.

وقد عرفها فليب جاكوب (philip,j) بأنها مستويات معيارية يتأثر بها الإنسان في اختياره بين بدائل السلوكيات المدرك.⁴ كما تعرف القيم بأنها عبارة عن معايير وجدانية وفكرية يعتقد بها الأفراد، وبموجبها يتعاملون مع الأشياء بالقبول أو الرفض.⁵

¹ - رتيمي الفضيل: التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية في المؤسسة الصناعية الجزائرية، أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع، إشراف كمال علي مزيجي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2004، 2005، ص 260.

² - محمد الزلباني: القيم الاجتماعية، مدخل للدراسات الانثربولوجية الاجتماعية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1973، ص 8.

³ - احمد زكي بدوي: معجم مصطلح العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1977، ص 438.

⁴ - ماجد الزبود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، الأردن، 2006، ط 1، ص 11.

⁵ - فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية - مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 26.

ويعرفها البعض الآخر بأنها تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية نحو الأشخاص والأشياء والمعاني، لذلك فإن القيم هي المحددات المهمة للسلوك الإنساني وهي مصدر لكثير من المعايير وتنظم سواء على مستوى المجتمع أو على مستوى الفرد لتكون ما يسمى بنسق القيمة.¹

من خلال التعاريف السابقة تعبر القيم عن مبادئ يتبناها الإنسان وتتبع من نفسه فهي ذات منطلق فردي نحو مبادئ وآراء الآخرين، فهي نتيجة التكوين النفسي للفرد تبعاً للفروق الفردية. فهي تعريفات تركز على دراسة قيم الفرد كونها محددات نفسية تتجه نحو موضوعات خارجية. وهي تركز على سمات الفرد واستعداداته واستجاباته فيما يتصل بعلاقاته مع الآخرين.

ج. المفهوم السوسيولوجي للقيم:

تعد القيم في نظر علماء الاجتماع عنصراً هاماً من عناصر البناء الاجتماعي، تتطور بتطور المجتمع الذي توجد فيه، فالقيم نسبية في ثقافة أي مجتمع وليست مطلقة تختلف من مجتمع لآخر، فلكل ثقافته ولكل مجتمع معايير الاجتماعية. كما يرى علماء الاجتماع أن القيم من صنع المجتمع، وأنها تعبر عن الواقع، فالقيم حقائق واقعية توجد في المجتمع.

والقيم كما يعرفها العديد من علماء الاجتماع هي مستوى أو معيار للالتقاء من بدائل أو إمكانات اجتماعية، متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي.²

فالمعيار هو المقياس الذي يقيس به الفرد الأشياء، من حيث فاعليتها ودورها في تحقيق مصالحه، وهذا المقياس يرتبط بوعيه الاجتماعي، وما تؤثر فيه من مؤثرات اجتماعية وبالمجتمع الذي يعيش فيه، أما الالتقاء فهو عملية عقلية معرفية يقوم بها الفرد بمضاهاة الأشياء وموازنتها في ضوء المقياس الذي وضعه لنفسه، والتي تحدد بظروفه الاجتماعية وكلما ارتقى الفرد في السلم الاجتماعي تعددت وتنوعت فرص انتقائه، أما البدائل فهي مجموعة الوسائل والأهداف التي تتجه نحو مصالح الإنسان المتعددة والمتنوعة.³

¹ - ليلي خليل داود، أحمد عبد العزيز الأصفر: الجماعة وخصائص التفاعل الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، سوريا 2005، ص 397.

² - عبد المعطي عبد الباسط محمد: بعض مظاهر صراع القيم في الأسرة القروية المصرية، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، مصر العدد الأول، ص 71.

³ - عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، سلسلة عام المعرفة، العدد 160، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 39-40.

ويعرفها تالكوت بارسونز (T, persons) بأنها عنصر في نسق رمزي مشترك تعتبر معياراً، أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف.¹ ويرى إميل دور كايم (I, dorkhaim) أن القيم هي إحدى آليات الضبط الاجتماعي المستقلة عن ذوات الأفراد الخارجة عن تجسدهم الفردية.

كما أن القيم هي مجموعة الأفكار والاهتمامات التي كونها الفرد من خلال تجاربه المتنوعة والعملية في المجتمع، آخذة صفة المعيارية لتصرفاته، ولها الصفة الإيجابية الشرعية للحكم في تصرفاته وسلوكه في المجتمع.²

وإذا نظرنا إلى المجتمع نظرة تحليلية، فإننا نجده يتكون من عدة نظم كالنظام الاقتصادي والسياسي والديني والتربوي،... الخ ويتكون كل نظام من قيم معينة تحدد هويته، ويعكس النظام من ناحية أخرى هذه القيم في مجموعة من المعايير التي قد تكون مكتوبة فتأخذ شكل قوانين أو شفوية فتأخذ شكل العرف أو العادة، وهذا ما يطلق عليه بالنسق القيمي.

من خلال ما سبق يتضح رغم الاختلاف في تحديد المفهوم إلا أن هناك عناصر مشتركة بين علماء الاجتماع، حيث تتفق التعريفات على الطبيعة العامة للقيم ولذلك يمكن اعتبار القيم مجموعة من الاهتمامات والاتجاهات المفضلة لدى الفرد؛ تعبر عن مجموعة المبادئ التي يضعها المجتمع، باعتبار أنها نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويتشربها تدريجياً من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية؛ سياسية، أسرية، اقتصادية، دينية، تعليمية، كما يمكن اعتبارها تنظيمات معقدة لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأفراد أو الأشياء أو المعاني، والقيم تختلف من مجتمع لآخر وتتغير في المجتمع الواحد من فترة لأخرى.

د. مفهوم التغير القيمي:

الواقع أن مفهوم التغير القيمي من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد، فقد يُضيق البعض من استخدام المفهوم ليقصر على بعض العادات والتقاليد أو التغيرات المتتالية والسريعة في الطرائق الشعبية، وقد يوسع البعض من استخدام المفهوم ليشتمل على كل التحولات في القيم الثقافية للمجتمع. ومن المعروف أن بعض أجزاء النسق القيمي سرعان ما يلحقها الفتور نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة، وكلما كانت هذه الظروف تخضع لقانون التغير فإن القيم بدورها لا تسلم من هذا التغير وحتى وإن كانت تتسم بالثبات والديمومة.

¹ - ماجد الزبود: القيم والشباب في عالم متغير، ط1، دار الشروق، الأردن 2006، ص22.

² - عاشور راتب: القيم الاجتماعية في كتب القراءة للصفوف الأربعة الأولى بالأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 2000، ص187.

إن عملية التغير القيمي يمكن أن تكون على شكل تغيرات طفيفة في العادات الموجودة، هذه التغيرات تبدأ محدودة الحجم، لكن مع تراكمها عبر الزمن تأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً، ثم تبدأ ثمار هذا الاتساع بالظهور من خلال تحول القيمة إلى شكل جديد. والتغير في القيم عملية أساسية تصاحب التغير في بناء المجتمع، وتعني تغيراً في تسلسل القيم داخل النسق القيمي، وكذلك تغير مضمون القيمة وتوجهاتها، فنجد أن القيم ترتفع وتخفض، وتتبادل المراتب فيما بينها، إلا أنها تختلف في سرعة التغير، فبعضها يتغير ببطء مثل القيم الأخلاقية والروحية، وبعضها يتغير بسرعة كالقيم الاقتصادية (المرتبطة بالمال، الملابس...) ¹.

ويمكن صياغة تعريف إجرائي للتغير القيمي في هذه الدراسة من خلال اعتبار أن التغير القيمي يحدث في نسق القيم لدى الأفراد من خلال الانتقال من مرحلة عمرية إلى أخرى؛ أي بالتدرج في العمر، وما يرافقه من انتقال الفرد بين مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية الموجودة في المجتمع، والتي تساهم بدورها في تعديل وتغير القيم لدى الفرد أو تعزيزها، كما يحدث التغير القيمي نتيجة للتغيرات التي تمس مختلف الأنساق الاجتماعية وقد تكون هذه التغيرات محلية في إطار مجتمعي ضيق، أو في إطار عالمي كظاهرة العولمة وثورة الاتصالات التي قربت كل بعيد وأضحى العالم قرية صغيرة بموجبها.

وعليه يمكن قياس التغير القيمي في هذه الدراسة باستعمال مقياس يتضمن القيم التعليمية والسياسية والدينية والاقتصادية والأسرية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، وتحليل استجاباتهم إزاء عبارات المقياس.

2-6. مفهوم الاغتراب:

يعد الاغتراب أحد المفاهيم المثيرة للجدل في عصرنا الحديث ليس بسبب غموض معناه وإنما بسبب التعريفات التي وضعت له مع كثير من الاتجاهات التي تناولته بالبحث والتحليل، فهو ظاهرة إنسانية يتميز بها الإنسان دون غيره من الكائنات فهو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن ينفصل عن ذاته، وقد ينفصل عن مجتمعه، أو عن كليهما معاً، وتختلف درجة الإحساس بالاغتراب باختلاف الظروف التي يعيشها الفرد.

¹ - حميد خروف وآخرين، الإشكالات النظرية والواقع، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999، ص 34.

وقد عرض محمود رجب لتاريخ مصطلح الاغتراب والمسار التاريخي الذي سلكه تطور هذا المفهوم حتى وصل الى ما هو عليها الآن من شيوع وانتشار في حيلتنا الثقافية المعاصرة وقسم مسيرة المصطلح إلى ثلاث مراحل:¹

- **مرحلة ما قبل هيغل:** حيث يحمل مفهوم الاغتراب معاني مختلفة تمثلت في سياقات ثلاث هي: السياق القانوني بمعنى انتقال الملكية عن صاحبها وتحولها الى آخر، والسياق الديني بمعنى انفصال الإنسان عن الله، والسياق النفسي الاجتماعي بمعنى انتقال الإنسان عن ذاته ومخالفته لما هو سائد في المجتمع.

- **المرحلة الهيجلية:** على الرغم من أن المفهوم استخدم قبل هيغل، فإنه أول من استخدم في فلسفته مصطلح الاغتراب استخداماً منهجياً استخداماً مقصوداً ومتصلاً، حيث تحول المصطلح مع هيغل الى مصطلح فني.

- **مرحلة ما بعد هيغل:** حيث بدأت تظهر النظرة الأحادية الى مصطلح الاغتراب، أي التركيز على معنى واحد للاغتراب وهو المعنى السلبي تركيزاً طغى على المعنى الايجابي حتى كاد يطمسه، حيث اقترن المصطلح في اغلب التناولات بكل ما يهدد وجود الإنسان ويحد من حريته. وأصبح الاغتراب وكأنه مرض أصيب به الإنسان الحديث، ومن ابرز المفكرين الذين أعطوا اهتماماً بالغاً للاغتراب في دراساتهم نجد كارل ماركس والفلاسفة الوجوديين وعلماء التحليل النفسي، وعلماء الاجتماع، والغريب هو انه وعلى الرغم مما كتب حول الموضوع إلا أنه لم يزل اللبس والغموض الذي يكتنف مفهوم الاغتراب، وقد يكون أمراً طبيعياً بسبب تضارب الاتجاهات والآراء والاختلاف في المدارس الفكرية والادبيولوجيات التي ينتمي إليها كل عالم. وقد تبين أن لمصطلح الاغتراب استخدامات عديدة المعاني في التراث اللغوي والفكري والسوسيولوجي والنفسي.

أ. الاغتراب في اللغة:

إن المقابل للكلمة العربية "اغتراب" أو غربة هو الكلمة الانجليزية (Aliénation) وهو اسم مستمد من الفعل اللاتيني (Alienar)، والذي يعني نقل ملكية شيء ما من شخص لآخر أو يعني الانتزاع أو الإزالة.

¹ - مجدي احمد محمد عبد الله: الاغتراب والهجرة غير الشرعية، دراسة سيكومترية مقارنة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر 2012، ص22.

استخدمت كلمة الاغتراب في الترجمات والشروح اللاتينية للكتاب المقدس للدلالة على الغربة عن الله أو الانفصال بين الله والإنسان، أما الكلمة الألمانية (Entfremdung) المرادفة لمعنى الاغتراب في الانجليزية والفرنسية فقد استخدمت أيضا في العصور الوسطى بمعنى الانتماء الى الآخر أو التعلق به وقد استخدم المصطلح للإشارة الى معاني الغربة في مجال العلاقات الإنسانية، كما استخدم فيما يتعلق بتغريب ملكية الأشياء، وفي المرادف الألماني يشير الى معنى السلب والسطو الذي يتم بطريقة قهرية ومن دون إرادة الفرد.

ب. الاغتراب سوسيولوجيا:

يعرفه قاموس علم الاجتماع بأنه: ((مصطلح فلسفي يقصد به استلاب الشخصية المميزة للفرد، ويقوم مفهوم الاستلاب على افتراض أن الإنسان يتمتع في كل زمان وفي كل مكان بشخصية حرّة ونفس طليقة)) إلا أن ذلك اعتبار وحكم مسبق قد لا يكون صحيحا بل أخلاقيا أو أيديولوجيا، فالمسألة لم تحسم بعد والمناقشات حادة في هذا المجال.¹

فالإنسان الحر، غير المسلوب الحرية، مفروض أن يكون في هذا النموذج الطوباوي إنسانا حرا وعقلانيا ومستقلا، ولا نرى أن تاريخ المجتمعات عبر العصور قد سمحت بهذه الوضعية (الحرية والعقلانية والاستقلالية) إلا لفئات قليلة، لذلك فمن الصعب موضوعيا أن نعتبر بهذا الشكل الاطلاقي أن الإنسان النموذجي كان دائما على هذا النحو.

والاغتراب عند كارل ماركس (k,marx) يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق ذاته كنشاط خلاق في العالم، بل أن العالم- الطبيعة والآخرين وهو نفسه تصبح مغتربة بالنسبة إليه، إنها تعلوه وتقف ضده كموضوعات غريبة، على الرغم من أنها تكون من خلقه.²

وحسب ماركس فإنه لن يتم القضاء على الاغتراب إلا بالاشتراكية، التي تسعى إلى تحرير الإنسان، وليس ملكية وسائل الإنتاج إلا وسيلة لقهر الاغتراب وتحطيم صنمية المال والملكية الفردية، ليتحول العمل في المجتمع الاشتراكي إلى عمل مبدع وخلاق.

ويهتم كيركيجارد (kirkeguard) بالوجود الذاتي للإنسان لا بالوجود بصفة عامة، وأهم خاصية للوجود الذاتي هي الصراع، والتمزق الداخلي بين المتناهي واللامتناهي، واليأس والأمل، والقلق والطمأنينة، أما ذلك الذي يحتاج دوما للآخرين حتى "يوجد"، فهو في الحقيقة يهبط بنفسه إلى أدنى مستوى، ويعترف بأنه وحده ليس بوجود، ويرى بأن حياة الجموع أو الحشد هي تنازل عن الوجود الحقيقي من أجل الاندماج في حقيقة موضوعية ينعدم معها الشعور

1 فردريك معتوق: قاموس علم الاجتماع، دار أكاديميا، بيروت، لبنان، ب ت، ص 32

2 -I,from : la conception de l'homme chez mixed .Payot,paris 1977-p.79

بالحرية، ويتناول كيركيجارد قضية الاغتراب من خلال نقده لضياع الفرد في داخل الحشد، وفقدانه لتفردته وحريته.¹

ج. الاغتراب في علم النفس:

يعرفه قاموس العلوم السلوكية بأنه يعني تدمير وانهيار للعلاقات الوثيقة وتمزق مشاعر الانتماء للجماعة الكبيرة كما في تعميق الفجوة بين الأجيال وزيادة الهوة الفاصلة بين الجماعات الاجتماعية عن بعضها البعض الآخر.

ويعرفه هاري لاقومب (Harry Lacombe) في قاموس المعارف السيكولوجية بأنه يدل على حالة أو عملية يكون فيها شيء ما مفقوداً أو غريباً عن الشيء الذي يمتلكه أصلاً.

وفي ذخيرة علوم النفس أوضح كمال الدسوقي أن الاغتراب يشير الى شعور الفرد بالوحدة والغربة وانعدام علاقات المحبة أو الصداقة مع الآخرين من الناس، وافتقاد هذه العلاقات خصوصاً عندما تكون متوقعة.

ويعرفه الأشول في موسوعة التربية الخاصة بأنه انفصال الفرد وأحاسيسه وأفكاره ومعتقداته عن الوضع الاجتماعي أو عن الأفراد الآخرين الذين كانت له علاقة معهم.²

ويورد عبد المنعم الحفني في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: ((أن الاغتراب النفسي أو الاغتراب عن النفس أو الذات الحقيقة، يحدد قدرة الفرد على الانتماء للآخرين، وهذا الاغتراب عن الآخرين يحدد قدرة الفرد على اكتشاف نفسه، أي أن الاثنين متداخلان معا يعتمدان على بعضهما))، ويرى علماء النفس أن الاغتراب حالة لا يجرب فيها الإنسان نفسه بصفته المبدع الحقيقي وصاحب ما ينتجه، ولكن يجرب فيها نفسه كشيء قد أفقر، يتحكم فيه الآخرون ويسلبونه ما أنتج.³

ويشير كلارك (clarck) إلى أن الاغتراب هو الحالة التي يشعر فيها الفرد بأنه لا يستطيع أن ينجز الدور الذي قرر أن ينجزه بالفعل.⁴

1 - فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان 2008، ص 258

2 - عادل احمد عز الدين الأشول: موسوعة التربية الخاصة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987 ص 18.

3 - عبد المنعم الحفني: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط4، مكتبة مدبولي القاهرة، 1994، ص 60.

4 - سعد المغربي: الاغتراب في حياة الإنسان، الكتاب السنوي الثالث للجمعية المصرية للدراسات النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 251

كما يعرفه إيريك فروم (Iric,Froom) بأنه شكل من أشكال الخبرة التي يمارسها الإنسان ويشعر فيها بأنه غريب عن ذاته، لا يجد نفسه كمركز لعالمه، كخالق لأفعاله وإنتاجه، وإنما أفعاله هي التي تصبح لها السيادة وعليه أن يطيعها وأن يعبدها أحياناً.¹

ويعرفه عبد الستار إبراهيم بأنه فقدان الشعور بالانتماء وما قد يصاحبه أو يترتب عليه من أعراض عصابية تتمثل في العجز، واللامعيارية، واللامعنى، والعزلة، والتشاؤم، والرفض.²

ويعرفه محمد إبراهيم عيد بأنه: انفصال الفرد عن ذاته ومجمعه ويصاحب هذا الانفصال جملة أعراض تتمثل في الشعور بالعزلة الاجتماعية والعجز واللامعيارية واللامعنى والتمرد.³

أما سيجموند فرويد (S.Freud) فإنه يفسر المفهوم في ضوء نظريته في الشخصية، وما ينتظمها من أجهزة نفسية مختلفة تيسر وظائفها، وهنا يؤسس فرويد لمفهومه عن الاغتراب على مكونات افتراضية، فالاغتراب هو اغتراب الأنا عن الهو، أي اغتراب الشعور عن اللاشعور، وبالتالي فالاغتراب سمة متأصلة في وجود الذات وفي حياة الإنسان، إذ لا سبيل مطلقاً لتجاوز الاغتراب بين الأنا والهو والانا الأعلى، حيث يرى فرويد أن الحضارة ومتطلباتها وضغوطها يمكن أن تتناقض جوهرياً مع الذات مما يدفع بالفرد إلى الاغتراب، عن الذات وعن المجتمع الذي يعيش في إطاره.

ويحدد حماد احمد معاني الاغتراب في العصر الحديث بالمصطلحات التالية:⁴

أ. الاغتراب بمعنى الانفصال: ويصف الحالات الناجمة عن الانفصال الحتمي والمعرفي لكيانات أو عناصر معينة في واقع الحياة.

ب. الاغتراب بمعنى الانتقال: وهو المعنى المتمثل في الهجرة والنزوح عن الوطن.

ج. الاغتراب بمعنى التشيؤ: أي وعي الفرد بوجود الآخرين، فنظرة الفرد للآخرين كشيء مستقل عن ذاته بصرف النظر عن العلاقات التي تربطه بهم، غالباً تكون مصحوبة بالوحدة والعزلة بدلاً من التوتر والإحباط.

د. الاغتراب بمعنى انعدام القدرة والسلطة: أي الشعور بالعجز وعدم القدرة على مواجهة الآخرين.

¹ - المرجع السابق، ص 251

² - عبد الستار إبراهيم: العلاج النفسي الحديث، مجلة عالم المعرفة، العدد 27، الكويت، ص 10.

³ - محمد إبراهيم عيد: الاغتراب النفسي، الرسالة الدولية للإعلان، القاهرة، مصر، 1990، ص 27.

⁴ - حماد أحمد: الاغتراب في الأدب العربي المعاصر، عالم الفكر، المجلد 24، العدد 3، مارس 1996، الكويت، ص 37.

هـ. الاغتراب بمعنى انعدام المغزى: أي ضياع المغزى وانعدام المعنى في حياة الفرد، وانعدام إحساسه بقيمة الحياة.

و. الاغتراب بمعنى فقدان المعايير: أي أن المجتمع الذي يصل الى هذه المرحلة يصبح مفتقرا للمعايير الاجتماعية التي تلعب دور الضبط الاجتماعي، أو أن معاييرها التي كانت تتمتع باحترام أعضائه لم تعد تحظى بذلك الاحترام، الأمر الذي يفقدها السيطرة على السلوك.

ز. الاغتراب بمعنى العزلة الاجتماعية: وهو يستخدم في وصف وتحليل دور المفكر أو المثقف الذي يغلب عليه الشعور بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري في المجتمع. فالأشخاص يحيون العزلة والاعتراب لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها المجتمع. إذن؛ يعد الاغتراب من الظواهر التي صاحبت الإنسان في كل عصر من عصور التاريخ. فلقد شغلت اهتمام وتفكير العديد من الفلاسفة والمنظرين (هيجل، دوركايم، فروم، سيمان)، الأمر الذي أسهم في استجلاء وتوضيح مفهوم الاغتراب بكل دلالاته. هذا وتعد دراسات "ملفن سيمان" من الدراسات الرائدة التي أسهمت في تحديد الأبعاد المختلفة للاغتراب على النحو التالي:

- الإحساس بالعجز Powerlessness: إحساس المرء أن مصيره وإرادته ليسا بيده بل تحددهما قوى خارجية عن إرادته الذاتية، ومن ثم فهو عاجز تجاه الحياة ويشعر بحالة من الاستسلام والخضوع .

- الإحساس باللامعنى meaninglessness: إحساس الفرد أن الحياة لا معنى لها وأنها خالية من الأهداف التي تستحق أن يحيا وأن يسعى من أجلها

- الإحساس باللامعيارية normlessness: إحساس الفرد بالفشل في إدراك وفهم وتقبل القيم والمعايير السائدة في المجتمع وعدم قدرته على الاندماج فيها نتيجة عدم ثقته بالمجتمع ومؤسساته المختلفة .

- العزلة الاجتماعية social isolation: إحساس الفرد بالوحدة ومحاولة الابتعاد عن العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه.

- الاغتراب الثقافي Cultural estrangement: حين يعاني المرء صراعا قيمياً كما يتجلى في حالات التمرد لدى بعض الشباب وفئات من المثقفين - على المجتمع ومؤسساته وتنظيماته.

من خلال التعريفات السابقة لمفهوم الاغتراب يتبين أن هناك اهتماما كبيرا من العلماء بهذا المفهوم بالنظر الى الكم الهائل من التعريفات، وما ذكرناه هو على سبيل الحصر، ولعل السبب في تعدد التعريفات يعود الى عاملين أولهما تعدد الانتماءات الفكرية والإيديولوجية

للعلماء من جهة والعامل الثاني يتعلق بمفهوم الاغتراب نفسه والذي يعد مفهوما غامضا تتعدد مجالات استعمالاته، الأمر الذي يجعل الباحثين يقفون في حيرة من أمرهم أمام تحديد دقيق للمفهوم، ولكن أهم ما يمكن أن نستخلصه من هذه التعريفات التي تتفق في أغلبها على أن الاغتراب يعني الانفصال النسبي للفرد، سواء الانفصال عن الذات أو عن الآخرين، وأنه خاصية متأصلة في الوجود الإنساني، وان للاغتراب أعراض من أبرزها: العزلة الاجتماعية، التمرد، اللامعنى، التشيؤ، اللامعيارية، العجز، الاغتراب عن الذات، التشاؤمية، الشعور بحالة من الرفض وعدم الرضا التي قد يعيشها الفرد في علاقته بمجتمعه، ضعف شديد في الثقة بالنفس، الشعور بعدم جدوى الحياة ومعناها.

وعليه يتبنى الباحث في هذه الدراسة التعريف التالي للاغتراب: هو حالة من الرفض وعدم الرضا التي قد يعيشها الطالب في علاقته بالوسط الجامعي كوسط اجتماعي تربوي، مما يسبب انفصال الفرد عن ذاته ومجتمعه، ويصاحب هذا الانفصال مظاهر تتمثل في: الشعور بالعجز، والعزلة الاجتماعية، واللامعيارية، والتشيؤ، واللامعنى.

وتم تبني هذا التعريف في الدراسة الحالية بناء على المبررات التالية:

- لأنه تعريف محدد بطريقة إجرائية يمكن قياسه من خلال خمسة أبعاد.
- يتفق مع معظم التعريفات السابقة في أن الاغتراب يعني الانفصال عن الوجود الإنساني.
- يركز على الاغتراب من الناحية النفسية بشكل دقيق، ويبرز الانعكاسات الاجتماعية في مظاهره وربما هذا ما أغفلته بعض التعريفات ولم تركز عليه.
- يتفق مع كثير من المنظرين والدراسات التي أجريت على فئة الشباب وخاصة طلاب الجامعات في معظم الأبعاد التي اعتمدتها الدراسة الحالية للاغتراب.

3-6. مفهوم الشباب:

يحمل مفهوم الشباب العديد من المعاني بحسب الاتجاهات الفلسفية والفكرية التي تسعى الى تحديده، فهناك اتجاه يميل الى البعد الزمني في تحديد مفهوم الشباب، ويمثل هذا الاتجاه علماء السكان والديمغرافيا الذين يستندون في ذلك الى متغير السن الذي يقضيه الفرد في إطار التفاعل الاجتماعي، حيث يؤكدون على أن الشباب هم دون سن 20 سنة، بل ويميل بعضهم الى تحديد فترة الشباب بدقة اكبر فيرون أن الشباب هي تلك الفئة بين (15-20) سنة وأحيانا يمتد الى 30 سنة حسب البعض منهم.

أما علماء النفس فينظرون الى مفهوم الشباب من الجانب الداخلي استنادا الى اكتمال البناء النفسي للشباب، وهو البناء الذي يحقق ملائمة مع العامل البيولوجي في بناء الشخصية

وما يحتويه هذا العنصر من دوافع وحاجات وغرائز، وبين التوجهات القيمية التي يستوعبها الشباب من ثقافة البناء الاجتماعي ككل.¹

أما علماء الاجتماع فينظرون إلى مفهوم الشباب بالاستناد إلى المجتمع كإطار مرجعي، حيث يؤكدون على أن فترة الشباب تبدأ حينما يحاول المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي أدورا اجتماعية، وتنتهي هذه المرحلة عندما يستقر الشخص في شغل مكانه ويؤدي دوره في السياق الاجتماعي وفقا لمعايير التفاعل الاجتماعي، وهو ما يعني أن الشاب أصبح جزءا من النظام المستقر والثابت، وعلى هذا الأساس يعتقد علماء الاجتماع أن الشخصية تظل شابة طالما أن صياغتها النظامية لم تكتمل بعد.²

يتضح مما سبق أن هناك محددين بارزين في صياغة مفهوم الشباب، المحدد الأول بيولوجي فسيولوجي يتعلق بالنمو، ويحدد بداية مرحلة الشباب ويتميز بجملة من التغيرات الفسيولوجية والبيولوجية في بناء الكائن البشري، وتتراوح هذه المرحلة من (14 إلى 16) سنة حيث تجعل الفرد في هذه المرحلة يكتسب الملامح الخارجية للبالغين، وهو ما يعبر عن سن البداية لمرحلة الشباب.

في حين يعبر المحدد الثاني عن الوظيفة الاجتماعية التي تتمثل في اكتمال شغل الشباب لمجموعة من الأدوار الاجتماعية التي يحددها المجتمع للشباب البالغين، كالحصول على فرصة عمل وامتلاك الدخل والمسكن.... الخ.

ويتحقق هذا الاكتمال في سن يتراوح ما بين (25-30) سنة، وهو ما يعني أن طبيعة الشباب تبدأ فسيولوجية لتنتهي إلى طبيعة اجتماعية، ومن الطبيعي أن تختلف سن البداية مع سن النهاية وفقا لطبيعة السياق الاجتماعي من مجتمع لآخر، حيث تختلف السياقات الاجتماعية بعضها عن بعض من حيث قدرتها على تحقيق النضج الفسيولوجي والاكتمال الاجتماعي للشباب.³

¹ - علي ليلة: الشباب في مجتمع متغير، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1995، ص 37.

² - المرجع نفسه، ص 38.

³ - أحمد حسن الشحات: الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، 1988، ص 23.

وعليه فالشباب كفة عمرية لها بنيتها السيكولوجية والبيولوجية التي تتضمن دوافع وحاجات محددة، كما أن لها موقعها الاجتماعي في البناء الاجتماعي كبقية الشرائح العمرية الأخرى.

ويعرّف مجمع اللغة العربية: "الشباب هو من أدرك سن البلوغ وأبصر سن الرجولة"¹، كما حدد الإحصاء الأمريكي مرحلة الشباب بالفترة التي تتراوح بين (14-25) سنة، حيث يرى أن هذه الفترة الأولى تمثل مرحلة الالتحاق بالثانويات والرغبة في اتخاذ قرارات مستقرة، في حين تشهد المرحلة الأخيرة المرحلة الجامعية وبداية الاستقرار والعمل والتفكير في الزواج... الخ.

كما تعرف منظمة الأمم المتحدة ومنظمة الكومنولث الشباب بأنهم الذين تتراوح سنهم ما بين (15-24) سنة²، ويذهب أحمد فؤاد الشرايبي في السياق نفسه إلى أن فترة الشباب هي فترة النمو والتطور الإنساني التي تتسم بمميزات خاصة، وتنقسم من وجهة نظره إلى أربعة مراحل فرعية هي³:

مرحلة المراهقة: وتمتد من 12 إلى 15 سنة تقريباً، وهي تتسم بسرعة نمو الجسم وظهور الأعراض الجسمية وما يصاحبها من تغيرات فسيولوجية هرمونية.

مرحلة اليقوع: وهي مرحلة تمتد من 15 إلى 18 سنة تقريباً، ويتم في هذه المرحلة استمرار النضج الجسمي بسرعة أقل مع زيادة نضج الوظائف الجنسية.

مرحلة الشباب المبكر: وتمتد من 18 إلى 21 سنة تقريباً، حيث تتجه التغيرات الوجدانية نحو الاستقرار ويصل فيها النمو العقلي إلى مداه.

مرحلة الشباب البالغ: وهي مرحلة تمتد من 21 إلى 30 سنة، وتتم في هذه المرحلة قمة النضج والتكيف مع الحياة.

ويعرف معجم العلوم الاجتماعية: الشباب "بالأفراد الذين هم في مرحلة المراهقة، أي الأفراد بين مرحلة البلوغ الجنسي والنضج". ويبدو أن التعريف خلط بين المراهقة والشباب، وانطلق من رؤية سيكولوجية مهمشة لشبكة العلاقات المعقدة بين الأفراد والجماعات التي تتحكم في هذه الظاهرة.

¹ - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مطبعة مصر، مصر، ص 272

² - أندري فيرلونج: الشباب في مرحلة التحولات، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، عدد 164، مركز اليونسكو، مصر، جويلية 2000، ص 134

³ - فيصل محمد خير الزراد: مشكلات المراهقة والشباب، دار النفائس، دمشق، سوريا 1995، ص 12.

ويتردد مصطلح الشباب عند بعض الباحثين العرب بين مفهومين اثنين هما: مفهوم الفئة العمرية أو المرحلة العمرية، ومفهوم الفئة الاجتماعية، في حين أن الشباب ليس حالة طبيعية بحتة، بل هو منتج ثقافي لوضعية تاريخية معينة.

ولذلك فإن النقطة الجوهرية لدى الشباب هي النظرة المستقبلية للأمور، فهم يعدون أنفسهم للمستقبل ولحياة أكثر استقراراً وتحملاً للمسؤولية، من أجل تحقيق الاستقلال المادي والفكري.

انطلاقاً مما سبق يمكننا صياغة مفهوم إجرائي للشباب الجامعي كالآتي: نعني بالشباب الجامعي في هذه الدراسة الطلبة والطالبات المقيمين والمقيمات بمختلف الاقامات الجامعة بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة خلال العام الدراسي 2011-2012 والذين تزيد أعمارهم عن 18 سنة.

ثانيا. التراث النظري للدراسة

1- المقاربة السوسيولوجية للدراسة:

للإنسان القدرة على تكوين الثقافة وإبداعها، إذ تختلف الثقافة من مجتمع لآخر باختلاف ما يميزها من قيم وتنوع المصادر التي تستمد منها كل حضارة روحها، إلا أن عصرنا يعيش تداخلا للثقافات بين الشعوب وانتشارا رهيبا للثقافة الغربية بفضل ما تملكه من وسائل للدعاية، غير أن الحضارة ليست تكنولوجية النشاط، أو إنتاج للقيم الروحية، إن الشيء الرئيسي في الحضارة يكمن في إنتاج الإنسان ككائن نشيط وفعال في كافة علاقاته الاجتماعية الملحة والتاريخية.

وليس هناك شك أن لكل مجتمع قيمه التي لها دلالات في حياة الناس، ومثال ذلك أن نهضة أوروبا في القرن السادس عشر أزاحت غبار قرون ماضية من الركود مستلهمة علوم وقيم حضارات سبقتها، بعد أن حاورتها وانفتحت عليها فامتكت شروط إنتاج حضارتها هي، إذ اتجهت أوروبا نحو عقلانية انفصلت بموجبها عن توجهات العقل في القرون الوسطى، فأعطت العقل الناقد المفكر المحلل المبدع مكانته ليتحرر من الجمود والاتكالية والاتباعية بمعانيها الاستسلامية المفروضة من الكنيسة والإقطاع.

وبرز الكثير من الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع الذين حاولوا التنظير للمجتمع الأوروبي في نهضته، وتفسير تلك التحولات التي يعرفها المجتمع على مختلف الأصعدة ومحاولة التنبؤ بمستقبلها، واحتل الفرد المكانة الأبرز في تلك التفسيرات سواء من وجهة نظر نفسية أو سوسيولوجية، واحتلت مدرسة التحليل النفسي بزعامة سيجموند فرويد الريادة في تفسيرها لسلوك الفرد وما يعانيه في ظل تلك التحولات مكانة كبيرة، كما قوبلت بانتقادات كبيرة، وفي المقابل نجد النظرية الوظيفية وعلمائها الذين أسسوا للكثير من النظريات حاولوا من خلالها صياغة تفسيرات شمولية قوبلت بالرفض من الاتجاه الماركسي الذي انتقد الوظيفيين واتهمهم بتبرير الوضع القائم بتفسيراتهم ومحاولة الحفاظ على استقرار الأنظمة.

وفي دراستنا الحالية التي تتناول التغير القيمي وعلاقته بظهور الاغتراب بين الطلبة الجامعيين نحاول تقديم تفسيرات للاغتراب في الوسط الجامعي في ضوء الدمج بين الطرح الماركسي وما جاء به أنصار نظرية التحليل النفسي من مقولات وتفسيرات للظاهرة، ولعل الجمع بين الاتجاهين يبدو غريبا للوهلة الأولى؛ لذلك نحاول أن نقدم مبررات لهذه المقاربة التي تتبنى الدمج والتوفيق بين نظريتي التحليل النفسي وعلم الاجتماع الماركسي في ضوء الموضوع الذي تتناوله الدراسة الحالية.

والمواقف أن محاولات الدمج بين الاتجاهين ليست جديدة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، فقد حاول بعض المنظرين الدمج بين الفرويدية والماركسية، إذ يرى رايش أنه من الضروري أن نجمع ونحقق الانسجام بين أفكار فرويد التحليلية النفسية وبين نظرية ماركس الاجتماعية، حيث وجد أنه "ما إن يتحول التحليل النفسي الى مذهب عقائدي يدعي تفسير مختلف قضايا المجتمع، حتى يكشف عن طوباويته وعجزه المرتبط بالتصور الفردي للظواهر الاجتماعية، وبإمكانية التنظيم العقلاني للعلاقات الإنسانية في المجتمع عن طريق تحكم الفرد في رغباته اللاواعية، هذه العقلانية الطوباوية، ليست ثورية ولا أصلية وتتخطى دون شك صلاحيات التحليل النفسي".¹

وبما أن مبدأ الواقع الفرويدي متأصل في الإنسان، ويسعى إلى تحقيق تكيف الفرد مع المجتمع، هذا المجتمع المتكون من مؤسسات اجتماعية بوجوازية، فهو بذلك يدعو الى التمسك بقيمه كما هو مطبق في التربية والعلاج النفسي....، وهو بهذا المفهوم عبارة عن صياغة محافظة وعليه يرى رايش: "أن التحليل النفسي لا يستطيع أن يحل محل علم الاجتماع، غير أنه يملك القدرة على أن يكون علما مساعدا لعلم الاجتماع في صيغة علم النفس الاجتماعي"² ذلك أنه قادر على الكشف عن تأثير الظروف الاجتماعية والبنى الاقتصادية والعوامل الإيديولوجية على التطور النفسي الداخلي للإنسان.

كما أن هناك مواضيع مشتركة بين نظرية ماركس الاقتصادية والاجتماعية ونظرية التحليل النفسي، مرتبطة بالكشف عن العلاقات بين الوجود الاجتماعي والوعي، وبالكشف عن الصراعات الداخلية القائمة بين الجوانب المختلفة من الحياة الاجتماعية أو قوى النفس الداخلية، فإذا كانت الماركسية هي علم اجتماع الصراع، فإن الفرويدية هي علم النفس الصراع.

وعلم النفس التحليلي علم ثوري لأنه وجه نقدا عنيفا للقيم البرجوازية في حين أن الماركسية قد مثلت نقدا للاقتصاد البرجوازي، ولما كانت الماركسية سوسيولوجيا هي التعبير عن وعي قوانين الاقتصاد، قوانين استغلال الأكثرية من قبل الأقلية المتحكمة في رأس المال ووسائل الإنتاج، كذلك التحليل النفسي هو التعبير عن وعي للقمع الاجتماعي للجنس، هذا هو المغزى الاجتماعي الرئيسي للتحليل النفسي الفرويدي، ويرى رايش "أن هناك فرقا بين الطبقات

¹ - رايتش فيلهلم: المادية الجدلية والتحليل النفسي، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحداثة، بيروت، 1980، ص13.

² - المرجع نفسه ص14.

الاجتماعية في التحليل الماركسي طبقة تستغل وأخرى مستغلة، في حين أن التحليل النفسي يرى أن الكبت والقمع الجنسي يشمل كلا الطبقتين.¹

ومن هنا يتوصل رايش إلى أن علم النفس التحليلي وعلم الاجتماع الماركسي يمكن أن يكمل كل منهما الواحد الآخر، ليساعدا معا على تحليل البنى النفسية والاجتماعية للشخصية الإنسانية، فانتقادات رايش كانت بصدد إبراز العناصر المادية والمفهوم الجدلي للتحليل النفسي. وعلى الرغم من أن إريك فروم يؤكد هذا الاتجاه ويسعى الى تعزيزه في العديد من مؤلفاته، إلا أنه يأخذ على التحليل النفسي اختزاله للحياة الاجتماعية برمتها في مواقف بيولوجية غريزية متصارعة داخل النفس، وعندما يقارن فروم بين ماركس وفرويد يقول: "أن فرويد كان مصلحا تحرريا وماركس ثوريا متطرفا"²، ويبرر بدوره الربط والدمج بين النظريتين بواقع أن قضية الفرد كانت مركزية في كلا المذهبين النظريين، وأن الاختلاف بينهما يكمن في القوى المحركة الكامنة وراء سلوك الفرد كما وصفها كل منهما، فقد كانت هذه القوى ذات طبيعة اجتماعية تاريخية عند ماركس، وكانت نظاما بيولوجيا صرفا عند فرويد.³

وهذا ما جعل إريك فروم يذهب الى إمكانية التوفيق والدمج بين النظريتين في تحليل مختلف القضايا التي يعيشها الإنسان المعاصر، حيث يبين أنه يمكن إعطاء علم النفس التحليلي مضمونا اجتماعيا، وإعطاء علم الاجتماع الماركسي مضمونا نفسيا.

كما ذهب هربرت ماركيوز الى نفس الاتجاه وركز على نقطة جوهرية في التحليل النفسي كونه يحمل عنصرا خفيا؛ ويقصد به العنصر النقدي الكامن في النظرية الفرويدية، ويرى أن النظرية الفرويدية وهي التي تضع النظام الاجتماعي في موضع تساؤل وتبين كيف ينتج القمع ذو المنشأ الخارجي للفرد.

لكن هل يمكن أن نعتبر أن هذه التبريرات كافية لصياغة نظرية تدعي تفسير الظواهر الاجتماعية تجمع بين التحليل النفسي والتحليلات الماركسية؟

لقد التزم كل من رايش وفروم وماركيوز بالدفاع عن التحليل النفسي لأنه يمثل نقدا جذريا للمجتمع ولاديولوجته القمعية، إلا أن الصعوبة كانت بالغة في الجمع بين الماركسية والتحليل النفسي، فالماركسيون يعتبرون التحليل النفسي علما بورجوازيا ناتجا عن انحلال للبرجوازية الآفلة، ولم تكن الحاجة الجنسية بالنسبة لهم حاجة مادية، لكن رايش اعتبر أن

¹ - المرجع السابق، ص 15.

² - إريك فروم: ما وراء الأوهام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار، اللاذقية، 1994، ص 16.

³ - المرجع نفسه، ص 18.

الجنس ليس مجرد حاجة نفسية أو اجتماعية بل هو محور الحياة الاجتماعية، والحياة البائسة للفرد ظهرت نتيجة للادبولوجية القمعية التي تهدف الى قمع وكبت الجنس.

كما أن التحليل النفسي يؤكد المقولة الماركسية بأن الوجود هو الذي يحدد الوعي، ويؤول الصراع بين الأنا والعالم الخارجي الى صراع داخلي، حيث يبدأ بالتكوين تحت تأثير العالم الخارجي عنصر معيق في الجهاز النفسي وهو الأنا الأعلى، وما كان في الأصل خوفا من العقاب يصبح ردعا أخلاقيا، وإذا كان الصراع الداخلي والخارجي يحدد التطور النفسي بصورة عامة، فإن الواقع الاجتماعي يملأ كلا من الأهداف والمعايير والموانع الأخلاقية بتطوراتها ومحتوياتها العصرية.¹

وذهب رايش الى أن القضية الأساسية الجدلية في كل أعمال فرويد تكمن في مفهوم الصراع النفسي وهي تشترك مع الماركسية في تبنيها لمفهوم الصراع، وإذا كانت الماركسية تمثل نقدا جذريا للاقتصاد البرجوازي وقوانين الاستغلال المتولد من التناقضات داخل النظام الرأسمالي، فكذلك التحليل النفسي يمثل نقدا للقيم والأخلاق البرجوازية التي نشأت من التناقضات الأصلية في الكبت الجنسي. كما يرى رايش أنه لا يمكن للإنسان أن يتكيف مع المجتمع وينخرط في علاقات اجتماعية إلا بقمع رغباته اللاواعية وبكبت نزواته الجامحة.

وهكذا من جهة يبدو وجود قمع لنزوات الفرد وكبتها، ومن جهة أخرى ما يترتب من عصاب يحول الإنسان الى كائن لا عقلائي، غير اجتماعي، لقد سعى رايش الى نقد المجتمع وأخلاقه وقيمه القائمة على الكبت وخاصة لتركيب العائلة القمعي، وبالتالي حسبه لا بد من نضال سياسي واجتماعي وقيام ثورة لتحرير الجنس اصطلاح عليها بالثورة الجنسية.²

كما قام ماركيز بتحليل منهجي لنظرية فرويد (التحليل النفسي) بهدف الكشف عن مضامينها النقدية، بل الثورية وحاول أثناء نقده أن يبرهن أن نظرية فرويد في التحليل النفسي كانت في جوهرها نظرية اجتماعية، وأوضح مثال على ذلك نظرية النزوات التي تطالب بالإشباع والسعادة، في حين يسعى المجتمع الى قمعها.

وحاول في كتابه الحب والحضارة أن يثبت أن مقولات التحليل النفسي؛ هي مقولات سياسية ذلك أن الأنا الأعلى يرغب الفرد على الخضوع إلى أوامر الواقع، ولكنه يرغبه كذلك على الخضوع إلى أوامر واقع ماض، والماضي له وظيفة مزدوجة وهي تكوين الفرد

¹ - فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 370

² - رايش فيلهلم: المادية الجدلية والتحليل النفسي، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحداثة، بيروت، لبنان، 1980، ص 16

والمجتمع، ومبدأ الواقع يحافظ على عضوية الفرد في المجتمع أو في العالم الخارجي الذي لم يعد عالم تاريخي؛ والتاريخي هنا هو تطور الصراع بين مبدأ اللذة ومبدأ الواقع، وميل المجتمع للانتصار لمبدأ الواقع ضد مبدأ اللذة، لأنه هو بالضبط سبب وجودها.¹

ويرى ماركيز أن العائلة لعبت دوراً حاسماً في نقل القيم من جيل إلى جيل، وفي عمليات التنشئة الاجتماعية والتربية على أخلاق المجتمع الذي تنتمي إليه، كما أنها تعد المسؤولة عن أغلب الأمراض النفسية والاضطرابات العصبية التي تظهر عند الشباب والمراهقين، فالأهل ينقلون بواسطة التربية جملة الكف والكبت الذي تلقوه طوال حياتهم إلى أطفالهم، من خلال عملية إعادة الإنتاج.

إن تكون شخصية الفرد في المجتمع تكون من خلال بنية الأسرة وأساليب وممارسات تنشئة الطفل في إطار ثقافة محددة، تصطبغ باديولوجية النظام القائم وبأفكاره، وقيمه السائدة، ولأن الأسرة نتاج تاريخي لمجموعات اقتصادية محددة خلقت خلال عمليات التنشئة للأطفال طراز بناء الشخصية الذي يتوافق مع النظام السياسي والاقتصادي السائد للمجتمع كله.²

ولهذا يرى رايش أنه لا يمكن فهم بناء الشخصية دون دراسة الأسرة في حقبة تاريخية معينة، حتى يتسنى لنا فهم الكيفية التي نتناول من خلالها مختلف القضايا، في الطفولة والمراهقة، تلك العائلة التي ليست سوى انعكاس لنظام سياسي واقتصادي قائم.

ويرى رايش في ظروف المجتمع البرجوازي يحدث القضاء على الإرهاصات الطبيعية للإنسان، الذي يكتسب تطوره طابعاً مرضياً مشوهاً؛ حيث تشكل خصائص الفرد المغترب، التي تؤكد وحدته، وعزله، وعجزه تماماً عن التمرد عليها، وهذا بالتالي يؤدي إلى اغتراب الإنسان عن قواه الذاتية وفعالياته الداخلية عن النزعة الاجتماعية-الطبيعية، المميّزة له، وتحويل هذه الفعاليات إلى رغبات مزيفة، مشوهة ولا عقلانية، ومثل هذا الاغتراب مصدره اجتماعي واقتصادي وليس بيولوجي.³

إن المجتمع البرجوازي المغترب يقدم الشقاء العام، والاغتراب، والتشيؤ على أنها عناصر أزلية في الحياة الاجتماعية، وعلى أنها عوامل طبيعية في الوجود الإنساني، وهذا من شأنه أن يضعف جميع المحاولات التي تبذل من أجل إخضاع الحياة الاجتماعية لفهم الإنسان وسلطته. ويعتقد رايش: "أن الأيديولوجيا تكمن في حياة الفرد النفسية، وأنه لا يمكن إدراك

¹ - فيصل عباس: المرجع السابق، ص 450

² - المرجع نفسه، ص 452

³ - بول روبنسون: اليسار الفرويدي، ترجمة لطفي فطيم، الطليعة بيروت، 1974، ص 40

الاقتصاد ذاته خارج البنية العاطفية الفاعلة للإنسان¹، ولذلك، فإن فهم العمليات الاجتماعية والاقتصادية يكمن في الكشف عن بنية الشخصية وطباع الناس.

في حين سعى إيريك فروم الى إقامة مركب من الفرويدية والماركسية، على أساس أن الإنسان يعد قضية مركزية في كلا النظريتين، والاختلاف بينهما يكمن في القوى المحركة الكامنة وراء سلوك الفرد، كما طرحها كل منهما فقد كانت هذه القوى ذات طبيعة اجتماعية تاريخية في مذهب ماركس، وكانت نظاماً بيولوجياً صرفاً في مذهب فرويد.

لقد أراد ماركس أن يحرر الإنسان من قيود التبعية والاعتراب والاستعباد، عن طريق الاقتصاد، في حين أراد فرويد أن يحرر الإنسان من قيود أوهامه، وعلى هذا النحو يمكن أن يحدث التغير الاجتماعي بالنسبة لماركس والتغير الفردي بالنسبة لفرويد.² والشرط في كلا النظريتين هو قدرة الإنسان على تحطيم قيود الوهم والتخلص من الاعتراب، إلا أنه يوجد فرق بين النظريتين يكمن في:

- يرى ماركس أن الإنسان يتأثر وجوده ووعيه ببنية المجتمع الذي هو جزء منه، أما بالنسبة لفرويد فلا يؤثر في وجود الإنسان إلا من خلال كبت وقمع أكبر أو أقل لتجهيزه الفطري والبيولوجي والفسولوجي.³

- ومن هذا الفرق ينشأ الثاني؛ وهو أن فرويد اعتقد أنه في إمكان الإنسان أن يتغلب على الكبت من دون التغير الاجتماعي، أما ماركس فكان أول مفكر اجتماعي أدرك أن تحقيق الإنسان الكلي الواعي المتيقظ ليس ممكناً إلا في إطار التغيرات الاجتماعية التي تؤدي الى تنظيم جديد اجتماعي واقتصادي للإنسانية.⁴

ويعتقد فروم أنه توجد شخصية مشتركة في كل مجتمع، بين غالبية جماعات وطبقات المجتمع، وهذه الشخصية هي النواة النفسية للفرد، التي تشكل سلوكه وانفعالاته، وأنماط تفكيره. "وعندما توجه طاقة معظم المنتمين إلى مجتمع معين في نفس الاتجاه، تكون دوافعهم واحدة وسرعان ما يتلقون الأفكار نفسها والمثل العليا نفسها."⁵ وما دام سلوك الفرد يتلاءم

¹ - فيصل عباس: الإنسان المعاصر والتحليل النفسي الفرويدي، دار المنهل اللبناني، لبنان 2004، ص 490

² - إيريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 114.

³ - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

⁴ - المرجع نفسه، ص 115

⁵ - اريك فروم: الخوف من الحرية، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، العدد 140، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989، ص73.

ويتوافق مع متطلبات المجتمع، فإن وظيفة الشخصية الاجتماعية هي "تشكيل طاقات أفراد المجتمع بحيث لا يتوقف سلوكهم على قرارهم الواعي سواء أكان في نيتهم أن يتمسكوا بالنموذج الاجتماعي أم لا، وإنما يريدون التصرف كما ينبغي أن يتصرفوا ويرضيه في الوقت نفسه أن يتصرفوا طبقا لمتطلبات المجتمع".¹

ولهذا يعتقد فروم أن الشخصية الاجتماعية تقوم بتعزيز استمرارية المجتمع في أداء عمله، كما أنها تتيح للفرد التكيف مع متطلبات المجتمع، وعليه فهي تسعى إلى توطيد النظام القائم، غير أن الطبيعة الإنسانية تتجه عكس الشخصية الاجتماعية وتسعى إلى إحداث تغيير في النظام القائم، لأن عملية التغيير الخلاقة للنظام الاجتماعي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالطبيعة الإنسانية.

ويركز فروم اهتمامه على مفهوم آخر وهو اللاوعي الاجتماعي؛ الذي ينطلق من الطبع القمعي للمجتمع وله علاقة بالجانب النوعي من الخبرة الإنسانية، ويحول مجتمع ما بينه وبين أن يصبح شعورياً، وما نقصده هنا هو الجانب الإنساني في الإنسان الذي غرّبه المجتمع وأفسده عليه، فاللاشعور الاجتماعي هو الجانب من النفس الكلية الذي قمعه المجتمع وكتبته.² ونحن لا نكتب دوافع جنسية أو انفعالات وحسب بل نكتب أيضاً وقائع وحقائق حين تتعارض مع أفكار ومصالح معينة، لا نرغب أن نراها مهددة.

لكن كيف يحدث الكبت الاجتماعي؟

إن كل مجتمع بممارسته للعيش والتصور والربط بين الأشياء يطور منظومة من المقولات، التي هي نتاج للتطور الاجتماعي، والذي يؤثر في أشكال الوعي، "ويعمل هذا النظام مثل مصفاة مشروطة بالمجتمع ولا يستطيع إحساس ما ينفذ إلى الشعور إلا إذا اجتاز هذه المصفاة".³ إن المكونات الأساسية لهذه المصفاة المشروطة اجتماعية هي: اللغة، المنطق، والمحرمات أو الطبع الاجتماعي، والأهم هو منطقة النفوذ الثالثة للمصفاة المشروطة اجتماعياً فهي لا تسمح بأن تصل أحاسيس معينة إلى الشعور، أو أنها في حال وصولها إليه تحاول أن تبعدها مرة أخرى من هذه المنطقة، ومنطقة النفوذ هذه تشمل المحرمات والمقدسات الاجتماعية التي تكون بالنسبة لها أفكار وعواطف معينة غير لائقة وممنوعة وخطيرة، فتمنع مثل هذه الأفكار والعواطف من أنه تتنذ إلى ساحة الشعور.

¹ - المرجع السابق: ص 84

² - أريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 116

³ - فيصل عباس: الإنسان المعاصر والتحليل النفسي الفرويدي، ص 508

ويسعى المجتمع إلى قمع وكبت لهذه الأحاسيس التي لا تتفق مع متطلبات هذا المجتمع، والتي تشكل عائقاً أو تهديداً له، فوجود المقدسات والتحريمات الاجتماعية يسهل للمجتمع تشكيل وصياغة أفكار الإنسان بحيث تدعمه وتيسر له أداء وظيفته، كما أن الفرد الذي لا يسمح لنفسه بإدراك الأفكار والمشاعر المتناقضة مع النماذج التي تفرضها ثقافته مضطر لأن يكبت هذه المشاعر والأفكار، ويعتبر فروم "أن ما يراه الفرد معقولاً ومطابقاً للواقع هو القوالب التي يقبل بها المجتمع، والكثير مما يتناسب مع هذه القوالب سيكون مستبعداً من ساحة الشعور ويصبح لا شعورياً".¹

وفي تحليلات فروم للاغتراب في المجتمع المعاصر، يرى كيف تتحول قوى الفرد الذاتية إلى شيء غريب عنه ومعاد له، من حيث أن المجتمع البرجوازي يهدف إلى إنتاج الأشياء، وأن الإنسان في هذا المجتمع يخضع إلى سلطة الأشياء التي أنتجها بنفسه، فالنظام الرأسمالي يركز على السوق الذي تغدو فيه العلاقات بين الناس تعبير عن العلاقات السلعية، حيث يباع ويشترى كل شيء، فالإنسان الذي تنمطت حياته حول الإنتاج والاستهلاك هو كائن مجرد من إنسانيته، وقد تحول إلى سلعة، "إن إنسان السلعة لا يعرف إلا طريقة واحدة ليتصل بالعالم الخارجي، بأن يملكه ويستهلكه، وكلما زاد اغتراباً ميز الحس بالحيازة وحب التملك والاستهلاك على نحو أكثر".²

إن هذه الحاجة إلى الاستهلاك الاضطراري إنما ترجع بأصلها إلى الشعور بالفراغ الداخلي، باليأس، بالتشوش، بالتوتر، بالفرد وهو يستهلك، يحسب نفسه على هذا النحو أنه موجود، فالإنسان في هذا الاستهلاك إنما يهرب من قلقه، يحاول أن يضفي معنى على حياته، وأن يتوهم أنه موجود. فهو لا يشعر بذاته كقوة فعالة، بل بوصفها شيئاً فقيراً يعتمد على قوى خارج ذاته، وبالتالي يقل انتماءه لعالمه الداخلي، فحياة الفرد تصبح عندئذ مفعمة بالخوف والقلق والضعف، "إنه لا يحس بأنه قوي، ويخاف وهو مكبل لأنه لا يعرف نفسه ذاتاً".³ ولكي يتغلب الإنسان على إحساسه بالفراغ الداخلي والعجز يتخير موضوعه الذي يسقط عليه قدراته الإنسانية.

¹ - أريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 127

² - المرجع نفسه، ص 50

³ - المرجع نفسه، ص 56-57.

وبناء على ما سبق نجد أن الإنسان في المجتمعات المعاصرة، هو في واقع الأمر عاجز عن القيام بتقويم صحيح لسلوكه وتصرفاته، عاجز عن النقد والاستقلالية والتفرد، فهو أقرب إلى الشك والتردد، وأكثر حرصاً على أن يتبنى آراء الجماعة وقوالب المجتمع، ليكون في نظرهم مقبولا ويحس بالثقة والأمان، إن سيادة هذا الوعي الزائف في المجتمع الحديث هو سمة ضرورية للمجتمع البرجوازي الطبقي، هذه اللاعقلانية لتفكير وسلوك الإنسان المغترب ناتج عن الحرية السلبية* التي أنتجها النظام الرأسمالي.

إن إنسان اليوم يحس أنه مهدد بقوة لا شخصية هي قوى رأس المال والسوق، كما أن علاقاته برفاقه هي علاقات معادية ومغتربة، إنه حر في أن يكون منعزلاً ووحيداً ومهدد من جميع الجوانب، ولما كان الفرد لا يملك الثروة والقوة، وقد فقد المعنى في الوحدة مع الآخرين والعالم، فإنه يحس باللامعنى والعجز، فالحرية وفقاً لهذا المفهوم محكوم عليها أن تخلق شعوراً عميقاً بالزعة والعجز والشك والوحدة والقلق، وبذلك يقف الإنسان وحيداً مواجهاً لكل العالم، مما يؤدي به إلى الهروب من عبء الوحدة، ومن الحرية السلبية إلى الخضوع بكل أشكاله المختلفة، ومن ثم ترتبط تلك الحرية بالعزلة والوحدة والخضوع.¹

إن ظاهرة الاغتراب لا تنحصر في الأشياء المادية، بل نجدها أيضاً لدى كل صور التأليه لأشخاص السلطة في السياسة والدين والحياة الاجتماعية، وغالباً ما يعتقد الفرد أنه توصل إلى رأيه من خلال تفكير متمعن؛ وهو في الواقع عهد بقدرته على التفكير إلى أوثان الرأي العام والصحافة ومختلف الوسائط الإعلامية والتكنولوجية، فهو يعتقد أن هؤلاء عبروا عن رأيه وأفكاره هو، لأنه اختارهم لنفسه ليكونوا موضع محبته وعبادته وآلهته للحكمة والمعرفة، ولهذا السبب بالذات هو تابع لهذه الأوثان وعاجز أن يكف عن عبادتهم، فهو عبدهم لأنه تخلى عن قدرته على التعبير.²

* يميز فروم بين نوعين من الحرية: الحرية السلبية أي "تحرر من" وهي تلك الحرية التي تحصل عليها الإنسان من خلال التحرر من السلطات التقليدية والمؤسسات التي كانت تسيطر على المجتمع، وأصبح فرداً ولكنه في الوقت نفسه أصبح عاجزاً ومنعزلاً وأداة للأغراض القائمة خارجه واغترب عن نفسه وعن الآخرين، وهذه الحالة تجعله خاضعاً مستسلماً مستعداً للخضوع لأنواع جديدة من القيود، أما الحرية الإيجابية: "تحرر لأجل" فهي مطابقة مع التحقق الكامل لإمكانات الفرد مع قدراته على أن يحيا بشكل إيجابي وتلقائي.

¹ - أريك فروم: الخوف من الحرية: ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية بيروت، ص 214

² - أريك فروم: ما وراء الأوهام، ص 60

يتوجه فروم بنقده للمجتمع المعاصر، الذي يفقد فيه الإنسان ذاته الأصيلة وتفرد، ويتحول الى مجرد شيء، الى آلة، ويصبح أيضا متعبدا صنميا للدولة، والزعماء والمؤسسات، بحيث يفقد إنسانيته، لقد ساعد المجتمع الرأسمالي القائم على زيادة عزلة الفرد وعجزه وألقى به وحيدا قلعا يواجه القوى اللاشخصية التي تناصبه العداء، فالرأسمالية حررت الفرد من قيوده القديمة، ولكنها كبلته بقيود جديدة، كقوة رأس المال والسوق.¹ لقد كان رأس المال في النظام الموجود في القرون الوسطى خادما للإنسان، لكنه أصبح في النظام الحديث سيده.²

ولعل ما جاء به ماركيز لا يختلف في نبرته النقدية عن أريك فروم، ويعد المجتمع المعاصر نقطة انطلاق ماركيز النقدية، من حيث انه مجتمع التكنولوجيا والصناعة المتقدمة، وما تحققه للمجتمع المعاصر من سيطرة على الفرد تتجاوز كل أشكال السيطرة التي مارسها المجتمع في الماضي، ذلك إن السيطرة الاجتماعية في عصر التقدم التكنولوجي تتخذ طابعا عقلانيا يجرد سلفا كل معارضة من سلاحها.

يرى ماركيز أن المجتمع المعاصر قد استطاع أن يخلق نظاما شاملا من السيطرة والتحكم، وابتدع أنماطا جديدة من التحكم والسلطة، تبدوا وكأنها "منسجمة مع النظام وقوى المعارضة، وبالتالي تبطل كل محاولة أو احتجاج باسم تحرر الإنسان".³

إن مجتمع الحضارة المعاصرة يسير قدما نحو تحقيق التلاحم الاجتماعي الداخلي واستبعاد كل شكل من أشكال التناقض والتجاوز، ومن هنا كان هذا المجتمع أحادي البعد، مجتمع يحيل الإنسان باستمرار الى ذاته ويجرد من المعنى كل محاولة لمعارضته وهدمه، مادام يلبي حاجات الناس ويرفع حاجاتهم باستمرار، وحرص المجتمع المعاصر على تلبية تلك الحاجات هي من أجل صناعة الإنسان ذو البعد الواحد، مسخرة في ذلك كل ما تملكه من قوى تكنولوجية وإعلامية، من أجل امتصاص التناقضات الموجودة في المجتمع المعاصر بحيث تعمل التكنولوجيا على امتصاص الانشقاقات والأصوات الرافضة من خلال خلق الكفاية والوفرة المادية، وهكذا يصبح التحرر من الحاجة المادية شرطا مسبقا لكل تحرر حسب ماركس وماركيز.

¹ - فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 532

² - أريك فروم: الخوف من الحرية، ص 94

³ - هيربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ص 26

وإذا كان الفكر النافي الناقد هو أهم ما يميز الإنسان الحر الذي يمتلك الجرأة على أن يرفض النظام القائم، فإن مجتمع البعد الواحد يستهدف أساساً استئصال هذا البعد الداخلي للفكر الذي يمتلك القدرة على معارضة النظام القائم.¹

وعليه ما تزال سيطرة الإنسان على الإنسان تتجلى في الواقع الاجتماعي، بالرغم من كل تغير، وتمثل استمراراً تاريخياً، وفي ظل هذا الواقع يتوجه المجتمع دائماً نحو خلق فكر ذي بعد واحد، ولغة ذات بعد واحد، وتطلعات ذات بعد واحد، تؤدي في النهاية إلى تحقيق خلق "الإنسان ذو البعد الواحد"، وإذا كان ماركيز ينتقد بشدة الواقع الراهن للتكنولوجيا والعقلانية التكنولوجية، فهذا لأن الواقع التكنولوجي الراهن هو واقع استعباد الإنسان وتحوله إلى أداة لا واقع تحرره، بعبارة أخرى، عندما أصبحت التكنولوجيا أداة المجتمع المعاصر للسيطرة على الإنسان، فإنها أصبحت عائقاً في تحقيق حرية الفرد.

ويذهب ماركيز إلى أن شبح البعد الواحد في المجتمع المعاصر قد امتد ليغزو جميع المجالات في الحياة الإنسانية، وفي مقدمة تلك المجالات حاجات ومطالب الإنسان، فالسلع والخدمات التي يقدمها الجهاز الإنتاجي تلعب دوراً حاسماً في فرض النظام الاجتماعي ومنحه صفة الشرعية، فوسائل النقل، ووسائل الاتصال الجماهيري، والسلع الخاصة بالمساكن والطعام والملابس، ومختلف وسائل الترفيه والتسلية وصناعة الصحافة والإعلام، كل هذه الحاجات مجتمعة تخلق ردود فعل فكرية وعاطفية معينة تربط المستهلكين بالمنتجات بطريقة أكثر أو أقل استحساناً، وبالتالي تربطهم بالمجموع. "إن المنتجات تخلق وعياً زائفاً محصناً ضد ما فيه من زيف".²

ولم يسيطر مجتمع البعد الواحد على القاعدة التكنولوجية والحاجات المادية للإنسان فحسب، بل سيطر على حاجاته الفكرية، وغزا البعد الواحد عالم الثقافة، تلك الثقافة التي كانت في الماضي تستعصي على التطابق مع عالم الواقع، أما اليوم فإن الثقافة توحدت مع عالم الواقع بسبب اختفاء تلك العناصر المعارضة، والمغتربة والمتعالية التي كانت بفضلها تشكل الثقافة الراقية البعد الآخر، أو البعد النافي لعالم الواقع. لكن بتوحد الثقافة الراقية مع الثقافة المادية للمجتمع تفقد من خلال هذا التحول القدر الأكبر من حقيقتها وجوهرها.

¹ - المرجع السابق: ص 104

² - حسن محمد الحسن: النظرية النقدية عند هيرت ماركيز، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1993، ص 191.

باختصار إن الإنسان ذو البعد الواحد؛ هو الإنسان المتشيع الذي فقد حتى مجرد إحساسه باغترابه، فمفهوم الاغتراب نفسه" يصبح أمراً مشكوكاً فيه عندما يتوحد الأفراد أنفسهم مع الوجود المفروض عليهم، والذي فيه يجدون تطورهم وإشباعهم، وهذا التوحد ليس وهماً بل واقعاً، غير أن هذا القمع يمثل مرحلة أكثر تقدماً من الاغتراب. فالاغتراب يصبح موضوعاً تاماً، فيتم ابتلاع الذات المغتربة بوجودها المغترب، إن ما يوجد فقط هو البعد الواحد، إنه يوجد في كل مكان وفي سائر الأشياء".¹

إن البعد الواحد كما وصفه ماركيز هو "التشيع" وهو الشكل الخالص للعبودية، لقد رسم ماركيز في نقده للحضارة الصناعية صورة قائمة لمجتمع يخلو من النقد والحرية، والعدالة، والأمل، والجمال، بل ويخلو من الإنسان، فهو مجتمع مات فيه الإنسان.

لقد اخترقت الرأسمالية بمنهجها الاقتصادي المعولم؛ الجغرافيا العالمية، وتمكنت بوسائلها المغرية من طمس المنظومات القيمية والمناهج الفكرية والخصوصيات الثقافية في العالم أجمع، فقولبت الإنسان وأخضعته لقيم أخلاقية وفكرية نفعية رسمتها مناهج وأفكار معدة سلفاً، فأصبح غائباً عن دوره كمؤلف العالم الإنساني وكصانع تاريخه، وجنح نحو تأليه عقلية السلع وفلسفة المنفعة والمقايضة، فصار كل شيء قابل للبيع والشراء، بل "موضة" تستهلك وتتلاشى.

وكنتيجة لذلك باتت العلاقات الرابطة بين إنسان وآخر، هي نفسها العلاقات الرابطة بين شيء وآخر، تحكمها قيم السوق وتجسد صورة حركة السلع المادية، أي صارت عبارة عن علاقات آلية غير شخصية، وموضعاً للتبادل التجاري والاستغلالي، وبالتالي فإنها أصبحت علاقات مجردة بين أشياء أو بين آلات حيّة تنفّس تأكل وتشرب وتموت، وكل آلة تستخدم الأخرى لأغراض شخصية مادية بالدرجة الأولى، وبذلك أصبحت المجتمعات الحديثة مؤلفة من ذرات منفصلة وجزيئات يغترب بعضها عن بعض، لكنها تتماسك بالمصالح الأنانية وضرورة استفادة كل طرف من الآخر.

لم يعد الفرد ينظر إلى نفسه بوصفه فاعلاً مفكراً حاملاً للقدرات الإنسانية، بعد اندماجه عن وعي أو بغير وعي في الماكينة الرأسمالية، بل إنه أضحي يحدد علاقته بنفسه على أساس أنه شيء يمكن استخدامه بنجاح في السوق، مادة خام قد تستثمر بنجاح، إذا أحسن استثمار نفسه، وهدفه أن يجني أكبر كم ممكن من المال جرّاء عرضه. فإذا جنى الكم المطلوب فهو ناجح، وإذا لم يجن فهو فاشل!

¹ - حسن محمد حسن: المرجع السابق، ص 198

كما يقول إريك فروم فإن الطريقة التي يخبر بها الفرد نفسه هي التوجه التسويقي، وبالتالي فهو لا يتفاعل مع الواقع العملي بوصفه إنساناً ذو محبة وخوف وقناعات وشكوك، بل بوصفه ذلك التجريد المغترب عن طبيعته الحقيقية، والذي يؤدي وظيفة معينة في النظام الاجتماعي الجديد. وعليه فإن الإنسان المعاصر يكاد يكون بلا ذات، لأن الأشياء ليس لها ذوات.

ولعلّ الخطورة الكبرى تكمن في عدم شعور الفرد في كثير من الأحيان بتشيؤّه، وانقياده وراء مقولة "أنه حر في اختياراته"، إذ إنّ عدم الشعور والوعي بفقدان الشعور الإنساني لديه هو من أبرز ما يساهم في انتشار هذه الظاهرة وتعميمها مجتمعياً، وترسيخ عقلية السوق على أنها النموذج الحضاري الجديد الذي يستحق الاحتذاء به.

إننا وفي هذه الدراسة إذ نتبنى مقولات رايش وفروم وماركيوز في دراسة المجتمع الجزائري لا نساوي بينه وبين المجتمعات الصناعية المتقدمة التي تكلم عنها هؤلاء المفكرون، لكن في رأينا هناك أوجه شبه؛ خاصة في ظل التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة، كما أنه للحضارة الغربية المعاصرة وما تملكه من أدوات لترويج ثقافتها وقيمها وجعلها قيما عالمية تخترق الخصوصيات الثقافية لأكثر المجتمعات انغلاقاً عن طريق وسائل الاتصال والتقنوات الإعلامية وشبكات الانترنت.

فالعولمة اليوم اخترقت كل الحدود وأحالت دول العالم الى قرية صغيرة يتفاعل من خلالها الأفراد مع مختلف الأحداث دونما حدود، و عليه فالمجتمع الجزائري ليس معزولاً عن العالم ولا بعيداً عن ثقافة العولمة وما تروجه من قيم، كما أنه مجتمع انتقالي يسير من التقليدي إلى الحداثي، لكنه لم يستوفي شروط هذا الانتقال بالكامل، ومجتمع بهذا الشكل نجد التغيرات أكثر ما تظهر فيه تظهر في مجال القيم، لأن وسائل الضبط الاجتماعي التقليدية تصبح غير قادرة على التحكم في سلوكيات الأفراد، كما أن سرعة التغير الاجتماعي لا تواكبها بالضرورة سرعة في التغير على مستوى القيم للتجاوب معها.

وهو ما يتيح لنا استخدام مقولات هذه النظرية التي تتبنى الدمج والتوفيق بين التحليل النفسي وعلم الاجتماع الماركسي من خلال مصطلحات مثل الوعي الاجتماعي، الكبت الاجتماعي، الشخصية الاجتماعية، الإنسان ذو البعد الواحد، القيم الإنسانية، التشيؤ، الاغتراب، الوعي الزائف، العجز، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، اللامعنى.... وغيرها.

2. الدراسات السابقة:

نظرا لأهمية الموضوعات التي تتعلق بالتغير القيمي في علاقته بانتشار مظاهر الاغتراب خاصة لدى الشباب الجامعي، فقد حظيت المكتبات الأجنبية بالعديد من الدراسات والبحوث في هذا المجال، وحتى عربيا تعتبر الدراسات والبحوث كثيرة ومتنوعة تلك التي تناولت الشباب الجامعي من مختلف الجوانب؛ بدراسة القيم والظواهر الاجتماعية التي تنتشر في الجامعة، وما نسعى إليه من خلال هذه الدراسة هو الكشف عن التأثيرات النفسية والاجتماعية للتحويلات التي تطرأ على النسق القيمي للطالب الجامعي في الجامعة الجزائرية ومجالات التفاعل معها من طرف الطالب الجامعي، وما دراسة ظاهرة الاغتراب في الوسط الجامعي إلا محاولة لتسليط الضوء عن فئة هامة من المجتمع الجزائري تثير الكثير من الجدل حول المطلوب منها وما يجب أن تكون عليه.

لقد قمنا بتصنيف هذه الدراسات إلى دراسات أجنبية وعربية وجزائرية، وفي كل نوع من هذه الدراسات ندرج على الترتيب الدراسات التي تناولت متغيري الدراسة كل على حدى؛ بداية بالدراسات التي تناولت نسق القيم والتغيرات التي تطرأ عليه لدى الشباب الجامعي ثم الدراسات التي تناولت الاغتراب، ومن بين الدراسات التي قدمت في هذا المجال والتي استفادت منها الدراسة الحالية في مختلف مراحل إعدادها نجد:

2-1- الدراسات التي تناولت القيم في الوسط الجامعي:

2-1-1- الدراسات الأجنبية:

نظرا لتعدد الدراسات التي تناولت موضوعي الشباب والقيم، وكثرة تكرارها وتشابهها، حيث لاحظنا أنه تم الاعتماد عليها من طرف الباحثين بكثرة خاصة الأجنبية منها، فإننا نقتصر على الدراسات التي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة بما يخدم أهدافها.

أ.دراسة ميلتون روكيتش (Milton Rockitch) 1973:

اهتمت دراسة ميلتون روكيتش بطبيعة القيم الإنسانية، وكانت تهدف إلى معرفة النسق القيمي السائدة لدى شرائح عديدة من المجتمع الأمريكي، والمقارنة بين الذكور والإناث من حيث تريب أولوية القيم لديهم، وقد تم إجراء الدراسة على 665 من الذكور و744 من الإناث، وتراوحت أعمارهم من 11 سنة إلى ما يفوق 70 سنة، حيث قام الباحث ببناء مقياس مكون من 18 قيمة إنسانية رتبها الباحث حسب الترتيب الأبجدي، وهو يتكون من قائمتين من القيم؛ الأولى تتكون من القيم الغائية والثانية من القيم الوسيالية، حيث يطلب الباحث من المبحوث ترتيب كل قيمة من القيم على المقياس حسب أهميتها بالنسبة له، وتضمنت الدراسة أربعة

متغيرات هي الجنس، الدخل، متغير التعليم والمستوى الثقافي والذي يتكون من 07 مستويات، ومتغير السن، إذ قسم الباحث متغير السن إلى مستويين.

وقد خلصت الدراسة التي أجراها ميلتون إلى أن هناك اتفاقاً بين الذكور والإناث على ترتيب بعض القيم في أعلى القائمة وقيم في آخرها، وإن كانت هناك فروق في قيم العقلانية وفتح الذهن، حيث احتلت عند الذكور أهمية كبيرة، واحتلت قيمة الحب والأمن الأسري أولوية عند الإناث.

كما ظهرت عدة اختلافات قيمية بين الفقراء والأغنياء، كما بينت الدراسة أن القيم تتغير بتغير الدخل. وأن الأنساق القيمية السائدة في المجتمع الأمريكي تتغير باختلاف الجنس والدخل والتعليم والسن.

ب- دراسة تيودور نيوكومب (Tyodor Neucomb) 1988:

لقد أجرى تيودور نيوكومب دراسة على كلية البنات بفيرمونت، محاولاً تفسير أسباب تخلي بعض الطالبات الجامعيات عن وجهات نظرهن المحافظة تحت تأثير السياسة الليبرالية التي كانت تتبناها الكلية، بينما ظل البعض الآخر منهن متمسكاً بقيمه المحافظة التي اكتسبها من أسرته أو مجتمعه المحلي، وقد تبين للباحث أن الطالبات اللاتي غيرن اتجاههن كن يتميزن بالاستقلالية عن آبائهن، وكان لديهن إحساس بالتكافؤ في علاقاتهن بالتكافؤ في علاقاتهن بالآخرين، بالإضافة إلى القدرة العالية التي تميزهن على تغيير عاداتهن من أجل تحقيق أغراضهن الشخصية.¹

ج- دراسة لين كال وآخرون بعنوان التغير في القيم الاجتماعية في أمريكا خلال العقد الأخير:

استخدمت هذه الدراسة نفس المقياس الذي استخدمه روكيتش، وأجريت الدراسة على عينة تكونت من 1987 مبحوث من الجنسين، على أن يختاروا أهم قيمتين من بين تسع قيم تم اختيارها من مقياس روكيتش للقيم وتضم القيم التي اختيرت: احترام الذات، الشعور بالإنجاز، احترام الفرد للآخرين، الأمان، العلاقات الودية مع الآخرين، الشعور بالانتماء، المرح والمتعة، تحقيق الذات، الإثارة.

وخلصت الدراسة إلى أن هناك بعض الثبات النسبي العام في أهمية القيم بالنسبة للأمريكيين، ولكن حدث تغير كبير في ترتيب القيم حسب أهميتها، فمثلاً في السبعينات كانت المرأة الأمريكية تعطي أهمية كبيرة لقيمتين هما؛ الأمان واحترام الذات، ومع خروج المرأة

¹ - جابر عبد الحميد جابر: التعليم الجامعي في العراق وتغير القيم، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد 05، العدد 01، 1998، ص 6.

للعمل وتحقيق المرأة لهاتين القيمتين، أصبحت تعطي أهمية أكبر للعلاقات الاجتماعية مع الآخرين، أما بالنسبة للرجال فقد زادت أهمية الشعور بالانجاز، فأصبحت تمثلا المركز الأول وذلك كأول اختيار في قائمة القيم بالنسبة للشباب من عينة الدراسة في العقد الأخير.

كما تراجعت قيم الانتماء والأمن إلى آخر القائمة بعد ظهور قوانين العمل والمعاشات، ويؤكد هذا البحث على التغير المستمر في الإطار القيمي للمجتمع الأمريكي تبعا للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يمر بها، كما يؤكد أيضا على أهمية دراسة هذا التغير.¹

د- دراسة مركز أبحاث الدراسات الاجتماعية لجامعة ميتشغان بالولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان المسح العالمي للقيم:

قامت هذه الدراسة الميدانية التحليلية على سلسلة من الحلقات المتتابعة أجريت أعوام 1981-1990-1995-1999-2000، حيث حاولت الدراسة المقارنة بين الجيل الذي عايش الحرب العالمية والجيل الحالي في أوروبا وأمريكا واليابان وغيرها من دول العالم، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- وجود علاقة طردية بين مستوى الدخل ومتوسط عمر الإنسان بحيث يختلف بين الدول التي أجريت فيها الدراسة، ففي أشد الدول فقرا لا يزيد متوسط عمر الإنسان عن 40 سنة، في حين يزيد في أكثر الدول رخاء عن 80 سنة مثل اليابان وسويسرا، كما يزيد الإحساس بالسعادة والرضا في تلك الدول.

- كما توصلت الدراسة إلى أن المجتمعات النامية والفقيرة يغلب عليها التطلع إلى التنمية، ومن ثم الخروج عن حافة الفقر، وإن تجاوزت هذه المرحلة ينتقل اهتمامها إلى قيم أخرى تتعلق بنوعية الحياة بجانبها المادي والمعنوي، كالاهتمام بالعلاقات الإنسانية والمحافظة على البيئة.

- وتوصلت الدراسة إلى وجود فروق بين منظومة القيم ومجموعة التطلعات بين الجيل الذي عايش الحربين العالميتين في كل من أوروبا وأمريكا خلال بداية الثلاثينيات، والجيل الذي نشأ ونمى بعد تلك الحوادث، ومن ثم فالجيل الأول ظل منشغلا بقضية الرخاء الاقتصادي والمادي، في حين ينتقل الجيل الأول إلى قضايا أخرى معنوية مثل تأكيد الذات، والتعبير عنها فضلا عن اهتمامه بقضايا أخرى تتجاوز النجاة من الفقر والمرض.

- وتوصلت الدراسة أيضا إلى وجود تغير هام في التوجه الديني للأفراد، فقد كان الدور الكبير للاديان أثناء مراحل الأزمة الاقتصادية هو الخوف المستمر على الحياة، وتوفير نوع من الأمان

¹ - المرجع السابق، ص 07

واليقين والاطمئنان وسط ظروف قاسية ومضطربة، ذلك لأن الخطر المادي الذي يهدد الفرد يولد الحاجة إلى الإيمان بقوة عليا، فإذا ما زال جانب كبير من الخوف والقلق حل محله شعور بالاطمئنان إلى استمرار الحياة في ظروف آمنة يحف بها الرخاء، ومنه يتزعزع الدور التقليدي الذي تؤديه الأديان.

وعلى ضوء ذلك تسود لدى الجيل الجديد نزعة عدم التقيد والالتزام بكثير من الأوامر والنواهي الدينية في أمور تتعلق بالعلاقات بين الذكور والإناث، وإن كان ذلك يصاحبه مزيد من التأمل والبحث في الغاية من الحياة.

هـ- تقرير منظمة اليونسكو لعام 1995 عن: "التغير والتطوير في مجال التعليم العالي" أن العالم في نهاية القرن العشرين شهد تطوراً غير مسبوق ووعياً متزايداً على الدور الحيوي في التطور الاجتماعي والاقتصادي، ومع ذلك فإن التعليم العالي هو في حالة أزمة في جميع أنحاء العالم. فبالرغم من تزايد أعداد الطلبة فإن الدعم الذي يناله التعليم العالي يتناقص، والفجوة بين الدول المتقدمة والنامية بخصوص واقع التعليم العالي والبحث العلمي في تزايد مخيف.¹

ولذلك تدعو اليونسكو إلى تأكيد بعض القيم الأساسية المتعلقة بطبيعة التعليم العالي، وبالذات الحرية الأكاديمية والاستقلالية المؤسسية ضمن سياق أخلاقي. كما تؤكد على أن الحلول التي يمكن اقتراحها لمواجهة التحديات لا بد أن تتساوى مع القيم الثقافية والاجتماعية الوطنية، لضمان الانسجام والتماسك في كل مجتمع.

وقد لاحظت الوثيقة ما أشارت إليه المناقشات الاستشارية لليونسكو - لأغراض إعداد هذه الوثيقة - الوعي المتزايد بالأخطار الناتجة عن تبني المفاهيم والقيم المستوردة وإهمال الثقافة والفلسفة القومية والإقليمية، والآثار السلبية لهذا الإهمال على التعليم. وتلفت اليونسكو في هذا الوثيقة انتباه الدول الأعضاء إلى أن "عملية العولمة" تتطلب بالإضافة إلى الخبرة في المهنة المتقدمة في مجال التعليم العالي وعياً بالقضايا الاجتماعية والثقافية والبيئية، الأمر الذي يؤكد دور التعليم العالي في تنمية القيم الأخلاقية في المجتمع.²

¹ - UNESCO. Policy Paper for Change and Development in Higher Education. Paris: UNESCO, 1995, p. 3.

² - Ibid., p. 25.

و - دراسة باسكريلا وترنزيني (Pascarella and Terenzini):

وفي دراسة واسعة تتابعت لمدة ثلاثة عقود، حول الآثار التي تتركها الجامعة على طلابها، وصدر حديثاً (2005) تحديث لنتائجها، قام الباحثان باسكريلا وترنزيني Pascarella and Terenzini، بمراجعة عدد كبير من الدراسات الميدانية التي أجريت في العقد الماضي (عقد التسعينات من القرن العشرين) حول قدرة الطلبة في الجامعات في مجال نمو الأحكام الأخلاقية. وكشفت هذه المراجعة عن مؤشرات مهمة على استقرار النمو الأخلاقي عند الطلبة في أثناء سنوات الدراسة الجامعية.¹

وأشار الباحثان إلى دراسة لتحليل نتائج الدراسات Meta Analysis أجراها Mcneel عام 1994، وحلل فيها نتائج 21 دراسة ميدانية حول موضوع الأحكام الأخلاقية عند طلبة الجامعات. ثم قام الباحثان بإعادة تحليل نتائج دراسة ماكنيل هذه، فوجدا أن التغير الأكبر في طبيعة الأحكام الأخلاقية لدى الطلبة خلال سنوات الدراسة الجامعية هو في الانتقال من التفكير الأخلاقي التقليدي القائم على التكيف مع سلطة المجتمع، إلى التفكير الأخلاقي المبدئي القائم على الإيمان بمبادئ أخلاقية كلية. كما أكدّا نتائج الباحث الأصلي حول وجود ارتباط قوي بين مستوى الأحكام الأخلاقية وطول فترة الدراسة الجامعية.

ولتفسير هذه النتائج قام الباحثان بضبط المتغيرات المتدخلة الأخرى، وبخاصة متغير النضج مع الزمن، للتأكد من أن نمو الأحكام الأخلاقية لا يعزى إلى تلك المتغيرات المتدخلة، وإنما إلى أثر فترة التعليم الجامعي.

كما وجدا أن هذه النتائج تتسق مع نتائج دراسات عديدة أخرى حول أثر الدراسة في الجامعات على القيم عند الطلبة. واستنتجا أخيراً أن الدراسة الجامعية تسهم في نمو الطلبة في مجال التوجهات الإنسانية والتوجهات القيمية نحو حقوق الآخرين ورعاية مصالحهم. وقد فسّر الباحثان هذه النتائج بالإشارة إلى المناخ الجامعي الذي يتحدّى الطلبة ويثير اهتمامهم، يؤدي إلى مراجعة طرق التفكير الأساسية التي يشكّلون من خلالها أحكامهم الخلقية، وأن هذا المناخ الجامعي يشجع الطلبة على التفكير في سياق اجتماعي واسع للأحداث والمؤسسات والاتجاهات الثقافية والفكرية التي تتضمن الكثير من القضايا الأخلاقية.²

¹ - Pascarella, Grnest and Terenzini, Patrick. *How College A ffects Students. Vol.2. A third Decade of Research. San Fransisco, CA: Jossay-Bass, A wiley Imprint, 2005, p. 346.*

² - Ibid., p. 349.

وقد يقال إن هذا النوع من الدراسات يستخدم غالباً أدوات تقيس قدرة الطلبة على اتخاذ أحكام أخلاقية في مواقف افتراضية تعبّر عنها فقرات الاختبار، ولا تقيس ممارسة الطلبة للسلوك الأخلاقي، وهذا صحيح. لكن ذلك يستدرك عن طريق ملاحظة نتائج دراسات من نوع آخر أكدت الارتباط الإيجابي بين الأحكام الأخلاقية عند طلبة الجامعات وسلوكهم الأخلاقي.¹ ومن جهة أخرى فإن عدداً من الدراسات قام بها McAfee حول أثر نوع الجامعة في نمو الأحكام الخلقية عند الطلبة، وكشفت الدراسات عن أن الجامعات التي تتبنى أنظمة أخلاقية يلتزم بها الطلبة تحدث فيها حالات إخلال بهذه الأنظمة بدرجة أقل (وبفارق ذي دلالة إحصائية) من تلك الجامعات التي لا تضع مثل هذه الأنظمة، مما يوحي بأن اعتماد هذه الأنظمة يعين على بناء الكرامة الأكاديمية عند الطلبة، والحدّ من الممارسات التي لا تتسجم مع المعايير الأخلاقية. وفي تفسير هذه النتائج لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار احتمال أن تكون الجامعات التي تعلن عن تبنيها للأنظمة الأخلاقية تجذب إليها طلبة يعتبرون البعد الأخلاقي جزءاً من أولوياتهم في اختيار الجامعة.²

يؤكد الباحثان باسكريلا وترنزيني (Pascarella and Terenzini) أن الدراسات الميدانية التي جرت في عقد التسعينات تشير إلى نتائج متباينة حول فاعلية المساقات التدريسية التي تطرحها الجامعة خصيصاً من أجل نمو الطلبة في مجال الأحكام الخلقية، سواء كانت طريقة التدريس تعتمد على مناقشة مواقف تعليمية تعبّر عن أزمات أخلاقية أو طريقة تركز على نمو الشخصية الإنسانية للطلّاب.

بينما تشير دراسات أخرى إلى وجود فوارق لكنها ليست ذات دلالة إحصائية. ويستخلص الباحثان من النظر في مجمل هذه الدراسات أن المساقات التي تحاول تعزيز النمو في المجال الأخلاقي ذات آثار إيجابية ولكنها قليلة، وأن عدم وجود نتائج حاسمة لهذا النوع من الدراسات يعزى إلى التنوع الكبير في طبيعة الجهود التدريسية التي تتم في أثناء التدريس سواء في المحتوى أو الأسلوب، وفي تصميم البحوث نفسها.

¹ - Ibid., p. 350.

² - Ibid., p. 353.

وفي دراسة مثيرة للاهتمام تتبعنت منتكوفسكي ورفاقها¹ (Mentkowski, m et al) مجموعة من طالبات الجامعة في أربع مراحل، تم فيها قياس أداء أفراد العينة على مجال الحكم الأخلاقي. المرحلة الأولى عند دخول الكلية والثانية بعد مرور سنتين في الدراسة الجامعية، والثالثة عند التخرج، والرابعة بعد مرور خمس سنوات بعد التخرج والالتحاق بفرص العمل. وقد كشف الدراسة عن نمو ملحوظ عند الطالبات على التفكير الأخلاقي مع تقدم سنوات الدراسة الجامعية، ولكن مستوى هذا التفكير يقف عند عتبة التخرج، مما يؤكد أن النمو الدراماتيكي في هذه القدرات يتم في أثناء الدراسة، ولا يوازيه نمو مماثل بعدها، كما يؤكد أن مستوى القدرة الذي يكتسبه الطالب الجامعي يحافظ عليه بعد التخرج، حتى بعد مرور خمس سنوات على التخرج. مثل هذه النتائج تؤكد نتائج دراسة سابقة قام بها ثلاثة من الباحثين² ونشرت عام 1999 ووجدوا أن ما يكتسبه الطلبة من النمو في قدرات التفكير والأحكام الأخلاقية يحافظون عليه بعد التخرج حتى بعد مرور خمس سنوات على بدء الانخراط في سوق العمل.

ويأخذ تعليم القيم في الجامعات صوراً عديدة، فبعض الجامعات والكليات المتخصصة تحاول أن تبني مناخاً جامعياً ملتزماً بالقيم والفضائل الخلفية يسهم في بنائه كل الأفراد من فئات البيئة الجامعية جميعها: الأساتذة والطلبة والإداريين. ومن الجامعات ما يقدم برنامجاً متكاملًا من المواد الإجبارية والاختيارية إضافة إلى النشاطات العملية الموجهة لتعزيز السلوك القيمي لدى طلبة الجامعات بطريقة مباشرة. ومنها أن الجامعة تدرس عادة عدداً من المساقات في قضايا القيم والأخلاق سواء في أبعادها النظرية أو العملية وينطبق ذلك على وجه التحديد على تخصصات الفلسفة والتعليم الديني وعلم الاجتماع وفي أحيان قليلة تطرح بعض الجامعات مادة اختيارية عامة في قضايا القيم والأخلاق يدرسها من شاء من الطلبة المهتمين بها. كما تطرح كثير من الجامعات في العالم العربي الإسلامي مادة في الثقافة الإسلامية تحتوي أحياناً على قدر كبير من المفاهيم والتوجيهات الأخلاقية.

ولا نعدم أن نجد بعض الجامعات تقدم مساقات تتناول قضايا القيم والأخلاق بطرق أخرى، ويتوقف ذلك على مدرس المادة وخبرته في تدريس الموضوع وموقفه الفكري والإيديولوجي. فمثلاً يقدم أنتوني وستون أستاذ الفلسفة في جامعة إيلون Elon في كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة، مساقاً جامعياً يتميز بمدخله العملي والواقعي. وقد لخص خبرته

¹ - Mentkowski, M. & Associates. Learning that Last: Interpreting Learning, Development, and performance in College and Beyond, San Francisco: Jossey-Bass, 2000.

² - Astin, A., Sax, L., and Avalos, J. Long-Term Effects of Volunteerism During The Undergraduate Years, *Review of Higher Education*, 22, 1999, 187-202.

التدريسية لمدة تزيد عن ثلاثين عاماً في كتاب جامعي منهجي،¹ سلك فيه مدخلاً عملياً تطبيقياً، يسمح للطالب بفهم موضوعات القيم والأخلاق واتخاذ قرارات بناءة في مواقف الحياة الحقيقية، وذلك بدلاً من معالجة الموضوع بطريقة أكاديمية تاريخية نظرية كما تفعل معظم مساقات التعليم الجامعية في موضوع الأخلاق. وقد اختار المؤلف مجموعة من القضايا والتحديات المطروحة التي تتال جديلاً واسعاً في المجتمع على الصعيد الديني والقانوني والسياسي والإعلامي، كما يتميز الكتاب بالواقعية التي تتجاوز المواقف المبدئية، حيث يستدعي في تناوله للقضية صوراً متعددة من مهارات التفكير تتضمن الاهتمام بالحجج التي يقدمها كل موقف، والبحث عن مساحة مشتركة بين المواقف ليسمح للطالب بالوصول إلى نتائج إبداعية قد لا تتسجم بالضرورة مع أحد المواقف المبدئية المحددة سلفاً.

2-1-2- الدراسات العربية التي تناولت التغير القيمي:

أ. ارتفاع القيم دراسة نفسية:²

مشكلة الدراسة:

تتناول الدراسة التي أعدها عبد اللطيف محمد خليفة إشكالية ارتفاع القيم لدى الطالب الجامعي من خلال ارتفاع الطالب عبر السنوات الدراسية وعلاقتها ببعض المتغيرات، حيث حاول الباحث تقديم نموذج لدراسة ميدانية عن ارتفاع نسق القيم عبر المراحل العمرية الثلاث: الطفولة المتأخرة، والمراهقة المبكرة، والمراهقة المتأخرة، وحاول أن يستكشف التوجهات القيمية للأفراد باختلاف الأطار الحضاري والاجتماعي الذي ينتمون إليه، وكيف يساهم في تشكيل هذه التوجهات.

أهمية الدراسة:

تكتسي دراسة ارتفاع القيم أهمية علمية خاصة فيما تعلق بالتفريق بين بعض المفاهيم المتعلقة بالقيم وضبطها، كمفهوم الارتفاع والنسق، والقيم ونسق القيم، والتعرف على الأساليب والطرق المستخدمة في الكشف عن القيم، وكيفية اكتساب القيم ومحدداتها السيكولوجية والاجتماعية والمعرفية والبيولوجية.

¹ - Weston, Anthony. *A 21st Century Ethical Tool-Box*. New York: Oxford University Press, 2001.

² - عبد اللطيف محمد خليفة: ارتفاع القيم دراسة نفسية، عالم المعرفة، العدد 160، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث للوقوف على الفروق الفردية بين طلبة الصف الأول والرابع ابتدائي والإعدادي والثانوي من حيث الوزن النسبي الذي تمثله كل قيمة، وتحديد الترتيب القيمي لدى أفراد عينة الدراسة، والكشف عن كيفية اكتساب القيم والآليات التي تعمل على ارتقائها لدى الأفراد.

كما يسعى الى الوقوف على منظومة القيم لدى أفراد المراحل العمرية الثلاث بهدف استكشاف القيم التي تمثل أهمية في بناء النسق القيمي لدى أفراد كل مرحلة من هذه المراحل، والأبعاد التي تنتظم من خلالها القيم.

عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من 800 تلميذ من المجتمع المصري، اختيرت من المدارس الحكومية بمنطقة جنوب الجيزة التعليمية، وقد روعي في اختيارها أن تمثل متوسط العمر في ثلاث مراحل عمرية متتالية، كما أنها تشمل بنسبة 70 بالمائة على تلاميذ القسم العلمي في الثانوي و 30 بالمائة تلاميذ القسم الأدبي.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج العرضي في دراسته لارتقاء القيم، معتمداً في ذلك على مقياس للقيم يتكون من 30 بنداً، حيث يقوم الباحث بدراسة مجموعات من الأفراد يمثلون ثلاث مراحل عمرية في وقت واحد، وتم اختيار هذا المنهج من قبل الباحث لأن عوامل موضوعية حالت دون اعتماده على المنهج الطولي. وقام الباحث بتطبيق المقياس مع التلاميذ في سنة 1986.

نتائج الدراسة:

توصل الباحث غالى أن هناك فروق بين المجموعتين في الأوزان النسبية لأهمية بعض القيم، فتزايدت أهمية قيم الدين وتقدير الحياة العائلية والغيرية، لدى طلاب الصف الرابع من الصف الأول.

كما توصل إلى أن هناك درجات عالية من التشابه في الترتيب القيمي بين المجموعتين، حيث يقع في قمة الترتيب الهرمي لدى المجموعتين قيم الأمانة والتدين والصدق. ونسق القيم في المجموعتين ينتظم حول تسعة عوامل، ولكن هناك اختلاف في طبيعة هذه العوامل وأهمية كل منها.

تقييم الدراسة:

بالرغم من أهمية النتائج التي توصل إليها الباحث وقيمتها العلمية خاصة فيما تعلق بعرضه للنظريات المفسرة لارتقاء القيم، ومحاولته التفريق بين مختلف المصطلحات التي عادة ما تقتنر بالقيم، إلا أن اعتماده على الدراسة العرضية التي تجمع أكثر من ثلاث مراحل عمرية في آن واحد، لا يعطي للنتائج قيمة كبيرة ما لم تعتمد على دراسة طويلة تتبع مسار الأفراد وارتقاء القيم لديهم وتكشف عن العوامل الحقيقية والمحددات التي تؤثر في أهمية القيم بالنسبة للأفراد وعوامل تغييرها من مرحلة لأخرى.

ب- القيم والاتجاهات السلوكية والمواقف الاجتماعية للشباب الجامعي:¹

مشكلة الدراسة:

تتطلب الباحث في دراستها من واقع قيمي لدى الشباب الجامعي في لبنان يتميز بالازدواجية والتناقض، حيث يبدو ظاهراً أن مواقف الشباب الجامعي مؤيدة أو انتقادية نحو قضايا معينة، لكنهم لا يتخذون تلك الآراء عوناً لهم في سلوكهم الفعلي، كما أن انتشار ظاهرة التدين بعيدة عن بالإيمان الصحيح الناتج عن الوعي والقناعة، بل يعبر عن رغبة في التمايز، كما تحاول الباحثة فهم أسباب القلق من المستقبل والخوف منه لدى الشباب الجامعي. فهل للانتماء الديني والمذهبي علاقة بميول وقيم الشباب الجامعي واتجاهاتهم الفكرية والسياسية؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية البحث في الموضوع الذي يتناوله وهو القيم في المجتمع اللبناني والعوامل المؤثرة في صياغتها، والمتحكمة في سلوكيات الشباب الجامعي، خاصة في ظل التنوع الديني في المجتمع اللبناني والتعدد المذهبي، فتارة تطفوا على السطح خلافات مذهبية ودينية تصل الى حد الاقتتال، فهي تحاول فهم ما إذا كان الانتماء الديني على أساس قناعة وعقلانية وفهم صحيح لدى الشباب الجامعي.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الى تحليل العوامل المؤثرة في صياغة المواقف والميولات والاتجاهات لدى الشباب الجامعي، ولعل أبرزها الانتماء الديني والنظرة للمستقبل، كما أن للتحويلات التي يعيشها المجتمع اللبناني دور في ذلك.

¹ - امتثال زين الدين: القيم والاتجاهات السلوكية والمواقف الاجتماعية للشباب الجامعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 2014.

منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة أسلوب المسح الاجتماعي وهو أسلوب منظم للحصول على مجموعة من المعلومات، وذلك لان طريقة المسح بالنسبة للدراسة تتميز باتساع وتنوع البيانات، من بيانات شخصية كالأسئلة الخاصة بالسن والجنس والديانة.

واستعملت الباحثة الاستمارة كأداة رئيسية لجمع المعلومات وضمت (52)سؤالا للمبحوثين، وهي أسئلة مقفلة النهاية لكي يسهل تفريغها آليا بواسطة الكمبيوتر.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من (340)طالب وطالبة وهم من الدارسين كليات الجامعات اللبنانية، وقد تم اعتماد العينة العشوائية في الاختيار، كما وزعت الاستمارة على أكثر من (400) طالب وطالبة

نتائج الدراسة:

-يدرك طلاب الجامعات بمختلف طوائفهم ومناطقهم الجغرافية حجم المشكلة الاقتصادية التي تمر بها لبنان والتي تتمثل حسبهم في انعدام فرص العمل، وارتفاع تكاليف الحياة.

- توصلت الباحثة إلى أن الطلبة الجامعيين منغرسون في انتماءاتهم الأولية، وظهر جليا في استجاباتهم على أسئلة الاستمارة إذ يظهر أن المستجيب مسيحي أو مسلم، وهو ما ينعكس على انتماءاتهم السياسية ومختلف مواقفهم إزاء القضايا الاجتماعية.

- توصلت الدراسة إلى انه للمعتقد الديني دور هام في صياغة السلوك والتأثر على قيم الشباب الجامعي، ورغم سياسة التعليم العالي والمناهج التي توفرها إلى أن التعصب للانتماء الديني يظهر جليا لدى المبحوثين.

تقييم الدراسة:

لقد انطلقت الباحثة في دراستها من سؤال الهوية، وهل يمكن النظر الى الذات والمجتمع انطلاقا من الموروث الثقافي أم انه يمكن تعديل هذه النظرة ومن ثم المواقف والسلوكيات بفعل المكتسبات التي توفرها مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتي من بينها الجامعة، حيث أنها توصلت الى أن الانتماءات الأولية لا يمكن تغييرها، خاصة في ظل حالة الانقسام التي تميز المجتمع اللبناني وأوضاعه الاقتصادية الصعبة.

غير أنها لم تتطرق إلى العوامل التي تتصل بالميولات والمواقف والتي تؤثر فيها كالتحولات التي مست البنى التحتية للمجتمع اللبناني وحالة الحرب وعدم الاستقرار التي يعيشها من حين لآخر، لأنها ومما لا شك فيه تعد من بين أهم أسباب التغير الاجتماعي والذي بدوره يؤثر في تغير القيم لدى الشباب الجامعي.

2-1-3- الدراسات الجزائرية التي تناولت النسق القيمي:

أ- التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري¹ :
مشكلة الدراسة:

شهد المجتمع الجزائري خلال ثلاثة عقود المحددة في الدراسة من 1967 إلى 1999 تحولات جذرية وعميقة، في كثير من المجالات، نظرا لاتجاه البلاد إلى التنمية الشاملة، نتيجة لظروف وبواعث اقتصادية واجتماعية أحدثها التطور العام فيها، وتتلخص هذه الظروف في الآتي:

- 1- تدفق البترول والغاز الذين أديا إلى احتياجات ضرورية جديدة في كافة المجالات الصناعية.
 - 2- نمو الاحتياجات الاستهلاكية المحلية وتطويرها من أجل إشباع المتطلبات الجديدة ومسايرة التطور الاجتماعي الناتج عن النزوح الريفي إلى المدن.
 - 3- تحول المجتمع الجزائري من إطاره التقليدي إلى إطار التحضر السريع.
- ويرى الباحث إلى انه من أهم خصوصيات التحول في المجتمع الجزائري هو ظهور التعددية في بنائه الاجتماعي من حيث تداخل المكونات الأساسية في هذا البناء وتناقضها، حيث تتعدد القيم والأنماط والمظاهر السلوكية، وعليه يتساءل الباحث عن طبيعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدثت في المجتمع الجزائري بصفة عامة ولدى الشباب الجامعي بصفة خاصة.

وعن ماهية القيم السائدة والقيم المستجدة في المجتمع الجزائري، وهل تتباين القيم لدى الشباب الجامعي بين المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية الجغرافية؟

1- الطاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على القيم في المجتمع الجزائري 1967-1999، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع 2006.

أهمية الدراسة:

موضوع التغير القيمي في المجتمع الجزائري يعد من أهم الموضوعات المرتبطة بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي عرفها المجتمع الجزائري، طيلة الفترة المحددة في الدراسة من قبل الباحث، حيث تساعد في الكشف عن آثار وانعكاسات تلك التحويلات على النسق القيمي في المجتمع الجزائري، وبذلك يمكن الحديث عن منظومة القيم في المجتمع الجزائري وتفسير التغيرات التي طرأت عليها.

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على القيم السائدة لدى الشباب الجامعي بصفة خاصة وعلى المجتمع الجزائري بصفة عامة، كما سعى الباحث إلى التعرف على خصوصيات النسق القيمي في المجتمع الجزائري وما يميزه في الجامعة الجزائرية، كما يبرز الهدف من الدراسة في سعي الباحث إلى الكشف عن التحويلات التي طرأت على المجتمع الجزائري طيلة ثلاث عقود وما تبعها من انعكاسات في مختلف المجالات.

عينة الدراسة:

اختار الباحث لدراسته أربع جامعات تتوزع على مختلف المناطق الجغرافية للجزائر هي جامع الجزائر وجامعة قسنطينة وجامعة وهران وجامعة بسكرة، وقد اختار 510 طالب وطالبة من عدة أقسام؛ من كليات العلوم الاجتماعية والإنسانية بمختلف تخصصاتها، وقد تم في الاختيار على العينة الطبقة العشوائية، تماشياً مع طبيعة مجتمع البحث، حيث يضم مستويات تعليمية مختلفة من الجنسين، وهي تمثل بيئات متباينة جغرافياً واقتصادياً وثقافياً.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج التاريخي للتعرف على ماهية التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حدثت في المجتمع الجزائري بين 1967-1999 وقد قسم مجال الدراسة التاريخي إلى فترتين من 1967 إلى 1989 وفترة التسعينات التي عرفت الجزائر من خلالها العديد من التطورات والتحويلات على مختلف الأصعدة وعليه فإن التحليل التاريخي من شأنه أن يبرز أهم تلك التحويلات. كما اعتمد الباحث على المنهج الوصفي للوقوف على مدى تأثير تلك التحويلات على النسق القيمي لدى الشباب الجامعي.

نتائج الدراسة:

لقد خلصت الدراسة إلى أن هناك آثارا واضحة وملموسة على النسق القيمي في المجتمع الجزائري ممثلا بالعينة، وذلك نتيجة للعديد من التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري خلال أكثر من ثلاث عقود، حيث كان لها أثرا عميقا على النسق القيمي وطرح تغيرات خاصة على المجال الأسري والتعليمي والاقتصادي والديني والسياسي، وهي عبارة عن انساق فرعية متفاعلة ومتبادلة التأثير مع بقية الأنساق الأخرى.

حيث ابرز الباحث قيما لطلبة الجامعة تغيرت نسبيا كقيم الزواج؛ من الزواج القرابي إلى الاختيار الشخصي، ومن وأن الأفراد أصبحوا يشاركون أسرهم أكثر في الحوار واتخاذ القرارات، كما أن السلوك الإنجابي لديهم يتسم بالاتجاه نحو التنظيم، وتفضيلهم الانفصال عن السكن العائلي وهذا ما يعكس التدرج نحو اختفاء الأسرة الممتدة وظهور الأسر النووية الصغيرة.

تقييم الدراسة:

لقد توصلت الدراسة إلى نتائج هامة عكست آثار التحولات التي طرأت على المجتمع الجزائري خاصة السياسية منها من مجتمع اشتراكي إلى التحول الديمقراطي، تمخض عنها تحول في السياسات الاجتماعية والاقتصادية للجزائر، مما أثرت على النسق القيمي في المجتمع الجزائري وعلى بنية الأسرة ومختلف فئات المجتمع.

غير أن الباحث اعتمد في دراسته على عينة من الطلبة الجامعيين وهي عينة ليست تمثيلية للمجتمع بكافة فئاته لأنه من خصائص هذه الفئة أنها صغيرة في العمر وولدت في خضم تلك التحولات ولم تعايشها، كما أن الأمية في الجزائر كبيرة جدا ولا يمكن طرح مثل هذا الموضوع من زاوية واحدة فقط.

وفي رأيي أن الباحث قام بدراسة شمولية لموضوعات متفرقة ومتعددة لم تعكس العينة إلا جزءا يسيرا منها، وهذا مبرر اعتماده لأكثر من منهج، كما انه يتراءى للمطلع عن هذه الدراسة أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الجزائر وكأنها منفصلة عن بعضها البعض في التأثير على النسق القيمي، بل بالعكس هي مترابطة وتتغير بتغير أي مجال منها. كما انه عزل المجتمع الجزائري عن التغيرات العالمية والدولية كانهيار المعسكر الشيوعي وظهور الأحادية العالمية وما استتبعها من عولمة وغزو لكل مجالات الحياة.

ب- الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغربي الثاني بفرنسا.¹ مشكلة الدراسة:

إن المشكلة المطروحة تتمثل في اندماج الجالية المغربية من الجيل الثاني، ولماذا لم تطرح هذه المشكلة بالنسبة للايطالي أو الاسباني في فرنسا على سبيل المثال؟ ذلك أن المغربي له وضعية خاصة جدا، وهذه الوضعية لها مميزات وأبعادها.

وقد عالج الباحث في دراسته عدة أبعاد تكون الهوية لدى المغربي، من حيث الموقع الجغرافي والبعد الاجتماعي الذي يميزه الإقصاء والتهميش والتمييز، والبعد النفسي الذي يتمثل في حالة الصراع الداخلي بين الأفكار المسبقة التي ألصقت به، يصارع ذاته يوميا ويتصدى لشتى أشكال الحرمان والإحباط فيلجأ إلى العزلة والعدوانية والمخدرات...، والبعد الثقافي والتاريخي والحضاري الذي هو أهم بعد في رأي الباحث لأن أهم ما يعانيه المغربي هو التمزق في هويته الثقافية، لأنه يعيش متناقضات جمة بين الأسرة والمجتمع، ولأنه كذلك ضحية التناقض الموجود بين تنشئتين اجتماعيتين مختلفتين.

إن التنشئة الأسرية تترك لا محالة بصماتها على المغربي، فتزوده بجملة من المعايير والقيم الاجتماعية والدينية تمثل بالنسبة إليه ذرعا واقية من الاستيعاب والذوبان، وتطبع إلى حد ما هويته.

فرضيات الدراسة:

لقد وضح الباحث أن الهوية والاندماج يمثلان قوتين متدافعتين، قد يصعب التوافق بينهما لأن تراجع أي منهما يكون لصالح الثاني، لذلك افترض الباحث أن الهوية هي احد محددات الاندماج على وجه الإطلاق، ومن هذا الافتراض تنبثق فرضيتين رئيسيتين:

- كلما كان الشعور بالهوية قويا كلما كان الاندماج ضعيفا.
- كلما كان الارتباط أو التعلق بالهوية قويا كلما كان الاندماج مستحيلا.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية لعدم تكيف الجيل المغربي الثاني مع المعطيات السلوكية والثقافية للمجتمع الفرنسي، فتطرح الهوية والاندماج كقوتين متعارضتين، وذلك لرفع اللبس القائم حول الموضوع، وكشف مختلف سياسات الاندماج

¹ - محمد مسلم: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغربي الثاني، ط1، دار قرطبة، 2009، الجزائر.

التي تحاول تجريد الجيل المغربي الثاني من هويته لتتمكن من استيعابه، مع محاولة الباحث الكشف عن مكونات الهوية الأساسية للجيل المغربي الثاني.

عينة الدراسة:

تحدد مجتمع الدراسة في المنطقة الشمالية لفرنسا، لأنها من بين أهم مناطق التواجد المغربي والتي تتميز بأنها مناطق أقل عنصرية من ليون ومرسيليا، كما أن هذه المناطق عرفت تاريخيا هجرة مغربية واسعة لتواجد عدة مناجم بها.

واهتم الباحث بفئة الشباب التي تقع في الفئة العمرية بين 15-24 سنة والتي تمثل ما يقارب 20 بالمائة من المهاجرين الجزائريين والمغربيين والتوانسة، ونسبة الجنسين متقاربة في عينة الدراسة، وبلغ عدد مفرداتها 15467.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسته واعتمد على عدة أدوات منهجية في جمعه لبيانات الدراسة كالملاحظة والمقابلة، غير أن الأدوات الرئيسية تمثلت في الاستمارة، واختبار من أنا؟ والكاشف متعدد المراحل للهوية.

نتائج الدراسة:

لقد توصل الباحث من خلال تطبيقه لاختبار من أنا والكاشف متعدد المراحل للهوية إلى أن ثلاث مكونات للهوية لدى الجيل المغربي الثاني، على عكس ما اعتقده بعض الباحثين الفرنسيين من أن هذه المكونات قد اندثرت تحت تأثير الحضارة الغربية ومجتمع الاستهلاك، وسياسة الاستيعاب لتجريد المغربي من كل خصوصياته اللغوية والحضارية والثقافية. وهذه المكونات هي الدين والعرق والجنسية، وتمثل أهم الجماعات المرجعية أو جماعات الانتماء المغربي.

كما أوضحت الدراسة انه كلما كان المستوى التعليمي عند المغربي عاليا كلما اكتشف الفرق بين انتماءاته المختلفة ومميزاتها بين المجتمع الفرنسي، مما يجعله يحاول البحث عن هويته الحقيقية.

إن أهم العوامل الثقافية والاجتماعية التي تمنع المغربي المنحدر من الهجرة المغربية من الاندماج ومن تبني النمط التصوري والحياتي للفرنسيين هي على ارتباط وثيق جدا بمكونات هويته.

تقييم الدراسة:

لقد كشفت الدراسة الحالية الوضعية الاجتماعية والثقافي التي يعيشها الجيل المغاربي الثاني المنحدر من الهجرة في فرنسا، حيث وصم بعدة صفات من قبل المجتمع الفرنسي كالجيل الصفير والجيل الفاشل، لقد وضح الباحث حالة الصراع القيمي بين مكونات الهوية التي تمتد إلى الوطن الأم والعرق والدين وتمسك هذا الجيل بها، وبين سياسات الاندماج التي يدعوا إليها المجتمع الفرنسي من أجل ذوبان هذه المقومات في الثقافة الفرنسية، مع الإشارة إلى ثقافة الرفض والتهميش والتمييز في أبسط حقوق المواطنة داخل المجتمع الفرنسي.

إن هذه الدراسة أوضحت في العديد من جوانبها حالات الاغتراب التي أوضحها الباحث في بعد العزلة الاجتماعية والعدوانية في علاقتها بالصراع القيمي في تشكل هوية جديدة تبرز بين ما هو مغاربي وما هو فرنسي.

ج. القيم الاجتماعية والتلفزيون في المجتمع الجزائري¹: مشكلة الدراسة:

تحاول الباحثة من خلال هذه الدراسة للقيم الاجتماعية أن تتعرف على ما إذا كانت القيم المدروسة لا تزال ضمن اهتمامات أفراد المجتمع الجزائري، في الوقت الحاضر مثلما كان يهتم بها قديما، أم أن الاهتمام بها قد فتر وتحول إلى قيم أخرى؟
تساءلت الباحثة عن سر جاذبية التلفزيون وانشغال الأفراد به حتى عن أهم أشغالهم كالدراسة والعمل وشغل البيت، فما مدى تأثير مشاهدة التلفزيونية في تغير القيم والعلاقات الاجتماعية؟

عينة الدراسة:

عينة الدراسة تتضمن 602 أسرة تجمع بين الجنسين، حيث ركزت الباحثة على استجواب أحد أفراد الأسرة مهما كان سنه أو جنسه، كما تضم المناطق الريفية والحضرية، واستعملت العينة العنقودية معتمدة على معلومات الديوان الوطني للإحصاء والسكن 1998، وخارطة السكان وقائمة الولايات التي أعدت أثناء التقسيم الإداري لسنة 1987. وقسمت الولايات إلى أربع مناطق.

¹ - ثريا التيجاني: القيم الاجتماعية والتلفزيون الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2011.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي لتحليل وتفسير البيانات المتحصل عليها من خلال تطبيق أداة البحث الرئيسية وهي الاستمارة، إضافة الى الملاحظة والمقابلة.

نتائج الدراسة:

توصلت الدراسة إلى عجز الأسرة على القيام ببعض وظائفها أمام كثافة البث التلفزيوني وحجم المشاهدة، حيث حل التلفزيون محلها في القيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية، والأسرة أصبحت مغلوقة على أمرها من خلال السرعة الفائقة لتهاطل المعلومات على أفراد المجتمع بما فيها كيان الأسرة الذي أصبح مهددا بالزوال بسبب تدخل مؤسسات أخرى في القيام ببعض وظائفها، خاصة التلفزيون، الذي أصبح يتدخل في تربية الأطفال.

كما توصلت الدراسة إلى أنّ هناك رغبة كبيرة لدى عينة الدراسة في الالتحاق بالتعليم الجامعي، أما البث المكثف للمسلسلات والأفلام التلفزيونية ذات الصبغة المادية الصرفة لا يؤثر في انصراف الأفراد عن مواصلة التعليم العالي. كما أكدت المبحوثات على رغبتهم في مواصلة التعليم العالي من خلال مشاهدة برامج القناة الوطنية. كما انه هناك اتجاه سلبي لدى المبحوثين إزاء برامج القناة الوطنية التي يرون أنها لا تشجع على الالتحاق بالتعليم الجامعي.

تقييم الدراسة:

لقد كشفت الدراسة عن التغير القيمي الذي مس المجتمع الجزائري في فترة معينة بفعل التلفزيون الجزائري الذي يثبت برامج معينة قد لا تعكس ثقافة وهوية المجتمع الجزائري، وحقيقة أصبح التلفزيون شريكا تربويا بل ومنافسا للأسرة في أداء أدوارها. لكن هل التلفزيون الجزائري له القدرة على هذا وهل وحده يعمل على التغير القيمي، خاصة إذا علمنا أن التلفزيون الجزائري ورغم ما يتوفر عليه من إمكانيات وموارد مالية بقي ولفترات طويلة مهجورا من قبل الجزائريين، كما أنّ عينة الدراسة والتي شملت كافة مناطق التراب الوطني تتفاوت من حيث خصوصياتها وثقافتها الفرعية، وبالتالي نجد الاختلاف في أهمية القيم من منطقة لأخرى قد لا يعود لتأثير التلفزيون بقدر ما يعود للخصوصيات الاجتماعية والثقافية لكل منطقة، خاصة وان الجزائر تتميز بالتنوع الثقافي واللغوي.

د. الطلبة الجامعيون بين القيم السائدة والقيم المتنحية:¹

مشكلة الدراسة:

تتطلق الدراسة من سؤال رئيسي مفاده: ماهي القيم السائدة والقيم المتنحية في جميع مجالات الحياة لدى الطالب الجامعي؟

وتتعلق بالأساس هذه القيم بنظرة الطالب لذاته، ومستقبله، كما حاولت الباحثة مناقشة بعض السلوكيات التي تسود الوسط الجامعي، لتحاول استكشاف القيم الأخلاقية والدينية من خلال تحليلها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في الموضوع الذي تتناوله من خلال المجالات التي تمسها القيم في حياة الأفراد خاصة بالنسبة للشباب الجامعي.

كما هدفت الدراسة الى تشخيص القيم السائدة لدى الطلبة الجامعيين وكذلك القيم المتنحية.

منهج الدراسة:

تبنت الباحثة في دراستها منهج المسح الاجتماعي لتناسبه مع أهداف الدراسة حيث تسعى الى رصد القيم السائدة والمتنحية بين الطالبات والطالبات في جامعة قسنطينة من مختلف الكليات.

عينة الدراسة:

عينة الدراسة هي عينة عشوائية طبقية تتكون من طلبة وطالبات السنة الأولى والسنة الرابعة، حيث يبلغ المجتمع الأصلي (2134) واختارت الباحثة نسبة 5% من المجتمع الأصلي ليصبح عدد مفردات العينة 147.

نتائج الدراسة:

-توصلت الباحثة إلى أن الطلبة من عينة الدراسة متمسكون بقيمة التفوق الدراسي، ويقدرون قيمة استغلال الوقت.

- يتمسك الطلبة إلى الاستقلالية في الرأي والاحتشام في اللباس مع حبهم للموضة.

- حظي المجال الأخلاقي والديني باهتمام وتقدير كبيرين من قبل المبحوثين، وحققت هذه الجزئية شبه إجماع بين المبحوثين.

¹ - نجوى عمروش: الطلبة الجامعيون بين القيم السائدة والقيم المتنحية، إشراف مراد زعيمي، غير منشورة، جامعة

الإخوة منتوري قسنطينة، 2004-2005

- كما عدلت الفرضية العامة حسب نتائج الدراسة من يتضمن النسق القيمي للطلبة الجامعيين قيما سائدة وقيما متتحية، إلى: يتضمن النسق القيمي للطلبة الجامعيين قيما تتميز بسيادة القيم الأصيلة.

تقييم الدراسة:

ما نلاحظه من خلال قراءتنا لهذه الدراسة أنها سارت في اتجاه واحد، على الرغم من أن الباحثة وضعت في الاعتبار أثناء إعداد العينة طلبة السنة الأولى والسنة الرابعة، بمعنى أن قيما ستكون متتحية نتيجة تأثير الوسط الجامعي، لكنها لم تشر الى هذا في دراستها. وإذا كان المجتمع الجزائري بكل فئاته وخلال العقود الأخيرة على الأقل يشتهي من اختفاء الكثير من القيم الجميلة، فكيف ستكون سائدة بين الشباب الجامعي؟ إن جوانب القصور في هذه الدراسة بلا شك مست الأدوات البحثية التي اعتمدتها الباحثة خاصة أسئلة الاستمارة، كما أن هذا النموذج من الدراسات تكون نتائجه تتطابق مع الواقع إذا ما اعتمد فيها الدراسات التتبعية الطولية أو العرضية.

2-2- الدراسات التي تناولت الاغتراب:

2-2-1- الدراسات الأجنبية التي تناولت الاغتراب:

أ-دراسة "بولك" Polk 1984: أوضح فيها أن مشكلة اغتراب الشباب مشكلة ثقافية تربوية أكثر من كونها اجتماعية أو نفسية، وبعبارة أخرى فإن ما يسمى بالفجوة الثقافية Cultural gap أو الصراع الثقافي Cultural conflict ما هو إلا صراع بين القيم والعادات ، فالجيل الجديد من الشباب يرفض القيم والمعتقدات وشبكة العلاقات التي قد تفرضها الأسرة أو المدرسة كمؤسسات تربوية ،فهو من جهة يرفض القيم التي تفرضها الأسرة، ومن جهة أخرى يرفض أن تحدد الإدارة المدرسية أنشطته وممارساته داخل المدرسة فينشأ من هنا الاغتراب الاجتماعي داخل المؤسسة التربوية وخارجها¹.

ب-دراسة "كالابريس" Calabrese (1987): وفي دراسة عن المراهقة كمرحلة نمو نحو الاغتراب أكد الباحث على أن الاغتراب في مرحلة المراهقة له سمتان إحداها نفسية والأخرى اجتماعية، حيث تتجلى كل منها في: السعي لتدمير الملكية العامة، ورفض للسلطة بأنواعها المختلفة، والهروب والتسرب من المدرسة، ورفض القيم السائدة في المجتمع والمدرسة والأسرة. وعليه يقترح ضرورة مشاركة المراهقين في الأنشطة الاجتماعية المختلفة سواء كانت هذه الأنشطة داخل الأسرة أو داخل المؤسسة التربوية (المدرسة) مما يزيد الثقة بالنفس والقدرة على تحمل المسؤولية وتتميتها وضرورة مشاركتهم في القرارات ذات الصلة بحياتهم اليومية في البيت والمدرسة مما يساعد على بناء شخصية الشاب البناء السوي.²

ج-دراسة "ماو" (Mau1992): أن الطالب يشعر بالعجز داخل المدرسة حينما يتوقع أن سلوكه مقيد من قبل الآخرين وخاصة الإدارة المدرسية والمدرسين ومن على شاكلتهم خارج أسوار المدرسة، وأن الطلاب يشعرون بالعزلة الاجتماعية حينما تتصدع شبكة العلاقات الاجتماعية فيما بين الطلاب أنفسهم أو فيما بينهم وبين أساتذتهم، بالإضافة إلى تجنب مشاركتهم في الأنشطة المدرسية المختلفة. أما فقدان القيم فيظهر في كثرة الغش وعدم التزامهم بالنظم واللوائح التي تنظم حياتهم داخل المدرسة أو خارجها³.

¹ - Polk,K.The New Marginal youth Crime and Delinquency, 30 (1984), P 462–480.

2- Calabrese, R) . Adolescence: A Growth period Conductive to Alienation. Adolescence, 22 (1987), p 928–939

³ - Mau, R. The Validity and Evaluation of a Concept : Studen Alienation. Adolescence 27, (1992), P 731–741

د-دراسة "هوليداي"(Holliday 1997): في دراسته طرائق إثراء العلاقات الاجتماعية في المدارس كمؤسسات اجتماعية تربوية مؤكداً على مائة وستة طريقة، منها التأكيد على أهمية الأدوار المختلفة للطلبة داخل المدرسة وخاصة المشاركة في اتخاذ القرارات، مشاركة المدرسين في أنشطتهم المختلفة، الإكثار من الحوار والمقابلات مع الطلاب من قبل المدرسين مشاركة الطلاب للمدرسين في ورش العمل، مشاركة أولياء الأمور في الشؤون المدرسية والطلابية، وغيرها من الأمور والعلاقات التي تزيد من اندماج الطلاب ومشاركتهم في الأنشطة المدرسية¹.

ه-دراسة"إريكسون وولكر" Erikson & Walker 1992: دراستهما حول الاغتراب وعلاقته بالبناء التنظيمي للمؤسسة التربوية "المدرسة"، توصل الباحثان إلى أن الطلبة الذين كانت تربطهم علاقات رسمية وجامدة كانوا أقل انتماء للبيئة المدرسية، في حين أن أولئك الذين يتواصلون مع مدرسيهم ويشاركونهم الأنشطة ويناقشونهم في قضايا مختلفة كانوا أكثر شعوراً بالسعادة وانتماء لمدرستهم ومدرسيهم وزملائهم. كما توصلت الدراسة إلى أن العمل مع مجموعة من المدرسين بدلاً من مدرس واحد يزيد من اندماج الطالب وانتمائه للبيئة التربوية خاصة حينما يشارك في مسؤوليات المدرسة وأنشطتها مما يؤدي إلى القضاء على مشاعر الاغتراب لدى الطلاب².

2-2-2- الدراسات العربية التي تناولت الاغتراب:

أ- دراسة حسن إبراهيم حسن المحمداوي بعنوان: العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي للجالية العرقية في السويد،دراسة على عينة من الجالية العرقية في السويد، 2007³. مشكلة الدراسة:

الباحث يسعى إلى دراسة ظاهرة الاغتراب والتعرف عليها وكيفية قياسها والتعرف على تأثيراتها النفسية للفرد في ارتباطها بعدة متغيرات في ببلاد المهجر للتعامل مع محتوى الاغتراب والتمتع بالصحة النفسية. ويتساءل الباحث هل هناك علاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي للجالية العراقية في دولة السويد؟

¹- Holliday, A.E106 Ways to better School-Community Relation. The Education Digest, (1997). 62, p 14 – 17 -

²- Erikson, E. & Walker, L. Organizational Structure and Student Alienation. Educational Administration Quarter. Iy, 8, (5) (1972). p 15–22,

³- حسن إبراهيم حسن المحمداوي: العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي للجالية العرقية في السويد،دراسة على عينة من الجالية العرقية في السويد، 2007، دراسة منشورة في موقع: اجتماعي/المننديات الاجتماعية التعليمية www.ejtemay.com

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في انه يحاول تفسير ظاهرة الاغتراب وعلاقته بالتوافق النفسي للجالية العراقية في بلاد المهجر، حيث أن الجالية العربية في بيئة مختلفة تماماً من حيث الهوية الثقافية والعادات الاجتماعية، من أجل تسليط الضوء على الظاهرة ومدى تأثيرها على سلوك الأفراد وأنماط حياتهم.

كما يسعى الباحث إلى مساعدة الأفراد في بلاد الغربية للتعرف على الأسس الأولية للاغتراب وماهية الأسباب الكامنة وراءه والمشكلات التي تؤدي إليها وكيفية التصدي لها. ويتأتى هذا بمعرفة العوامل المرتبطة بالاغتراب والتي من شأنها أن ترفع من مستوى التوافق النفسي للأفراد بالشكل الذي يجعلهم أكثر فعالية وحضور في حياتهم الأسرية والاجتماعية.

أهداف الدراسة:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن العلاقة بين الاغتراب كمتغير رئيسي والتوافق النفسي بالنسبة للمهاجرين العراقيين في دولة السويد، وفي نفس الوقت يسلط الضوء على دوره الاغتراب في تعزيز وإسناد الصحة النفسية من عدمها، بالكشف عن أهم مسبباته وكيفية نشوءه لدى المهاجرين العراقيين.

عينة الدراسة:

اقتصرت الدراسة على عينة من أفراد الجالية العراقية المقيمة في مملكة السويد من الذكور والإناث المقيمين في محافظات (ستوكهولم، مالمو، يوتوبوري، أوريو، كرستيان استاد وهلنسبوري) للفترة الممتدة من أواخر العام 2006 وبداية العام 2007. وبلغ عدد أفراد العينة 400 فرد من الذكور والإناث المقيمين في مملكة السويد الساكنين في المناطق المذكورة أعلاه.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي والذي يهدف من خلاله إلى الكشف عن العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي لدى عينة من الجالية العراقية المتواجدة بمملكة السويد، حيث استخدم الباحث بناء استبانته لكل متغير من متغيرات الدراسة، الأولى تقيس مظاهر الاغتراب لدى الجالية العراقية في السويد وأخرى تقيس التوافق النفسي، وعليه قام الباحث باستخدام مختلف الأساليب الإحصائية لتحليل وتفسير النتائج.

نتائج الدراسة:

توصل الباحث إلى انه كلما زادت مشاعر الاغتراب لدى الفرد كلما قل توافقه النفسي. وأن حالات الاغتراب تجعل الفرد عاجزا عن تحقيق التوافق النفسي وانعدام الاهتمام الاجتماعي، وتجعل الفرد يشعر بعدم الانتماء والملل وجمود الشخصية، وتوصل الباحث إلى أن الأفراد ذوي المستوى التعليمي العالي هم اقل شعورا بالاغتراب، وأكثر تكيفا واندماجا مع المجتمع السويدي، وأكثر استيعابا لمعايير وقيم وعادات المجتمع السويدي، وهم يدركون الواقع بشكل موضوعي، لذا فهم ابعد من تبني سلوك لا معياري واللامبالاة والشعور بعدم الانتماء الذي قد يتأتى أساسا من عدم القدرة على فهم الواقع الجديد.

تقييم الدراسة:

لقد قدّم الباحث بناءا منهجيا متكاملًا لدراسة العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي لدى عينة من أفراد الجالية العراقية بمملكة السويد، حيث قام بتصميم مقياس لكل متغير من متغيرات الدراسة، وباستعمال مختلف الأساليب الإحصائية استطاع أن يثبت أو ينفي العلاقة، كما أنه ابرز ستة مظاهر من مظاهر الاغتراب وهي: العجز، اللامعنى، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، الاغتراب عن الذات، التشيؤ، وهي تشترك مع الدراسة الحالية في خمسة منها.

ب- دراسة عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني: بعنوان: العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، جامعة تعز، 2009.¹

مشكلة الدراسة:

انطلق الباحث من نتائج دراسات سابقة حول المعاقين سمعيا توصلت إلى أن هذه الفئة تعاني من العزلة الاجتماعية والانسحاب الاجتماعي والانطواء، بالإضافة إلى قصور في التفاعل الاجتماعي لديهم الأمر الذي يستدعي ضرورة التعرف على مستوى الاغتراب النفسي لدى هذه الفئة، وعلاقة بعض أساليب المعاملة الوالدية وبعض المتغيرات الأخرى مع الاغتراب النفسي لديهم، ومن ثم فإن الباحث انطلق من التساؤلات التالية:

- ما نوع أساليب المعاملة الوالدية للأبناء المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية؟
- ما مستوى الاغتراب النفسي لدى الطلبة من المعاقين سمعيا بالمرحلة الثانوية؟

¹ - عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني: العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، جامعة تعز، 2009. اليمن منشورة عبر موقع جامعة تعز.

- ما العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة من المعاقين سمعياً بالمرحلة الثانوية؟

أهمية الدراسة:

لقد حظيت ظاهرة الاغتراب النفسي باهتمام عدد كبير من الباحثين، وبالرغم من الكم الكبير من الدراسات الأجنبية والعربية لظاهرة الاغتراب إلا أنه يرى أن الدراسات التي تناولت الاغتراب لدى المعاقين سمعياً قليلة مما جعله يقدم هذه الدراسة من أجل الكشف على الأساليب الأكثر إسهاماً في التنبؤ بالاغتراب النفسي لدى المعاقين سمعياً، وتسهيل عملية اندماجهم في المجتمع.

أهداف الدراسة:

هدف الباحث إلى قياس كل من الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعياً، ومحاولة التعرف على العلاقة بينهما ومدى إسهام أساليب المعاملة الوالدية في التنبؤ بالاغتراب النفسي.

عينة الدراسة:

تم اختيار عينة البحث من أربع محافظات يمنية هي أمانة العاصمة، تعز، عدن، الحديدة، من أصل ست محافظات بطريقة عشوائية، ومن ثم قام بتطبيق أدوات البحث على جميع الطلبة المعاقين سمعياً في الصفوف الثلاثة بالمرحلة الثانوية، والبالغ عددهم 145 استبعد منهم 18 طالبا لم تتوفر فيهم شروط اختيار العينة وبذلك أصبح حجم العينة 126 من الذكور والإناث.

منهج الدراسة:

استعمل الباحث في دراسته المنهج الوصفي الارتباطي الذي يهتم بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بظاهرة ما أو موقف معين، بحيث قام بتفسير وتحليل النتائج باستعمال مختلف الأساليب الإحصائية، اعتماداً على توزيع الاستبانة الخاصة بالمعاملة الوالدية والاستبانة الخاصة بالاغتراب النفسي.

نتائج الدراسة:

توصل الباحث إلى أنه توجد علاقة ارتباطية بين أساليب المعاملة الوالدية والاغتراب النفسي لدى الطلبة المعاقين سمعياً في المرحلة الثانوية، كما أظهرت النتائج أنه لا توجد علاقة بين سن فقدان السمع والشعور بالاغتراب من أفراد العينة، كما أن هناك اختلاف واضح من محافظة إلى أخرى لدى أفراد العينة في الشعور بالاغتراب النفسي، كما أن المعاملة الوالدية من طرف الأم تسهم بشكل كبير في التنبؤ بالاغتراب النفسي.

تقييم الدراسة:

استعمل الباحث في دراسته مقياس الاغتراب النفسي ومقياس أساليب المعاملة الوالدية، بعد تعديلها وتكييفها مع البيئة اليمنية وفئة الأطفال الصم، غير أن عبارات مقياس الاغتراب النفسي، جاءت تحمل بعض المصطلحات والمفاهيم المجردة، والتي يصعب على الأطفال الصم من عينة الدراسة فهمها والإجابة عليها كما أنها متشابهة، وهذا راجع لصعوبة دراسة هذه الفئة، وهو من شأنه أن يطرح علامات استفهام حول الطريقة التي قام باتباعها في إيصال الفكرة إلى الأطفال الصم.

كما أن الباحث لم يوضح كل أسلوب على حدة وعلاقته بمظاهر الاغتراب النفسي، وأي أسلوب يشجع على ظهور نوع معين من الاغتراب دون غيره، ومن الأكثر تأثيراً في عينة الدراسة، وعن دور الأب والأم في التنبؤ بالاغتراب النفسي، يبقى المجال متعلقاً بالمستوى الثقافي وليس بجنس الأبوين.

ج- دراسة بشرى علي: بعنوان: مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية¹، 2005

مشكلة الدراسة:

يغادر الطلبة السوريون بلدهم إلى الجامعات المصرية من أجل مواصلة تعليمهم العالي، وقد يواجهون مشكلات عديدة كعدم التوافق الأكاديمي والاجتماعي والنفسي والشعور بالاغتراب نظراً لاختلاف النظام التعليمي والإداري والغربة المكانية عن الأهل والمجتمع وقد لاحظت الباحثة وجود ما يشير إلى الاغتراب ومظاهره على الطلاب السوريين في الجامعات المصرية. وتتطلب الباحثة من تساؤل مفاده: هل يشعر الطلاب السوريين في الجامعات المصرية بالاغتراب؟ وما مستويات وجوده ومظاهره؟ وهل يختلف وجود الاغتراب لدى هؤلاء الطلبة باختلاف المتغيرات الشخصية.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج مشكلة الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين في جامعات خارج وطنهم الأصلي، حيث يمكن أن يساعد هذا البحث في تحديد المظاهر السلوكية للاغتراب وقياس مستوياته .

¹ - بشرى علي: مظاهر الاغتراب في بعض الجامعات المصرية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24 العدد الأول

2008، كلية التربية جامعة دمشق سوريا ص 513

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى التعرف على مستويات انتشار ظاهرة الاغتراب ومظاهره لدى الطلاب السوريين في الجامعات المصرية، والكشف عن العلاقة بين الاغتراب وبعض المتغيرات الشخصية لدى الطلاب السوريين في الجامعات المصرية.

عينة الدراسة:

استهدفت الدراسة الطلاب الذين يدرسون في الجامعات المصرية من طلبة الإدارة العلمية والدراسات العليا وممن يدرسون على نفقتهم الخاصة، أو الموفدين لصالح الدولة، واقتصر البحث على المتواجدين في العام الدراسي 2004 - 2005 وبلغ عددهم 100 طالب من أصل 1639 وقد ارجع الاستمارة 70 طالب ليصبح حجم العينة 70 مفردة.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي لكشف مظاهر الاغتراب الموجودة لدى الطلبة السوريين باستعمال أدوات هذا المنهج من ملاحظة ومقابلة واستمارة صممت من طرف الباحثة اعتماداً على الدراسات السابقة.

نتائج الدراسة:

لقد بينت الدراسة أن هناك علاقة بين المتغيرات الشخصية ومظاهر الاغتراب لدى الطلاب السوريين في الجامعات المصرية، وقد جاء ترتيب مظاهر الاغتراب حسب مستوى الانتشار بين أفراد العينة وشدته كالاتي: اللامعيارية، التمرد، التشيؤ، الاغتراب عن الذات، العجز، العزلة الاجتماعية، اللامعنى، اللاهدف، وترجع الباحثة انتشار اللامعيارية بين الطلبة السوريين في الجامعات المصرية إلى كون العديد من المجتمعات تعيش حالة من تبني الذات لقيم اللامعيارية. حيث ينظر إلى الإنسان العربي إلى عدم الالتزام بالمعايير والقيم الاجتماعية في سلوكه على أنه أمر مرغوب فيه في ظل السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه.

تقييم الدراسة:

لقد قامت الباحثة في دراستها بتصميم استبانة هدفت من تطبيقها على أفراد العينة من أجل الوصول إلى نتائج من شأنها الكشف عن العلاقة بين مظاهر الاغتراب والمتغيرات الشخصية لأفراد العينة غير أن حجم العينة يعد صغيراً ولا يمثل بالقدر الكافي مجتمع الدراسة، كما أن المتغيرات الشخصية ليست وحدها من يؤثر على الفرد ويجعله يعيش حالات الاغتراب، خاصة الشباب الجامعي نظراً للتحويلات العميقة التي تعيشها المجتمعات العربية، وحتى ما يطرأ على بعض الجامعات العربية من تغييرات، كما أن فئة الشباب الجامعي توجد حولها الكثير من

الموضوعات وتثير مواضيعاً مرتبطة بظروف التحصيل والانتماء الاجتماعي والثقافي، والبيئة الاجتماعية والتطلع للمستقبل وغيرها، ما نريده قوله كان أخرى بالباحثة إضافة متغير ثان في دراستها من أجل البحث أكثر في الظاهرة والكشف عن جوانب مختلفة للظاهرة.

د - دراسة بعنوان دور الأنشطة الجامعية للحد من اغتراب الطلبة:¹

مشكلة الدراسة:

يعتبر اكتساب الطلبة للسلوكيات المقبولة من أولويات الأهداف في الجامعة الأردنية، وذلك لجعلهم أقدر على التكيف في حياتهم العملية والتعليمية، وتقوم الجامعات الأردنية بمجموعة كبيرة من الأنشطة التي يقدمها الطلبة لتحقيق ذلك الهدف، أولها الدروس والمحاضرات والندوات وكذلك إنشاء الأندية والجمعيات الرياضية والتنظيمات الطلابية، والاحتفالات في مختلف المناسبات.

إلا أن سلوكيات كثيرة تظهر من الطلبة تتسم بمظاهر الاغتراب، وعليه يتساءل الباحث عن دور تلك الأنشطة في الحد من ظاهرة الاغتراب لدى طلاب الجامعة؟

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتجاوز دراسة أسباب ومظاهر الاغتراب ومدى انتشارها بين طلبة الجامعات الأردنية، إلى تقييم دور مختلف الأنشطة الثقافية التي تقدمها الجامعة الأردنية للحد من ظاهرة الاغتراب لدى طلبة الجامعة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء دور الأنشطة الجامعية المختلفة، التي تقدمها الجامعات الأردنية، في الحد من اغتراب الطلبة لديها.

عينة الدراسة:

يتكون مجتمع الدراسة من طلبة كل من جامعتي الهاشمية والزرقاء الأهلية، والبالغ عددهم 17996، حيث تم اختيار عينة عشوائية من قبل الباحث تتكون من 531 طالباً وطالبة، من بين أفراد المجتمع من طلبة وطالبات مستويي السنة الأولى والسنة الرابعة بنسب متقاربة.

¹ - دور الأنشطة الجامعية للحد من اغتراب الطلبة دراسة ميدانية على عينة من الطلبة في جامعتي الهاشمية والزرقاء،

الأردن موقع منتديات الجلفة، www.djalfa.info/vib

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي كونه ملائماً للموضوع المراد دراسته حيث قام بتصميم الاستبانة والتي بلغ عدد فقراتها 55 موزعة على خمس مجالات هي الديني، والاجتماعي، والتعليمي، والسياسي، والشخصي، وتميزت كل فقرة من الفقرات بسلوك قيمي معين. حيث استخدم الباحث مختلف الأساليب الإحصائية للكشف عن العلاقة بين مظاهر الاغتراب والأنشطة الثقافية ودورها من أجل الحد من تلك المظاهر التي تميز عينة الدراسة.

نتائج الدراسة:

تشير نتائج الدراسة أن الطلبة الجامعيين من أفراد عينة الدراسة يأتون إلى الجامعة ويعتقدون أن الأنشطة الجامعية تقوي لديهم القيم وبالتالي تساعد على التكيف ومن ثم الحد من الاغتراب لديهم، في حين يعتقد طلبة السنة الرابعة من عينة الدراسة أنه لا أثر للأنشطة الجامعية في تغير قيمهم أو في الحد من ظاهرة الاغتراب لديهم، كما توصل الباحث إلى أن القيم الدينية هي الأكثر شيوعاً لدى أفراد عينة الدراسة خاصة من جامعة الزرقاء.

هـ- عنوان الدراسة: الاغتراب النفسي وتقدير الذات لدى خريجات الجامعة العاملات والعاطلات عن العمل:¹

مشكلة الدراسة:

تعد فئة خريجي الجامعات فئة مهمة من المجتمع ويمثلون صفوته وعماده، فمنهم من يوفق في إيجاد عمل ومنهم من ينتظر، وخاصة الخريجات الإناث، إذ تحاول الدراسة إجراء مقارنة بينهن وفقاً لبعض المتغيرات النفسية كالإغتراب النفسي وتقدير الذات.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها من بين الدراسات الأولى التي عالجت العلاقة بين الاغتراب وتقدير الذات والبطالة في المجتمع السعودي، كما تعد استجابة لتوصيات الباحثين بضرورة مثل هذه الدراسات.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الاغتراب النفسي وتقدير الذات لدى خريجي الجامعات العاملات ومقارنتهن بالخريجات العاطلات عن العمل، والكشف عن العلاقة الارتباطية بين الاغتراب النفسي وتقدير الذات.

¹ - مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية: المجلد الثاني، العدد الثاني، جويلية 2010، ص 71

عينة الدراسة:

طبقت الدراسة على عينة مكونة من 223 خريجة جامعية عاملة 182 خريجة بطالة، بمجموع 405 جامعية وقد استعملت الباحثة مقياس لكل متغير من متغيرات الدراسة.

نتائج الدراسة:

أسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطيه سالبة بين الاغتراب النفسي وتقدير الذات، وان العاطلات عن العمل يعانون من الاغتراب النفسي وتدني مستوى تقدير الذات، كذلك لم تظهر أي فروق بين العاملات المتزوجات والعاطلات المتزوجات في الاغتراب النفسي وتقدير الذات.

7-2-3- الدراسات الجزائرية التي تناولت الاغتراب:

أ- الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية. عوامله ونتائجه¹.
مشكلة الدراسة:

انطلقت الباحثة في دراستها من الفترة التي أعقبت استقلال الجزائر إلى السنة التي انتهت فيها الدراسة 1988، والتي شهدت تطبيق سياسات تنموية ومخططات عديدة في نطاق تطبيق الثورات الثلاث للنهوض بالاقتصاد الجزائري، إلا أنه حسب الباحثة فإن تطبيق هذه السياسات التنموية فعليا، لا يوازيه تطوير في قدرات الأفراد على التلاؤم مع ما يتم تنفيذه من هذه المخططات، وبالتالي يمكن أن يشعر الأفراد بأنهم أدنى نسبيا من هذه التغيرات التنموية التي يتم تنفيذها.

وعلى مستوى المصنع يبدو أن العمال غير مؤهلين للقيام بوظائفهم التقنية المطلوبة منهم (في إشارة من الباحثة إلى سياسة المفتاح في اليد التي سادت سابقا)، فالجزائري لم يصنع المصنع أو يشارك في انجازه.

وتتساءل الباحثة: إلى أي مدى تساهم الأوضاع الإدارية في تكوين الشعور بالاغتراب لدى العمال؟ وإلى أي مدى تساهم قدرات العامل ومؤهلاته في تكون الاغتراب؟ وإلى أي مدى يساهم تطوير التسيير الاشتراكي للمؤسسات في تخفيض حدة الاغتراب لدى العمال؟

¹ - جازية كيران: الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية، عوامله ونتائجه، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع

الصناعي، غير منشورة، جامعة الجزائر 1988

فرضيات الدراسة:

- يتكون الاغتراب في المؤسسات الصناعية الجزائرية بواسطة أنماط تفاعل الإداريين مع العمال.

- ينمي مشاركة العمال في تسيير الوحدة الشعور بالانتماء إلى المؤسسة وبالتالي التقليل من حالات الاغتراب.

أهداف الدراسة:

- الكشف عن أبعاد الاغتراب في المؤسسة الصناعية الجزائرية.

- تحليل أساليب التفاعل بين الإدارة والعمال.

- تحليل واقع التسيير الاشتراكي للمؤسسات ودوره في التقليل من حدة الاغتراب. والى أي حد هو مطبق.

عينة الدراسة:

بلغ مجتمع الدراسة 424 عاملا في مختلف الوظائف والمستويات بأحد المنشآت الصناعية بمدينة عنابة وهي المؤسسة الوطنية للمواد الدسمة، حيث قسمت الباحثة العمال إلى طبقتين بعد أخذها 50% عمال منتجين وعمال مساعدين، حيث أخذت العينة بطريقة عشوائية.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي في تحليلها وتفسيرها للظاهرة في ميدان الدراسة، وربطها مع غيرها من المتغيرات باستعمال أدوات جمع البيانات وتحليلها. واعتمدت الباحثة الاستثمار كأداة رئيسية؛ تتكون من 65 سؤال وتحتوي على خمس محاور، هي الخلفية الاقتصادية والاجتماعية لأفراد عينة الدراسة، ومؤشرات قياس الاغتراب، وكانت الأسئلة مغلقة.

نتائج الدراسة:

توصلت الباحثة إلى أن الأمية ونقص التكوين من العوامل التي تزيد من حالات الاغتراب لدى العمال في المؤسسة الصناعية، كما أن أبعاد الاغتراب تكون اضعف فيما لو اهتمت المؤسسة الصناعية بتحسين المستوى التعليمي والمهني للعمال، كما توصلت الدراسة إلى أن اقدمية العامل وخبرته تساهم في تقليل حالات الاغتراب لدى العمال.

تقييم الدراسة:

قامت الباحثة بدراسة أبعاد الاغتراب في المؤسسة الصناعية الجزائرية، وحاولت تسليط الضوء على أنماط التفاعل الاجتماعي بين الإداريين والعمال، وكيف تسهم تلك الثقافة التنظيمية في ظهور حالات الاغتراب لدى العمال، كما توصلت إلى أن تطبيق وتطوير التسيير الاشتراكي

للمؤسسات طرح العديد من الظواهر السلبية التي انعكست على المؤسسة الصناعية نفسها، باعتبار ظهور حالات الاغتراب لدى العمال، والسبب الرئيسي حسب الباحثة هو المستوى التعليمي المتدني وحالات الأمية بين العمال؛ أي لم يرافق تطوير نمط التسيير تطوير وخلق للكفاءات في المصنع.

غير أن تناول مفهوم الاغتراب بالدراسة في تلك الفترة هو شجاعة من الباحثة لان هذا مفهوم هو موجه لانتقاد الأنظمة الرأسمالية، وأن التسيير الاشتراكي وجد لتفادي الاغتراب والاستغلال وتحقيق العدالة الاجتماعية، كما أننا نلاحظ ذكاء الباحثة في صياغة التساؤلات والفرضيات إذ لم تصرح مباشرة بوجود الاغتراب، بل حاولت أن تتيين كيف يمكن للسياسات التنموية المطبقة أن تخفف منه.

ب- بعنوان: الاستلاب الثقافي والتغير الاجتماعي:¹

إشكالية الدراسة:

الإشكال الثقافي في الجزائر يتمحور حول موضع المجتمع الجزائري من المجتمعات الحديثة الاستقلال، في قضية إزالة شوائب الثقافة الاستعمارية من الذهنيات، ومن البناء الثقافي قصد تكوين أنا اجتماعي وثقافي متحرر من كل الأفكار الاستسلامية، كما أن السلطة الأبوية في المجتمع الجزائري تحد كل إمكانيات الخلق والإبداع، وتحقيق الذات.

وإذا كان هدف كل تغير اجتماعي توجيه المجتمع نحو التحرر من كل أشكال الاستلاب التي وضعت تاريخيا، فإنها وضعت نفسها في اغتراب آخر.

فما جوهر العلاقة بين الفرد الجزائري والمؤسسات الثقافية الجزائرية؟ وما علاقة الأفراد بالإنتاج الثقافي المقدم للاستهلاك؟ هل يعبر هذا الإنتاج عن الواقع الاجتماعي والثقافي للأفراد؟
الفرضيات:

- الاستلاب الثقافي ناتج عن عدم تلبية المؤسسات الثقافية لحاجات الأفراد، وعدم إشباع الأنا الثقافي والاجتماعي.

- عدم وجود انسجام بين طموحات الفرد المثقف وما يقدم للاستهلاك من فعل ثقافي جعل الفرد ذا علاقة سلبية مع البناء الثقافي.

¹ - دروش فاطمة فضيلة: الاستلاب الثقافي والتغير الاجتماعي، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، إشراف عبد

الغني مغربي، غير منشورة، جامعة الجزائر 1995-1996

عينة الدراسة:

عينة عشوائية شملت المسجلين في قسم ما بعد التدرج الماجستير، في مختلف التخصصات؛ العلوم الإنسانية والقانونية والاقتصادية، حيث تم اختيار نسبة 05 بالمائة منهم أي ما يمثل 140 طالبا وطالبا وحدد سنهم من 25 إلى 30 سنة، تماشيا مع الخصائص التي حددها الباحث في دراسته.

منهج الدراسة:

استعملت الباحثة المنهج الوصفي لملائمته وتناسبه مع طبيعة الموضوع وأهداف الدراسة، حيث استعملت مختلف الأساليب الإحصائية في تفريغ بيانات الدراسة والتعليق عليها.

أدوات الدراسة:

استعملت الباحثة الاستمارة كأداة رئيسية في بحثها لقياس الاستلاب الثقافي لدى الطلبة الجامعيين من جامعة الجزائر وتضمنت الاستمارة خمسة أبعاد للاغتراب وهي اللامعنى والعجز والعزلة الاجتماعية والغربة.

نتائج الدراسة:

- عدم وجود اتفاق ولو شكلي بين الطلبة المبحوثين حول مفهوم المرجعية الثقافية للمجتمع الجزائري.
- يعيش الطلبة من عينة الدراسة صراع قيمي وازدواجية بين نمطين متصادمين، من جهة مجارة التقاليد ومن جهة أخرى مواكبة روح العصر، بين التقليد والحداثة، بين الارتباط بالعائلة والرغبة في الاستقلالية وتحقيق الذات.
- عدم الانسجام بين حاجات الأفراد الثقافية من عينة الدراسة والإنتاج الثقافي وما يقدم للاستهلاك من إنتاج ثقافي في شكله الإبداعي، والموقف السلبي من قبل المبحوثين اتجاه التلفزيون الجزائري وعدم الرضا على مستواه.
- لا توجد فروق بين الإناث والذكور فيما يخص رفض الثقافة القائمة في الوسط العائلي.
- تظهر مظاهر الاستلاب الثقافي في حالات العجز واللاوعي التي يعيشها الفرد إزاء سلطة العائلة، وكذلك في اللامعنى واللامعيارية الناتجين عن الرفض أو الغموض في الرؤية. إزاء التغيرات السياسية والاقتصادية وإزاء مقياس النجاح في الوسط الجامعي والسلم القيمي والإنتاج الثقافي في شكله الإبداعي.

ج- دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق¹.
إشكالية الدراسة:

تعتبر الأسرة احد مقومات الوجود الاجتماعي في مجتمعنا الجزائري، وأقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الكفيلة بنقل قواعد ومعايير السلوك والمعرفة بثقافة المجتمع. والتي لها دور كبير في تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للفرد في مراحل النمو المختلفة، أين تتحدد خبراته من الحب والانتماء الاجتماعي.

وللأسرة بهذا المفهوم دور فاعل في صياغة سلوك المراهق ضمن قالب نفسي اجتماعي معين، غير أن المراهق أكثر قابلية للاضطرابات المختلفة، كما أن الاغتراب غير محدد في كونه سبب أو نتيجة من خلال الدراسات المتوفرة.

فهل يمكن اعتبار أن التصدع الأسري المعنوي عامل من عوامل ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق؟

فرضيات الدراسة:

- للتصدع الأسري المعنوي دور في ظهور حالات الاغتراب النفسي لدى المراهق.
- للانفصال المعنوي دور في ظهور حالات الاغتراب النفسي لدى المراهق.
- للجو الأسري المشبع بعلاقات الشجار وعدم الانسجام دور في ظهور حالات الاغتراب النفسي لدى المراهق.

أهمية الدراسة:

-تحاول الباحثة أن تشق طريقها في الدراسات النفسية التي تتناول الأسرة والاضطرابات النفسية في الجزائر، خاصة وان هذا النوع من الدراسات يبقى مجالاً خصباً سيما ما تعلق بموضوع الاغتراب.

-محاولة الباحثة لتحديد أبعاد ومسارات العلاقة بين التصدع الأسري المعنوي وظهور حالات الاغتراب النفسي لدى المراهق في مجتمع الدراسة.

¹ - دبلّة خولة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، مذكرة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، إشراف جابر نصر الدين، غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2007-2008.

منهج الدراسة:

اعتمدت الباحثة على منهج دراسة الحالة بالتركيز على حالة معينة وإحاطتها بالدراسة من كل جوانبها، كما اعتمدت على المنهج الإكلينيكي بدراسة كل حالة على حدة وما يقدمه هذا المنهج من معلومات وأدوات تحليلية.

أدوات الدراسة:

اعتمدت الباحثة على الملاحظة والمقابلة الإكلينيكية بنوعيهما الموجهة والمقابلة نصف الموجهة، كما استعملت مقياس الاغتراب كأداة رئيسية، واعتمدت فيه خمسة أبعاد هي: العزلة الاجتماعية، اللامعنى، اللامعيارية، العجز، التمرد. واعتمدت على مقياس زينب شقير الذي يحوي 100 عبارة خصصت 20 عبارة لكل بعد.

عينة الدراسة:

تضمنت عينة الدراسة 07 أفراد من تلاميذ إحدى الاكmalيات بمدينة بسكرة، قامت بدراسة حالة على أفراد العينة.

نتائج الدراسة:

توصلت الباحثة إلى أن هناك علاقة بين التصدع الأسري المعنوي وظهور الاغتراب المعنوي لدى المراهق. وكذلك بالنسبة للجو الأسري المشبع بالشجار وعدم التفاهم، حيث بينت أهمية المناخ الأسري في توجيه الابن المراهق لسلوكه وفق قالب نفسي اجتماعي، أين تكون طبيعة العلاقات داخل الأسرة قاعدة ايجابية قوية تجعل المراهق أكثر استيعاب لطبيعة المرحلة التي يمر بها.

كما بينت نتائج الدراسة أن إحساس المراهق بالاغتراب داخل الأسرة، ينتج عن العلاقات السلبية التي غالبا ما تأخذ طابع الانفصال المعنوي في العجز عن التعبير العاطفي، وفي غياب التواصل والحب، وغياب الحوار الهادف.

ج- الدراسة الرابعة: بعنوان: النسق التكنولوجي والاعتراب المهني في المؤسسة الصناعية.¹
إشكالية الدراسة:

إن نقل التكنولوجيا من العالم المتقدم إلى العالم المتخلف، يشكل عوائق ومشاكل على مستوى التنظيم الصناعي، خصوصا وان العامل يتفاجأ بالظروف الجديدة للعمل، حيث بدأت مخاوفه تتفاقم كلما كان الاتجاه نحو الثقافة، يبدأ ينظر إلى الآلة على أنها مصدر بؤسه وشقائه. حيث انه كلما تدخل آلة يخرج عامل، كما أن نقص الخبرة والمعرفة العلمية، جعلت العمال يواجهون في بداية عملهم في التنظيم الحديث، ضغوطا تتعلق بتكيفهم وتوافقهم مع الآلات والتكنولوجيا السائدة حيث فوجئ العامل، بأن كل شيء يتم بصورة آلية وانه يجب عليه أن يكيف نفسه وفق هذا الواقع.

فما طبيعة العلاقة الموجودة بين النسق التكنولوجي والاعتراب المهني؟

أهداف الدراسة:

- محاولة التعرف على مكونات النسق التكنولوجي والاعتراب المهني في ضوء التراث النظري والامبريقي.

- محاولة التعرف على مدى التأثير الذي تحدثه الأنماط التكنولوجية المختلفة على العلاقات الاجتماعية داخل المؤسسة من حيث التفاعل والعزلة الاجتماعية.

منهج الدراسة:

استخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي في معالجته لموضوع الدراسة للعمال الذين لهم امتثال مباشر ويعملون على الآلات، ويسعى من خلاله إلى الوصف بعد معاينة الظاهرة ميدانيا، وتصويرها كميا عن طريق جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها.

عينة الدراسة:

تكونت عينة الدراسة من العمال الذين لهم اتصال مباشر بالآلات، ويعملون عليها بصفة منتظمة، وبلغ عددهم بمؤسسة سونلغاز سكيكدة 50 عاملا أغلبهم من 25 إلى 50 سنة.

نتائج الدراسة:

- توصل الباحث إلى وجود علاقة طردية بين التخصص الوظيفي والاعتراب العمالي، أي كلما زاد التخصص الوظيفي زاد الاعتراب المهني.

¹ - يحي عبد المالك: النسق التكنولوجي والاعتراب في المؤسسة الصناعية، مؤسسة سونلغاز سكيكدة نموذجا، إشراف علي غربي، مذكرة ماجستير علم الاجتماع الموارد البشرية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2009-2010

-توصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطيه بين طبيعة النسق التكنولوجي والعلاقات الاجتماعية حيث تساهم المعرفة الفنية للعامل في سلب حرية العمال في العملية الإنتاجية.
تعليق على الدراسات السابقة:

تبين من خلال عرضنا للدراسات السابقة أن هناك نقاط تشترك فيها هذه الدراسات، ففي المحور المتعلق بالدراسات التي تناولت نسق القيم والتغير القيمي انتفتت الدراسات التي عرضناها على أن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعرفها أي مجتمع من شأنها أن تؤثر على نسق القيم الشخصي للأفراد وعلى نسق القيم الاجتماعي في المجتمع ككل، من حيث تراجع بعض القيم وبروز أخرى على هرم السلم القيمي. ولعل القيم الاقتصادية في هذه الدراسات برزت بشدة.

كما أن الدخل المادي للفرد ومستواه يؤثر في قيم الأفراد، فهي تختلف من طبقة اجتماعية الى أخرى، كما أن عامل السن مهم جدا في تغير النسق القيمي للفرد وكل مرحلة إلا ولها سماتها، إذ تتطور القيم وترتقي بالنسبة للفرد تبعا لعامل السن، كما أثبتت الدراسات أن الطالب الجامعي يرتقي في سلم القيم، وذلك بالانتقال من التفكير الأخلاقي التقليدي القائم على التكيف مع سلطة المجتمع الى التفكير الأخلاقي المبدئي القائم على الإيمان بمبادئ أخلاقية كلية. كما يلاحظ أن هناك ما يشبه الإجماع بين الباحثين حول انتشار ظاهرة الاغتراب بين الشباب خاصة الشباب الجامعي ومن الجنسين، خاصة الاغتراب عن الذات والعزلة الاجتماعية والعجز واللامعيارية واللامعنى، وأشارت بعض الدراسات إلى أن طلبة السنة الأولى أكثر اغترابا من طلبة السنوات الأخرى وان طلبة كليات العلوم الإنسانية أكثر اغترابا من طلبة الكليات العلمية.

إلا أن الدراسات التي تناولت الاغتراب في عمومها ركزت على النشأة الصناعية، أو حصرتها في علاقة الفرد بالنسق الثقافي، فهي تختلف في منشأ الاغتراب، من حيث أن اغتراب الشباب مشكلة تربوية أكثر من كونها مشكلة نفسية واجتماعية، وما يمكن أن نؤكد عليه من خلال ما عرضناه هو إقرار بعض الدراسات بالدور الذي تلعبه الأزمة القيمية والصراع بين الأجيال في بروز مظاهر الاغتراب ومشكلاته.

خلاصة:

لقد ناقشنا في هذا الفصل مفاهيم تتعلق بالتغير القيمي والاعتراب والشباب الجامعي المصطلح الذي يستعمله الباحث في مختلف مراحل إعدادة للدراسة للتدليل على الطلبة الجامعيين بحكم خصوصية المرحلة التي يمرون بها كما تمّ تحديد المفاهيم إجرائياً، ثم بيّنا من خلال الفرضيات المؤشرات التي يتمظهر فيها الاعتراب لدى الطلبة الجامعيين كالتشوّ والعجز والعزلة الاجتماعية واللامعنى واللامعيارية.

وهي حالات اغتراب يعيشها ويشعر بها الشباب بصفة عامة والشباب الجامعي بصفة خاصة، ومنه يتبن الهدف الرئيسي للبحث والأهمية العلمية والعملية للبحث في هكذا موضوع. وفي الجزء الثاني من هذا الفصل تناولنا التراث النظري لموضوع الدراسة حيث تطرقنا للمقاربة النظرية التي يعتمدها الباحث كمدخل نظري لإعداد هذه الدراسة وتحليل وتفسير البيانات المتحصل عليها من الميدان، وهي مقاربة نظرية تتبنى التوفيق والدمج بين مقولات علم الاجتماع الماركسي ومقولات التحليل النفسي وفق مبررات موضوعية رآها الباحث لتبني هذا الطرح. كما عرضنا للدراسات السابقة حيث خصصنا لكل متغير من متغيرات الدراسة الدراسات التي تطرقت له، على اعتبار شح الدراسات التي تناولت المتغيرين معا خاصة في البيئة المحلية.

الفصل الثاني: سوسولوجيا القيم والتغير القيمي

أولاً. الاتجاهات النظرية المفسرة للقيم

1. تبلور القيم كمفهوم
2. خصائص القيم
3. تصنيفات القيم
4. مكونات القيم
5. إكتساب القيم
6. مصادر القيم
7. وظائف النسق القيمي
8. الاتجاهات السوسيولوجية في تفسير القيم
9. صراع القيم.

ثانياً. سوسيولوجيا التغير القيمي في المجتمع الجزائري

1. مفهوم التغير القيمي
 2. القيم بين الثابت والمتغير
 3. العولمة والتغير القيمي
 4. سوسيولوجيا التغير القيمي في المجتمع الجزائري
 5. الأزمة القيمية في المجتمع الجزائري
- خلاصة

تمهيد:

يتعرض الشباب المعاصر لتغيرات هائلة في مختلف مجالات الحياة، والتي تؤثر في اتجاهاتهم وأنماط سلوكهم، وعلى القيم التي يحملونها، مما يعرضهم للعديد من المشاكل التي تتصل بالصحة الجسمية أو النفسية أو ما يتصل بالشباب في علاقته مع مدرسته أو الجامعة التي ينتمي إليها، ومنها ما يتعلق بظروف تحصيله وعمله، ووقته الحر وغيرها من المشاكل التي تؤثر في حياة الشباب، وتحدد موقفهم من المجتمع، كما تحدد تصورهم للمستقبل الذي يتطلعون إليه.

غير أن موضوع القيم يعتبر من بين الموضوعات التي استقطبت اهتمام العلماء والمفكرين من اختصاصات مختلفة، لما لهذا الموضوع من أهمية وارتباط وثيق بحياة الناس، إذ تعتبر القيم مرجعا في الحكم على سلوك الأفراد وموجهها رئيسيا لأفعالهم، أي وراء كل سلوك يقوم به الفرد قيمة اجتماعية معينة تطبعها خصوصية الزمان والمكان الذي تشكلت فيه، وفي هذا الفصل نحاول أن نتناول القيم والتغير القيمي بالدراسة والتحليل ونستعرض أهم الآراء النفسية والسوسيولوجية.

أولاً: الاتجاهات النظرية المفسرة للقيم

1- القيم كمفهوم:

لازمت القيم كمفهوم تاريخ الفلسفة، ونظرا للحيز الذي احتلته، ظهرت فلسفة القيم كتخصص قائم بذاته، تناولت بالبحث جملة من الموضوعات كأصل القيم، وأشكالها، القيم الغاية والقيم الوسيلة، الحكم القيمي، والقيم بين المعيارية والحقيقة، متسائلة عما إذا كانت في نهاية المطاف القيم الاجتماعية "حقيقة اجتماعية" يتلمسها الأفراد في حياتهم اليومية وتلازم تنشئتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ففي هذا الشأن كتب سلسطين بوجولي (Bouglé Célestin) مؤكداً: "إن القيم في المجال الاقتصادي والسياسي وكذا في المجالات الأخرى، كالأخلاق والدين، هي ليست حبيسة أي مجال، بل تشكل نوع عالمي وهي متداخلة..."¹.

ففي أصل القيم كمفهوم، ظلت القيم إلى وقت طويل تحمل دلالات اقتصادية، حينما تناولت الدراسات الاقتصادية الليبرالية والماركسية مفهوم القيمة موضحة الفرق بين القيمة الاستعمالية والتبادلية للسلع، وللعمل كمجهود له ما يقابله من قيمة مادية، وبالرغم مما طرحته هاته الأفكار من قضايا تنظيرية ذات أهمية بالغة، إلا أنها لم تعمق من فهم مكانة القيمة وتطورها، بمعنى أن القيم هي ليست ذات بعد مادي فحسب، الشئ الذي سمح من بروز اهتمام تخصصات أخرى بمفهوم القيم سيما في ظل الأزمات التي عرفتتها المجتمعات، كالحروب، والأزمات الاقتصادية والسياسية، والثورات، هذه الأحداث المتعاقبة أثبتت أن الأزمة إلى جانب إفرازها لنتائج مادية، تؤدي إلى بروز قيم اجتماعية ودينية وسياسية جديدة، بحيث فندت الفكرة القائلة بأن القيم ما هي إلا قيم مادية.

فالانثروبولوجيا مثلاً أثبتت أن تتناقل القيم يمر عبر الأساطير والقصص، وهو ما حملته العديد من الصور لذلك في العديد من المجتمعات، ففي هذا الصدد كتب إميل دوركايم موضحاً "إن تواصل القيم ذات البعد الأخلاقي والديني وقيم النبلاء، جعلت من الآباء والأبناء شركاء يهبوا لبعضهم البعض القيم الإنسانية"².

إن الأساطير والخرافات والتراث الشعبي سعت لترسيخ الكثير من القيم وقد تمكنت من المخيال الاجتماعي، كتلك التي حملت صور الصراع بين الشر والخير، وعودة الغلبة دوماً

¹ - Célestin Bouglé, leçons de sociologie sur l'évolution des valeurs. Paris, Armand colin, 2^{ème} édition, 1978 pp 174-178.

² - Alain Beitone, sciences sociales, 2^{ème} édition, dalloz, 2000 p 115.

للخير الذي تحول إلى قيمة معيارية يصبو لها المجتمع البشري، وفي ذات الوقت تحولت إلى قيمة اجتماعية للتنشئة في كل المجتمعات وفي شتى المجالات.

مما سبق، يتبدى بوضوح أن عالم القيم يلزم الحياة البشرية وتطورها، الشئ الذي جعل الفرد العادي كالفردي العارف يسلم بوجود "عالم للقيم" يشد انتباهه ويُجسد في ممارساته ومواقفه، وهذا العالم من القيم يشكل في محطات تاريخية التناغم بين أفراد المجتمع وفي أخرى يمتاز بحالات من الصراع.

2- خصائص القيم:

تطبع القيم أفراد المجتمع بخصوصية معينة، ذلك أن أفراد المجتمع يشتركون بينهم في القيم التي تنظم سلوكهم الاجتماعي، ويطلق عليها نظام القيم والذي يختلف من مجتمع لآخر، فما هو قيمة إيجابية يحث عليها مجتمع ما يمكن أن تكون نفس القيمة سلبية في مجتمع آخر، فلكل ثقافة ما يميزها ويطلعها عن المجتمع الآخر من الثقافة والدين وعناصر الحضارة، إذ تحاول كل ثقافة تطبيع أفرادها بطابعها وعلى الرغم من وجود تشابه بين أفراد الثقافة الواحدة فإن هناك الاختلافات كما يحصل عادة بين المجتمع الريفي والحضري.

فالقيم هي جوهر الثقافة لأي مجتمع حيث تمثل الرموز الثقافية التي تحدد السلوك، وأن أي انحراف عن تلك القيم يعد خروجاً وانحرافاً عن ثقافة ذلك المجتمع، كما تمتاز القيم بالمعيارية فهي بمثابة معيار لإصدار الأحكام التي تقيس وتقيم وتفسر وتعلل السلوك الإنساني من خلالها.

- كما أنها نسبية من أن القيم من مجتمع لآخر ليست مطلقة فما هو شرف وحياء في المجتمعات الإسلامية لا يعبر عن نفس القيم في المجتمعات الغربية، وبالتالي لا يمكن فهم القيم إلا من خلال المجال السلوكي وفي الإطار الثقافي الذي يعيش فيه الفرد.

- والقيم متوارثة عبر الأجيال تتناقل بينهم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، حيث أن وجود إطار مشترك من القيم والأفكار والمعايير والمعتقدات بين أفراد المجتمع الواحد يحقق ما يسمى بالنظام الاجتماعي ويجمع كافة الأفراد تحت مظلته.¹

- وتتصف القيم بالقابلية للتغيير رغم ثباتها النسبي وذلك لتغير الظروف الاجتماعية لأنها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية، وطالما أن المجتمع في تغير دائم ومستمر تتغير القيم كما يمس التغير الهرم القيمي للمجتمع.²

¹ - سميرة احمد السيد: علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة، 1993، ص 26

² - صالح محمد علي أبو جادو: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1998،

- وتمتاز القيم بالهرمية حيث تهيمن بعض القيم على غيرها، ويخضع لها عقل الإنسان الذي يحاول أن يحقق رغباته ولكنه لا يستطيع ذلك، فيحاول أن يخضع بعضها لبعض، فيخضع الأقل قبولاً عند الناس للأكثر قبولاً تبعاً لترتيب خاص، هذا على مستوى الفرد أما على مستوى المجتمع فالقيم تختلف في ترتيب أهميتها وألوية التمسك بها وتدعيمها من مجتمع لآخر حيث تمثل القيم أحد مظاهر السلطة لما لها من قوة الإلزام، فالأفراد حينما يصدر عن أحكامهم القيميّة إنما يصدرونها في ضوء تلك الأحكام المتعارف عليها من قبل المجتمع.

3- تصنيفات القيم:

إن موضوع تصنيف القيم يعد من أكثر المواضيع التي اختلف حولها الدارسون لهذا المجال، إذ أورد كل واحد منهم تصنيفاً يتماشى وتوجه أفكاره في هذا المجال ويرجع ذلك إلى أن المصطلح مرتبط بالتراث الفلسفي من جهة، ويعبر عن أرض مشتركة لمجموعة من العلوم والمعارف من جهة أخرى.

وترتبط القيم ارتباطاً وثيقاً بأنماط السلوك والأدوار الاجتماعية مثلما ترتبط بكل أنساق التدرج في المجتمع، وأي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية يمكن أن تعمل كنقطة بدء لتصنيف القيم، واعتمد فيشر على ثلاثة تصنيفات أساسية هي الشخصية الاجتماعية والمجتمع، والثقافة.¹ ويقدم نيكولاس ريتشر (Nicolas richter) تصنيفه للقيم على أساس عدة أبعاد:²

أ- محتضني القيم: ويتركز الاهتمام في هذا التصنيف على الأشخاص الذين يتبنون قيمة معينة.
ب- موضوعات القيم: وتصنف القيم طبقاً لموضوعاتها إلى: قيم الأشياء، القيم البيئية، القيم الفردية، القيم الجماعية، القيم الاجتماعية.

ج- قيم الفائدة أو المنفعة: ويشير هذا التصنيف إلى مدى تحقيق القيم للفائدة لمن يتبناها.
كما يوجد تصنيف القيم الذي اعتمد على وظائفها الاجتماعية كالقيم السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية والتعليمية، بمعنى ربط كل قيمة بنظام اجتماعي معين، كما فعل إميل دور كايم وأنصار الاتجاه الوظيفي من بعده.

¹ - غريب سيد احمد: علم الاجتماع الرفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1983 ص 173

² - نورهان منير حسن فهمي: القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث،

الإسكندرية، 1999، ص 131

ويرى الباحث انه وبعد الاطلاع على التراث النظري لتصنيف القيم يمكن اعتماد تصنيف كلوكهن (Klockhen) للقيم، والذي ورد في كتاب فوزية دياب¹ والذي تناولت فيه ستة أبعاد لتصنيف القيم هي: بعد المحتوى، الشدة، المقصد، العمومية، الوضوح، الدوام.

3.1. بعد المحتوى: ويصنف القيم إلى:

أ- **القيم النظرية:** يقصد بها اهتمام الفرد وميله إلى اكتشاف الحقيقة، وهو في سبيل الهدف يتخذ اتجاهها معرفيا من العالم المحيط به، فهو يوازن بين الأشياء على أساس ماهيتها بقصد معرفتها، ويتميز الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة بنظرة موضوعية نقدية، معرفية ويكونون عادة من الفلاسفة والعلماء، وهي تتميز بمنهج علمي ناقد، والشخص النظري يسعى وراء التشابه والاختلاف، بين الأشخاص دون النظر إلى المنفعة أو إلى الجمال فيها، فهو يقتنع بالملاحظة والتفكير وغايته هي البحث عن المعرفة وتنظيمها².

فهذه القيم تشمل المعرفة والعلم والبحث والتفكير، وربما هذا ما يجب أن ندعمه ونشجعه في أوساط الطلبة الجامعيين، من أجل خلق فرد عقلاني ناقد مفكر ومبدع.

ب- **القيم الاقتصادية:** يقصد بها اهتمام الفرد بما هو نافع ويتخذ من العالم المحيط به وسيلة للحصول على الثروة وزيادتها، عن طريق الإنتاج والتسويق واستهلاك البضائع واستثمار الأموال. كما أن القيمة الاقتصادية تتمثل في الاهتمام بالنتائج العملية والفوائد المرتقبة وكثيرا ما تتعارض القيم الاقتصادية مع غيرها من القيم³.

ولعل ما يجب أن ندعمه في الطلبة الجامعيين من خلال القيم الاقتصادية هو احترام الوقت واستثماره، وإتقان العمل وتقديسه، لأنه كما يقول محمد الغزالي إذا كان العمل رسالة الأحياء فإن العاطلين أموات.

ج- **القيم الجمالية:** وتظهر في اهتمام الفرد بما هو جميل من ناحية الشكل أو التوافق وهو لذلك ينظر للعالم المحيط به نظرة تقدير له من حيث التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي.

د- **القيم الاجتماعية:** يعبر عنها اهتمام الفرد وميله إلى غيره من الناس فهو يحبهم ويميل إلى مساعدتهم، ويجد في ذلك إشباعا له، ويتميز هؤلاء الأشخاص الذين تسود عندهم هذه القيمة

¹ - فوزية دياب: مرجع سبق ذكره، ص 73

² - نورهان منير حسن فهمي: مرجع سابق، ص 133

³ - المرجع نفسه، ص 134

بالعطف والحنان وخدمة الآخرين.¹ ويرى سينجر (Singer) أن القيم الاجتماعية في أنقى صورها تتجرد عن الذات وتقترب جدا من القيم الدينية.

هـ- **القيم السياسية:** وتعني اهتمام الفرد بالحصول على القوة إذ يهدف إلى السيطرة والتحكم في الأشياء أو الأشخاص، كما تعني اهتمام الفرد بالنشاط السياسي والعمل السياسي، ويتميز الأشخاص الذين يتميزون بهذه القيمة بقدرتهم على توجيه غيرهم، والتحكم في مصائرهم، والسلطة والتأثير والنفوذ والسيطرة تعتبر مفاهيم أساسية يدركها من يحملون هذه القيمة، ويمكن ذكر أهم المفاهيم المرتبطة بالقيمة السياسية؛ كقيمة الأمن، الولاء، الانتماء، العدالة، الانجاز، الالتزام، حرية الرأي والتعبير،²...

و- **القيم الدينية:** تبدو من خلال اهتمام الفرد بالمعتقدات والتعاليم الدينية. ويتميز الأشخاص الذين تسود لديهم هذه القيمة بإتباع تعاليم الدين في كل النواحي، ويتميز بعضهم في إتباع هذه القيمة في طلب الرزق، وعدم السعي وراء الدنيا على اعتبار أن الرزق مقسوم مسبقا.

والتدين تعبير مناسب عن الدين يوضح محتوى السلوك الديني بمفهومه الواسع، ويعتبر الدين بمثابة الإطار المرجعي الذي ينظم معارف الفرد وسلوكه، مما يعني تقبل الفرد قيم وأخلاقيات الدين وتمسكه بها، واشتراكه في الممارسة والعبادات وتحقيقه للواجبات التي يفرضها الدين عليه.³

ولعل ما يجب تدعيمه لدى طلاب الجامعة من قيم دينية تلك القيم التي تشجع على الالتزام والتسامح والتواضع، وتقبل الآخر، وأن الحوار والنقاش هو أفضل سبيل لكل ما قد يعترض الإنسان المسلم من مشاكل الدنيا، وليس التعصب والعنف.

3-2- تصنيف القيم حسب بعد المقصد:

تعرف بأنها تلك القيم التي ينظر إليها الأفراد والجماعات أنها وسائل لغايات معينة، كقيمة العلم وغايتها اكتشاف الحقائق، ويعتبر روكيتش أنها ضرب من ضروب السلوك وغاية من غايات الوجود المفضلة، فعندما تقول أنه لدى الشخص قيمة معينة، نقصد بذلك أن معتقداته تتركز حول أحد أشكال السلوك المرغوب فيه، أو حول غاية من غايات الوجود، والقيم عند روكيتش تنظم في نوعين رئيسيين هما:⁴

¹ - فوزية دياب: مرجع سابق، ص 74

² - نورهان منير حسن فهمي: مرجع سابق، ص 134.

³ - المرجع السابق، ص 143

⁴ - غريب سيد احمد: مرجع سابق، ص 180

القيم الوسيئية: وهي تلك القيم التي يعتبرها الأفراد مجرد غايات لا وسائل، فهي غايات في حد ذاتها، وتعرف بالقيم النهائية.

القيم الغائية: وهي الأهداف التي تضعها الجماعات والأفراد لأنفسهم. وتعرف بالقيم الوسيطة، وهي تمثل أشكال السلوك الموصلة لتحقيق هذه الغايات، كالصوم والصلاة والزكاة والحج التي توصلنا إلى قيمة العبادات.

ويشير روكيتش إلى أن القيم الغائية أو النهائية في ذاتها تنقسم إلى فئتين؛ قيم خاصة بالفرد وتتمركز حول الذات مثل قيمة تقدير الذات، وقيم خاصة بالعلاقة بين الأشخاص أو المجتمع؛ وهي المعروفة بالقيم المتمركزة حول الأفراد أو المجتمع كقيمة السلام العالمي.

كما أن القيم الوسيئية تنقسم إلى القيم الأخلاقية كالأمانة، وقيم الاقتدار والكفاءة أو المنافسة، ويتضح من ذلك أن روكيتش وضح أن هناك نمطين من القيم الوسيئية والغائية كأنظمة منفصلة إلا أنهما من الناحية الوظيفية مرتبطتان ومتكاملتان، كل منهما يكمل الآخر ولا يمكن الفصل بينهما، فقد تكون العبادات وسيلة وغاية في نفس الوقت، لذا فإن الفصل بينهما مصطنع، فبينهما تداخل وترابط، بمعنى أن القيمة الغائية ليست نتيجة مترتبة على القيمة الوسيئية.

3-3- تصنيف القيم على أساس شدة القيمة:

تتفاوت القيم من حيث شدتها تفاوتاً واضحاً، وبقدر شدة درجة الإلزام التي تفرضها، ونوع الجزاء الذي تقرره لمن يخالفها، فهناك القيم الملزمة الأمره الناهية، وهناك القيم التفضيلية، وهناك القيم المثالية، ويمكن تفصيلها كالتالي:

أ- القيم الإلزامية: وتشمل الفرائض والنواهي:

وهي القيم التي تكتسي صفة القداسة لدى أفراد المجتمع، مثل العقيدة والعبادات التي تلزم الثقافة بها أفرادها ويراعي المجتمع تنفيذها بقوة وحزم، سواء عن طريق العرف وقوة الرأي العام أو عن طريق القانون والعرف معاً، ومن ذلك القيم التي ترتبط بتنظيم العلاقة بين الجنسين مثلاً، أو بمسؤولية الأب نحو أسرته، أو بتحديد حقوق الفرد ورعايته من عدوان الآخرين.¹

ب- القيم التفضيلية:

وتحدد ما يفضل أن يكون، ويشجع المجتمع أفرادها على الاقتداء بها، والسير وفق متطلباتها، وهي قيم تتصل اتصالاً وثيقاً ومباشراً بسلوك الأفراد عن طريق أساليب الثواب والعقاب، ولكنها لا تمثل الالتزام أو القدسية التي تتطلب العقاب الصارم أو الصريح لمن

¹ - فوزية دياب: مرجع سبق ذكره، ص 80

يخالفها، ومثال ذلك النجاح في العمل والحصول على الثروة والترقية في مجال العمل، وهذه القيمة تحدد ما ينبغي أن يكون فهي قد تبلغ مبلغا عظيما من شدة الأثر في سلوك الناس، وتكسب هذا الأثر عن طريق أساليب الثواب والعقاب الثقافية غير الرسمية.

ج- القيم المثالية:

ويطلق عليها الطوبائية التي يرى الأفراد في المجتمع استحالة تحقيقها بصورة تامة، ولكنها كثيرا ما تؤثر تأثيرا بالغا في توجيه سلوكات الأفراد، كما أنها تلك القيم التي تتطلب الكمال في أمور الدين والدنيا، وذلك مثل القيم التي تدعوا إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، فقد يعجز الفرد في واقع الأمر الالتزام بها، لكنه مع ذلك إذا التزم بها عدل كثيرا من سلوكه حيال من يعتدون عليه أو يسيئون إليه.¹

3-4- بعد العمومية : وتنقسم إلى قسمين :

أ- القيم العامة:

وهي القيم التي يعم انتشارها في المجتمع كله بغض النظر عن ريفه وحضره وطبقاته وفئاته المختلفة، وهي القيم المرتبطة بالعبادات والتقاليد. مثل أهمية التمسك بالدين والعقيدة والعبادات، وقيم النظام واحترام الوقت والتمسك بتقاليد الماضي، قيم تعمل على وحدة المجتمع وتماسكه. كما انه تنظم الكثير من المناسبات الاجتماعية، ولعل الأمثلة والحكم الشعبية السائدة في المجتمع الجزائري تختصر الكثير من القيم السائدة في المجتمع وتوجه الكثير من سلوكات الأفراد.

ب- القيم الخاصة:

وهي القيم المتعلقة بمواقف أو مناسبات اجتماعية معينة أو بمناطق محدودة أو بطبقة اجتماعية معينة. كتلك القيم التي تميز المعلمين مثلا من قيم تربوية وأكاديمية واجتماعية، وقيم التعاون والثقافة الدينية وإدراك أهمية الدين في الحياة، وهذه القيم تعمل على تماسك هذه الفئة وترابطها وتتيح إمكانية التنبؤ بسلوك صاحبها.

3-5- تصنيف القيم حسب بعد الوضوح: وتنقسم القيم من ناحية وضوحها إلى قسمين:

أ- قيم ظاهرة: وهي التي يصرح بها أو يعبر عنها بالكلام.

ب- قيم ضمنية: وهي تلك التي يستخلص ويستدل على وجودها من ملاحظة الاختيارات والاتجاهات التي تتكرر في سلوك الآخرين بصورة نمطية .

¹ - نورهان منير حسن فهمي: مرجع سابق، ص 138

3-6- تصنيف القيم حسب بعد الدوام:

وتنقسم حسب استمرارها إلى :

- أ- قيم عابرة : وهي القيم الوقتية العارضة القصيرة الدوام السريعة الزوال.
- ب- قيم دائمة: وهي القيم التي تبقى زمنا طويلا مستقرة في نفوس الناس من جيل لآخر كالقيم المرتبطة بالعادات والتقاليد.

وبالرغم من تعدد التصنيفات للقيم والتي عكست اتجاهات العلماء إلا أن أكثر هذه التصنيفات شيوعا هو التصنيف الذي يقسمها إلى قيم نظرية، قيم اقتصادية، قيم سياسية، قيم جمالية، قيم اجتماعية، قيم دينية.

هذه التصنيفات الموجودة لدى كل فرد، وان اختلفت درجاتها على السلم القيمي حسب أهميتها لدى كل فرد، كما أننا ومن خلال هذه الدراسة نعتمد على هذا التصنيف في محاولة الكشف على أهم القيم السائدة لدى الشباب الجامعي، للتوصل إلى ترتيبها ومعرفة ما تحمله هذه الفئة من قيم.

4- مكونات القيم:

القيم نتاج اجتماعي يتعلمها الفرد ويكتسبها ويتشربها ويستخدمها تدريجيا، ويضيفها إلى أطره المرجعية التي تتحكم في السلوك ويتم ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية¹. ويرى "بارسونز" (Parsons) أن القيمة تتكون من ثلاثة عناصر وهي:

أ- المكون العقلي -المعرفي- (الاختيار): ويشمل المعارف والمعلومات النظرية وعن طريقه يمكن تعليم القيم، ويتصل هذا المكون بالقيمة التي نود تعليمها وحسب أهميتها وما تدل عليه من معاني مختلفة ومتعددة، وفي هذا الجانب تعرف البدائل الممكنة للفرد، وينظر في عواقب كل بديل، ويقوم بالاختيار الحر والإرادي بين هذه البدائل.

ب- المكون الوجداني النفسي (التقرير): ويشمل الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية التي لا تظهر. وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز والافتخار بها وهذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ.

ج- المكون السلوكي الإرشاد الخلقى (الفعل): وهذا الجانب هو الذي تظهر فيه القيمة على أرض الواقع فالقيمة تترجم إلى سلوك ظاهري عن طريق التفاعل، ويتصل هذا الجانب

¹ - صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، مرجع سابق، ص236.

بممارسة القيمة أو السلوك الفعلي والأداء النفس حركي وفي هذا الجانب يقوم بممارسة القيمة وتكرار استخدامها في الحياة اليومية العادية..

وهذه العناصر متداخلة ومتفاعلة مع بعضها البعض وذلك بتأثير المجتمع والتفاعل الاجتماعي، والتي تعكس ثقافته وتعبّر عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة فيه.¹

5- اكتساب القيم: يعرف "ريشر" (Rescher) عملية اكتساب القيم بأنها العملية التي يبني الفرد من خلالها مجموعة معينة من القيم مقابل التخلي عن قيم أخرى، إنّ التغيير يتضمن إعادة توزيع الفرد لقيمه، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.²

والملاحظ هو أنه بامتداد العمر لدى الفرد يزداد عدد القيم التي يتبناها، فهذه القيم تختلف من مجتمع لآخر، فهي نتاج ثقافي-اجتماعي. وحسب "موريس" (Morris) يقسم القيم إلى ثلاث فئات رئيسية:

أ- المحددات البيئية والاجتماعية: حيث يمكن تفسير أوجه التشابه والاختلاف بين الأفراد في ضوء اختلاف المؤثرات البيئية والاجتماعية.

ب- المحددات السيكولوجية: ويقصد بها سمات الشخصية ودورها في تحديد القيم للأفراد.

ج- المحددات البيولوجية: وتشمل الملامح أو الصفات الجسمية (كالطول والوزن) والتغيرات في التغيرات في هذه الملامح وما يصاحبها من تغييرات في القيم.

يتأثر الفرد بأسلوب التنشئة والتوجهات التي يتلقاها في ثقافته ومجتمعه وأسرته، فالتنشئة هي العملية التي يكتسب الفرد (الطفل) من خلالها السلوك والمعتقدات والمعايير والقيم³. ويستمدج الفرد القيم بناء على استعداداته وتفاعله مع الآخرين، وما يلقاه من تشجيع وتدعيم أو كف وإحباط حيال هذه القيم.

وتبدأ عملية اكتساب القيم منذ الصغر حيث يتأثر الطفل بالوالدين، فالفرد يعتمد في تكوين ذاته المثالية على والديه، ويكتسب الأبناء قيم الآباء من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ومن خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين في المجتمع وهي جزء مما يسمى بالتكوين النفسي والاجتماعي للفرد.

¹ - مرعي توفيق، وبلقيس أحمد: الميسر في علم النفس الاجتماعي، ط2 عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع،

1994، ص 236.

² - Resher (N) Introduction to values theory, new jersey 1969 p 111.

³ - Shafer (D) " Social psychology from a social-development perspective", N Y.1977.p37.

والفرد يكتسب نسق القيم من الجماعة التي يعيش فيها وينتمي إليها، بفعل الخبرة المباشرة والاحتكاك الدائم، أي بتأثير عمليات التنشئة الاجتماعية، وهي وإن كانت تختلف من جماعة إلى أخرى داخل إطار الثقافة الواحدة، إلا أنها لا تختلف كثيراً عن قيم المجتمع الأصلي¹.

وقد توصلت الكثير من الدراسات إلى أن جماعة الرفاق ومن خلال العلاقات الاجتماعية التي تنشأ داخلها، لها أثر كبير على سلوك الفرد والقيم التي يحملها، والفرد على امتداد حياته إنما يمر بعمليات مختلفة ومتعددة من التنشئة الاجتماعية، أهمها اكتساب القيم وانتظامها في نسق متكامل يعرف بنسق القيم².

والفرد يكتسب ويمتص الكثير من القيم السائدة في الوسط الثقافي الذي ينتمي إليه³، ويمكن عن طريق التفاعل داخل الجماعة تعديل واكتساب القيم والاتجاهات، وللجماعة القدرة على إكساب الفرد القيم والسلوك الاجتماعي المرغوب فيه.

والأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تساهم في نقل القيم من جيل إلى جيل وإكسابها للأفراد، فهي التي تحدد لأبنائها ما ينبغي في ظل المعايير الحضارية السائدة، ولقد دلت الأبحاث أن هناك علاقة بين أساليب التنشئة الاجتماعية للأبناء وعلاقتها في إكساب الفرد قيماً معينة، ثم تقوم الجماعات الثانوية (المدرسة، جماعة اللعب، المجتمع) التي ينتمي إليها الفرد من خلال مراحل حياته بدور مكمل، حيث تحدد للفرد قيماً معينة يسير في إطارها.

وأشار "بياجية" (Piaget) إلى تطور القيم خلال مرحلة الطفولة معتمداً في تحليله على التدرج في تكوين الوعي المرتكز في مرحلة الطفولة المبكرة حول "الذات" إلى الوعي الموضوعي حوالي سن السابعة، في هذه المرحلة يبدأ الطفل خلالها على وعي خطورة الفعل على أساس الأضرار المادية، وعلى مفهوم المسؤولية الذاتية، ويحكم الطفل في هذه المرحلة على الفعل أو السلوك على أساس بنية الفاعل، أكثر من حكمه على أساس النتائج المادية المترتبة على هذا السلوك⁴.

¹ - سيد محمد عبد العال: مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1980، ص 293

² - المرجع نفسه، ص 294

³ - عبد اللطيف محمد خليفة: مرجع سابق، ص 86.

⁴ - Piaget " The preadolescent and the propositional operations" London, 1982, p395..

أما في المرحلة الثانية من عمر الطفل وهي مرحلة المراهقة، هو اهتمام الأطفال بالسلوك (شجاعة، بهجة، المظهر الحسن، السعي نحو التفوق، والعمل بجدية، والميل نحو الأعمال الصعبة، ونشير هنا أنّ هذه القيم ترتبط بالمناخ الذي توفره الأسرة للأبناء.¹

كما أوضحت الدراسة التي أجراها "ميلتون روكيش" (Rokech.M) حول تطور القيم في المراحل العمرية المختلفة من 11 سنة وحتى 70 سنة، أنّ هناك تغيراً مستمراً في تطور القيم يمتد من المراهقة المبكرة وحتى سنوات متقدمة من العمر. وقد أشار "روكيش" إلى تطور القيم على النحو التالي:

- القيم تتعلق بتحقيق الذات تزداد أهميتها في فترة المراهقة وأثناء سنوات الرشد، وتقل أهميتها لدى كبار السن باستثناء قيمة الحكمة.

- القيم التي تتضمن (الخيال والعقلانية والمنطق) تقل أهميتها في فترة المراهقة، في حين تزداد أثناء سنوات الدراسة الجامعية، ثم تنخفض أهميتها مرة أخرى لدى كبار السن.

- قيم الجمال والصدقة، تزداد أهميتها في فترة المراهقة المبكرة، ثم تقل أهميتها في المراحل العمرية التالية.

- قيم الحياة المثيرة والسعادة تزداد أهميتها في مرحلة المراهقة المبكرة، ثم تقل أهميتها في السنوات التالية من العمر.

- قيم الحياة المريحة، النظافة، التسامح، المساعدة، تزداد أهميتها في السنوات التالية للمراهقة.

- قيم الحرية، الاعتراف الاجتماعي، الشجاعة، تقدير الذات هي أكثر القيم ثباتاً عبر العمر.

والملاحظ على هذه الدراسة أنّها لم تأخذ بعين الاعتبار الفروقات البيئية والاقتصادية والاجتماعية، والتي لها تأثير واضح على تشكيل القيم لدى الأفراد، وكذلك يمكن من خلالها تفسير وفهم أشكال القيم وتصنيفاتها في المجتمع.

ويولد الفرد وهو خال من الأيديولوجية التي تحدد تعامله مع المواقف والأشخاص والأشياء والأهداف التي تنتظم عليها محاور حياته ثم تتولى مؤسسات التنشئة الاجتماعية، بكافة عناصرها مسؤولية تعليمه وتوجيهه في ضوء ما تمثله ثقافة ذلك المجتمع من قيم ويمكن أن نلخص المستويات الخمس في عملية اكتساب القيم وهي:

¹ - Scott, (W.A) " Dessessing norms a,d practices of families, schools and peer groups", vol 14, 1978, p 173.

أ-مستوى الاستقبال: يشير هذا المستوى إلى مرحلة وعي المتعلم وحساسيته بالمشكلات المحيطة به، ورغبته في استقبالها وضبط انتباهه، وتوجيهه نحو مشكلات معينة، دون غيرها لأهميتها.

ب-مرحلة الاستجابة: وهو انتقال المتعلم من الانتباه إلى مستوى الاندماج في الموضوع أو الظاهرة أو النشاط مع الشعور بالارتياح لذلك، خصوصا أن الجماعة الأولية (الأسرة) هي المصدر الأول للقيم يسهل معها اندماج أعضائها والتقبل بسرعة إلى كل ما تعطيه من معايير وتهندسه من قيم لأعضائها، وما على الأفراد سوى الاستجابة الآلية لذلك (مرحلة تشكيل الولاء للأسرة).

ج-مستوى التقييم: ويعطى المتعلم في هذا المستوى قيمة أو تقديرا للأشياء أو الظواهر أو الأفكار ويسلك سلوكا متسقا وثابتا إزاء بعض الموضوعات يجعلنا نستنتج أن لديه قيمة معينة.

د-مستوى التنظيم: هي مرحلة ترتيب وتنظيم القيم في سلم خاص بالفرد حسب الأولوية والأهمية ومنه تظهر سيادة كل منها على القيم الأخرى (مرحلة انتقاء وتفضيل القيم حسب الأهمية) كأن يفضل الأسرة عن باقي المؤسسات الأخرى).

هـ-مستوى اكتساب القيمة: وهي مرحلة الاستجابة الكاملة والمتسقة للمواقف المشحونة بالقيم، وهذا يكون وفقا للقيم التي يتبناها ويعتقدها وفي هذا المستوى يتم إصدار السلوك دون استشارة للانفعالات، ويوسم الفرد بقيمة تدل على نمط سلوكه وحياته، كأن يوصف بالتعاون أو الصدق أو الانضباط، أو الولاء لجهة ما، أو التضحية نتيجة التوافق بين قيمة وسلوكه أو بين أعماله وما يؤمن به.

6-مصادر القيم:

هناك العديد من العوامل التي تتدخل وتفرض على المجتمع تحديد وانتقاء لقيمه ومعتقداته، فالطابع السائد في حصول أفراد المجتمع على احتياجاتهم الرئيسية، كنمط الإنتاج وعلاقاته، والبناء الطبقي والمستويات الاجتماعية فيه، ومدى الفوارق بين هذه الطبقات وطبيعة العلاقات بينها، ونمط ونوع الأسرة السائدة في المجتمع.

ويشير حليم بركات في بحثه حول القيم في المجتمعات العربية، أن القيم الاجتماعية تتباين وفق البيئات المختلفة ونمط المعيشة السائد فيها، سواء كانت بدوية، فلاحية أو حضرية.¹

¹ -حليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 640

كما تشكل الأسرة في المجتمعات العربية نواة التنظيم الاجتماعي، وتقوم بعدة وظائف لأفرادها، لذلك تعتبر من المصادر الهامة التي تستمد منها القيم، وهناك خمس اتجاهات قيمية تتصل اتصالاً مباشراً بالحياة الأسرية والقبلية، النزوع في الثقافة العربية على التأكيد على القيم العضوية أكثر من قيم الاستقلال الفردي، والميل نحو الاتكالية على حساب الاعتماد على الذات، والتمسك بحق الاختيار، والامتثال والقسوة، والتمسك بقيم الطاعة، والتشديد على العقاب أكثر من التشديد على قيم الانصهار في الجماعة، وهو ما ينشأ عنه اتجاه معاكس للتأكيد على الذات وتضخيمها، وفرض سيطرة الرجل على المرأة والعزل بينهما في الوقت ذاته¹.

كما يعد الدين من أهم مصادر القيم، حيث ينظر إليه في الأنثروبولوجيا على أنه نظام من المعتقدات والممارسات السلوكية والأخلاقية، وهو بذلك يعبر عن مؤسسة اجتماعية ثقافية، تملك من التشريعات والقوانين، بحيث تصبح نسقا من الرموز ترسخ لدى الإنسان حالات وجدانية، ودوافع قوية لتمثلها.

ويعتبر القرآن والسنة النبوية الشريفة، أهم النصوص التي تنبثق منها التوجهات القيمية في الإسلام والمجتمعات الإسلامية، وتعتبر القيم الروحية والوجدانية أهم القيم المشتقة من الدين، وتتميز هذه القيم بصفاتها الإلزامية وديمومتها وانتشارها الواسع.

7- وظائف النسق القيمي:

من المعروف أن الحياة الاجتماعية مليئة بمجالات التفاعل بين الأفراد، لذلك فهي تشتمل على العديد من القيم البسيطة والمركبة المتداخلة، وهذه القيم لها درجات مختلفة من التأثير على الفعل، ويرجع هذا إلى أن القيم ليست متساوية في الأهمية، فهي تقع في ترتيبات هرمية، وترتب تبعاً لأفضليتها ومستوى أهميتها، بحيث تكون القيمة العظمى في أول الترتيب، ثم تليها قيم أقل منها وهكذا؛ فهي تختلف في ترتيبها من مجتمع لآخر، وأحياناً من فرد لآخر.

وترتب القيم داخل هذا الإطار القيمي الذي لا يظل ثابتاً بل يتغير، يرتفع وينخفض ويهبط ويعلو، لتكشف القيم عن الحاجات الإنسانية، ومن أهم الوظائف التي يؤديها النسق القيمي نجد: 2- أ- تؤلف مجموعة القيم المكتسبة نسقا متماسكا للقيم، بحيث تحتل كل قيمة في هذا النسق أولوية خاصة بالقياس إلى القيم الأخرى، وهذا الترتيب للقيم يمكننا من دراسة الثبات والتغير الذي يطرأ على أنساق القيم.

¹ - المرجع السابق، ص 641

² - علي عبد الرزاق جلي: دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 130.

ب- من الوظائف الأساسية لنسق القيم الإسهام في خفض حدة الصراع والتوتر والمعاونة على اتخاذ القرار على أساس الاختيار بين البدائل.

ج- إن انساق القيم بصفاتها مستويات للتوجيه السلوكي، تمارس هذه الوظيفة بطرق مختلفة أهمها:

- القيم تدفعنا إلى اتخاذ مواقف خاصة من المسائل الاجتماعية الرئيسية والقضايا الكبرى.
- القيم تدفعنا إلى تفضيل أو تبني إيديولوجية سياسية أو دينية دون الأخرى.
- انساق القيم هي المستويات التي نحتكم إليها في عرض ذواتنا أمام الآخرين أو هي الموجهات التي تحرك تصرفاتنا لكي تبدو أمام الآخرين بالصورة التي نفضلها.¹
- انساق القيم هي مستويات توجهنا في إقناع الآخرين، والتأثير عليهم لتبني مواقف أو معتقدات أو اتجاهات أو قيم نعتقد أنها جديرة بالاهتمام والدفاع عنها.
- القيم تساعد على إعطاء توجيه وتنظيم للفعل، فعندما يتطلب الأمر الاختيار سواء أكان ذلك على المستوى الفردي أو المجتمعي، فالقيم تعمل كمعايير لهذا الاختيار.
- إذا كانت الوظائف المباشرة للقيم وأنساقها هي توجيه الفعل الإنساني في المواقف اليومية، فإن الوظائف البعيدة المدى لها؛ هي التعبير عن الحاجات الأساسية للأفراد، ذلك أن القيم تنطوي على عنصر واقعي قوي جداً، كما تتضمن عناصر معرفية، وعاطفية وسلوكية، وهكذا فإن نسق القيم يحقق التوافق واحترام الذات وتحقيق الذات، ويتفاوت الأفراد فيما يتعلق بالأهمية النسبية للقيم، التي تؤدي هذه الوظائف الثلاثة والقيم تساعد الفرد على تحقيق العديد من الوظائف أهمها²:

7-1 - الوظيفة الدافعية:

من الوظائف المباشرة للقيم توجيه الأفعال الإنسانية أو أفعال الأفراد في المواقف التي يتعرضون لها في الحياة اليومية، كما أن لها وظائف أخرى طويلة المدى تتمثل في التعبير عن حاجات الأفراد الأساسية، فالقيم الوظيفية مثلاً لها قوة دفع لتحقيق أهداف معينة يتم تدعيمها من خلال تحقيق غايات أبعد.

¹ - المرجع السابق، ص 131

² - عبد اللطيف محمد خليفة: ارتقاء القيم، سلسلة عام المعرفة، العدد 160، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 153-155

7-2- الوظيفة التوافقية:

لكل مرحلة عمرية نسق من القيم تتميز به عن غيرها من المراحل، طبقا للخصائص المعرفية والوجدانية والسلوكية لها، ويؤدي هذا النسق في حالة توافقه إلى تحقيق توافق الفرد مع القواعد والمعايير الاجتماعية والأخلاقية السائدة في المجتمع.

7-3- وظيفة الدفاع عن الأنا:

يرى المحللون النفسانيون أن القيم لا تقل أهمية في مجال خدمة حاجات الدفاع عن الأنا، فهي تساعد الفرد على عمل تبريرات معينة لتأمين حياته، فالأشخاص المتسلطون على سبيل المثال يؤكدون على بعض السلوكيات مثل النظافة والتأدب، وكذلك غايات معينة مثل الأمن الأسري، حيث يساعدون ذلك في الدفاع عن الأنا.

7-4- وظيفة المعرفة أو تحقيق الذات:

ويعرف كاتز هذه الوظيفة بأنها تعني البحث عن معنى، والحاجة إلى الفهم والاتجاه لعمل أفضل، ومن وظائف القيم أيضا تحويل الأحداث التاريخية والتوقعات المستقبلية ومنها المعلومات المتعلقة بالاشباع والاحباط والمنفعة والأخلاق إلى قيم حاضرة ساكنة، تصلح للمقارنة المباشرة، والمقارنة المباشرة هي الخلفية الأساسية للسلوكيات العقلانية.¹

8- الاتجاه السوسيولوجي في تفسير القيم:

لقد ظل موضوع القيم حتى عهد قريب بعيدا عن تناولات علماء الاجتماع؛ نظرا لظهور اتجاه مناهض لدراسة القيم من المنظور السوسيولوجي، مبررين ذلك بصيغة المناخ الثقافي والتنظيمي الذي يعمل في إطاره علماء الاجتماع، وعدم وجود اتفاق بينهم على إطار فكري متسق يمكن الاعتماد عليه في تفسير القيم والظواهر الأخلاقية، بالإضافة إلى اللبس المحيط بمفهوم القيم وتعدد معانيها بتعدد المنطلقات الفكرية التي ينطلق منها علماء الاجتماع، وفي هذا الصدد يقول جاندي (jandi): "كان علماء الاجتماع يعتقدون أن دراسة القيم من شأن الفلاسفة وحدهم، لذلك لم يولوها أي اهتمام وتركوها للفلاسفة".²

ومما يدعم هذا التقليل كلام ليفي سترأوس (L.stroues) عن أهمية القيم لدراسة الثقافات المختلفة، إنه لا يمكن الكلام علميا عن القيم، إذ يفضي إلى التناقض ذلك أننا نقوم بتفسير بيانات غير منطقية بعبارات منطقية، وهذا من شأنه أن يهدم هذه البيانات ويشوه طبيعة هذه القيم.

¹ - نورهان منير حسن فهمي: مرجع سبق ذكره، ص 108

² - فوزية دياب: مرجع سبق ذكره، ص 245

لقد أخذ علماء الاجتماع من البداية بمبدأ الموضوعية في دراسة القيم، ونظرا لصدور الأحكام عن الذات سواء انبثقت عن الثقافة أو عن فكرة الطبقة أو من استنادها إلى الأصل الموضوعي والأساس السوسيولوجي للقيم، كان ينظر إلى القيم على أنها تمتاز بالذاتية، وظل هذا الاتجاه سائدا في كتابات علماء الاجتماع الغربيين حتى بداية القرن العشرين، ولكن سرعان ما ظهر فريق من علماء الاجتماع ينتقد أصحاب الاتجاه الذي يقلل من أهمية الدراسة السوسيولوجية للقيم وظواهره الأخلاقية، حيث أعطوا مكانة هامة لدراسة القيم، وجعلها من بين أبرز القضايا السوسيولوجية والموضوعات التي يتناولها علم الاجتماع بالدراسة والتحليل، وينطلقون من فكرة مؤداها أن القيم الأخلاقية تعد ظاهرة اجتماعية في سائر المجتمعات الإنسانية، تتفاعل مع بقية الظواهر والمكونات الاجتماعية والثقافية داخل إطار البناء الاجتماعي وثقافة المجتمع.

ومن هنا ازداد الاهتمام بدراسة القيم وتغيرت النظرة العلمية إليها، فمنهم من اعتبرها ظاهرة اجتماعية، ومنهم من اعتبرها محورا من محاور النظرية السوسيولوجية، ويظهر جليا هذا الاتجاه في دراسة القيم في كتابات إميل دوركايم، وليم كولومب، جورفيتش، ماكس فيبر، ابراهام ماسلو، بارسونز، كارل مانهايم

هذا ويعتبر اهتمام علماء الاجتماع بدراسة القيم وتحليلها من المنظور السوسيولوجي اهتمام حديثا نسبيا، إذ يرتبط بتجديد هذا العلم وتحديد مناهجه، وأدواته التي يستعملها في دراسة وتحليل الظواهر الاجتماعية، وترجع دراسة القيم على أسس علمية إلى النصف الأول من القرن العشرين، ولا سيما في دراسات ماكس فيبر حول الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية سنة 1906، ودراسة وليم توماس وفلوريان زنانيك (W.tomas,F.Zinanie) حول الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا سنة 1918، حيث ظهر مفهوم القيم من خلال هذه الدراسات وتبلورت حولها الكثير من البحوث السوسيولوجية والقضايا النظرية والمنهجية التي كشفت عن بعض زوايا القيم والموضوعات التي يتناولها علماء الاجتماع، حيث أفرد علماء الاجتماع فرعا من فروع علم الاجتماع يهتم بالقيم والقضايا الأخلاقية، هو علم اجتماع الأخلاقي أو علم اجتماع القيم.

وهكذا أصبحت القيم تمثل موضوعا من أهم الموضوعات التي تستقطب اهتمام علماء الاجتماع، واختلفت التفسيرات حول طبيعتها ومفهومها، ونحاول أن نقدم أهم المقولات السوسيولوجية التي قدمت تصورا لمفهوم وطبيعة القيم ونذكر من بينها:

8-1 - القيم عند اوغست كونت (A.comte):

أخذ كونت بمبدأ الموضوعية في دراسته للقيم، حيث استبعد في نظريته السوسيولوجية للقيم والظواهر الأخلاقية كل تفكير ميتافيزيقي، والبحث عن غايات قصوى لا ترتبط بالواقع، واقتصرت دراسته السوسيولوجية على دراسة وتحليل الواقع المحسوس ومعالجته بمناهج البحث التجريبي، كما بدت القيم والحقائق والظواهر الأخلاقية عنده نسبية وليست مطلقة كما توهم أصحاب الاتجاه المثالي، بل هي حقائق واقعية يتفاعل معها إنسان موجود بالفعل وليس إنسان نتخيله ونتمنى وجوده، أيضا فقد أعطى مكانة بارزة لعلم الأخلاق، موضحا أن علم الأخلاق يدعو إلى مبدأ وقيمة الغيرية التي تبني ضرورة إخضاع النزاعات الذاتية لصالح الجميع حتى تصبح الحياة من أجل الغير.

ويعتبر كونت في رؤيته السوسيولوجية للقيم والظواهر الأخلاقية، قد استبعد كل تفكير قبلي ميتافيزيقي، والبحث في غايات قصوى لا ترتبط بدائرة الواقع، وقصر دراساته على دراسة وتحليل الواقع المحسوس ومعالجته بمناهج البحث التجريبي، كما بدت القيم والظواهر الأخلاقية لديه نسبية وليست مطلقة كما توهم أصحاب الاتجاه المثالي العقلي، كما أنها وقائع حقيقية يتفاعل معها إنسان موجود بالفعل، وليس إنسانا نتخيله ونتمنى وجوده.¹

8-2 - تحليلات إميل دور كايم (I.dorkheim) للقيم:

لقد تجلت النزعة الوضعية في البحث الأخلاقي وتفسير القيم والظواهر الأخلاقية بعد اوغست كونت عند تلميذه إميل دور كايم، الذي قدم رؤيته السوسيولوجية في تفسير القيم، تلك الرؤية التي تجسدت في محاضراته عن التربية الأخلاقية التي ألقاها في الفترة ما بين: 1902-1907، والتي نشرت في العديد من المجلات والكتب العلمية.²

ولقد بدأ دور كايم في تفسيره للقيم والظواهر الاجتماعية انطلاقا من انتقاداته التي قدمها للاتجاهات الفلسفية والميتافيزيقية واللاهوتية المفسرة للقيم والأخلاق، مبينا أن هذه الفلسفات عندما حاولت تفسير القيم والظواهر الأخلاقية، والكشف عن ماهيتها وزواياها المجهولة، لم تنتهج في معالجتها لهذه الظواهر المنهج العلمي، أي أنها لم تستند إلى شواهد ثابتة قابلة للملاحظة والقياس، ولم تستخدم التجربة، كما لم تتعامل مع القيم كحقائق في الواقع.³

¹ - كمال التابعي: علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 2007، ص 152.

² - المرجع نفسه، ص 153

³ - إميل دور كايم: التربية الأخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوي، مكتبة مصر القاهرة، دت، ص 7

لقد اعتنى دور كايم بالجانب المعياري للحياة الاجتماعية، وهذا يتمثل في نسق القيم في تحديد السلوك الاجتماعي، وفي الحقيقة أنّ دور كايم وجّه انتباه السوسيولوجيين إلى أهمية القيم والأفكار في الحياة، ولتأكيد المستوى الاجتماعي للقيم فإنّ دور كايم رفض العملية التقييمية التي يقوم بها الفرد. كما أشار "بارسونز" أنّ دور كايم قد وضّح كيف أنّ المجتمع يعتبر ظاهرة أخلاقية، وكيف تصبح الأخلاق ظاهرة اجتماعية.¹

يظهر في نسق القيم عند دور كايم بالنسبة لمفهوم الضمير الجمعي فكرة الاعتقادات المشتركة أو القيم العامة. ولعلّ مشكلة الوحدة والتضامن والتكامل المجتمعي للجماعة واضحة في كتابه تقسيم العمل في المجتمع، وهو عبارة عن تصدي وتوضيح لجملة من التغيرات التي حدثت في المجتمع نتيجة للتكنولوجيا وكيف يؤثر ذلك في نسق القيم والتوقعات المشتركة وطبيعة النظام الأخلاقي.

كما أطلق دور كايم تسمية التضامن العضوي في مقابل التضامن الآلي، فالتضامن الآلي عند دور كايم متأصل في نسق القيمة العامة أو في العقل الجمعي الذي هو تعبير عنه، وهكذا ففي المجتمعات التقليدية أو غير الصناعية يتم الوصول إلى التكامل أو التضامن من خلال نسق القيمة العامة التي تعطي شرعية لمصالح الأهداف الجماعية وتحدد المسؤولية، في حين التضامن العضوي هو نتيجة لجملة من العلاقات المتداخلة لنسق معقّد من تقسيم العمل، حيث أنّ كل فرد يتمتع بحرية واستقلال خاص.

فالقيم والأخلاق هي القوة المسيطرة على الأفراد وسلوكهم، وهذا يتجلى في دراسة دوركايم للانتحار فقد عقد علاقات بين معدلات الانتحار في أنساق اجتماعية متنوعة وبيّن طبيعة القيم والاعتقادات الرئيسية المشتركة للجميع. فقد وجد علاقات بسيطة جدا حيثما تضعف وتتلاشى روابط المجتمع أو قيمه، يكون هناك مجال كالأحاساس الداخلي بالمسؤولية اتجاه الآخرين وتكون عندئذ الالتزامات المشتركة قليلة، ولهذا فإنّ الانتحار يكون من المتوقع حدوثه، هذه الحالة يسميها دوركايم بفقدان المعايير أو "الأنومي" (Anomie).²

كما نجد تأكيد دوركايم لدور القيم باعتبارها ميكانيزمات للتضامن الاجتماعي، وهذا يظهر جليا في كتابه الأشكال الأولية للحياة الدينية، حيث ينظر إلى القيم على أنها مقولات أساسية للإدراك، وجد دوركايم أنّ القيم والمثل هي من الواقع الاجتماعي، والأشياء المقدسة ما هي إلاّ

¹ -Parsons (T) *Sociological theory and modern society*, New York : freepress 1967.

² -Durkheim (E) *Suicide : A study insociology*, trons. By J.A spauldiney G Simpson (N.Y) free press 1996).p 183.

رموزا عن المجتمع. بمعنى أنّ نسق القيمة والتقييم الأخلاقي للنسق القيمي لا يمكن أن انفصلهما عن الطبيعة الحقيقية لهذا المجتمع، لأنّ المجتمع بكلمة واحدة هو الواقع الذي يتسامى بأعضائه وبما هو فوق عضوي.

إن رؤية دور كايم للقيم والظواهر الأخلاقية قد جعلت الحياة الأخلاقية، حياة أخلاق وواجب، ترتكز على القاعدة والنظام غير أنها في الوقت نفسه أخلاق خير، لأنها تضع لسلوك الإنسان غاية خيرة، ولأن فيها كل ما يثير رغبته، ويجذب إرادته ففيها توفيق بدون عناء بين الميل إلى الحياة المنتظمة وإلى الاعتدال، والحاجة إلى التحديد والتحكم في الذات، وبين الحاجة إلى التفاني والتضحية التي هي باختصار القوى الفعالة الدافعة للطاقة الأخلاقية غير أنها أخلاق عقلية قبل كل شيء.¹

8-3- القيم في تحليلات تالكوت بارسونز (T.persons):

يعتبر من أبرز علماء الاجتماع المعاصرين الذين أفردوا للقيم مكانة خاصة في نظريتهم حول الفعل والنسق الاجتماعي، وإن كان لم يتبع الطرح التطوري كما فعل دور كايم، فإنه بالمقابل بيّن أن القيم والمعايير هي موجه للفعل الاجتماعي، وحسب بارسونز فإن أي مجتمع يريد البقاء وضمان هذا البقاء عليه أن يضمن تجديد قيمه، فالمجتمع منظور إليه كنسق من القيم والثقافة والمعايير، والأفعال الفردية تستطيع أن تكون في توافق فيما بينها لأن الفاعلين الاجتماعيين يتصرفون من خلال معايير وقيم وثقافة المجتمع.

وفي هذا الإطار فإن المعايير اكتسبت أهمية مطلقة في طرح بارسونز لحل مشكلة النظام، فأفعال الفرد ليست عشوائية أو محكومة بالعواطف ولكنها على العكس من ذلك تماما، إذ نجدها تكشف عن قدر من النظام بحيث لا تتردى في حالة الحرب أو تختلف اختلافا كبيرا بحيث لا يمكن التنبؤ بها، وتوجد هاتان الخاصيتان فقط - إذا ما شارك أعضاء المجتمع في مجموعة من القيم المطلقة التي تحدد أهدافهم ووسائلهم لتحقيقها.²

وتضفي هذه القيم حالة من النظام والمعنى على سلوك الفرد، ومن ثم كبج الصراع والفوضى في المجتمع.³ وحسب بارسونز ولكي يكون المجتمع مستقرا ويستمر في الوجود يجب

¹ - اميل دور كايم مرجع سابق، ص 59

² - عبد العالي دبله: مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، منشورات مخبر المسالة التربوية في الجزائر، جامعو محمد خيضر بسكرة، دار الخلدونية الجزائر 2001، ص 92

³ - أيان كريب: النظرية الاجتماعية: ترجمة: محمد عصفور ومحمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 87

أن يستجيب لأربع وظائف أو أنماط من القيم وقد اختصرها بارسونز في الشعار التالي¹:

Adaptation . goal. Intégration. Latten pattern. A.G.I.L

- فالنسق الفرعي الاقتصادي يتوافق مع قيم التكيف .
- النسق الفرعي السياسي يتوافق مع قيم تحديد الأهداف .
- النسق الفرعي الثقافي يتوافق مع قيم الحفاظ على النمط والمعايير .
- النسق الفرعي الاجتماعي يتوافق مع قيم التكامل الاجتماعي .

إن رؤية بارسونز في تفسير القيم، تعد رؤية تكاملية نظرت إلى القيم باعتبارها موجهات للفعل الاجتماعي، وعنصرا من عناصر النسق الثقافي الذي يتفاعل مع غيره من الأنساق الشخصية والأنساق الاجتماعية المكونة لبناء الفعل الاجتماعي، وأن القيم باعتبارها مجموعة معايير أو قواعد للاختيار بين العديد من الموجهات السلوكية تؤدي وظيفة هامة في المحافظة على استقرار البناء الاجتماعي، من خلال أنها تخلق التماسك والتضامن في المجتمع، كما أنها تؤثر في بقية مكونات البناء الاجتماعي، بحيث تنظم التصورات المتعلقة بما هو مرغوب وغير مرغوب فيه، كما انه لم يغفل الدور الذاتي الذي تلعبه الشخصية في التأثير على القيم.²

8-4- تحليلات هيربرت سبنسر (H.spenser) للقيم:

يؤكد سبنسر على انه من الضروري أن نفهم طريقة حياة الناس، وينظر للسلوك الإنساني على أنه كل عضوي، وأن الحياة من أبسط صورها إلى أعلاها وأكثرها تعقيدا تسعى إلى أن تكون أكثر تكيفا مع البيئة، ذلك التكيف الذي يستهدف إما تقوية حيوية الفرد أو تقوية حيوية النوع، وترتبط الحالة الأخيرة بصورة كبيرة بالحفاظ على الفرد، كلما اقتربنا من الأشكال العليا للحياة.

كما يذهب سبنسر إلى أن المحافظة على النوع والحياة هي الهدف والاهتمام الأول لكل كائن حي، حيث أنه يتعين على أي مخلوق أن يعيش قبل أن يقوم بأي فعل من الأفعال، فالحفاظ على الذات هي من المتطلبات الأولى لرفاهية كل العالم، وتتكشف هذه الحقيقة عندما نتتبع المسار التطوري للحياة، ووضح أن هناك صراع دائم بين الأثرة والإيثار، وهدف القيم هي تحقيق التوازن بين هذين الاتجاهين المتضادين؛ أي بين الأثرة وهي الميول الفردية والإيثار الذي يتجسد في الميول الاجتماعية.³

¹ - عبد العالي دبله: المرجع سابق، ص 93.

² - كمال التابعي، المرجع سابق، ص 188.

³ - المرجع السابق، ص 168.

8-5- تحليلات كارل ماركس (K.Marx) للقيم:

لا يمكن فهم تحليلات كارل ماركس للقيم بمنأى عن الفلسفة الماركسية، ولذا فنحن نحرص على توضيح أهم القضايا المرتبطة بالقيم التي ناقشها كارل ماركس في تفسيراته الاجتماعية للقيم، وتحديد مكانة القيم في فلسفته وتحليلاته، وتنهض نظرية ماركس في تفسيره للقيم على القضايا التالية:

أ- **قيمة العمل وفائض الإنتاج:** أكد ماركس على أن العمل هو القيمة الرئيسية للحياة المادية في المجتمع، فمن خلال العمل والنشاط الإنتاجي، يستطيع الإنسان الوفاء بضروريات الحياة وإشباع حاجياته الأساسية مثل المأكل والملبس والمأوى.... الخ، أي أن النشاط الإنتاجي يمثل القيمة الجوهرية في الحياة، وشرط أساسي لوجود المجتمع، هذا فضلا على أن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على العمل وخلق الأدوات الإنتاجية.¹

ويرى ماركس أن البرجوازي يشتري من العامل قوة عمله، ويستهلكها على أنها سلعة مريحة، وهذا الاستهلاك هو العمل، الذي يُدرّ ربحا للبرجوازي تولد من رأس المال، ثم يضاف هذا الربح إلى رأس المال القديم فيحدث التراكم حيث يتحول فائض القيمة إلى رأس مال جديد وهكذا، وحتى عمل العامل في الوقت الزائد لا يعطي عنه البرجوازي أجرا للعامل، أي أنه لا يعطي القيمة الزائدة، ومن ثم يتراكم فائض القيمة كي يدخل خزائن البرجوازي، وبالتالي يرى ماركس أن وقت العامل ليس من مصلحته بل من مصلحة البرجوازي الذي يملك فائض القيمة وفائض الوقت.²

ب- **البناء الاقتصادي:** هو المصدر الرئيسي للقيم في المجتمع، يذهب كارل ماركس إلى أن القيم تتشكل وتتطور بتطور النسق الاقتصادي، ذلك أنه هناك علاقة وطيدة بين البناء التحتي والبناء الفوقي، وتتمثل في أن البناء التحتي هو الذي يشكل البناء الفوقي، والذي يعد انعكاسا للبناء التحتي، حيث نجد أن تقسيم العمل ونظام الملكية في المجتمع يحددان البناء الطبقي الذي بدوره يحدد طابع النظم السياسية للمجتمع ومستوياته القانونية، وعند ظهور النظام الرأسمالي في المجتمع كنظام اقتصادي، تغيرت العلاقات الاجتماعية والقانونية وتغير البناء الطبقي، وأصبحت

¹ - المرجع السابق، ص 169.

² - قباري محمد إسماعيل: قضايا علم الاجتماع دراسة نقدية من زاوية علم الاجتماع، ط1، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، الإسكندرية، مصر. 1975 ص 191

العلاقات القائمة بين العمال (البروليتاريا) وأصحاب رؤوس الأموال (الطبقة البرجوازية) بعد أن كانت العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الإقطاعية قائمة بين الفلاحين والاقطاعين.¹ لقد كشفت الماركسية من خلال رؤيتها السوسيولوجية للقيم عن حقيقة هامة مفادها أن القيم الأخلاقية ذات طبيعة دينامية متطورة وطبقية، فهي متطورة وتختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية ومراحل التطور الاقتصادي التي يمر بها المجتمع، فالقيم وليدة النظام الاقتصادي الذي نشأت فيه، كما أنها انعكاس له، ولكل طبقة معاييرها وقيمها الأخلاقية التي تتشكل من خلال وضعها وظروفها الاقتصادية، وأن هناك تأثيرات تبادلية بين المتغيرات الاقتصادية والمتغيرات القيميّة، وفي نفس الوقت تساهم القيم في التأثير على البناء الاقتصادي.²

8-6- القيم قوة الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر (Max. Weber):

عبر ماكس فيبر عن رؤيته السوسيولوجية في تفسير القيم من خلال نظريته عن الفعل الاجتماعي، ودراساته للأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، تلك الدراسة التي حاول من خلالها الكشف عن العلاقة بين القيم والأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية، منطلقا في ذلك من فرضيتين أساسيتين هما: أن الأخلاقيات البروتستانتية الزاهدة تمارس تأثيراتها على روح الحياة الاقتصادية الحديثة، بينما تتمثل الثانية في أن هناك علاقة بين وضع الجماعات في النسق الاقتصادي وأنماط معتقداتها الدينية.³

كما يذهب فيبر إلى أن هناك علاقة تبادلية بين القيم والظواهر الدينية والظواهر الاقتصادية، وتمثل هذه التأثيرات في أن القيم الدينية البروتستانتية تمثل قوة معجلة للتنمية وسندا لها، ودعامة أقيم عليها النظام الرأسمالي الحديث، كما أن بعض القيم التقليدية التي كانت قائمة قبل ظهور الرأسمالية الحديثة وقفت عائقا أمام ظهورها. وحلّ "فيبر" الفعل الأخلاقي من خلال أربعة نماذج مثالية هي: 4

- 1- عقلانية الظروف عن طريق توقعات السلوك لموضوعات البيئة الخارجية، وعن طريق استخدام هذه التوقعات على أنها ظروف أو وسائل لنهايات معقولة.
- 2- عقلانية القيمة عن طريق الاعتقاد الشعوري في القيمة المطلقة نفسها.
- 3- الوجدانية خاصة المشاعر، عن طريق تأثيرات معينة وحالات الإحساس.

¹ - قباري محمد إسماعيل: المرجع السابق، ص 193

² - كمال التابعي: المرجع السابق، ص 172

³ - Weber, (M) The theory of social and economic organisation, ed T. Parsons and trans.by A.M Henderson and T. Parsons (NEW YORK) the free press 1964. P88

⁴ - ibid.p.89

4- التقليدية خلال التعود الناشئ عن طول فترة الممارسة.

وبنفس الأسلوب أقام "فيبر" نموذجاً مثالياً للتقاليد الاجتماعية التي تدرك باعتبارها وسائل لتوجيه الفعل الاجتماعي مثل "الطرائق، العادات، التوجيه العقلي، العرف والقانون، أما بالنسبة للأنظمة التشريعية ميّز بين ثلاثة نماذج مثالية:

1- السلطة العقلية.

2- السلطة التقليدية.

3- السلطة الملهمة.

والنموذج المثالي هو بناء الأفكار التي لها أهمية للمفهوم المثالي البحت والمحدد، والذي عن طريقه يعكس الواقع لتوضيح بعض العناصر الهامة في محتواها التجريبي ومقارنتها بذلك النموذج.

تشكل أعمال "فيبر" (Weber) عن العلاقة بين القيم الدينية والأنساق الاقتصادية مساهمة أخرى لعلم اجتماع القيم، فقد اهتم بالقيم الدينية التي شكّلت ظهور الرأسمالية الحديثة بمعنى أنه اهتم بالقيم باعتبارها عاملاً ديناميكياً في التغيّر التاريخي والثقافي.

8-6- القيم عند بيترين سوريكين (Petrus Sirokin):

يرى سوريكين أن القيم والظواهر الأخلاقية تعد مكوناً من مكونات بناء المجتمع وثقافته، وتصطبغ بصبغة الثقافة السائدة في المجتمع وهي وليدتها، هذا فضلاً عن أن هناك ارتباطاً عضوياً بين القيم والمعرفة، وأن القيم تتطور بتطور ثقافة المجتمع.

ويؤكد في كتابه الديناميكا الاجتماعية والثقافية، على وجود قيم الثقافة الفكرية الدينية حين تسود أنساق المعرفة التي تتعلق بالدين والوعي والإلهام، حيث نشاهد أنماطاً مختلفة لظواهر الدين والسحر، وحيث يكون الإيمان بقوة فوق منطقية استناداً إلى الاعتقاد بالأرواح، والإيمان بكل ما هو تجريبي بالرجوع إلى قوى شخصية سواء كانت معلومة أم مجهولة.¹

8-7- القيم عند ماكس شيللر (max chiller):

لقد تناول ماكس شيللر القيم برؤية موضوعية في التفسير، وكشف عن مجموعة من الخصائص والسمات التي تتسم بها القيم من بينها: موضوعية القيم؛ بمعنى أنها تمثل حقائق خارجية تحيا داخل البناء الاجتماعي والثقافي للمجتمع، وهي نسبية وليست مطلقة، ولكنها تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات، كما تختلف باختلاف الزمن ومراحل تطور المجتمع، أي

¹ - قباري محمد إسماعيل: المرجع السابق، ص 178.

أنها نسبية في الزمان والمكان، كما أن هناك تأثيرات تبادلية بين القيم ومكونات البناء الاجتماعي، وبين قيم الأشياء ووجودها الواقعي وعالم الذات وظروفها الاجتماعية من ناحية أخرى.

كما أن القيم ترتبط بالسياق الاجتماعي والتاريخي الذي تنشأ في إطاره، وأنها لا تتحقق في عالم الواقع إلا من خلال فاعل أخلاقي، يمكن القيم من أن تتجاوز التصورات وتتحول إلى واقع ملموس، أي تتجسد في أنماطنا السلوكية وقوانيننا ومعاييرنا الاجتماعية، وعاداتنا وتقاليدنا واتجاهاتنا، أي يمكنها من ألا تظل حبيسة التصورات وتفصح عن نفسها في كافة مكونات البناء الاجتماعي.¹

8-8- تركيبة القيم عند مالك ابن نبي:

يرى مالك ابن نبي أنه للعالم الثقافي تركيبا ديناميكيا تتوافق مظاهره مع العلاقات المتغيرة التي تقوم بين عناصره الثلاثة وهي الأشياء والأشخاص والأفكار، وركز على ظهور حالة من الاغتراب لدى الفرد تظهر تحديدا في حالة من الشيئية (التشيؤ)، فعالم الثقافة ليس ساكنا بلا حراك، وإنما له حياته وتاريخه الذي نستطيع تفسيره ابتداء من جدلية هيغل؛ والتي فحواها أنه توجد صيرورة للفلسفة تصيرا عالما أي (أحداثا اجتماعية)، وإن هناك صيرورة للعالم تصير فلسفة (أي أفكارا)، أو ابتداء من مبدأ ماركس ومضمونه أن أي تعديل في البناء التحتي للمجتمع يترتب عليه تعديل مماثل في تركيب البناء الفوقي.²

فعلى الصعيد النفسي والأخلاقي عندما يدور عالم الثقافة في فلك الأشياء تحتل هذه الأشياء القمة من سلم القيم، وتتحول الأحكام النوعية خلصة إلى أحكام كمية من غير أن يشك صاحب هذه الأحكام في سقوطه في الشيئية * أي نحو تقييم كل الأمور بمقياس الأشياء. ويعطي مثلا مالك بن نبي عن ذلك الموظف الذي يعاني من الشيئية كيف يجهز مكتبه بأحدث الوسائل المكتبية ويبالغ في ذلك حد الإسراف دون أن يعرف حتى كيفية استعمال تلك الأجهزة.

أما على الصعيد الاجتماعي يكون من بين نتائج نزعة الشيئية النمو القصورى entropique؛ ومعناه استبعاد سلطة المجتمع والتبذير في الموارد والثروات. كما أن بن نبي يرى انه تعرض المشاكل من خلال خصائصها الكمية أما الحلول فتجاهل الخصائص النوعية وتصاغ في عبارات كمية.

¹ - كمال التابعي: المرجع السابق، ص 176

² - مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي، منشورات anep، د ط،

الجزائر، 2005، ص55

وفي المجال الأخلاقي وعندما يتجسد المثل الأعلى في شخص يظهر خطران على المجتمع: أولهما أن جميع أخطاء هذا الشخص تحسب على عاتق المجتمع الذي جسّم فيه مثله الأعلى، وثانيهما أن جميع انحرافاتة يقع وزرها أيضا على المجتمع، ويستدل على هذا في تحذير القرآن الكريم من خطر هذا التجسيم صراحة عندما قال "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" (سورة آل عمران 144).

كما أن مقاومة الفكرة بالوثن أو الصنم طريقة استغلها الاستعمار ومارسها في خدعه للتحايل على المجتمعات الإسلامية، ويتحدث مالك بن نبي عن نوعين من الطغيان: طغيان الأفكار ويعتبره داء يصيب النخبة، وهو ينمو في المجتمع المتحضر في الوقت الذي يبدأ فيه المثقف في فقدان تكيفه مع الحياة الاجتماعية، وطغيان الأشياء الذي يتجسد في المجتمع المحروم الذي يستسلم لسيطرة عالم الأشياء التي حرم منها، والمجتمع المكتظ يتمرد على سيطرتها ولكنهما بهذا الانفعال المزيج يواجهان نفس الداء هو طغيان الشيء الذي تختلف أعراضه.

على ضوء الاتجاهات السوسيولوجية المفسرة للقيم:

إنّ ما قدمته النظريات السوسيولوجية في تفسير وتحليل القيم، بقصد إيضاح أبعادها وكشف ما هو مجهول من زواياها تنطوي على إسهامات أثرت الفكر السوسيولوجي في تفسير القيم من الناحيتين المعرفية والمنهجية، فمن خلال ما تقدم نجد أن القاسم المشترك بين علماء الاجتماع هو رؤيتهم للقيم على أنها محدّد وموجّه من موجّهات السلوك الإنساني، وعنصر من عناصر الفعل الاجتماعي، وهذا أمر يتسق وطبيعة الواقع الإنساني، حيث أن السلوك الإنساني يتحدّد ويوجّه من خلال العديد من المحددات السلوكية التي تمثل القيم إحداها، كما أن السلوك ما هو إلا تجسيد للفكر والتصورات والقيم التي تحدد ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه، كما أن القيم تؤثر في تحديد الأهداف الإنسانية والوسائل المستخدمة في تحقيق هذه الأهداف الإنسانية.

لقد ساهمت التفسيرات السوسيولوجية المفسرة للقيم إسهاما إيجابيا في الكشف عن أهمية تفسير القيم في ضوء السياق الاجتماعي والتاريخي الذي توجد وتشكل في إطاره، حيث أن القيم تمثل نسقا من أنساق البناء الاجتماعي تؤثر في مكوناته وتتأثر بها، وقد يكون هنا التأثير إيجابيا أو سلبيا، فضلا عن أن القيم كظاهرة اجتماعية تتشكل في الحاضر من خلال تاريخ طويل، أي أن الحاضر امتداد للماضي، والماضي والحاضر يساهمان في تشكيل المسار المستقبلي للظاهرة الاجتماعية، ولذا يصبح تفسير القيم باعتبارها ظاهرة اجتماعية في ضوء

السياق التاريخي والاجتماعي أمرا منهجيا لا مناص منه، أي أن تكون رؤيتنا للقيم رؤية بنائية وتاريخية.

كما انه في الوقت الذي تركز فيه بعض النظريات على التوازن والتكامل البنائي، تؤكد نظريات أخرى على صراع القيم وتتناقضها، أي أن الرؤية السوسيولوجية في تفسير القيم تنطوي في ثناياها على جانبي التوازن والصراع، وهذا أمر يتوافق وطبيعة الواقع الاجتماعي، والذي يتميز في صلبه بالتوازن والصراع، وينتج صراع القيم وتضادها عن تضارب المصالح وتعددتها.

كما أن اغلب الاتجاهات السوسيولوجية تقر بأن الإنسان هو حيوان أخلاقي، لا بد أن يعيش في مجتمع منظم، ويتفاعل مع غيره، ويوجه هذا الفاعل من خلال مجموعة منظمة من القواعد والمعايير المنتظمة للسلوك، تلك القواعد التي تتشكل من خلال القيم، كما أن علماء الاجتماع وقفوا ضد الاتجاهات التي دعت عن التخلي عن دراسة القيم دراسة علمية بدعوى أن ذلك يبعد علم الاجتماع عن الموضوعية، حيث أكدوا على ضرورة دراسة القيم والظواهر الأخلاقية دراسة علمية موضوعية باعتبارها حقائق يجب التعامل معها بنفس الطرق التي تعالج بها العلوم الوضعية، وهكذا أضفى علماء الاجتماع على القيم الطابع العلمي، حيث أظهرت الدراسات السوسيولوجية أهمية المقابلة والاستبيان وتحليل المضمون والطرق التاريخية المقارنة والإحصائية.

إذن للقيم أهمية تفرض التعلق بالجماعات والانتماء لها كعنصر رئيسي من عناصر الحياة الأخلاقية، لأن الفرد في المجتمع لا يمكن أن يلتزم بالقواعد والقيم والمعايير التي يؤمن بها إلا إذا كان منتميا إلى المجتمع الذي يعيش فيه ويتأثر بكافة مكوناته الاجتماعية ويؤثر فيها. كما أن للقيم طبيعة نسبية في المكان والزمان الذي تتحدد فيه، وتتميز بالدينامكية والتغير وليست عبارة عن حقائق استاتيكية مطلقة، وما يميزها أكثر أنها تتحد في صورة طبقية في المجتمع وتعكس طبيعة الثقافة والوعي لكل طبقة اجتماعية، وهي عبارة عن تصورات صريحة أو ضمنية يتحدد من خلالها ماهو مرغوب فيه أو مرغوب عنه تتطلب وعيا وإدراكا والمأما من الفرد بحقيقة ما هو مرغوب فيه أو عنه، حتى يكون سلوكه متوافقا مع طبيعة هذه التصورات.

كما أن تحليلات مالك بن نبي عكست اهتمامه بالواقع الثقافي والاجتماعي للمجتمعات الإسلامية، وكيف أصبح التخلف فيها مجرد حالة من الاختلال وعدم التوازن في العالم القيمي الذي يربط عالم الأشياء بعالم الأفكار والأشخاص، وشخص هذا الاختلال بطغيان عالم من هذه العوالم على الأخرى، وكيف تتحول الطبقة المثقفة من أفراد ينتظر منهم تقديم الإضافة إلى

مجتمعاتهم إلى أشخاص حولوا الفكرة إلى وثن أو صنم، في تعبير ضمني عن حالة من الاغتراب تتجسد في الشيئية أو التشيؤ.

9- صراع القيم:

يعتبر مفهوم صراع القيم من المفاهيم الحديثة نسبياً حيث تمت الإشارة إليه في الأبحاث النفسية والاجتماعية أثناء الحديث عن ظاهرة الأنومي (Anomie اللامعيارية) في كتابات كل من إميل دور كايم وتالكوت بارسونز وروبرت ميرتون. وعلى الرغم من الإشارات الضمنية لهذا المفهوم، إلا أن الدراسات السوسيولوجية لم تشر بصراحة إلى مفهوم الصراع القيمي كمفهوم جدير بالاهتمام والدراسة.

فهناك من يعرف الصراع القيمي على أنه يعني "وجود عدم اتساق وانسجام داخل نسق القيم ينتج عن تباينها وتناقضها، ويقصد بتباين القيم، تغاير واختلاف وظيفة كل منها وتعارضها مع وظائف وغايات القيم الأخرى، ويرتبط هذا التباين في جوهره بالجماعات والطبقات والنظم الاجتماعية. أما تضاد القيم فهو وجود اتجاهين متعارضين أو أكثر من اتجاهات في القيم، وقد يكون هذا التعارض بين وسائل كل منهما أو أهدافه كوجود وسيلة تقليدية تستند إلى العرف في مقابل عقلية أخرى متحررة تميل إلى التجديد والموازنة العقلية¹.

إن صراع القيم ظاهرة دائمة سواء بين أنظمة مختلفة أو بين نفس الجماعة، فصراع القيم لا يتوقف وهو يلخص استمرارية إشكالية القيم، إنه يعكس أشكالاً مختلفة بداية من الحياة اليومية (داخل الأسرة مثلاً) أو صراع قيم أكثر تشكلاً وتطوراً (المحاكم مثلاً).

فعلى المستوى الميكرو-سوسيولوجي وكما يبين عالم الاجتماع الأمريكي من أصل كندي غوفمان ومن خلال نظريته حول فن المسرح فانه داخل وضعية وجها لوجه، فإن المتحاورين يتبعون قيماً من خلال إجراءات دقيقة، فالمتحاورون لا يتوقفون عن إظهار توجهاتهم نحو التوافق أو تأكيد ذاتهم من خلال الآخرين. 2

أما على المستوى الماكرو-سوسيولوجي فيمكن أخذ مثال المؤسسة كحقل لتشكّل مواجهات تعكس فعلاً صراع القيم، فالأفراد المنفذون للتعليمات ينطلقون من قيم الاعتراف بحقوقهم وقيم التعويض ومكافأة العمل، وهي قيم في تعارض مع المسيرين الذين ينطلقون من قيم الفعالية وزيادة رأس المال والتحكم في المحيط أو البيئة، وهذا الصراع يظهر من خلال الإضرابات

¹ - ماجد الزبيد: المرجع السابق، ص 100.

² - عبد العالي دبله: المرجع السابق، ص 94.

والتوقف عن العمل، ولكن المفاوضات والتراضي يمكن أن يؤدي إلى تخفيف مؤقت ومراجعة قيم كل طرف.¹

وإذا كان في كثير من حالات صراع القيم يجد لها مخرجا إما بالتوافق والتراضي فانه في حالات لا يتحقق هذا الأمر، وهذا ما يؤدي إلى ما أشار إليه ماكس فيبر بعبارة *La guerre des dieux* ويعني بها الوضعية المعقدة لصراع القيم والتي لا يوجد لها حل أو تفاهم بين الطرفين، مثال ذلك صراع بين أمتين داخل حيز جغرافي واحد أو بين جماعتين ذات هويتين دينيتين مختلفتين حيث لا يوجد أي مكان أو مجال للتسوية.

ثانيا: سوسيولوجيا التغير القيمي في المجتمع الجزائري

1. مفهوم التغير القيمي:

إن مفهوم التغير القيمي من المفاهيم التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد، فقد يُضيق البعض من استخدام المفهوم ليقصر على بعض العادات والتقاليد أو التغييرات المتتالية والسريعة في الطرائق الشعبية، وقد يوسع البعض من استخدام المفهوم ليشتمل على كل التحولات في القيم الثقافية للمجتمع. ومن المعروف أن بعض أجزاء النسق القيمي سرعان ما يلحقها الفتور نتيجة ظروف اجتماعية واقتصادية متجددة، وكلما كانت هذه الظروف تخضع لقانون التغير فإن القيم بدورها لا تسلم من هذا التغير وحتى وإن كانت تتسم بالثبات والديمومة. إن عملية التغير القيمي يمكن أن تكون على شكل تغيرات طفيفة في العادات الموجودة، هذه التغيرات تبدأ محدودة الحجم، لكن مع تراكمها عبر الزمن تأخذ في الاتساع شيئا فشيئا، ثم تبدأ ثمار هذا الاتساع بالظهور من خلال تحول القيمة إلى شكل جديد. والتغير في القيم عملية أساسية تصاحب التغير في بناء المجتمع وتعد انعكاسا له، وتعني تغيرا في تسلسل القيم داخل النسق القيمي، وكذلك تغير مضمون القيمة وتوجهاتها، فنجد أن القيم ترتفع وتخفض وتتبادل المراتب فيما بينها، إلا أنها تختلف في سرعة التغير، فبعضها يتغير ببطء مثل القيم الأخلاقية والروحية، وبعضها يتغير بسرعة كالقيم الاقتصادية (المرتبطة بالمال، الملابس...).

2- القيم بين الثابت والمتغير:

لعل نسق القيم في نظر مدارس علم الاجتماع المعاصر هو أكثر العوامل حسما وتأثيرا في النسق الاجتماعي ككل، بل يعتبر النقطة المرجعية الذي يتم في ضوءه تحليل النسق الاجتماعي من حيث بنيته أو العمليات والتفاعلات التي تتم داخله. وأي تغير يصيب نسق القيم

¹ - المرجع السابق، ص 94.

سوف يتبعه بالضرورة تغير في نمط النسق الاجتماعي، كما أن نسق القيم هو مفتاح التكامل داخل انساق البناء الاجتماعي.

فنسق القيم يعني إجماع أعضاء أي نسق اجتماعي حول أهداف، ومبادئ، والتزامات، واهتمامات معينة مرغوب فيها ومتفق عليها، وهو يمثل روح المجتمع، ويتميز بأنه أكثر العناصر ثباتاً في الأنساق الاجتماعية والثقافية.¹

ولكل ثقافة نسقها القيمي الخاص بها، ويرتبط ارتباطاً عضوياً بإيديولوجية المجتمع وثقافته، فهما من جانب يحددان أنماط السلوك، وهما في الوقت نفسه قد تشكلا من خلال أفعال وتفاعلات الأفراد حاملي هذه القيم وتلك الثقافة، بل يعتبرهما البعض شيئاً واحداً عندما يرون أن هناك نسقين من القيم: نسق القيم الشخصي ونسق القيم الاجتماعي، وهذا الأخير ما يمكن أن نعتبره معادلاً للثقافة أو الأيدولوجيا.²

يرى علي أسعد وطفة أن التغيرات الاجتماعية والثقافية المتسارعة اليوم تجعل الإنسان يعيش صدمة ثقافية قيمية خطيرة، وهي التغيرات التي تضع الشباب في مراجعة قيم جديدة غير مألوفاً يتوجب عليه أن يتمثلها، وذلك يؤدي إلى إحداث خلل في تكيف الشباب أو انهيارهم. "ويضيف قائلاً: "إننا في مواجهة قيم جديدة تتعلق بغزو الفضاء والأقمار الصناعية، وثورة الحاسوب وكل ذلك يعرض الشخصية لموجة متضاربة من القيم تؤدي إلى انهيار الشخصية وإلى انفصام اجتماعي."³

إن التغير الحاصل في النظام الاجتماعي أدى بدوره إلى تغير منظومة القيم لدى الكثير من المجتمعات التي أصابها هذا التغير ولذا نجد في الغالب تصادماً بين النظم الرسمية الوافدة والنظام الاجتماعي الأصلي المبني على القيم والمعايير التراثية التقليدية للمجتمع. إن تفكيك النظام الاجتماعي التقليدي أدى إلى تفكيك القيم والتي تحدد هوية وطبيعة المجتمع كما تحدد طبيعة المكانة الاجتماعية والأدوار والوظائف التي يحظى بها كل فرد، أي أن القيم تتحكم في النظام الاجتماعي بكل تجلياته ونشاطاته السياسية والاقتصادية والثقافية.⁴

¹ - سامي محمد نصار: قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، ط2، الدار المصرية اللبنانية، 2008، ص 183

² - المرجع نفسه، ص 184

³ - علي أسعد وطفة: الثقافة العربية وأزمة القيم في الوطن العربي، مرجع سابق، ص 35-66

⁴ - سعيد جودت: في آفاق المستقبل، نظرة تحليلية للثقافة العربية، منشورات ملتقى الأسرة العربية والمستقبل، القاهرة 1989، ص 105

إن القيم هي وسيلة نحكم من خلالها على ما هو مرغوب أو غير مرغوب فيه لتحقيق غرض معين، ومع إمكانية اختيار المفضل بسبب وجود البدائل. ويختلف وزن وتأثير هذه القيمة من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر ومن وقت لآخر، إذ يتفق معظم علماء الاجتماع على أن القيمة تتسم بالثبات أي أنها تعمل على أن تحافظ على بقائها واستمرارها وذلك لارتباطها بثقافة وشخصية أفراد المجتمع ارتباطا عاطفيا ووجدانيا من جهة، ولأنها تعمل على إشباع حاجاتهم من جهة أخرى.

إلا أن هذا الثبات ليس ثباتا مطلقا بل يعد ثباتا نسبيا، أي أن القيم تتغير، وعلى الرغم مما تملكه القيم من قدرة على مقاومة التغير إلا أننا نلاحظ أنها تتغير داخل نفس المجتمع وأن هذه القيم تتغير في تفصيلاتها وأشكال تواجدها داخل النسق الاجتماعي في فترة زمنية معينة. ويمكن أن نذكر بعض العوامل الاجتماعية المؤثرة في تغير القيم:

2-1- خروج المرأة للعمل: لقد أدى عمل الأم خارج البيت إلى إحداث تغيرات عديدة في محيط الأسرة، فعملها المأجور أكسبها الاستقلالية المادية وحب إثبات الذات، حيث أصبحت تشارك في ميزانية الأسرة واتخاذ القرارات داخلها، وتقول نيفا (nieva): يبدو أن لعمل النساء خارج البيت تأثير على مكانتهن وسلطتهن في اتخاذ القرارات الأسرية... ويزداد احتمال إشراكهن في اتخاذ القرارات الخاصة بشراء السلع المهمة وتربية الأطفال¹.

ويعد خروج المرأة في المجتمع الجزائري للعمل

2-2- تغير مكانة المسنين في المجتمع:

إن التغيرات الأسرية في المجتمع تؤدي إلى تفكك الأسرة ومرد ذلك إلى نمط الأسرة والعلاقات القرابية والوظائف التي تحدد أدوار الأعضاء ومراكزهم، ولعل المجتمعات المتحضرة هي أكثر عرضة للتفكك الاجتماعي لأنها أكثر عرضة للتغيرات المتسارعة، وما يصاحبه من نوع الفشل في قدرة الأفراد سلوكيا واجتماعيا على التوافق معه وعدم التكيف مع التطورات الحديثة التكنولوجية المتغيرة باستمرار.

ونتيجة لعوامل التغير يحدث تغيير جوهري في الأدوار والمكانات ويحدث اختلاف في المسؤوليات، ويحدث تغير في النسق القيمي داخل كثير من الأسر، والأسرة الجزائرية كغيرها من الأسر عرفت العديد من التغيرات الاجتماعية التي أثرت بدورها على مكانة المسنين، فحدثت تلك التغيرات من نوع المعاملة ومكانة المسنين ومدى تأثيرهم في صنع القرار داخل الأسرة.

¹ - المرجع السابق، ص 94

فالمسن إلى وقت قريب كان مركز كل سلطة داخل الأسرة ومرجعيتها ويُعند برأيه مهما كبر حجم الأسرة، فهو رمز العائلة ومرجعيتها وهو المسير المالي لها والكلمة الأولى والأخيرة له؛ هذا في ظل الأسرة الممتدة التي سادت في المجتمع الجزائري، ويعزز المثل الشعبي هذا الاتجاه "إلي راح كبيرو راح تدبيره" بمعنى من فقد كبير الأسرة فقد من يدبر عليه وينصحه، لكن ومع التغيرات المتسارعة على كل المستويات وفي ظل الأسرة النووية، أصبح المسن لا تسمع كلمته ولا نصائحه بل هو عبء على الأسرة، ففي ظل الوضع الجديد فقد مكانته ودوره. بل أضحت الدولة من تتكفل بالمسن واصبحت دار العجزة غير قادرة على التكفل بأعداد المسنين النزلاء فيها نتيجة الطلب عليها. ولسان الحال في المجتمع عندما يرى مثل هذه المظاهر "أخدم يا صغري لكبري"؛ بمعنى انه يتعين على الفرد أن يعد العدة لمرحلة الشيخوخة حتى لا يجد نفسه في دار العجزة.

2-3- الشباب وتغير القيم:

يتعرض العالم المعاصر لتغيرات هائلة في مختلف المجالات أثرت على الشباب واتجاهاتهم وأنماط سلوكهم وقيمهم، وتعرضهم للعديد من المشكلات منها ما يتصل بصحته الجسمية والنفسية أو ما يتصل بعلاقته مع أسرته أو مدرسته أو بيئته الاجتماعية، ومنها ما يتعلق بظروف تحصيله وعمله ووقته الحر.¹

فوجد الشباب المعاصر نفسه أمام تيارات متعددة تؤثر على قيمهم من خلال الثقافات المنقولة إليهم عبر وسائل الإعلام وشبكات الانترنت، وهذا كله زاد من عوامل الاضطراب والقلق والفوضى لديهم مما أدى إلى وقوع الشباب في أزمة ثقافية وقيمية تهدد المجتمعات، فتغيرت المنظومة القيمية وحصل تناقض بين القيم والمجتمع، أي بين ما يجب أن يكون وبين الممارسة الفعلية، كما أدى إلى فقدان الهوية لدى الشباب بسبب البعد عن الثقافة الأصلية والعادات والتقاليد.²

إن إخضاع الشباب لتنشئة متعددة الأهداف والإيديولوجيات ومتناقضة في بعض من جوانبها مع قيم مجتمعاتنا العربية ونمط الحياة فيها، تحيل الشباب أمام وضع مشتبك ومبعثر، وهذا كله زاد من عوامل القلق والاضطراب لديه، ما أدى إلى وقوعهم في أزمة ثقافية وقيمية تهدد المجتمعات وتقوض الجهود المبذولة لتنميتها وتقديمها.³

¹ - محمد علي حافظ: مستقبل الشباب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 237.

² - ماجد الزيود: القيم والشباب في عالم متغير، ط1، دار الشروق، الأردن 2006، ص 40.

³ - محمد علي حافظ: مستقبل الشباب العربي، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 237.

2-4- التحضر ودوره في تغير القيم:

إن التحضر الذي شهدته كثير من المجتمعات سواء الغربية المتطورة أو المجتمعات النامية تمثل أساسا في نمو المدن وتوفير المرافق والخدمات الاجتماعية والحضرية الأساسية من إسكان وتعليم وطرق ومرافق أخرى... كان له الدور الأساسي في تغير القيم لدى هذه المجتمعات.

غير أن التطور في المجتمعات المتحضرة تم بشكل تدريجي وخلال فترة طويلة من الزمن بينما في المجتمعات النامية وخاصة العربية منها، فالتحضر تم فيها بشكل متسارع وغير متوقع، حيث استطاعت المجتمعات الغربية إيجاد حلول لمشكلات التحضر التي واجهت الشباب والتحولات الحضرية التي استهدفت مدنها، بينما عجزت البلدان النامية عن تحقيق ذلك.¹

فعملية التحضر في البلدان الغربية المتطورة هي نتيجة منطقية لسيرورة تاريخية وتراكمات ثقافية في تلك المجتمعات على عكس البلدان النامية، حيث استغرقت عملية التحضر في البلدان الصناعية حوالي 150 سنة حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن.² ومن جراء عمليات التحضر والتصنيع وتقسيم العمل تغيرت الكثير من القيم الاجتماعية والثقافية، وتم التحول بشكل تدريجي من حياة الريف والبداءة إلى المدينة والوسط الحضري في المجتمعات الصناعية وممكن التغير هنا طرأ على القيم الاقتصادية والاتجاه نحو الفردية.

فالتحضر يمثل نقلة حضارية واجتماعية من واقع الريف إلى حياة المدينة، وهو يتسبب في تدهور الحياة لكثير من الأفراد وانتشار الفقر والعنف والإجرام، وتغير الكثير من القيم فكل هذه التحولات الحضارية خلقت ما يعرف بأزمات التحضر من أزمة السكن والعمل وظهور البيوت القصدية والأحياء الفوضوية، وأزمة النقل واكتظاظ المدن... فهي أزمات تعاني منها المدن وتشكل عائقا نحو التحضر، ناهيك عن ترفيف المدن لانتشار الكثير من مظاهر الحياة الريفية فيها ومثال ذلك تربية الأغنام في أوساط حضرية.

وتشير بعض الدراسات أن المجتمع الجزائري عرف تطورات سريعة منها النزوح من الوسط الريفي إلى الوسط الحضري أو التحول من النموذج الاجتماعي الاقتصادي الاستهلاكي المبني أساسا على علاقات القرابة والذي يعتمد على الإنتاج الزراعي والحيواني إلى نمط اجتماعي فردي يقوم على الاقتصاد الصناعي والتجاري.³ كما أن النمو الحضري السريع الذي

¹ - طاهر بوشلوش: مرجع سبق ذكره، ص 82.

² - Abdellatif ben achenhou, l'exode rural en algerie, alger enal, 1979.p04

³ - محمد السويدي: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية - بن عكنون، الجزائر، 1990، ص 86.

تشهده بعض المدن الجزائرية لا يعتبر نموا طبيعيا بقدرما هو نتيجة لتحرك السكان بين المدن نفسها أو من الريف إلى المدينة، ومن ثم نجد أنفسنا أمام ظاهرة للتكدس السكاني في المدن نتيجة للنزوح الكثيف وليس أمام عملية التحضر.¹

وأمام هذا الكم الهائل من السكان المتكدس في المدن خاصة في فترة التسعينات من القرن الماضي أدى إلى خلق المزيد من المشكلات الاجتماعية وإلى عجز هذه المدن عن توفير كافة الخدمات الحضرية.

وعليه يمكن أن نقول أن العلاقة الموجودة بين التحضر والتغيرات الاجتماعية التي شهدها المجتمع الجزائري تبرز من خلال الآثار التي انعكست مباشرة على القيم والعلاقات الاجتماعية وكذا نظام الأسرة وبنيتها وطرق التفكير والسلوك فيها.

2-5- التعليم وتأثيره على القيم:

لقد عرفت المجتمعات العربية نظاما تقليديا من حيث أساليبه ومحتواه ومؤسساته عبر التاريخ، وقد استمر هذا النظام التعليمي التقليدي حتى السبعينات ثم بدأ يتراجع بشكل تدريجي بفعل التطورات التي شهدها العالم ما أدى إلى تغير واضح في منظومة القيم الاجتماعية خاصة تلك المتعلقة بقيمة التعليم وتعليم النساء.

وأيا كان نظامنا التعليمي فإن هناك وظيفة أساسية لا يستطيع أن يتخلى عنها فيما يتعلق بالقيم، وهي توضيح وتفسير قيم المجتمع للتلاميذ والطلاب وهو ما يمثل عنصرا من مناهج التربية الأخلاقية والتربية السياسية والتربية الوطنية أيا كان مسماها.²

كما تؤكد كثير من الدراسات على أن التعليم والعمل يعتبران من أهم العوامل التي تترك آثارا على معتقدات الفرد واتجاهاته، خاصة تعليم المرأة وخروجها إلى العمل مما أتاح لها استخدام قدراتها وإمكانياتها، فبفعل التعليم تغيرت الكثير من القيم لدى الشباب خاصة فيما تعلق بقيم الزواج فأصبح يتم على أساس الاختيار الشخصي والفردية فيما كان الاختيار يتم من طرف العائلة، كما أن السلوك الإنجابي تغير خاصة في أوساط المتعلمين.³

ويتميز النظام التعليمي في الجزائر بكونه نظاما مجانيا ويحث على ديمقراطية التعليم والإزاميته، غير أنه ورغم الإصلاحات العديدة التي عرفها، لا يزال نظاما غير قادر على

¹ - المرجع السابق، ص 88.

² - سامي محمد نصار: مرجع سبق ذكره، ص 195.

³ - لطيفة طبال: التنشئة الاجتماعية وإشكالية القيم في الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية لبعض الأسر من ولايات مختلفة، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي جامعة البليدة، غير منشورة، 2009، ص 227.

مواجهة التطورات الحاصلة، ويلتزم في مناهجه بقيم اجتماعية وسياسية ودينية تعكس إلى حد بعيد وجهة نظر الدولة، ومن ثم فإن الأهداف العامة للسياسات التعليمية تعكس الرؤية الرسمية للدولة لما يجب أن يكون عليه المواطن، وتختلف هذه الرؤية من إيديولوجية إلى أخرى، حيث ظل النظام التعليمي في الجزائر يتراوح مكانه بين التعريب والتعريب حسب كل مرحلة يأتي فيها الإصلاح.

كما أن الوسط التعليمي في الجزائر يعاني من عدة ظواهر مرضية ساعد على انتشارها محدودية الدور الذي فرضه عليه النظام السياسي، وجوانب القصور الذاتية فيه، ومن أهم هذه الظواهر:

أ- انتشار حالة اللامعيارية الناجمة عن افتقاد المجتمع للقيم والمعايير التي تنظم عملية التفاعل الاجتماعي، بمعنى أن القيم والمعايير السائدة على المستويين الفردي والاجتماعي تصبح على درجة من التفكك والضعف، بحيث يسود الاغتراب وعدم اليقين، ومرد هذه الحالة إلى المرحلة الانتقالية التي عرفت الجزائر في التسعينات وآثار العولمة التي صاحبته.

ب- الفصام الثقافي: حيث تفقد الثقافة فعاليتها لحدوث انقسام بداخلها بين مجموعة المثل والقيم الثقافية المعلنة، والتي من المفترض أن تنظم التفاعل الاجتماعي، كالإعلان عن قيم الديمقراطية والعدالة والمساواة، والنزاهة، كقيم عامة دون أن نجد لها أثرا في الواقع الاجتماعي.

ج- إن ما عاناه المجتمع الجزائري من ظهور بعض الثقافات المضادة راجع إلى فشل بعض جوانب الثقافة العامة في توجيه سلوكيات أفراد المجتمع، كما يرجع إلى نقص قدرة المجتمع على إشباع الحاجات الأساسية لقطاع عريض من أفراده، ومن هنا فإن الثقافة المضادة تصبح ذات طبيعة ثورية رافضة للوضع الراهن، ولعل ابرز هذه الثقافات المضادة؛ الثقافة الأصولية لبعض الجماعات الإسلامية المتطرفة، والتي تنقسم فيما بينها إلى عدة منظومات فكرية تشكل ثقافات فرعية داخل المجتمع، لكنها في الوقت نفسه ترفضه وتصل أحيانا إلى تكفيره.

2-6- العولمة وتأثيرها على القيم:

لقد أفرزت التغيرات والتطورات العلمية والفكرية والحياتية في المجتمعات الغربية وانتشار وسائل الاتصال والمعلوماتية عوامل أدت إلى تقريب شعوب العالم ودمج أفراده وربط الثقافات وتداخلها وانفتاحها على بعضها، وانتقال الأفكار والاتجاهات والمعلومات والأذواق وانتشارها بين الثقافات وبأقل قدر من القيود الثقافية¹.

¹ - المرجع السابق، ص 228.

ويمكن النظر إلى العولمة على أنها نسق من الثقافة والقيم والمعايير المهيمنة والتي تسعى إلى فرض أسلوب واحد مهيمن ومقص لبقية القيم والثقافات الأخرى، وهذا يؤدي بنا إلى القول أن العولمة في شكلها الحديث هدفها الأول والأخير تغيير القيم والثقافة والمعايير السائدة، وليس الجانب الاقتصادي كما يروج له، إن الأمر يتعلق بغزو فكري وثقافي وقيمي، وحتى الأمريكيون أنفسهم لا يخفون هذا الجانب، ومع أننا لا يمكن أن نعزل أنفسنا عن العالم بحجة معاداة العولمة فهذا الأسلوب لا يجدي وهو نوع من الهروب إلى الأمام، فالمهم هو أن نكون واعين بتحديات ورهانات العولمة وما هي السياسات التي نرسمها لرفع هذا التحدي، وكما قال أحد الفرنسيين ذات مرة منتقدا الثقافة الأمريكية التي تجسدها ثقافة الكوكا كولا والجينز وماك دونالد "إذا كنا لا نستطيع أن نبدع مثل أمريكا فعلى الأقل يجب أن نقاوم".¹

2-7- وسائل الإعلام والاتصال:

بالرغم ما تملكه وسائل الاتصال من مزايا في زيادة التنقيف وتنوع المعرفة لدى الجمهور فإن مضامين المادة الإعلامية بما تحمله في طياتها من سمات ثقافية قد تهدد تنسق الثقافة التقليدية المحافظة، كما تحدث تغييرات ملموسة على سلوكيات الأفراد وبطريقة غير مباشرة. وفي جانب آخر يعتبر التطور التكنولوجي الذي تمر به المجتمعات البشرية أحد أبرز العوامل التي تساهم في إيجاد مفهوم الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب، وذلك من خلال استخدام الانترنت التي ساهمت بشكل كبير في إيجاد نوع من العزلة الاجتماعية لدى الشباب من خلال ارتفاع معدلات استخدام الانترنت للمحادثة داخل المجتمع الالكتروني الكبير ضمن الشبكة العنكبوتية، هذا الوضع انعكس سلباً على العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، وخصوصاً الشباب بسبب فقدان ما يسمى عمليات التفاعل الاجتماعي بينهم، الأمر الذي ساهم في إيجاد نوع من الفتور والعزلة الاجتماعية التي تتحول مع مرور الزمن إلى ما يسمى الاغتراب الاجتماعي لدى الشباب، وبهذه الحالة يعتبر الاغتراب بمثابة متغير تابع للمتغيرات التكنولوجية التي تعتبر بمثابة المتغير المستقل. فالاغتراب الاجتماعي بكل تجلياته يدخل في علاقة جدلية مع الواقع الاجتماعي أي في علاقة تأثير وتأثر.

وعلى الرغم من أن الوظائف الإعلامية متعددة الأهداف والمقاصد، إلا أن الإعلام العربي والجزائري على وجه الخصوص يغالي في التركيز على البرامج الترفيهية والغنائية والرياضية على حساب البرامج الأخرى كالبرامج الإخبارية والثقافية والعلمية والدينية، وبذلك أصبحت

¹ - عبد العالي دبله: مرجع سبق ذكره، ص 95.

الرسالة الإعلامية في الجزائر قاصرة ومحدودة وموجهة، تعمل على تعميق هشاشة الفكر والتسطيح والتلهية من خلال التركيز المطلق على الترفيه.

إن الإغراق في الترفيه والتلهية بالبرامج السطحية والأفكار المستهلكة والبالية، وعدم مواكبة الأحداث وحرمان المواطن من حقه في المعلومة، بحيث أصبح الفرد في المجتمع الجزائري يبحث عن أخبار بلده ومستجدات الأحداث فيه في القنوات الأجنبية، كل هذا قابلته هجرة جماعية للأفراد في المجتمع الجزائري خاصة فئة الشباب نحو الإعلام الجديد* بمختلف وسائله، بحثا عن خبر شفاف يعكس الواقع كما هو، ويلتمس تعليقا يعبر عن رأيه دون رقيب، فيصبح الشاب من باحث عن خبر يرضي فضوله إلى متفاعل يتقاسم رأيه مع الآخرين، وربما إلى مصدر للخبر نفسه من خلال ما يتيح الإعلام الجديد من مرونة وسهولة في التواصل.

ضمن هذه الظروف والشروط بدأت ملامح التغيير في الإعلام الجزائري تتجلى تدريجيا، وبدأت المنافسة تشتد في مواكبة هذه التحولات دون إحداث تغييرات جذرية في الإعلام الرسمي وما يدور في فلكه، وهكذا ساهمت الصحافة المكتوبة والإذاعات الجهوية والفضائيات الجديدة في بداية إنتاج خط إعلامي جديد، لكنه - خاصة الإعلام الفضائي منه - يشوبه الكثير من السطحية والارتجال وربما لم يتخلص من الذهنية التي سيطرت على الإعلام الرسمي. وعلى الرغم من أنها فتحت المجال واسعا أمام الشباب للتعبير عن تطلعاتهم وطموحاتهم وما يعانونه في الحياة اليومية، فهي عجزت عن استيعاب هذه المطالب وتقديمها إعلاميا بصورة أفضل.

إن الشباب يتجهون إلى الإعلام الجديد بحثا عن فرص التعبير عن أنفسهم، والإفصاح عن اهتماماتهم ورغباتهم بكل حرية دونما قسر أو إرغام، وإذا كانت مطالب الشباب تتمحور حول حقوقهم الأساسية في التعليم والعمل والمشاركة واحترام خياراتهم وآرائهم، فإن من واجب المجتمع الإصغاء لأصواتهم من خلال تشجيع ثقافة الحوار وتعزيز قيم المشاركة والانفتاح للوصول إلى قواسم مشتركة تحقق مصالح وأهداف الجانبين.

وللإعلام دور هام في كل ما ذكرناه، من تفاعل وانفتاح وتغيير ونقد، لأنه يشجع على نشر الأفكار والمعلومات والأمور المستجدة، وهو بالتالي يساعد المجتمع في التعرف على نفسه، هذا من شأنه أن يخلق ما سماه "بيني ديكت اندرسن" "الجماعة المتخيلة" حين عبر عن الأمة

* يستخدم مصطلح الإعلام الجديد للإشارة إلى مستحدثات الإعلام التي ظهرت منذ التسعينات من القرن الماضي، كالفضائيات والإذاعات الرقمية والصحافة الدولية ومواقع التواصل الاجتماعي.

المتخيلة، إذ انه لا يمكن أبدا للأعضاء في اصغر الأمم أن يتعرفوا على بعضهم البعض، ويدركوا كل التفاصيل التي تعنيهم؛ ومع ذلك، فلدى كل منهم صورة مطبوعة عن جماعتهم.¹ فالمهم في هذا السياق أن وسائل الإعلام تقوم بدورها في تفعيل بناء قيم واهتمامات مشتركة وذلك من خلال توفير شروط خلق جماعة متخيلة، تسمح ببناء ثقافة ديمقراطية من شأنها أن تنتج مؤسسات تحافظ عليها.

إن الشباب الجزائري لا يريد من مجتمعه سوى الاعتراف بخصوصية سنه، ويوفر لهم إمكانية التعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم دون تدخل أو وصاية، وان يمنحهم فرصة المشاركة في تقرير ما يخص حياتهم الشخصية، ومستقبلهم التعليمي والمهني وفقا لمؤهلاتهم وميولهم واستعداداتهم الخاصة، إن هذا المطلب يتجسد تماما في استخدامات الشباب للإعلام الجديد، وهو الدرس الذي يجب أن يفهم على النحو الصحيح.

3- العولمة والتغير القيمي:

بداية نشير إلى أن التغير الذي يكون نتيجة للعوامل الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية، يشمل طريقة حياة المجتمع كلها. وعلى الرغم من الارتباط الواضح بين نسق القيم والثقافة العامة التي يوجد فيها، إلا أنه هناك اتجاهها يعمل على **عولمة القيم**، من خلال تأكيد وجود قيم عالمية يمكن أن تكون حجر الزاوية في النظام العالمي الجديد، وما يتطلبه من تقسيمات ونظم فرعية وإقليمية، تيسر إدارته ووضعه تحت الهيمنة السياسية للقوى الكبرى.² وتأتي عولمة القيم بعد أن تمت عولمة الاقتصاد، فمصطلح العولمة استخدم أساسا لوصف بعض الجوانب الأساسية للتحويل الحديث في النشاط الاقتصادي العالمي، ثم انتقل بعد ذلك لوصف بعض الجهود المشتركة في مجالات مكافحة المخدرات وحماية البيئة من التدهور، وغيرها من المجالات والآن يطرح في مجال القيم، والذي يعبر عن نفسه في عدد من القيم التي تختفي وراء رداء حسن الجوار، والاعتماد المتبادل، والعيش المشترك، والتسامح، والتفاهم الدولي، والسلام العالمي وغيرها، وتصاغ العديد من المبررات لدعم هذا الاتجاه.

ويؤكد تقرير لجنة إدارة المجتمع العالمي على قضية عولمة القيم، فيركز على أن الناس يجب أن ينظروا بعيون جديدة، ويفهموا بعقول جديدة، قبل أن يتمكنوا من التحويل إلى طرق جديدة للمعيشة، وذلك هو السبب في ضرورة أن تكون القيم العالمية هي حجر الزاوية في إدارة

¹ -بيني ديكت أندرسون: **الجماعات المتخيلة**، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999، ص 45.

² - سامي محمد نصار: **المرجع السابق**، ص 187

المجتمع الدولي، ويؤكد هذا التقرير أيضا على أن الشباب هم المستهدفون بالدرجة الأولى من وراء هذا الاتجاه؛ لأنه على أكتافهم ستبنى دعائم المستقبل المشترك،¹ ويقترح التقرير أيضا نظاما أخلاقيا عالميا يقوم على ثلاث مراحل هي:

- إعلان وتشجيع الالتزام بالقيم الأساسية المتعلقة بنوعية الحياة والعلاقات وتعزيز الإحساس بالمسؤولية المشتركة إزاء الجوار العالمي.

- التعبير عن هذه القيم من خلال الأسس الأخلاقية لمجتمع مدني عالمي، والقائمة على الحقوق والمسؤوليات المحددة التي تشارك فيها القوى الفاعلة، العامة والخاصة، الجماعية والفردية.

- تجسيد هذه الأخلاقيات في النظام المتطور للمعايير الدولية، وموائمة المعايير القائمة على السيادة وتقرير المصير مع الحقائق المتغيرة حسبما تقتضي الضرورة.

لا شك أن كثيرا من القيم التي ينادي إليها أصحاب هذا الطرح لا خلاف على أهميتها، ونبل مقاصدها وغاياتها كقيم في حد ذاتها من منظور مثالي صرف، ولكن واقعا وعمليا لا يمكن قبول قيمة ما دون وضعها وتفسيرها في سياقها السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وتحديد الطرف المستفيد وصاحب المصلحة من ورائها، فالقيم لا توجد من فراغ، لا بد لها من أرضية تبين حدودها ومعالمها واتجاهاتها. كما انه يتوجب مراعاة خصوصية كل مجتمع ومصادر ثقافته ومرجعياته الأخلاقية والسلوكية، وحتى قدرة الثقافات الفرعية فيه على الاستجابة لتلك القيم.

4- سوسيولوجيا التغير القيمي في المجتمع الجزائري:

في ظل التغيرات العالمية المعاصرة، يلاحظ تراجع العملية الثقافية- الاجتماعية في المجتمعات التقليدية والنامية، تلك العملية التي كانت الأكثر عراقة وتأثيرا في تطور وإدارة هذه المجتمعات، وذلك بسبب الاختراق الكاسح للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية، إن هذا الاختراق الثقافي يعمل على تهديد منظومة القيم الأصيلة وخلختها، ويشكل نوعا من الازدواجية الثقافية التي تجمع فيها تناقضات الأصالة والمعاصرة، مما يؤدي إلى تهميش أو تغيير ملاحم الثقافة الوطنية.

¹ - لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي: حيران في مجتمع واحد، ترجمة مجموعة من المترجمين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001، ص 13.

ولإلقاء نظرة دقيقة على انعكاسات التغيرات العالمية المعاصرة وآثارها على الشباب الجزائري ارتأينا أن نتناول هذا الموضوع من عدة زوايا تعكس صور التغير القيمي في المجتمع الجزائري الحديث من الاستقلال وإلى الآن.

لقد كشفت الماركسية من خلال رؤيتها السوسيولوجية للقيم عن حقيقة هامة مفادها أن القيم الأخلاقية ذات طبيعة دينامية متطورة وطبقية، فهي متطورة وتختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية ومراحل التطور الاقتصادي التي يمر بها المجتمع، فالقيم وليدة النظام الاقتصادي الذي نشأت فيه، كما أنها انعكاس له، ولكل طبقة معاييرها وقيمها الأخلاقية التي تتشكل من خلال وضعها وظروفها الاقتصادية، وإن هناك تأثيرات تبادلية بين المتغيرات الاقتصادية والمتغيرات القمية.¹

وعليه نرى أنه يجب البدء في تحليل النسق القيمي في المجتمع الجزائري، من المرحلة التي استقر عليها البناء الاجتماعي والثقافي والاقتصادي في الجزائر، ويمكن تقسيم أشكال وصور التغير القيمي التي أصابت المجتمع الجزائري بعد الاستقلال إلى الملامح التالية:²

- دور قطاع المحروقات في الاقتصاد الجزائري ومشاركته في الاستثمارات الإنتاجية.
- نمو شرائح إنتاجية وصناعية أجنبية نتيجة للسياسة التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية.
- سيطرة فئة صغيرة نسبتها 8 بالمائة من المساحة الصالحة للزراعة.
- الهجرة المتصاعدة نحو المدن التي نشطت في مرحلة الستينات.
- ظهور فئة مثقفة تعيش معزولة عن السلطة السياسية.

لقد كان لتلك المراحل التي تلت الاستقلال والمعبرة عن واقع مرفوض في المجتمع الجزائري، ما استدعى فعلا تغييرا من طرف البرجوازية التي كانت ترى في نفسها القدرة على تحمل مسؤولية قيادة اقتصاد الدولة، لكنها اصطدمت بمشروع إعادة بناء الجزائر اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، ورفع مستويات معيشة العاملين وخلق اقتصاد وطني.³

حيث شهدت عملية بناء اقتصاد وطني صراعا بين القوى الاجتماعية، حول النهج الذي سيحدد من خلاله طبيعة الاقتصاد والتصورات التي تتوافق مع وتيرة التنمية، وكيفية تحقيق

¹ - كمال التابعي: مرجع سبق ذكره، ص 172

² - للتوسع أكثر، انظر: p.86: boutefnouchet, la famille algérienne :évolution et caractéristiques récentes,

³ - الأزرق: نشوء الطبقات في الجزائر، دراسة في الاستعمار والتغير الاجتماعي-السياسي، ص 141.

اقتصاد اشتراكي، حيث أصبح للدولة كافة الإمكانيات المادية الواسعة التي تستطيع بها بناء صرح دائم للتنمية، غير أن مرحلة التسيير الاشتراكي فشلت صناعيا وزراعيا.¹ وعلى المستوى الاجتماعي كانت الصورة قائمة على الرغم من مجانية التعليم، وضمان الظروف اللازمة لتطبيق مبدأ التعليم كحق لكل مواطن، واجباريته، حيث كانت طاقة الاستيعاب ضعيفة خاصة في المناطق الريفية.

إن الثورة التي عرفها المجتمع الجزائري آنذاك، باعتبار الثورة أعلى صور عدم الاستقرار القيمي فهي تتضمن بالضرورة تغيرات قيمية وهيكلية في البنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، كما أنها تتضمن المشاركة الجماهيرية، واتساع قاعدة المستفيدين من النظام الجديد في كافة قطاعات المجتمع، وتميز نسق القيم في هذه المرحلة بثنائية الترشيح والعقلانية من ناحية والثورية من ناحية أخرى، ففي المجال السياسي روج للقيم السياسية التي تعلي من قيمة الدولة والتضحية من أجلها داخليا وخارجيا، واعتبار أن الدولة هي القيمة العليا.

وفي المجال الاقتصادي تبنت قيم الترشيح والعقلانية والانجاز من أجل التصنيع القوي، ومحاربة الترف والكماليات والمناداة بقيم الاشتراكية والعدالة الاجتماعية، كما كان التركيز والتأكيد على القيم الثورية والراдикаلية عوض القيم التقليدية، بمعنى آخر طوعت الدولة كل انساق القيم لخدمة القيم المركزية الخاصة بالتحديث الثوري أو الحزب الحاكم.

كانت القيم ومنذ الاستقلال وحتى العام 1988 تركز على الوطن قبل المواطن وتعلي من شأن الدولة وتحد من القيم الفردية إذ تركز على الجماعة بدل الفرد، فكان على المواطن التضحية بنفسه من أجل الوطن وتحريره من الاستعمار وفيما بعد التضحية بجهده وعمله من أجل إخراج الوطن من التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وكان الدافع الوحيد لتحفيز هذا المواطن هو إيديولوجية سياسية.

لكن بدأ هذا الدافع يتراجع ويضمحل ويختف مع مرور السنين وظهور التناقضات في النظام الاشتراكي والتي أخلَّت بأهداف المجتمع الجزائري، ذلك أن بعض المسيرين استعملوا شعار الوطن لتحقيق مصالحهم الشخصية في حين زادت الهوة بين مطالب وحاجات فئة عريضة من المجتمع الجزائري، وبين خطط القيادة السياسية لتحقيق التنمية المنشودة خاصة في فترة الثمانينات.

¹ - المرجع السابق، ص 144.

ولعل أهم مرحلة جاءت بعد نهاية القطاع العام ومرحلة التسيير الاشتراكي في الجزائر، نتيجة لرفض مجتمعي للأوضاع المتردية في الجزائر، والتي ترجمت فيما بعد في أحداث 05 أكتوبر 1988 التي شهدتها الجزائر وما صاحبها من إصلاحات خاصة بعد انهيار الايدولوجيا الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفيتي، مرحلة نسميها بالانفتاح السياسي والاقتصادي، والاستغناء تدريجيا عن القطاع العام في مجال التصنيع والزراعة. وفي بداية الثمانينات لجأت الجزائر إلى إعادة هيكلة المنشآت التي تضمنت تفكيك أو تجزيء الشركات الوطنية إلى منشآت اقل حجما وذات تخصص عال وذلك بالفصل بين الإنتاج والتنمية والتسويق.¹

وجاءت استقلالية الشركات الاقتصادية لمواجهة مختلف العراقيل الإدارية التي حالت دون تمكنها من التسيير الفعال ومن بلوغ الأهداف المرسومة، وتم التطبيق الفعلي في سنة 1989 في إطار تطبيق الإصلاحات الاقتصادية، والتي بموجبها انفصلت الشركات عن المركز واتخاذ القرارات وجسدت مبدأ اللامركزية، والتميز بين الدولة كقوة عمومية والدولة صاحبة رأس المال في إطار التوجه الجديد والقاضي بالتخلي عن التسيير الاشتراكي للمؤسسات، ومازالت الجزائر تسعى إلى دخول الاقتصاد الحر وفتح المجال أمام الاستثمارات، بتطويره وتشجيعه، ويفترض في الاقتصاد الحر عدم تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي بشكل يتعارض مع قواعد المنافسة الحرة.²

إن نظام الاقتصاد الحر والذي يستمد مبادئه من النظام الرأسمالي، يركز على ثلاث أركان هي:

- الأخذ بمبدأ الملكية الخاصة وتمكين المالك من الاحتفاظ بها.
 - فسح المجال أمام كل فرد لاستغلال ملكيته وإمكاناته على الوجه الذي يروق له، والسماح له بتنمية ثروته.
 - ضمان حرية الاستهلاك فكل فرد الحرية في الإنفاق من ماله كما يشاء على حاجاته ورغباته، وهو الذي يختار نوع السلع التي يستهلكها.
- إن الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الجزائري لها تأثيرها على الأفراد في تكون المفاهيم وتشكل القيم لديهم، فالنظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي لكل منهما قيمه ومبادئه التي يعلي من شأنها والمتناقضة أحيانا، والتي تؤثر بطريقة مباشرة أو غير

¹ - رشيد واضح: المؤسسة في التشريع الجزائري، دار هومه، الجزائر، 2002، ص 83.

² - ضياء مجيد الموسوي: الخصوصية والتصحيحات الهيكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص 18.

مباشرة على تكوين القيم الفردية والاجتماعية في المجتمع الجزائري، ومن ثم تكوين عادات سلوكية تتفق مع هذا المفهوم والتي يفرضها النظام السياسي والاقتصادي القائم.

لقد انهار نسق القيم الذي كان سائدا في السبعينات والثمانينات، وشهد المجتمع الجزائري تغيرا أساسيا في سلم القيم الاجتماعية فاحتلت القيم الاقتصادية أعلى السلم، وانهار شكل الأسرة التقليدية الممتدة ليستبدل تدريجيا بالأسرة النواة، وهذا ناتج عن طغيان القيم الفردية عوض القيم الجماعية، المرتبطة بمصالح المجتمع العليا.¹

وأمام سياسة اقتصادية تسير نحو الخصخصة والسوق الحرة والتخلي عن القطاع العام وتسريح العمال، وجد الجزائري نفسه أمام مطالب اجتماعية لا يستطيع تحقيقها، في ظل غلاء المعيشة والمعاناة، فليس له إلا أن يمارس نشاطا ما يدر عليه عائدا سريعا، أو الهجرة إلى الخارج والعودة بالمال المطلوب، وهذا ما عرفه المجتمع الجزائري من تنامي لظاهرة الهجرة حتى أصبحت تأخذ أشكالا غير شرعية عبر قوارب الموت، والمؤسف فيها أنها بدأت بضعيفي المستوى وامتدت إلى طلبة جامعيين وحاملي الشهادات، لأن النشاط الإنتاجي محدود لا يلبي الحاجات الملحة والمتجددة لمتطلبات الحياة الاجتماعية، ولهذا ظهرت أنشطة وممارسات مثل السمسرة والمضاربة والاختلاس والرشوة، ومظاهر الفساد الإداري..... الخ.

مما جعل الشباب يفقد قيمة العمل المنتج المفيد اجتماعيا، واستبدالها بقيمة أخرى سلبية وهي قيمة الحصول على المال بأسرع وأسهل طريقة ممكنة بغض النظر عن نوعية هذا العمل أو قيمته الاجتماعية أو حتى مشروعيته.²

وفي هذا المعنى يقول سمير نعيم: "يكتسب الشباب من خلال تعامله اليومي في المجتمع ومن خلال تجاربه ومشاهداته، قيما هدامة تجعل من المال القيمة العظمى في الحياة، بحيث تتوارى وراءه كل القيم الإنسانية، فالشجاعة والشرف والتقدير والاحترام، بل وحتى العلم والمعرفة كلها أشياء يمكن أن تشتري."³

لقد أدت هذه السياسة الاقتصادية إلى تناقض في نسق القيم المتعلقة بالنشاط الاقتصادي عامة والسلوك الإنتاجي خاصة، فلقد اثر هذا التناقض القيمي الذي من ابرز صوره قيم الكسب

¹ - لمزيد من الاطلاع انظر: الفضيل رتيمي: التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية في المؤسسة الصناعية الجزائرية، أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع، إشراف كمال على مزيجي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2004، 2005.

² - محمد احمد بيومي: القيم وموجهات السلوك لاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص 95 .

³ - المرجع نفسه، ص 96.

السريع عوض العمل المنتج، والاستهلاك في مقابل الادخار، والنمطية في مقابل الابتكار والإبداع، واللاعقلانية في مقابل العقلانية، واستباحة الملكية العامة لحساب الملكية الخاصة، وأمثلة هذا كثيرة في المجتمع الجزائري والأسوأ أنها تنتشر حتى بين الطلبة الجامعيين الذين هم نخبة المجتمع.

لقد أفرزت التحولات العالمية تغيرات واسعة في النسيج الاجتماعي، وأضعفت منظومة الضبط الاجتماعي بشكل كبير في المجتمع الجزائري، مما يتيح عدم امتثال الفرد وخضوعه للضوابط المعيارية والقيمية التي حبكها المجتمع عبر الزمن، كما عملت تلك التحولات على إضعاف بعض الأدوار التي كانت تقوم بها الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية، وقيام مؤسسات جديدة للتنشئة تقوم بهذا الدور واستطاعت اجتذاب الأجيال الجديدة لها بما تحتويه من جاذبية وإثارة وتشويق، كالمحطات الفضائية، والانترنت، والأقراص المدمجة.... حيث تبث هذه الوسائل على مدار الساعة ملايين الصور والرموز وما تحويه من توجيهات سلوكية وقيمية.¹

وفي ما يتعلق بأثر التكنولوجيات الحديثة على القيم لدى الشباب الجزائري، نذكر أن معظم هذه التقنيات تعتمد على صور ورموز ودلالات ومعاني تعبر عن الثقافة الغربية، كما تفيض بالعنف وتعلي من شأن القوة والقيم الاستهلاكية، والروح الفردية والتي لا تتفق في أغلبها مع روح الثقافة العربية الإسلامية، ومع المرجعيات الثقافية للمجتمع الجزائري، هذا بالإضافة إلى تأثيرها على جوانب التفاعل الاجتماعي بين الآباء والأبناء داخل الأسرة.²

وفي عصر تداخلت فيه السياسة بالاقتصاد والثقافة، لم تعد معالم المجتمع الجزائري على حالها، كما كانت في السابق، فخلال التسعينيات من القرن الماضي نزعت الجزائر إلى تبني اقتصاد السوق كسياسة اقتصادية، وطبقا لهذه الصياغة الاقتصادية التي يضعها خبراء البنك الدولي، وخبراء صندوق النقد الدولي، من أجل تسهيل منح قروض بشروط ميسرة، وإعادة جدولة الديون فإن هذه السياسة أفرزت ما يلي:³

-ارتفاع مستوى الأسعار(تضخم مرضي طويل المدى) أي غلاء المعيشة مس الأساسيات من غذاء ودواء ولباس وتعليم، رغم وفرة السلع والخدمات بفضل الاستيراد الواسع.

¹ - ماجد الزيود: المرجع السابق ، ص 84.

² - فوزية دياب: مرجع سبق ذكره، ص 76.

³ - قاسم حجاج: التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج، مجلة الباحث، عدد 02، 2003، ص 80.

-زيادة مظاهر الفقر ووتيرة التفقر الواسع، وظهور أمراض قضي عليها منذ أمد بعيد في تاريخ البشرية.

ويمكن أن نشير هنا إلى الأثر الصادم للعولمة بتسارع تدفقاتها عبر الحدود وخلخلتها لمفاهيم تقليدية سادت المجتمع الجزائري لعقود، وصدمة إعادة هيكلة الاقتصاد الوطني وفق وصفة الأفامي.

-فقدان الأمل والثقة في المستقبل وانسداد الآفاق أمام الأجيال الجديدة الشابة، وانتشار مشاعر اليأس والقنوط والتشاؤم والإحباط.

-النزوع إلى تبني الأفكار والمواقف المتطرفة وردود الفعل المتهورة، والتدين المغشوش والمنحرف والخيارات الإيديولوجية الاستقطابية الحادة.¹

-أزمة البطالة خاصة في أفق الخوصصة للشركات العامة، وتسريح آلاف العمال المعيلين لأسرهم، مما يزيد من حدة الفقر والبؤس، ويهدد بانهيار الطبقة المتوسطة.

-العزوف عن الزواج تهربا من تحمل المسؤولية، وما يستتبعه من آفات اجتماعية نتيجة لعدم تفريغ الطاقة الجنسية وفق مصارفها الأخلاقية والشرعية، خاصة في ظل الاستثارة الجنسية سواء في المجتمع أو من خلال التعرض للتدفق الإعلامي للمواد الجنسية.

- العنوسة الإرادية والاضطرارية واللاإرادية والبوار في الوسط النسوي.

-الطلاق وتزايد نسبته من عام لآخر، وآثاره السلبية نفسيا واجتماعيا وتربويا على المطلقات والأبناء.

- انحرافات سلوكية لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل، خاصة في أوساطه الريفية، مثل الجريمة المنظمة، الانتحار، زنا المحارم، التحايل على القانون، الرشوة، الفساد، تبييض أموال المخدرات، شبكات الدعارة، الإدمان على المخدرات وترويجها....

- صعوبة مهمة التربية والتكوين، وما صاحبه من ازدياد في المشاكل التربوية التي يطرحها الوسط المدرسي خاصة بظهور الانحرافات السلوكية والأخلاقية بين المتمدرسين، مما يعقد من مهمة الأسرة التربوية، التي أضحت تمارس التعليم أكثر مما تمارس التربية في تنشئة الأبناء والأجيال.

- تراجع دور الأسرة في التنشئة لصالح الإعلام والتقنيات الحديثة، وتنازل الأبوين عن دورهما التربوي بطريقة غير مباشرة لصالح مؤسسات بديلة، دور الحضانة مثلا.

¹ - المرجع نفسه، ص 82.

- أصبح الصغار يشكلون مرجعية ثقافية للكبار، فيما يتعلق بالتعامل مع التقنيات الحديثة كالحاسوب، والانترنت، والهواتف، والهواتف.
- سيطرة الفردية والروح الأنانية على سلوك الأفراد، حيث تتعاضد مصاريف الأبناء الترفيهية على حساب ميزانية الأسرة.
- تراجع معدلات التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة وميل الأبناء للعزلة، بسبب انشغالهم في متابعة القنوات والهواتف النقالة، اللعب الالكترونية، الانترنت... الخ.
- تراجع سلطة الأب داخل الأسرة في السيطرة على سلوك الأبناء، فيما يتعلق باختيار الأصدقاء، أو الالتزام باللباس المحتشم، أو مراعاة الذوق العام، وتوحيد أذواق الشباب وتنميطها، وخاصة في اللباس والمظهر وقصات الشعر، والأغاني، والمأكّل، ويمكن أن نعطي مثالا حول تنميط الذوق العام في المجال الرياضي مثلا: أصبح الشباب الجزائري منقسمين إلى فئتين؛ فئة تناصر فريق ريال مدريد وفئة تناصر نادي برشلونة، ويصل التشجيع والولاء للفريقين إلى حد الصراع بين أفراد الأسرة الواحدة، أو إلى حد العنف كما تطلعنا عليه الأخبار اليومية، كما أن الشباب المهتم بالرياضة يعرف كل كبيرة وصغيرة عن فريقه المفضل وترتيبه في البطولات الأوروبية وإصابات لاعبيه، والتعاقدات وقيمتها، وكأنهم يسكنون أوروبا لا الجزائر، في حين لا يعرف معظمهم لا شيء الكثير ولا القليل عن البطولة الجزائرية.
- تحول النظرة للمرأة في المجتمع وقيمتها، حيث يظهرها الإعلام كسلعة وكمثير للجنس. خاصة إذا نظرنا لمحتوى الخطاب الإعلامي والاشهاري في القنوات الوطنية.
- إقبال الشباب على المواقع والقنوات التي تبث المواد الجنسية، وتغير المفاهيم المتعلقة بالجنسانية، وأصبحت مفاهيم أكثر حداثة تصورا وسلوكا.
- تزايد حالات الزواج عن طريق الانترنت، ولا سيما بالأجنبيات، من أجل الهجرة، وبناء المستقبل

- الاغتراب عن المجتمع المحلي وقضاياه، والأحداث الجارية فيه.

5- الأزمة القيمية في المجتمع الجزائري:

بداية يجب أن نتكلم عن المجتمع الجزائري في سياقه العربي الإسلامي، بحكم الانتماء التاريخي والإقليمي واللغوي والديني، حيث يتميز المجتمع العربي بشكل عام بسيادة العلاقات القرابية بين أفرادها، التي تمثل اللبنة الأساسية للنظام الاجتماعي والسياسي الحديث والقديم في المجتمع العربي، والتي تعمل على توحيد الأفراد وتزيد من تماسكهم، وترابطهم تحت العائلة الواحدة التي يكونون لها الولاء والطاعة والانتماء.

وتؤدي القيم دورا كبيرا في توجيه سلوك الأفراد وتكوين رؤيتهم نحو الموضوعات والأشياء وتنظيم علاقاتهم، وتسود المجتمع الجزائري العديد من القيم التقليدية والمعاصرة، بحكم أن هناك اتجاهين يؤثران في التركيبة النفسية والاجتماعية لأفراده وخاصة منهم شريحة الشباب، الاتجاه الأول مدفوع بنزعة فردية عمياء، تجعله يخرج عن المجتمع ويناقضه، والثانية جماعية تقف وراءها القيم التقليدية والعائلة والبيئة الجغرافية، تجعله عاجزا عن العيش دون التصاقه بالجماعة والاعتماد عليها، وتعيش هاتان النزعتان في واقع واحد من العادات والقيم والتقاليد الموروثة، وقد أدت التغيرات المتسارعة التي عرفها المجتمع الجزائري إلى تأثيرات كبيرة على سلوكيات الشباب الجزائري، فمنهم من يعيش الماضي بما فيه، ومنهم من يتنكر له ويحاول اللحاق بكل جديد، ومنهم من يحاول التوفيق بين الاتجاهين.

وعليه فإن المجتمع الجزائري لا يختلف عن غيره من المجتمعات العربية الأخرى التي تعيش حالة من القيم الفردية والإرادة الإنسانية الحرة، وبين قيم الإبداع والإبداع، وبين قيم الشكل والمضمون، وقيم الانفتاح والانغلاق، وبين القيم الفردية والجماعية، وقيم الطاعة والتمرد.

إن قيم المجتمع الذي ينتمي إليه الأفراد، وعاداته وتقاليده، ومعايير، وقوانينه تنعكس بشكل أو بآخر على مواقفه وتعاملاته داخل المؤسسة التي ينتمي إليها اجتماعيا أو مهنيا، فالطالب الجامعي عند انخراطه في الجامعة لا ينغزل عن مجتمعه، ولا يستطيع أن يقفز عن الأنماط السلوكية للآخرين ومعاييرهم، كما تعد الجامعة مجتمعا صغيرا للمجتمع الوطني الكبير، الذي يمتلك نظامه القيمي والأخلاقي ويؤثر بشكل مباشر على الأفراد، فالطلبة جاؤوا من المجتمع بكل محاسنه ومساوئه، كما أن الوقت الذي يمضونه داخل الجامعة يشكل وقتا مهما في حياتهم باعتبار المرحلة العمرية التي يمرون بها، وطبيعة استدماجهم للقيم وتمييزهم لها في هذه المرحلة، وإن ما تم تشكيله داخل المجتمع من شخصية اجتماعية للفرد لا يمكن تعديله وتغيير اتجاهاته وقيمه داخل الجامعة بشكل يسير، لأن ذلك يتطلب وقتا ومبررات للفرد.

ويقول علي حرب في وصفه للضرورة القيمية "إننا نعيش خصوصيتنا حتى البداوة... وننغمس في عالميتنا حتى الثمالة، إننا نستخدم أحدث الأدوات ولكننا نرفض أحدث الأفكار والمناهج، نتشبث بالأصول حتى العظم على صعيد الخطاب والكلام، ولكننا نخرج عليها ونطعننا بالفعل والممارسة، إننا نستخدم أحدث الأسلحة لقتل بعضنا البعض ولكننا نرفض ثمرات العقل الإنساني، ونعتبر أن العلمانية والديمقراطية والليبرالية، أفكار مستوردة.."¹

¹ - علي حرب: غزو ثقافي أم فتوحات فكرية، مجلة الفكر العربي، العدد 74، 1993، ص 74.

وعليه فإن الأزمة القيمية المشار إليها تتمثل في الصراع بين الأجيال تارة، والصراع داخل الجيل الواحد تارة أخرى، وربما حتى بالنسبة للفرد نفسه، إن ما عرفه المجتمع الجزائري من تطورات متسارعة جعلت الشباب يكتسب قيما جديدة غير مألوفة أدت إلى إحداث خلل في تكيف الشباب وانهيارهم، وهذا ما أدى إلى تحولات شبه كلية في منظومة القيم التي تمثل خصوصية المجتمع الجزائري، ولذا في الغالب نجد تصادما بين النظم الرسمية الوافدة والنظام الاجتماعي الأصلي المبني على القيم والمعايير التقليدية للمجتمع.

إن تفكك النظام التقليدي الجزائري واختفاء الأسرة الممتدة والاتجاه نحو الأسرة النووية، أدى إلى تفكك القيم التي تحدد طبيعة وهوية المجتمع الجزائري، حيث ارتبطت قيم المجتمع الجزائري بالسلطة الأبوية المطلقة واحترام الكبير، وقيم التضامن والتآزر بين أفراد المجتمع وظهور التوزيع كقيمة تجسد ذلك، ومكانة العلم بين الأفراد واحترامهم للمعلم والإمام وطالب العلم، واحترام الوالدين وغيرها.... كذلك سادت قيم في المجتمع الجزائري كانت من المقدسات لديهم كالشرف والحياء والرجولة واحترام الجار، والتواضع بما يقرره أعيان المنطقة، والتمسك بالأرض وحبها وزراعتها، وحتى الاختيار للزواج يتم وفق العلاقات القرابية وقرار الوالدين، وهي قيم انهارت وكادت أن تختفي في المجتمع الجزائري.¹

وهذا كله بفعل التغير في النسق الاجتماعي والانتشار الكثيف للمعلومات وشبكات الاتصال، حيث تحول العالم إلى قرية صغيرة، نتج عنه تحول في القيم من تقليدية يحملها الآباء ويحاولون الحفاظ عليها إلى عصرية يتبناها الأبناء ويسعون إلى نشرها، وبالتالي صراع الأجيال وصراع القيم بين جيلين، مما خلف هوة بين التقدم العلمي من جهة والتطور القيمي من جهة أخرى، كما تحدث فجوة بين الأنساق القيمية والسلوكية للكبار وتلك التي يأخذ بها جيل الشباب.

ونتيجة لهذه التناقضات وهذا الصراع القائم بينه جيلين، والتطور العلمي السريع وما يقابله من تطور قيمي متباطئ ولا يتوافق في الكثير مع الأحيان مع ثقافة المجتمع بل وترفضه ولا تتبناه، اكتسب الشباب قيما من الإحباط وعدم الثقة في النفس وبالمجتمع ونظمه، ويعيش أغلبهم حالات من الاغتراب النفسي والاجتماعي، نتيجة عدم التجانس في منظومة القيم لديهم.

إن المجتمعات المنغلقة على نفسها التي لا تقبل التغيير، وترفض كل ما هو جديد والتي يعبر عنها وليم أوجبرن بالمجتمعات الساكنة، إذ نجد هذا النوع من المجتمعات في الأرياف والقرى أين تكون العلاقات أولية وبسيطة، ويعرف الأفراد بعضهم بعض، فهي لا تقبل التجارب

¹ - لطيفة طبال: المرجع السابق، ص 87.

الجديدة، ويسود فيها الاعتقاد بالقضاء والقدر، والحتمية التي لا يمكن تجنبها، وتعطي للماضي مكانة اعتبارية كبيرة، حيث يحتكمون فيما بينهم إلى كبار السن ووجهاء المجتمع لفك النزاعات الأسرية وحل مشاكلهم، ويتناقلون هذه العادات من جيل إلى جيل، فسلطة الماضي المشترك للقرية والتراث الثقافي الموروث هما اللذان يوجهان سلوك الفرد ويحددان قيمته الاجتماعية، وفقا لمنظومة قانونية خاصة بالسلوك الاجتماعي تمثل القوى الأخلاقية، يتميز الأفراد في تصرفاتهم وسلوكياتهم بالانتران وفقا لها.¹ ونشير هنا إلى أن عنصر الشباب الذي بدوره يتقبل هذه المعايير والقيم لكنه بمجرد الخروج من هذه المجتمعات يتحول إلى النقيض خاصة الشباب الجامعي.

أما في المجتمعات المفتوحة والتي تسير حركة التغير الحضاري والثقافي، تسعى دائما إلى جلب عناصر ثقافية جديدة وتجريبها وتحديث مؤسساتها الاجتماعية، حيث تعتقد هذه المجتمعات بفكرة التقدم والتطور المتسارع في مختلف مجالات الحياة من لباس ووسائل الاتصال والنقل وتبادل المعلومات، كما تتميز هذه المجتمعات بوجود طبقات اجتماعية تختلف في خصائصها ومكانتها من مجتمع لآخر، يتحكم الشباب فيها بفضل تحكمهم في تقنيات الاتصال، لا وجود للاعتبارات المعنوية والأخلاقية بقدر ما هناك اعتبارات عقلانية أو براغماتية تحدد السلوك أو قيمته، وتعرف الحريات الشخصية والنزعة الفردية فهي لا تقمع الطبعية البشرية بل تحفزها، كما أن الدين اقل تأثيرا وربما يساعد على التغير في المجتمع، وتمتاز مؤسسات الدولة بتسيير كافة نواحي الحياة الاجتماعية.

غير أن هناك مجتمعات تمتاز في عمومها بالسكون والجمود والانغلاق، لكن في أنساقها الصغرى تتغير، وتعرف العصرية والعولمة طريقها إليها، نتيجة تبني جيل الشباب للأفكار المستجدة، وهنا يتكون الصراع بين جيلين، وربما تمتد خلفية الصراع بين الجيل الواحد خاصة إذا كان ممن يحمل أفكار طائفية أو دينية، وهو حال بعض المجتمعات. ففي الجزائر نلاحظ أن بعض المدن الكبرى قد ترقّفت في بعض مظاهرها وجوانبها ولا يمكن أن نفسر هذا إلا من خلال الاغتراب الاجتماعي لأفرادها والصراع الناجم عن تغير القيم، وعدم اندماجهم في حياة المدينة وما يفرضه التحضر عليهم، وبالمقابل أن هناك أرياف وقرى تمدّنت، وأصبح الأفراد فيها يغيرون عاداتهم ولباسهم، ويمارسون نشاطات مختلفة عن تلك التي كانت سائدة، حيث هجرت الأراضي الفلاحية ولم يعد هناك اهتمام بتربية المواشي والدواجن، وأصبح أفرادها أكثر

¹ - الفضيل رتيمي، المرجع سابق، ص 221.

انفتاحا، واقع جعل سكان الأرياف يتنقلون يوميا بين المدينة والريف، ولم يعد الريف سوى المسكن بالنسبة لهم.

وتعتبر الأسرة ميدان تفاعلات مستمرة وشديدة بين مختلف أعضائها فتماسك العائلة يتحقق بواسطة إدراج الطفل في المجتمع من خلال اعتماده على العائلة وربطه بها ودعمه إياها. والملاحظ في الأسرة الجزائرية في عمومها أنها لا تتيح للطفل القدر الكافي من الاستقلالية والاعتماد على النفس بل هي حاضرة في كل صغيرة وكبيرة في حياته فمثلا إذا ما حاول الطفل فتح الباب أو زحزحة الكرسي أو تسلق الدرج فإنه يجد من يقوم بهذا العمل بدلا عنه، ومنه فإنه يتعلم بسرعة العزوف عن النشاط المستقل، منتظرا من الآخرين أن يقوموا بالأعمال التي يتوجب عليه القيام بها، ومن نتائج ذلك أن الإفراط في الاتكال يؤدي بمعظم الأطفال إلى الشعور بالعجز¹، وهذا ما هو موجود في مؤسساتنا الجامعية حيث أن هناك طلابا يعتمدون على غيرهم في انجاز البحوث وكتابة المحاضرات، وغيرها من النشاطات الجامعية، مما يؤكد على قيمة الاتكالية والعجز والهروب من المسؤولية، وقد تعلمها الطفل في المراحل السابقة سواء في الأسرة أو حتى في المدرسة عن طريق مناهج التعليم.

ومن وظيفة أي نظام قيمي أن يوحد فئات المجتمع الواحد، وأن يقضي أو يقلل من حالات الصراع القيمي، فيتفكك المجتمع بدل أن يتوحد، مما يفضي إلى أزمة قيمية ميزتها الازدواجية، تحدث انقسامات في المجتمع الواحد، وينتهي الجابري إلى نتيجة مفادها أن تعدد مصادر الثقافة العربية، وتنافسها واحتكاكها وهيمنة بعضها على البعض الآخر قاد إلى حال من التنافس وصراع القيم، لا يكاد يهدأ حتى يستيقظ في المجتمع العربي والذي كان مجتمعا قلقا طوال تاريخه على مستوى القيم.2

وحتى المجتمع الجزائري يجد نفسه إزاء مورثات ثقافية متعددة تؤلف أنظمة قيمية قد يطغى فيها نظام على آخر، تبعا لتنشئة الفرد الشخصية، والجماعية، وانتمائه الاجتماعي، وحتى عمليات التثاقف التي حدثت بدورها تغذي مثل هذا الصراع القيمي يسميه الجابري بأزمات قيم تعددت عبر التاريخ، إن مثل هذا الصراع لا يساعدنا على خلق ثقافة أو قيم مشتركة بين أفراد المجتمع، فتسود الفوضى القيمية، ويصبح كل فرد يعيش حسب ما تمليه عليه مكوناته الثقافية

¹ - المرجع السابق، ص 88.

² - محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001، ص 23.

والاجتماعية، وتغلب عليه النزعة الفردانية، إذ لا يأبه بمن يتقبل القيم أو يرفضها، ونصبح إزاء حالة من الاغتراب والانفصام القيمي.

إن انخراط المجتمع الجزائري في عملية التحديث، تجعل منه مجتمعا انتقاليا يجتاز فترة التحول من المجتمع التقليدي والثقافة التقليدية إلى المجتمع الحديث والثقافة الحديثة، وتطغى في هذه المرحلة صفة "الثنائية" أو "الازدواجية"، على عناصر ثقافته الاجتماعية، جراء تصادم منظومة القيم التقليدية، التي تركز على قيم الشرف والطاعة والجماعية.... الخ، ومنظومة الثقافة الحديثة، التي تتبنى قيم الفردانية وقيم الاستهلاك، ومعايير الشيئية الأدائية.

فبخصوص مظاهر الازدواجية الثقافية، فإنها تظهر في الطبيعة المختلفة وعدم التكامل الثقافي وكثرة البدائل الثقافية، كما أنها تبقى شكلية وسطحية حيث يهتم الأفراد بالمظاهر السطحية دون التفكير في المحتوى، كالحرص على جمال الهندام دون اهتمام بتهديب النفس.

كما أن الأنظمة والمؤسسات الحديثة، لا تستطيع أن تقوم بوظائفها بشكل كامل، نظرا لتداخل بعض عناصر الثقافة التقليدية، وقيامها بدور معيق بالنسبة لهذه الأنظمة والمؤسسات مثل تدخل النسق القرابي في توزيع الوظائف والمناصب. ويلعب الاختلاف في تقبل التحديث والقيم التي يحملها، جراء التباين في الانتماء الجغرافي، والتمايز بين الفئات الاجتماعية وانتماءاتهم الطبقية، وجراء عدم التوازن بين التطور الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، دورا هاما في تغذية الازدواجية القيمية ونماذج السلوك التي تنتشر حالة من الفوضى والذعر الأخلاقي.

كما أن هناك ازدواجية في الهيكل السياسي الجزائري من شأنها أن تعزز ازدواجية القيم في المجتمع، إذ يتعايش النظام السياسي الديمقراطي والإداري الحديث، مع الأشكال والممارسات السياسية والإدارية التقليدية، وكذلك بالنسبة للنظام الاقتصادي حيث يتعايش نمط الإنتاج الزراعي التقليدي مع نمط الإنتاج الحديث، الذي يعتمد على استخدام الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة في الإنتاج الزراعي والصناعي وتقديم الخدمات.

وعلى المستوى الاجتماعي هناك ازدواجية في هيكل الأطر الاجتماعية، إذ تتعايش الأطر الاجتماعية، والبنى النفسية التقليدية، مع النظم الاجتماعية والقيم الحديثة، كاستمرار الأسرة الممتدة والموسعة في التواجد رغم اتجاه المجتمع نحو الأسرة النووية. وحتى تربويا نجد هذه الازدواجية قائمة في المجتمع الجزائري فرغم الإصلاحات وتغيير المناهج وتحديثها وتبني فلسفة تربوية مغايرة تماما للنظام السابق، إلا أن المعلم مازال لم يغير في طرقه ولا في نظريته للمتعلم، بل ويشيد بالماضي وما كانت عليه المدرسة الجزائرية تبريرا لرفضه التحديث.

خلاصة:

تناولنا في هذا الفصل القيم كمفهوم ارتبط في بداياته بالفلسفة وما يجب أن يكون عليه المجتمع، لكن ومع ظهور الثورة الصناعية أخذ الاهتمام بالقيم والمناقشات الفكرية حوله طابعا اقتصاديا ودلالات مادية تجلت أكثر في أطروحات كارل ماركس وحتى في الدراسات الليبرالية التي اهتمت بموضوع القيم.

لكن سرعان ما أفقدت الثورات السياسية والاقتصادية في أوروبا البعد المادي للقيم، حيث أفرزت هذه الثورات قيما اجتماعية ودينية وسياسية جديدة، وعليه فعالم القيم يلزم الحياة البشرية وتطورها، وهي انعكاس للتغيرات التي تحدث في المجتمع.

كما تناولنا التغير القيمي وصوره في المجتمع الجزائري والتي تتغير من فترة تاريخية لأخرى تبعا للتغيرات السياسية والاقتصادية، فشكل الأسرة والأدوار الاجتماعية فيها والقيم التي تنادي بها هي الأخرى تعرف تغيرات تبعا لذلك.

إلا أنه ومع العولمة وما نعيشه من ثورات تكنولوجية ورقمية أصبحت الكثير من القيم مهددة، والتحدي يرفع على أكثر من صعيد من أجل الحفاظ على الهوية، فالمجتمع الجزائري يمر بمرحلة انتقالية؛ فلا هو بالتقليدي ولا هو بالحدائي، بل يعيش مزاجا بين التقليدي والحديث، وهو ما إنجر عنه ازدواجية قيمية في الكثير من مجالات الحياة وعلى مستوى أنساقه.

الفصل الثالث: الاتجاهات النظرية في تفسير الاغتراب

1. الاغتراب في الفكر الفلسفي
 2. الاغتراب في الفكر الاجتماعي
 3. الاغتراب في الفكر الوجودي
 4. الاغتراب في التحليل النفسي
 5. أنواع الاغتراب
 6. مظاهر الاغتراب
 7. أشكال الاغتراب لدى الشباب
 8. مصادر الاغتراب في الثقافة العربية
- خلاصة

تمهيد

عكف المفكرون على دراسة ماهية الإنسان عبر العصور، وفيما يكمن تحقيق قواه الجوهرية الأساسية، وما هي ظروف الوجود التي تساعد على هذا التحقيق، وفي مناقشة هذه المسائل حاول الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس تسليط الضوء على الجوانب الاجتماعية والثقافية والنفسية لوجود الإنسان.

غير أن النزعة النقدية اتجهت الحضارة المعاصرة كانت مميزة لعدد من الفلاسفة والمفكرين عبر العصور، وما يميزها مناقشة ظاهرة الاغتراب على عدة مستويات، تتباين من حيث الطرح والأطر النظرية حيث جسدت بحق معاناة الإنسان في تحقيق ذاته والتمتع بأكبر قدر من الحرية، وفي هذه الفصل نحاول أن نسلط الضوء على أهم الأعمال والإسهامات التي تناولت موضوع الاغتراب.

حيث يشكل مفهوم الاغتراب جزءاً جوهرياً من منظومات فلسفية ومذاهب اجتماعية بالغة التنوع، مما جعل المفهوم يكتسب أهمية كبيرة في النظريات الاجتماعية الحديثة التي تعالج المجتمع الحديث وأزمات الإنسان المعاصر فيه.

ورغم أن تاريخ مفهوم الاغتراب يرجع في بداياته الأولى إلى اللاهوت، فإن استخداماته تشعبت وتنوعت إلى حد أن هذا المفهوم بات يستخدم في تفسير اشد الظواهر تبايناً.

وابتداء من هوبز، روسو، نيتشة، شيللر، يتواصل هذا المفهوم بمحتوى جديد في أعمال هيغل، فيورباخ، ماركس، ويستمر إلى فرويد، فروم، ماركيز، سارتر، وهو يعد أحد أهم قضايا ما بعد الحداثة.

1. الاغتراب في الفكر الفلسفي:

تعد كتابات ماركس وهيجل، هي العامل الأساسي في توجيه النظر إلى قضية الاغتراب، إلا أن المفهوم أقدم منهما، حيث يعد أكثر اتساعاً وانتشاراً من اعتبار ظاهرة الاغتراب تقتصر على العصر الحديث بحيث يمكن اعتباره من نسيج الوجود الإنساني الذي يتواجد في الحياة الاجتماعية وفي كل الثقافات.

ويمكن أن نعزو جذور الاغتراب ونجد له تواجداً في الكتب السماوية، إذ تبرز فكرة الاغتراب في سفر التكوين في المأساة الإنسانية المتعلقة بالدراما الإنسانية المتعلقة بسقوط الإنسان وانفصاله في قصة الخطيئة الأصلية والخروج من الجنة.¹ حيث نجد أن رسالات الأنبياء من العهد القديم وحتى مجيء النبي محمد "ص" كلها كانت تدعو إلى ترك عبادة الأصنام وعبادة الله الواحد الأحد، بمعنى أن الإنسان الذي يعبد صنما قد صنعه بذاته، فهو يحول ذاته إلى شيء وينقل إلى الأشياء التي خلقها خصائص حياته؛ أنه بدلاً من أن يمارس حياته كفرد، فإنه يكون في حالة تواصل مع ذاته، عن طريق صنم يصنعه ثم يعبده، بهذا يصبح الإنسان غريباً عن قوى حياته، وعن إمكانياته وقدراته الهائلة، وجوهر ما دعا إلى نبذه الأنبياء هو "الصنمية" L'idolâtrie.

ويشكل القرن الثامن عشر قمة تطور الفكر البرجوازي، إلا أن العناصر الرئيسية للمفهوم البرجوازي للعالم قد ظهرت في أوروبا، ولعبت نظرية الحق الطبيعي دوراً كبيراً في تكوين الفكر السياسي في عصر النهضة، فهي تستند إلى تطور الطبيعة البشرية، ومن وجهة نظر الحق الطبيعي فالعلاقات القائمة مرفوضة كعلاقات غير طبيعية وغير عقلانية، ويقام بدلاً عنها النظام كنظام ناجم منطقياً من الطبيعة كشيء عقلائي، فالنظام الذي تسير فيه القوانين الطبيعية يتوافق مع المراحل الأولى في تاريخ البشرية، عندما كان الإنسان لا يزال قريباً من الطبيعة حراً من الأهواء وال ميولات التي تعد غريبة عن كائنه الطبيعي، حيث ظهر في القرن الثامن عشر ما يسمى بالمتوحش الطيب الذي يحيا وفقاً لقوانين الطبيعة.

¹ - فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 6.

1.1- الاغتراب عند هوبز Hobbes:

عالج هوبز هذه الإشكالية مميزاً بين حالتين من البشر: حالة طبيعية وحالة مدنية، تتميز الحالة الطبيعية بحرب الجميع ضد الجميع، غير أن الحقوق متساوية ولا حاكم غير القوة، وبالتالي فالحق هو القوة،¹ ويعطي هوبز الأولوية إلى الحق الطبيعي، فالحالة الطبيعية ليست سوى حرب الجميع ضد الجميع، حيث أن هذه الحرب الشاملة تنطوي على دمار متواصل، وهو يتناقض مع نزعة الحفاظ على البقاء ومن ثم لا مفر من طلب السلم، وتقديم تنازل "تخلي" من كل فرد عن حقه العام، في تملك كل شيء وقيام حكومة مطلقة تحفظ التوازن، هذا التخلي يميز انتقال البشر من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية.²

إن التخلي أو التنازل أو الانفصال عن الحق الفردي، وتحويله إلى وجود اجتماعي، خارجي بالنسبة للأفراد هو اغتراب من حيث المحتوى، ويبرز جلياً ارتباط مفهوم التخلي والتنازل بالاغتراب في نظرية الحق الطبيعي التي صاغها "غروتّيوس" والذي شدد على التماثل الجوهرى بين التنازل عن الأشياء ونقل ملكيتها إلى آخر والتنازل عن السيادة ونقلها إلى آخر.

2.1- الاغتراب عند جون لوك (J. loock):

وضع لوك نظريته في الدولة والسلطة والقانون، حيث تعتبر من أهم نظريات القرن السابع عشر في الحق الطبيعي، ولا يختلف لوك عن هوبز في الانتقال من المجتمع الطبيعي إلى المجتمع المدني إلا في تفسيره للتنازل أو التخلي على النقل لآخر بمثابة وسيط لحل تناقضات الحالة الطبيعية (حرب الجميع)، كما يعتبر الترك أو التخلي عبارة عن تضحية اختيارية بحق السلوك والحرية الكاملة في القيام به من أجل وجود المجتمع السياسي.

3.1- الاغتراب عند جون جاك روسو (J. Jac Rosso):

يقول روسو في العقد الاجتماعي: "لقد ولد الإنسان حراً، وهو مكبل بالحديد في كل مكان"³، ويقصد بذلك أن الطبيعة البشرية حرة، والنظام الاجتماعي هو المقيد لها لأنه وليد البشر، فكيف تحافظ الحرية المنبثقة عن طبيعة الإنسان على نفسها في المجتمع؟ ويرى روسو أن مفهوم العقد الاجتماعي سواء بحضوره أو غيابه، لا يشكل من حيث الجوهر إلا اغتراباً للحرية الطبيعية، ففي حالة غياب العقد الاجتماعي هناك اغتراب قسري،

¹ - مجموعة من المؤلفين: موجز تاريخ الفلسفة، ج3، ترجمة: توفيق سلوم، دار الجماهير العربية، دمشق، 1976، ص 255.

² - المرجع نفسه، ص 256.

³ - فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص32.

وفي حالة حضوره ثمة اغتراب طوعي، رغم وجود الضرورة في الحالتين، الأولى ضرورة الرضوخ للتعسف الخارجي والثانية ضرورة الحفاظ على المجتمع.

والاغتراب الطوعي ينطوي على استعادة الحرية الطبيعية في شكل جديد هو الحرية المدنية، والمساواة الضائعة تستعاد في شكل مساواة أمام القانون، ذلك أن الخضوع للقانون المرسوم هو حرية.¹ والاغتراب القسري ينم عن الاستبداد والعبودية، ويرى روسو أن اغتراب الإنسان عن حريته لا تعادله أي بضاعة دنيوية.

4.1. - الاغتراب عند شيللر (Schiller):

يتحدث شيللر عن الإنسان الحديث الذي يعاني الغربة والانفصال في ظل ظروف لا إنسانية، تلك الظروف التي تفاقمت في ظل الثورة الصناعية، وأصبحت تمثل تهديدا كبيرا للأحوال الإنسانية في أوروبا، ويرى أن الإنسان الحديث هو إنسان ممزق، انفصلت لديه المتعة عن العمل، والوسيلة عن الغاية، والجهد عن العائد، ففي ظل التخصص شديد التعقيد أصبح هذا الإنسان لا يرتبط في أداء عمله إلا بجزء صغير من الكل الذي يعمل من خلاله، مما جعله يتحول إلى مجرد "شذرة" إنسان لا قيمة لها وسط الضجيج والأصوات التي تصدر من الآلة التي يديرها.²

لذا فقد هذا الإنسان روح التناغم والانسجام في حياته، وبدلاً من أن يعبر في عمله عن طبيعته كإنسان أصبح مجرد صورة مشوهة للعمل الروتيني الذي يؤديه، وهو بهذا المفهوم يعاني من الانفصال ما بين غرائزه الطبيعية وملكاته العقلية، هذا الانفصال ينعكس داخل المجتمع في شكل فوضى أخلاقية تكون الحضارة مصدرها، إذ أن الحضارة لا تكون إلا من خلال الاستخدام القمعي "التنازل" للطاقة الغريزية. ويرى شيللر أن القرن الثامن عشر هو عصر الاغتراب والتمزق وتدهور الفنون والعلوم وأن العصر الذهبي للإنسانية هو العصر اليوناني والذي تحققت فيه الوحدة والشمولية، ووصل فيه المواطن إلى قمة تناغمه الإنساني.

¹ - فولغين: تطور الفكر الاجتماعي في فرنسا خلال القرن الثامن عشر، ترجمة سعيد كامل، دار الفارابي، بيروت، 1988، ص 223.

² - فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 38.

1.5. الاغتراب عند هيغل (Higuel):

يعتبر هيغل أن الاغتراب هو نتيجة وسبب: فهو نتيجة للنشاط الخالق الذي تقوم به الروح، إذ تجسد فكرتها خارج ذاتها، في موضوع (تشبيؤ في موضوع، التحول إلى آخر، التخرج، فقدان الوحدة، فقدان الطابع الكلي) وتصبح في ذلك في حالة اغتراب عن ذاتها، مما يحث على رفع الاغتراب وتجاوزه.

ويرى هيغل أن كل موجود لا يكون واقعيا إلا بقدر ما يمارس فاعليته بوصفه "ذاتا" من خلال كل العلاقات المتناقضة التي تؤلف وجوده، فالإنسان وحده هو الكائن الذي يملك القدرة على تحقيق ذاته، والقدرة على أن يصبح ذاتا مستقلة في نفسها في كل عمليات الصيرورة، لأنه وحده الذي يملك فهما للإمكانات، بل إن وجوده ذاته هو عملية تحقيق إمكاناته، وتشكيل حياته وفقا لمفاهيم العقل.¹

والاغتراب عند هيغل عبارة عن حقيقة انطولوجية تستمد جذورها من وجود الإنسان في العالم، وعالج هيغل الاغتراب في كتاباته اللاهوتية، حيث ناقش مفهوم الاغتراب والحرية في نقده للديانة اليهودية والمسيحية، حيث وجد أن الدين المسيحي يؤدي باغتراب الإنسان عن ذاته، وفي المقابل يقدم صورة مثالية لديانة الشعب اليوناني والتي تمثل بالنسبة له قمة التناغم والاتحاد بين ما هو الهي وما هو إنساني.

يرى هيغل أن الإنسان يتغلب على الاغتراب بين العالم الموضوعي والعالم الذاتي عن طريق العمل، ويحول الطبيعة إلى وسيط مناسب لنموه الذاتي، إذ أن العمل يشكل موضوعات العالم الخارجي بحيث تصبح وكأنها جزء من الذات الإنسانية، فضلا عن كون الإنسان يستطيع بفضل العمل إن يقضي على وجوده الذري الفردي ليتحول إلى وجود كلي. إن قيمة العمل تنقص بنفس النسبة التي تزداد بها إنتاجية العمل، إذ تصبح ملكات الفرد محدودة، وينحط بالتالي وعي العامل، وهكذا يتحول العمل من تحقيق ذاتي للفرد إلى سلب لذاته، أو نوع من التشيؤ الذي بمقتضاه يفقد المرء سمته كإنسان.²

¹ - ماركيز: العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1980، ص 91.

² - نفس المرجع ص 94.

6.1. الاغتراب عند فيورباخ (fieruerbach):¹

ينطلق فيورباخ في رؤيته النقدية من نقد الدين، ففي كتابه " جوهر المسيحية" يحلل الدين من وجهة نظر انثروبولوجية، فيبين أن الدين هو نتاج الإنسان الذي دفعه الخوف من مواجهة الأخطار الطبيعية التي تحيط به إلى خلق قوة وهمية تفوق الطبيعة وتتجاوزها، ثم منح هذه القوة صفات الكمال ومن هنا نشأت الالهوية، باعتبارها ماهية الإنسان المغتربة، أي أن اله الإنسان ليس إلا الجوهر المتأله للإنسان.²

ويمثل الاغتراب الديني عند فيورباخ أساس كل اغتراب؛ فلسفي، اجتماعي، نفسي، فإذا كان الاغتراب تحول الأنا إلى آخر غريب، فإن هذا التحول يحدث أساسا في تحول الإنسان إلى الله، قبل أن يتحول الإنسان إلى عمل أو إلى نظام أو إلى مؤسسة، فالدين هو وعي الإنسان بذاته على نحو غير مباشر.

2. الاغتراب في الفكر الاجتماعي:

1.2. الاغتراب عند كارل ماركس (k.marx):

الاغتراب عند ماركس يعني أن الإنسان لا يستطيع أن يحقق ذاته كنشاط خلاق في العالم، بل أن العالم – الطبيعة والآخرين وهو نفسه تصبح مغتربة بالنسبة إليه، أنها تملوه وتقف ضده كموضوعات غريبة، على الرغم من أنها تكون من خلقه.³

وعلى هذا فإن الاغتراب معناه أن وعي الإنسان يصبح ضحية لعلاقات الإنتاج المادية في المجتمع الرأسمالي، أي أن العامل في النظام الرأسمالي يصبح أكثر فقرا كلما زاد مقدار الثروة التي ينتجها، وكلما ازداد إنتاجه في قوته ووصل مداه، يصبح العامل سلعة أرخص كلما زادت السلع التي ينتجها، فالقيم المتزايدة لعالم الأشياء تسير جنبا إلى جنب مع زيادة تدهور عالم الإنسان.⁴

وتتمثل خطورة اغتراب العمل عند ماركس في أن الإنسان المغترب عن ناتج عمله، هو في الوقت نفسه مغترب عن ذاته، لأن ماركس ينظر إلى العمل في شكله الصحيح على أنه بسيط، يستخدمه الإنسان في تحقيق ذاته وتنمية ملكاته الإنسانية. أما العمل المغترب فهو يشل كافة الملكات الإنسانية، واغتراب الإنسان عن ذاته يحمل معنيين عند ماركس:⁵

¹ -يقول ماركس إن فيورباخ بمثابة قناة النار التي يجب أن يتطهر بها كل فيلسوف يريد الانتقال من المثالية إلى الواقعية

² - كورنو اوغست: جوهر الفكر الماركسي، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الآداب، بيروت 1969، ص 82.

3 - from : la conception de l'homme chez mixed. Payot, Paris 1977-p.79

4 -Ibid :P91

⁵ - Ibid :P92

المعنى الأول: أن عمل الإنسان هو حياته، وإن إنتاجه هو حياته في شكل متموضع، ومن ثم فانه عندما يغترب عنه، فإن ذاته تغترب عنه أيضا.

المعنى الثاني: فيشير إلى انفصال الإنسان عن حياته الإنسانية الحقيقية، وبهذا المعنى فإن ماركس يقصد بالاغتراب عن الذات فقدان الكلي للإنسانية.

وحسب ماركس فانه لن يتم القضاء على الاغتراب إلا بالاشتراكية، التي تسعى إلى تحرير الإنسان، وليس ملكية وسائل الإنتاج إلا وسيلة لقهر الاغتراب وتحطيم صنمية المال والملكية الفردية، ليتحول العمل في المجتمع الاشتراكي إلى عمل مبدع وخلاق.

2.2. الاغتراب عند نيتشة 1844-1900 (nietzsche):

كان نيتشة راديكاليا في أفكاره إلى أبعد الحدود، فقد تصدى إلى معظم أفكار الغربيين من الفلسفة إلى الفن الدين والأخلاق ونعتها بالعدمية والانحطاط، فهو لا ينتظر تحسين فلسفته وأفكاره، وإنما يريد أن يقيم فوق العدم عالما جديدا مغايرا للقديم تماما.

بنى نيتشة أفكاره على محور إرادة القوة، وإن كل كائن لا يتحقق إلا بإرادة القوة، والتي يعتبرها فعلية تتحقق بالتمرد على القوالب الثابتة أو المفاهيم المجردة، فالمجتمع المؤسساتي هو الواقع الخادع الذي أراد أن يقنعا دائما بكونه الواقع الحقيقي، وهو في النهاية ليس سوى تجريد، لذلك لم يولد فكر الواقع الغربي، إذ طالما بقيت هذه المؤسسات قائمة فليس ثمة تجسيد لإرادة القوة، إلا عبر ما يضادها، بتعبير آخر انه ثمة واقعا مكبوتا يزيفه واقع آخر مصطنع.¹

نجد أن نيتشة يرفض ما يؤسس المشروع الثقافي الغربي، ويدعو إلى تحرير إرادة القوة، لأن الإنسان المعاصر يعيش الانحطاط الذي يعتبره الشكل المرضي لازمة العالم الحديث، والإنسان الحديث يعيش هذا الانحطاط، وهو انحطاط يتصل بجسده، بقواه، كما يتصل بقيمه.

ويعتقد نيتشة انه منذ عصور لم ينتج العقل سوى مفاهيم ومقولات، وقد تحولت تدريجيا إلى قيم معرفية مطلقة ومخزون ثقافي للإنسانية،.. ومن دون التسليم بالأوهام المنطقية ... ومن دون تزييف مستمر للعالم. قد لا يمكن للإنسان أن يعيش، بحيث يكون الاستغناء عن الأحكام الخاطئة استغناء عن الحياة ونفي لها².

إنّ ما يحجبه خطاب الحداثة لدى نيتشه هو لا عقلانية مجتمع طافح بوعود العقلانية والحرية والحقيقة، بعقلانية شمولية، وبحرية استبدادية، وبذاتية مركزية متعالية، غير أننا نلاحظ أن العقلانية ذات الجذر الأفلاطوني والأساس الديكارتي، تظهر عبر التشخيص النقدي وأنها

¹ - صفدي مطاع: نقد العقل الغربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 113.

² - نيتشة: ما وراء الخير والشر، ترجمة جزيلا حجار، دار غروب، بيروت، 1995، ص 21.

تحل العقل محل الجسد، والفكر محل الواقع، لقد أصبح العقل طاغية لا يعبأ بطبيعة الإنسان فيكبت رغبته ويفقده توازنه، لأن الفلسفات العقلانية قامت على الإعلاء من شأن القيم الأخلاقية، وعلى كبت الحياة وغرائزها، التي اعتبرت النموذج المطلق لكل حياة بشرية.¹

ويتساءل نيتشه هل العلم قادر على الوصول بالإنسانية إلى السعادة؟

إن التقدم العلمي الذي نادي به فلاسفة التنوير منذ القرن السابع عشر والثامن عشر ارتفق دائماً بمعيار إنساني يتمحور حول زيادة حرية الفرد، وتحقيق العدالة والمساواة داخل المجتمع وبين المجتمعات الإنسانية كلها، إلا إن منطق السوق الرأسمالية، فرضت اتجاهها معيناً على التطور الصناعي بحيث أدى في النتيجة إلى عزل قانون الإنتاج عن مثل وقيم التنوير التي قادت ثورة العقل الأساسية. فالعلم الحديث خاضع للمتطلبات والمقتضيات النظرية والعلمية التقنية، فهي تبدو وكأنها قوى خارجة عن الإنسان، ومستقلة عن قدرته، وتخضع لمنطقها الداخلي، وتتطور بفعل حاجاتها هي، لا وفق رغبة الإنسان، بل أنها باستمرار خارجة عن قبضته، فالإنسان تكاد تدمره صنائعه، وأعماله، سواء من جهة الطاقة النووية أو من جهة الهندسة الوراثية.²

إن نيتشه لا يرفض العلم ولا يعتبره سبب اغتراب الإنسان الحديث، بل يرفض النزعة الوضعية التي تدعي التطابق بين الحقائق العلمية والواقع، فهو يرفض العقلانية العلمية في نزعتها الوضعية.

ويرسم نيتشه صورة تراجيدية عن الإنسان الأخلاقي، أو الإنسان الحديث، فهو إنسان يعبر عن انحطاط يلف الحداثة، ويمثل شكلها المرضي، ويدعو نيتشه إلى تمرد الإنسان الحديث والقيام بانقلاب شامل، في كل ما يقده من قيم ويعلم عن ذلك بقوله "... لقد أُنذرت بقلب لكل القيم القديمة، التي تخلق إنساناً ضعيفاً، عاجزاً، مغترباً، مدجناً يركض بخضوع إلى الأوضاع القائمة،... لنكتف بتطهير آرائنا بتقدير اتنا للقيم، ولنكتف بإبداع قيم جيدة خاصة بنا،... لقد أدرك زرادشت أن الحداثة قد حررت الإنسان اقتصادياً وتقنياً، لكنها لم تمنحه القدرة على أن يحرر ذاته من هيمنة الواجب والاستكانة: حتى من حرر فكره، يجب أن يطهر ذاته، إذ يظل يحتفظ داخل ذاته، بالكثير من الإكراه والوحل."³

¹ - المرجع نفسه ص 34.

² - صفدي مطاع: المرجع السابق، ص 61.

³ - فيصل عباس، الاجتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، ص 228.

3.2. الاغتراب لدى ماركيز: (Herbert Marcqieuse 1898 - 1989)¹

تكاد مقولات الاغتراب أن تكون الإطار المرجعي لمعظم الأفكار التي يطرحها رواد النظرية النقدية، ونواة مركزية لتحليلاتهم للمجتمع الرأسمالي والصناعي الحديث، فالمجتمع الصناعي يكشف عن اغتراب الإنسان وتشويهه في ظواهر عديدة، فالإنسان واقع تحت ضغط الآلات التي تفرض عليه ألوانا من السلوك النمطي، وتتجلى ظاهرة الاغتراب بجانب ذلك في توحيد الحاجات البشرية وتقنين أنماط السلوك.

يعتبر ماركيز أنه من العوامل الرئيسية التي أدت إلى الاغتراب في المجتمعات الصناعية المتقدمة هو سواد أسلوب معين من التفكير، يطلق عليه اسم "العقل الآداتي" أو العقلانية التقنية، والتي هي في نهاية الأمر نوع من اللاعقلانية، فإنتاجية المجتمع لا تؤدي إلى تطور الحاجات والملكات الإنسانية، بل تدمرها. كما أن سلم هذا المجتمع لا يتحقق إلا من خلال التهديد المستمر بشبح الحرب، فالإنتاجية تنمو جنباً إلى جنب مع الدمار، والبؤس الشديد يترافق مع الغنى الفاحش أما عمليات الفكر والخوف والأمل فقد أصبحت رهن قرارات السلطات القائمة، يقول ماركيز إننا نواجه واحداً من أكثر مظاهر الحضارة الصناعية المتقدمة إزعاجاً: أنه الطابع العقلاني لعدم عقلانيتها وإنتاجيتها وفعاليتها، وقدرتها على زيادة وتعميم الرفاهية وعلى تحويل البذخ إلى حاجة، إلى الحد الذي تحول به هذه الحضارة عالم الأشياء إلى امتداد لعقل الإنسان وجسده، وتجعل من قضية الاغتراب ذاتها إشكالية، إن الناس يتعرفون على أنفسهم في سلعهم، إنهم يجدون روحهم في سيارتهم، في جهاز التسجيل، في البيت المريح، وأدوات الطبخ، لقد تغيرت الآلية التي تربط الفرد بالمجتمع، واستقرت السيطرة الاجتماعية في داخل الحاجات الجديدة التي ابتكرتها.²

إن ماركيز يهاجم العقلانية بالمفهوم التكنوقراطي، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تخريب سائر الأبعاد الإنسانية بحيث يصبح المجتمع في نهاية المطاف ذا بعد واحد وذا فكر واحد، لا يسمح للفرد بالتطلع إلى ما وراء حدوده، لقد قدم المجتمع الصناعي للفرد من خلال ما أنتجه سعادة هشة، فقد من خلالها حريته، كما فقد وعيه بما ينبغي للفرد أن يرفضه، وهكذا يتأكد استقرار المجتمع باستيعاب التناقضات واحتوائها بالتسطيح والتكيف الذهني للأفراد وبهذا ينكمش البعد الخلاق الداخلي في الإنسان، ذلك البعد القادر على النقد والمعارضة والاحتجاج والتمرد

¹ - فيلسوف اجتماعي وسياسي اشترك مع زملائه الماركسيين من أعضاء مدرسة فرانكفورت في تأسيس النظرية النقدية وقام في الستينات من القرن الماضي بدور الملهم لثورة الطلاب الشبابية في أمريكا وأوروبا.

² - هيربرت ماركيز: الإنسان ذو البعد الواحد، ص 45.

ويصبح الإنسان ذا بعد واحد يفقد الوعي بالتناقض بين العقلانية السائدة والحرية المفقودة، ويصبح كائنًا مستسلمًا، عاجزًا، مغتربًا راضيا باستسلامه وعجزه.¹

إن البعد الواحد هو التشيؤ والذي أصبح شموليا في المجتمع بفعل طابعه التكنولوجي، ولم يعد هناك عبيد وسادة، بل أصبح الكل عبيدا، كما أن ثقافة المجتمع المعاصر مطبوعة بطابع وضعي، تتحول بموجبه العلاقات الاجتماعية إلى مجرد أشياء مادية، فتصطبغ جميع القيم بالصبغة السلعية.

3. الاغتراب في الفكر الوجودي:

نتناول في هذا العنصر أعمال كل من كيركيغارد وهايدغاير وسارتر باعتبار المسائل التي أثاروها حول وجود الإنسان هي العناصر الأساسية التي تحيط بالوجود البشري، حرية الإنسان ومحاولته لبلوغ وجود شخصي أصيل يواجهه دائما مقاومة، تتجسد في الصراع وبألوان من تجارب الإثم واليأس والاعتراب. فالفلسفة الوجودية في صميمها هي عودة إلى إنسان، ودراسة للموقف الإنساني من العالم، والاهتمام بالكشف عن معنى الحرية.

3.1. الاغتراب عن كيركيغارد: (1813-1855-kecguer)

يهتم كيركيغارد بالوجود الذاتي للإنسان لا بالوجود بصفة عامة، واهم خاصية للوجود الذاتي هي الصراع، والتمزق الداخلي بين المتناهي واللامتناهي، واليأس والأمل، والقلق والطمأنينة، أما ذلك الذي يحتاج دوما للآخرين حتى "يوجد"، فهو في الحقيقة يهبط بنفسه إلى أدنى مستوى، ويعترف بأنه وحده ليس بموجود، ويرى بأن حياة الجموع أو الحشد هي تنازل عن الوجود الحقيقي من أجل الاندماج في حقيقة موضوعية ينعدم معها الشعور بالحرية، ويتناول كيركيغارد قضية الاغتراب من خلال نقده لضياع الفرد في داخل الحشد، وفقدانه لتفردته وحرية.²

فانفصال الإنسان عن ذاته وعن غاياته الأساسية، قد نتج عن ارتباطه بعالم غريب يسير على وتيرة واحدة، إن عبودية الإنسان الحديث تحدث بسبب خضوعه للامتنال، وبسبب تخليه عن حريته الشخصية، ليضعها تحت تصرف الآخرين على نحو يؤدي إلى ضياعه في القوة المجهولة أو الجمهور، وهكذا فإن الإنسان عندما يضحى بحريته في سبيل الطمأنينة الزائفة

¹ - المرجع السابق، ص 48-49.

² - فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 258.

للجمهور، فانه يفقد ذاته كإنسان، ويصبح فردا لا ينتمي إلى ذاته أو إلى الله، انه يعني فقط انه ينتمي إلى تجريد يخضع له فكريا.¹

2.3. الاغتراب عند هايدغر: (Haidgur1977-1889)

يرى هايدغر أن الوجود في العالم هو من مقومات الوجود الإنساني، كما أن الوجود مع الآخرين يعد من مقومات الوجود البشري، معناه أن الذات لا يمكن لها أن تقوم إلا بعلاقتها مع الآخر، وبالتالي فان "وجودي" بطبيعته هو وجود مشترك، ويفرق هايدغر بين نوعين من الوجود الإنساني: "الوجود الأصيل" هو ذلك الوجود الذي تشعر فيه الذات بأنها قائمة بنفسها، مسؤولة عن ذاتها، وانه لا بد لها من أن تأخذ على ذاتها تبعات وجودها، فالوجود الأصيل هو وجود يصنع ذاته، ويحدد اتجاهه من خلال القرارات والاختيارات التي تنتمي إليها حقا، والتي يمارسها بحرية تامة، وبوعي كامل للأحوال الجوهرية للحياة الإنسانية.

أما "الوجود الزائف" فهو ذلك الوجود الذي تميل فيه الذات إلى الاندماج مع الناس، والانغماس في المجموع، والارتواء في أحضان الآخرين، آملة من وراء ذلك أن تهرب من حريتها، ومن مسؤوليتها، وان تتخلص من الشعور بالقلق، فالذات هنا تتخلى عن مسؤوليتها وحريتها واستقلالها واختياراتها ليقوم آخرون بهذه المهمة وهذا ما يسميه هايدغر بالحشد أو الجمهور، ويعني هايدغر بالناس أو الحشد حقيقة جمعية غير شخصية لها من السلطة ما قد تستطيع أن تسلب الذات شعورها بالمسؤولية، وهنا يجد الإنسان نفسه مدفوعا إلى الأخذ بأحكام الناس، والتمسك بالآراء العامة الشائعة، فتصبح الحياة الشخصية صورة من صور المجموع، ويتحول الوجود الذاتي إلى وجود مبهم، إن الوجود الزائف هو الوجود المستغرق في الحاضر، الذي يعجز أن يقرر ذاته أو مستقبه.²

ويتبين لنا مما سبق أن هايدغر يقتصر في استخدامه لمفهوم الاغتراب على تلك الحالات التي لا يوجد فيها الإنسان على نحو أصيل، أو التي ينفصل فيها الإنسان عن إمكانية الوجود الأصيل، ويكون الوجود البشري أصيلا بالقدر الذي يمتلك فيه الإنسان نفسه، الوجود الذي يشكل فيه ذاته في صورته الخاصة، أما الوجود الزائف فهو الوجود الذي تشكله مؤثرات خارجية، سواء كانت هذه المؤثرات ظروفًا أو شرائع أخلاقية، أو سلطات سياسية.

¹ - المرجع السابق، ص 259.

² - ماكوري جون: الوجودية، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، رقم 58، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1982، ص 117-118.

3.3. الاغتراب عند جون بول سارتر (J.P.Sarter):

إن مفهوم الاغتراب كما عرض له سارتر من خلال معاشة الفرد لذاته على نحو ما تنظر إليه ذات الآخر، أي كموضوع، أن المرء يسلب نقاء ذاتيته من خلال الوعي بوجوده كموضوع بالنسبة للآخر، ويعالج سارتر اغتراب الذات من خلال معاشة الفرد لذات أخرى غريبة عنه، هي تلك الذات التي تفرضها نظرة الآخر، لذلك فإن الاغتراب عن الذات يتطلب وعياً مؤلماً بغياب الذاتية الحقة للفرد، يقر سارتر أن الاغتراب الذي يواجهه الإنسان يطرح باعتباره يواجهنا لا بتناقض يتعين التغلب عليه، وإنما بحقيقة حول أنفسنا يتعين علينا إقرارها. ويوضح سارتر العلاقة بين الفرد والآخرين من خلال نظرة الآخر؛ والمثال لنظرة الآخر أن يراني شخص آخر بينما اختلس النظر من خلال ثقب احد الأبواب، وعندما تواجهني نظرة الآخر على هذا النحو، فإنني أعيش الاغتراب الذاتي في غمار الصدمة التي تملكني حين إدراك نظرة الآخر لي... فإنني أعيش اغتراب خفياً لكل قدراتي التي ترتبط بموضوعات هذا العالم، والتي أصبحت الآن بعيدة عني كل البعد ضائعة في هذا العالم.¹

إن الجسد هو الذي يحتل بؤرة هذا الاغتراب حيث إن جسدي غالباً هو الذي تتركز عليه نظرة الآخر ويعتبر أن الجسد له ثلاث أبعاد:

- أ- جسدي كما أعيشه، أي باعتبار المركز المعاش موضوعياً للإدراك والسلوك.
- ب- جسدي كما يستغله ويعرفه الآخر، أي على نحو ما يوجد بالنسبة لشخص آخر، أي كموضوع له ملكات قابلة للملاحظة والاستغلال، شأن الأشياء الأخرى.
- ج- جسدي كما أعيشه أي باعتباره جسداً يعرفه الآخر.

ويتجسد الاغتراب في البعد الثالث: فجسدي حين أعيشه كشيء يعرفه الآخر هو شيء غريب بالنسبة لي، لأنه يختلف إلى حد كبير على ما أعيشه بصورة ذاتية. فاغتراب الجسد يتمثل باعتباره اغتراباً عن ذاتي بسبب هذه العلاقة المزدوجة التي تربطني بجسدي علاقة هوية في جانب، ولا هوية في جانب آخر، لأنني لم أكن أتطابق مع هذا الجسد الذي أعيشه باعتباره غريباً.²

4. الاغتراب في التحليل النفسي:

¹ - المرجع السابق، ص 119 - للاطلاع أكثر أنظر فيصل عباس: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي: ص 273

² - المرجع نفسه، ص 283 .

1.4. الاغتراب عند سيجموند فرويد (S.Freud):

ينطلق مؤسس التحليل النفسي من أن العلاقات بين البشر في العالم المعاصر تتسم بالعداوة الواحد اتجاه الآخر واتجاه الحضارة ككل، ومع أن البشرية تعيش في مجتمعات متحضرة فان كل فرد يشعر بأنه مهدد باستغلال عمله دون تعويض، ووضع اليد على أملاكه، وإذلاله واضطهاده وقتله، لأن الميل إلى العدوان هو التنظيم القتالي الغريزي الجوهري في الإنسان، وعدوانية كل واحد ضد واحد، والكل ضد الواحد.

فالعلاقات بين الناس لا تقوم على التفاهم والتوافق وإنما تقوم على الصراع والعداء، ولقد أدرك المجتمع هذا البعد، وعمد إلى تعبئة دينية سعى بواسطتها التقريب بين الناس وربطهم بعضها إلى بعض، إلا أن الدين نفسه في صراعه ضد الشر الفطري في الإنسان قد سيق إلى تضيق الحياة الجنسية، فيدعو إلى حب الإنسانية قاطبة ويبجل عمليات الصداقة والتماهي على حساب الهدف الجنسي المباشر، ويبقى اللجوء إلى العمل وما يمكن من إقامته من علاقات غير كاف لأنه غير قادر على توفير روابط دائمة وذات بعد عميق، ليس هناك أي نشاط للإنسان يربطه بالواقع الاجتماعي مثلما يفعل الولع بالعمل.¹

فالعامل بالنسبة للعامل ليس إلا وسيلة لتسهيل حياته الخاصة، أما بالنسبة للرأسمالي فان عملية الإنتاج تعتبر بمثابة ابتزاز الأرباح وتغدو هدفا بحد ذاته، أن عملية اغتراب الشخصية ليست استحالة تطوير المرء لقابلياته، فالخاتمة التي لا بد منها هي أشكال الاغتراب التي يكتسبها إدراك هذه العملية، والتي تثبت الوضع الموضوعي القائم، باعتباره وضعاً لا مخرج منه، أو تقترح مخرج وهمية منه.

فالفرد في المجتمع المعاصر حين يعزل نفسه، ويقيم حاجزا بين نفسه وسائر الأفراد، ويفقر عالمه الروحي ليحصره في طائفة من أكثر الاحتياجات بساطة، يسعى إلى استرجاعها وتخطي الحواجز التي أقامها بنفسه، ولكن بشكل مشوه، بشكل تملك وعبادة أصنام جديدة.

إذن الشبئية كونها مظهرا لوعي الاغتراب، ليست مجرد جري وراء الأشياء، وإنما هي جري وراء الحرية الإنسانية والحرية المفقودة، فالتشوي في وعي الإنسان المستهلك يغدو قائما لا بقيمته الاستهلاكية المباشرة، بل لأنه ينطوي على أسمى القيم الإنسانية، فالشيء من الناحية الفعلية لا يمكن إلا أن يكون رمزا للهيبة والثروة، غير أن وعي الاغتراب يعتبر أن العلاقات

¹ - فيصل عباس: الفرويدية ونقد الحضارة المعاصرة، ص 320.

بين صفات الشيء المرئية ونوعيته الاجتماعية الخفية وشائج خفية لا تتفصم. وبات الشيء مركزا لكل الطموحات البشرية وهدفا للإجلال والاحترام.¹

لقد بدا فرويد متفائلا عندما وضع الثقة في العقل (تأليه العقل) في تجاوز الوهم، إلا أن القرن العشرين والذي شهد جزءا منه بين أن أوهاما أخرى كانت على طريق الولادة وأخذت في الظهور ومن بينها الأنظمة التي سادت أوروبا (الأنظمة الفاشية، الأنظمة الشمولية، الاستبدادية)؛ واليوم نرى صعود النظام العالمي الجديد بثوب العولمة والتي تمثله الإمبراطورية الأمريكية.

2.4. الاغتراب عند رايتش: (Raitch 1957-1897)

يرى رايتش أن علم الاجتماع الماركسي والتحليل النفسي يمكن أن يكمل الواحد منهما الآخر ليساعدا معا على تحليل البنى الاجتماعية والشخصية، ويمكن أن نطلق عليه رائد الاتجاه الفرويدي - الماركسي.

ويربط رايتش ما يواجهه الشخصية من اضطرابات بالظروف الثقافية والاجتماعية، المحيطة بالفرد في المجتمع، ففي ظروف الحضارة المعاصرة، يحدث قضاء على الإرهاصات الطبيعية للإنسان، الذي يكتسب تطورها طابعا مرضيا، حيث تشكل خصائص الفرد التي تؤكد وحدته، وعزلته، وخوفه اتجاه القوى الاجتماعية، وكل هذا يؤدي إلى اغتراب الإنسان عن فعالياته الداخلية وتحويل هذه الفعاليات إلى رغبات مزيفة، مشوهة ولا عقلانية، إن مثل هذا الاغتراب، مصدره اجتماعي واقتصادي، وليس بيولوجي.²

ويشكل الطبع العصابي قناعا يخفي الوجه الحقيقي للإنسان وراء ستار المجاملة والنفاق الاجتماعي، حيث تسترشد الشخصية بالعالم الاجتماعي الخارجي، محاولة التكيف معه؛ وهو اتجاه يرمي إلى خضوع الإنسان إلى المؤسسات الاجتماعية، أما الطبع السوي فيعكس المستوى العميق لطبع الشخصية، حيث يحمل التعبير عن رغبات الإنسان، وحيث يسترشد الفرد بحاجاته الداخلية.

بتعبير آخر أن القمع الجنسي الذي يمارس على الفرد يترسخ في الجسد ويؤدي إلى تشنجات ويصبح الدفاع حيال هذه الإشكالات، هو نفسه يحد من قدرة الفرد على ممارسة الحياة بصورة طبيعية سواء في داخله أو في خارجه. ويذهب رايتش أبعد من هذا عندما يقر بان الأسرة الأبوية التسلطية والقمع الجنسي الذي عايشه طفل البرجوازية الصغيرة من العوامل التي غذت ظهور نظام مثل الفاشية، من حيث هي حركة سياسية تركز على البناء النفسي للجماهير.

¹ - المرجع السابق، ص 321.

² - ليبين قاليري: مذهب التحليل النفسي والفلسفة الفرويدية الجديدة، الفارابي، بيروت 1981، ص 134.

إن مشروع رايتش كان يقضي بتحرير الإنسان من قوى الكبت والقمع، التي فرضتها عليه الحضارة البرجوازية، وخلق مجتمع جديد تسود فيه جميع العلاقات بين الناس، من ميول الفرد الطبيعية إلى الحب والعمل، علاقات غير اغترابية ومشوهة، كما انه لا يدعو إلى إضعاف الروابط الأسرية، أو انتشار الفوضى الجنسية أو البغاء.

3.4. الاغتراب عند اريك فروم (Iric.Froom):

سنحاول أن نركز في تناولنا للإنسان المغترب في نظرية إريك فروم حول خمس قضايا أساسية تناولت أهم تحليلاته للاغتراب وهي:

أ. سلوك الإنسان: على العكس من فرويد الذي تأثر به فروم والذي يفسر سلوك الإنسان بنظرية الغرائز، فإن فروم يؤكد أن هذا السلوك محكوم قبل كل شيء بضروريات الاقتصاد والحياة المجتمعية، يقول: "... لقد فتح لي فرويد عالم اللاوعي،...والى جانبه كان هناك محللون نفسانيون آخرون مهمين بالنسبة لي، سندور فرينتسي، وجيورغ غروديكب".

يرى فروم أن المجتمع لا يؤثر في سلوك الفرد فقط، لكنه يطبع ويحدد نفسه كذلك، وخير دليل على ذلك، ما يسمى بالنجاح المجتمعي، الذي لا يسمح - حسب فروم - للإنسان أن يعيش حواسه الداخلية العميقة طبيعياً، بل يسمح بظهور ما هو ايجابي فيها، وكأن الجوانب السلبية لا تنتمي إلى الطبيعة الإنسانية كما هي، وهكذا فلا يحق للإنسان الذي يريد أن يظهر بمظهر الناجح أن يظهر ضعفه أو أخطائه، أو مشاكله أو حزنه، بل لا بد أن يكون ايجابياً على الدوام، وعلى الناجح -أو الذي يريد أن يظهر هكذا- ألا يخفي هذه المعاشات السلبية على الآخرين فقط، بل من اللازم ألا يشعر بها هو نفسه، أكثر من هذا، على الناجح ألا يرافق إلا الناجحين، وان يتجنب الضعفاء وغير الناجحين.

وقد لخص راينر فانك المحلل النفسي الألماني آخر تلامذة ومساعد فروم، دراساته في النجاح المجتمعي بأنها ليست فكرة مؤقتة أملت ضروريات الحيات المعاصرة، بل أنها ظاهرة مجتمعية قائمة بذاتها، وتتلخص في خمس مستويات:¹

- التسويق كمبدأ مؤسس جديد.
- تفضيل مبدأ الامتلاك على مبدأ الوجود.
- تفضيل الواقع المصنع على الواقع الفعلي.
- الخيالات النرجسية الجماعية الكبيرة واحتقار الضعفاء.

¹ - اريك فروم: الأعمال الكاملة، 1999، ص 271

• إغراءات الجماد والأشياء.

إن المجتمع هو الذي يحدد سلوك الفرد ويتحكم فيه، بل وينتج غرائزه ويقودها ويختار ما يناسبه منها طبقاً لضروريات الحاجيات الاقتصادية المتحركة في هذا المجتمع، فهذا الأخير هو الذي يصنع بميكانيزماته الخاصة سلوك الفرد ومنها اللاوعي المجتمعي. وإذا كان الأنا الأعلى عند فرويد مكوناً من القيم والمثل العليا التي تسود مجتمعاً ما، فإن هذه القيم والمثل في نظر فروم محكومة بطبيعة نمط الاقتصاد السائد في المجتمع.

ب- الالتزام بالماركسية دون إغفال الجانب الروحي:

على الرغم من تأثر فروم بماركس ونزعته المادية ونفيه لوجود الدين، إلا أنه أعطى الدراسات الروحية للجانب الإنساني أهمية كبيرة، لأنه العالم الوحيد الذي يعكس الطبيعة الإنسانية كما هي، على اعتبار هذا العالم يتيح للإنسان أن يكون إنساناً بكل نجاحاته وإحباطاته، ويقول فروم: "...أن الإنسان الذي يحاول أن يعيش دون اعتقاد أو إيمان يصبح عقيماً، دون أمل وخائف في عمق وجوده..."¹

ولا يربط فروم الاعتقاد بدين معين ولا بفكرة إله محددة، ما يعتبره هو أن الإيمان خاصية إنسانية جد مهمة، يمكن أن تتمظهر في أشكال أخرى، حيث نجد انفتاح الإنسان على عوالم أخرى. ولا تفرض المعتقدات الروحية للإنسان بالضرورة فكرة المقدس أو الذات المطلقة أو المحرك الذي لا يتحرك، بقدر ما تتطلب معاشاً نفسياً وتجربة شخصية، يعيش فيها الإنسان في كل مرة تجربة نفسية تجعله يحس أنه إنسان مكتمل.²

ويقول فروم: "...لكي يعيش الإنسان يحتاج إلى الاعتقاد، ومن أجل العيش في العالم المعاصر والمستقبل الذي يتطور فيه، فإن كل إنسان سيكون في حاجة إلى إيمان عقلي، ويمكن للإيمان العقلي الضروري أن يتطور في النظام المجتمعي، حيث تتحقق النظم الديمقراطية أكثر فأكثر."³

ج- نقد المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي وتقديم مبدأ الوجود بديلاً عن مبدأ الامتلاك:

ناقش فروم اغتراب الإنسان المعاصر في المجتمع الاستهلاكي الرأسمالي، وهو اغتراب تم على مستويات عدة، وعلى رأسها اغتراب وعي الإنسان، والزج به في عوالم استهلاكية خيالية، لا يكون مطالباً فيها باستعمال ذكائه وخياله وعبقريته وعقله، بقدر ما يكون مرغماً على

¹ - إيريك فروم : الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 10.

² - المرجع نفسه، ص 11.

³ - إريك فروم : الأعمال الكاملة، ص 272.

الاستهلاك الأعمى، ومن الميكانيزمات النفسية التي توظف من أجل تحقيق هذا الغرض هناك على الخصوص تقييد الإنسان بأصناف غير مرئية تباع له القيد معلبا في علب الحرية، بمبادئ من قبيل الفردية والحرية الشخصية.¹

إن ما قام بانتقاده في الاستهلاك هو الاستهلاك غير الواعي، الذي يقود حتما في السقوط في مبدأ الامتلاك، الذي يقلص الحياة الإنسانية في الأشياء والمواد التي تقدم له، ليصبح الإنسان نفسه بضاعة تباع وتشتري، تماما كباقي السلع الأخرى، وهو ما نعيشه في كل الأقطار، فالحب تحول إلى جنس وإشباع للغرائز وأفرغ من كل مضمونه الإنساني، سواء أمورس هذا الإفراغ من طرف شبكات الدعاية العالمية، أو من طرف شبكات الانترنت وشركات أفلام الفيديو.²

إن تقوية مبدأ الوجود لا يعني في نظر فروم القضاء النهائي على مبدأ الامتلاك، بقدر ما يعني إيجاد التوازن بين المبدأين من أجل حياة متوازنة. ويمكن تنمية مبدأ الوجود عن طريق عقلنة الاستهلاك الفردي، باقتناء الضروري والاستغناء عن الكماليات، وعدم الخضوع لإغراءات العوالم المصنعة، ولن يتأتى ذلك إلا إذا وعى المرء بان إغراءات السوق تتأسس قبل كل شيء على سذاجة المستهلك وليس على ذكاء مهندسي السوق.

د - الالتزام السياسي في المجتمع كواجب إنساني للمفكر:

الالتزام السياسي في المجتمع يعني اخذ موقف مما يروج في هذا المجتمع، ليس بالنقد الهدام، بل بالنقد البناء، ولا يمكن للمفكر أن يعيش في أبراجه وينظر للمجتمع المثالي، بل عليه أن ينغمس في المجتمع لكي يحلله من الداخل، ويمكن للالتزام السياسي أن يأخذ صور ممارسة فعلية في الحياة العامة، في إطار تنظيمات سياسية أو نقابية أو حقوقية، أي في إطار جمعيات المجتمع المدني المختلفة.³

هـ- رفض كل أشكال الهيمنة الامبريالية المعاصرة بما في ذلك الصهيونية:

فروم من الذين يؤمنون بمبادئهم وكل فلسفة إنسانية تهدف إلى تحرير الإنسان من كل العبوديات، ولا تقبل هيمنة القوي على الضعيف واستغلاله من أجل السيطرة عليه وعبوديته، والدافع الأساسي لمناهضة فروم للامبريالية بكل أنواعها، كونها تخدم أساسا فئة معينة على حساب فئات أخرى، وتعزز مبدأ الامتلاك على حساب مبدأ الوجود، سواء في مجتمعات الدول الاستعمارية أو المستعمرة، والأدهى من هذا هو أن الحرب المعاصرة تدور دون أية أخلاقيات

¹ - إيريك فروم : الإنسان المستلب و آفاق تحرره، ص 12.

² - نفس المرجع، ص 13.

³ - أريك فروم : الأعمال الكاملة، ص 273.

ولا قواعد، بل دون إحساس بالذنب حتى في حق من يقتل دون حق، لان التكنولوجيات الحربية تسمح بالقتل عن بعد دون رؤية من يقتل.¹

إن موقف فروم من الحرب مفهوم جدا كونه عايش حربين عالميتين، وعاش أول استعمال للسلاح النووي في اليابان من طرف أمريكا، أما معاداته للصهيونية وهو اليهودي الأصل والذي تكون تكويننا دينيا وأراد له أبواه أن يكون حاخاما من بعد، فيدل على عمق فكر فروم، وموضوعيته حيث يرفض كل هيمنة للإنسان على الإنسان.

ويتناول فروم الاغتراب بقوله: "...المقصود بالاغتراب نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان نفسه كشيء غريب، ويمكن القول انه أصبح غريبا عن نفسه، انه لا يعود يعيش نفسه كمركز للعالم وكمحرك لأفعاله ونتائجها قد أصبحت سادته الذين يطيعهم أو الذين قد يعبدتهم."²

إن الفكرة السائدة في تفكير فروم عن الاغتراب هي فقدان النفس لذاتها، وهي في هذا الفقد تكتسب ذاتها الحقيقية أو ما يجب أن تكون عليه، إن هذا الإنسان تخلق له أوثان idoles ويطلب منه أن يسجد لها.

فالحضوع للصنم يعد جوهر الاغتراب لأن الوثن يمثل قوى حياة الإنسان في شكل مغترب، والإنسان يصنع بنفسه لنفسه أوثانا؛ وبهذا يحدث اغتراب الإنسان عن أنه مغترب ويعبد نتاج يديه، والزعماء الذين من صنعه كما لو كانوا فوقه (سادته) بدل أن يكونوا في خدمته، إن الإنسان الجديد بات يسجد لكل الآلهة الدنيوية - الحب الصنمي لشخص ما- للثروة، للجاه، عبادة زعيم سياسي، .. إن ما هو مشترك هو عملية الاغتراب، إن هذا الإنسان المستهلك العابد لكل شيء يهرب من نفسه ويؤمن بالقيم الزائفة.³

ويترتب على فقدان النفس هرب الإنسان من نفسه، ومن حريته، فيهرب إلى سلطة خارجية يخضع لها ويجعلها هي التي تتصرف نيابة عنه، وهذه السلطة ربما تكون سلطة التقاليد أو العادات أو الأخلاق وهي سلطة خفية، وبهذا الهروب يتشأ الإنسان وينفصل عن ذاته والآخرين، ويستحيل إلى إنسان مغترب.

ينظر فروم إلى الاغتراب على انه ظاهرة سلبية، وإن الإنسان المغترب هو إنسان مريض من الناحية الإنسانية، فالإنسان مغترب عن ذاته، عن الآخرين، عن إنتاجه الإنساني، وعن حبه، أي أن الإنسان تحول إلى آلة، أو إلى شيء، نتيجة تحول المجتمع الحديث إلى مجتمع آلي لا

¹ - المرجع السابق، ص 274.

² - مجاهد عبد المنعم: الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للنشر القاهرة، 1985، ص 14.

³ - المرجع نفسه، ص 24.

هدف له سوى الإنتاج المادي، والاستهلاك السلبي، حيث يفتقد الفرد أدنى الإحساس بمشاعره الإنسانية، ويصبح شيئاً مثل سائر الأشياء المادية.

قراءة في ما بعد الحداثة أو أزمة الإنسان المعاصر:

يشهد العالم المعاصر صراعات وحروب في مختلف أنحاء، متفاوتة الأسباب والدرجات في العنف، متزايدة في الانتشار، وهي في الأساس صراعات وحروب هوية: التصنيفات الدينية والعرقية، ومحاولات النفوذ على أساس النوع والجنس، وموازية مع هذا ما يعرفه العالم من انفتاح إعلامي وثقافي، اختزل المسافات والثقافات في نموذج ضيق أحادي الاتجاه، كما يتميز الوضع بانفجار بعض الثورات الشعبية خاصة في المناطق العربية، وما ميزها من انظمه التواصل ونقل المعلومة، حيث أصبح نظام المعلومة، بمثابة الأنظمة في التفكير والعمل، مما خلق أشكالاً جديدة من الروابط بين الأفراد والشعوب، والعولمة لم تعد ذات بعد سياسي أو اقتصادي بل هي ظاهرة حياتية يومية.

إن مجتمع ما بعد الحداثة يتجه نحو الانفتاح والاستيعاب وتنويع النظر في كل مجالاته، انه لا يفتح المجال للتعصب والانغلاق الثقافي، لقد استطاعت وسائط الإعلام أن تهدم الحواجز والجدران، إذ صار كل شيء قابلاً للرؤية والسمع إذ يكاد يشترك الجميع في أحداث العالم. والفرد الذي كادت أن تطيح فرديته بثقافة الإنسان ذي البعد الواحد اندفع ليعثر على بعده الخاص، فالمتعة متوفرة وملكيته شائعة، عابرة، والتنقل بين ملذات السمع والبصر والإيقاع والزهو بالملابس والتمتع بالحرية بأشكالها وتنوعاتها، وممارسة اللعب واللهو، والرياضة، ... كل هذه البرامج الفردية لم تعد متعة مسروقة، ولكنها أصبحت حقوقاً لإنسان هذا العصر لا يعوز افتقاده الأساسوي لأهداف كبرى، إنما هي التي تؤلف هوامش الحرية الممكنة، إنها انتقام إنسان هذا العصر من وطأة الرأسمالية، ولعلها هي الثورة الممكنة على الرأسمالية داخل نظامها بالذات.¹

لعل من أهم ما يؤكد الملامح الأساسية لما بعد الحداثة أنها لا تجد أمامها ما يشكل عقبات تمنع انتشارها، إلى مختلف مجالات الحياة بدون أن تفتح جبهات من الصراع الإيديولوجي، فكل قطاعات الحياة الاجتماعية تفتح أبوابها أمام رياح التغيير المستمر، وكذلك الأفراد؛ فالفرد يبحث عن المسرة والمتعة، ويحاول أن يتحرر من الملل، ومن الآلية والتشوي.²

¹ - صفدي مطاع: نقد العقل الغربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص 113.

² - فيصل عباس: الإنسان المعاصر والتحليل النفسي الفرويدي، ص 400.

وإذا كانت العولمة تعمل على توحيد العالم، من حيث النموذج الحضاري، أي أسباب العيش وتقنيات الاتصال، فإنه لا يمكن للعالم أن يصبح واحدا من حيث هوياته الثقافية، فرغم أن العولمة نجحت في توحيد السوق الاقتصادية العالمية، إلا أنها ولدت تصدعا ثقافيا بدأ يأخذ سمة المواجهة والمقاومة في أماكن عديدة من العالم، لذا فإن انفجار خطاب الخصوصية الثقافية، والعودة إلى الأصوليات هو انعكاس للعودة الثقافية المجتمعية التي تطرحها العولمة.

إن تقنيات الاتصال ووسائل الإعلام، تصنع مخيال الإنسان، والفرد الذي تحول إلى مستهلك ثم إلى مشاهد، يملئ مخيلته نجوم الشاشة ولاعبو الكرة وعارضات الأزياء، وليس أدل على هذا انقسام العالم بين مشجع ومناصر لفريق ر.مدريد وبرشلونة أثناء المباريات التي تجمعهما، والاهتمام بأدق التفاصيل وتحليلها.. الأمر الذي يعني أن الثقافة أخذت تتغير، بما هي منظومة من الرموز والقيم.

ولا شك أن كل هذه التحولات والثورات حدثت بفعل الثورة المعلوماتية، التي اخترقت المجتمعات والثقافات من خلال تدفق المعلومات والصور والقيم والنماذج عبر وسائل الإعلام المتعددة التي تحول العالم إلى نظام كوني واحد للاتصال الدائم، وعلى هذا فالعالم في عصر العولمة سيخضع لتحولات هائلة سواء على صعيد الأحداث السياسية أو على صعيد الأفكار والقيم، مثلما حدث تماما مع الثورة الشعبية في تونس والتي امتدت بسرعة البرق إلى الدول المجاورة، ونتائجها لا تزال ماثلة وفي امتداد متصاعد.

غير أن التعامل مع العولمة يختلف في المجتمع الواحد، فنجد من يتعامل معها على أنها غزو ثقافي بمعنى أنها كما تحدث وتمارس اليوم ليست إلا محاولة لنشر وتعميم القيم الأمريكية وجعلها ثقافة عالمية، تسعى إلى التبشير بانتصار القيم الغربية.¹

مقابل ذلك هناك من يتعامل مع العولمة، كمثال نموذجي أو كفردوس موعود، بقدر ما يتوهم أنها ستحل المشكلات، بما تطلقه من إمكانيات التواصل بين البشر، ويبشر البعض بولادة الإنسان العالمي ومواطن الانترنت المندرج في مجتمع كوني واحد متحرر من انتماءاته اللغوية والقومية والثقافية؛ بالإضافة إلى عولمة السوق والمدينة، فهي تفضي إلى عولمة الأنا بكل ما تحمل من دلالة وتولد من معنى وتنتج من ثقافة ومعرفة، فالعولمة تخترق اليوم جدران الهويات المغلقة وتجعل الحديث عن الإنسان العالمي أمرا ممكنا.²

¹ - علي حرب: حديث النهايات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000، ص 106.

² - المرجع نفسه، ص 107.

والأجدي أن نقرأ العولمة، لا بمنطق الغزو، ولا بلغة التعظيم، بل قراءة فعالة وبمنطق الفهم والتشخيص، ومن أجل التعقل والعقلانية، بحيث لا نرد على الحدث بنفيه، ولا بالمصادقة عليه، بل بفهمه والمساهمة في إعادة صياغته وفقا للخصوصيات الثقافية.

وتوجد في قلب هذه الثنائية العلاقة بتحدي الهوية والمعاصرة، باعتبار أن المظاهر الثقافية المعولمة تدعي التماشي مع قيم العصر، وتتنظر إلى الاتجاه المحافظ من حيث كونه استيلا في الماضي وانغلاقا وتحجرا، بينما تدعي الثقافة المحافظة التي تمثل الأصالة والقيم التراثية، والتي ترى في العولمة ومظاهرها على أنها اغتراب وتمويه لمفهوم الواقع.

وهكذا يبقى الإنسان ممزقا بين الرغبات والشهوات من جهة، وبين المنع والتحرير من جهة ثانية، ويكون اختزال الوجود الإنساني على طريقة ثقافة الصورة وما تبشر به من عالم الرغبة واللذة والإثارة هو الوجه المتمم لاختزال آخر تقوم به الثقافة المحافظة بما تفرضه من تعاليم التحريم والامتناع.

لقد اعتقد الإنسان المعاصر انه وقد تحرر من القيود الخارجية وأصبح له حق التعبير أنه يعبر عن رغباته بكل حرية وإرادة، إلا انه في الواقع يعبر عن رغبات اختيرت له مسبقا، وهكذا تتولد لديه قرارات ليس هو صاحبها، وكأنه آلة تنتج ما صنعت لأجله، لأن الإنسان المعاصر في الحقيقة يتطابق مع توقعات الآخرين تحت الشعور بالخوف والتهديدات اتجاه حريته وحياته.

5. أنواع الاغتراب:

1.5- الاغتراب الأولي:

يشير هذا النوع من الاغتراب إلى أن هناك شيء مختلف عن الأمور العادية والطبيعية لذا فان الاغتراب هنا يشير إلى الشعور بان هناك شيئا ما مختلف عن المألوف، ويرى كوفمان بان الاغتراب الأولي يزيد على سبيل المثال الإثارة والانفعال والإرهاق بحيث يصبح الفرد متعبا جدا أو عاطفيا وحساسا جدا اتجاه المواقف والحالات الاجتماعية.¹

وتأسيسا على ما سبق فان الاغتراب الأولي يشير إلى أن هناك شيئا مختلفا عن العادي أو الطبيعي المألوف، فالفرد يشعر بالاغتراب إذا كان غير محس بذاته الحقيقية أو العادية، إن هذا النوع من الاغتراب هو عبارة عن إحساس كبير بأن الحاضر غامض وغير واضح وخاصة فيما يتعلق بعدم الاتصال بالزمان والمكان، ومعناه أن الفرد في هذا النوع من الاغتراب يكون

¹-Goffeman, E, intraction rituel. Harmonds- worth : penguin books. 1963, P139-129.

غير راغب في أي شيء خاص أو معين، وليس لديه الرغبة أن يباشر أي فعل خاص لأجل العمل. ويعتقد برويان أن التشيؤ هو أحد أهم مسببات الاغتراب الأولي.¹

2.5 الاغتراب الثانوي:

يشير هذا النوع من الاغتراب إلى انعدام الخبرة أو الشعور بأن هناك شيء غير عادي وخرج عن المألوف من قبل الفرد والذي يكون سلوكه مخالفا لتوقعات الآخرين، ومن بين أسبابه الاختلاف في الخبرة والشعور، ويذهب كل من مارك وكيري إلى أن الاغتراب الثانوي ينشأ من الاغتراب الأولي وقد يكون نتيجة له، وإن كلا النوعين من الاغتراب يشير إلى اضطراب العلاقة بين الفرد وبيئته الاجتماعية، أو بينه وبين ذاته بحيث يصبح غريب عن جزء من ذاته أو فعالياته أو نشاطاته، وهما يشيران إلى أن الاغتراب الثانوي غالبا ما يصاحبه الشعور بالإحساس الانفعالي المفاجئ والغضب والقنوط، وإن هذه المشاعر غالبا ما تبدو ممثلة ومشبعة بالشعور باللامعنى والكآبة صعودا للوصول إلى فقدان المشاعر بشكل تام وهذه تكون متلازمة مع طبيعة الوجه، وانعدام حالة التعابير العاطفية مع تلازمها بسمات انفعالية كالحزن والغضب والكراهية.²

إن الاغتراب الثانوي يوصف بأنه حالة من الكآبة بطريقة مؤلمة، والتي تؤدي إلى تقليل الشعور بالذات ككيان مستقل وهو بمثابة مسببات لسلوك الفرد بأن يبقى خارج نفسه وذاته، وخارج بيئته بحيث يصبح كالدمية التي تقاد من العالم الخارجي، وإن قلة الشعور بالذات يعني ضمنا بأن الفرد لا يستطيع الولوج إلى مشاعر الآخرين، وهذا يعني بأنه غير قادر على التأثير في الآخرين، ونتيجة لهذا تنمو المشاعر الاجتماعية لديهم جوفاء وقاسية وهذا يدل على أنه لا يراعي مشاعر الآخرين وأحاسيسهم عند التفاعل معهم، وإن مثل هؤلاء الأفراد يسبغون نحو تحول مشاعرهم وأحاسيسهم إلى نوع من الغلظة والقسوة والصرامة المنغرس في أدوارهم الاجتماعية والتي تجعل من مشاعرهم جامدة وغير حميمية، وهذا ما يفسر لنا سخرية هؤلاء الأفراد من العمل مع المنظمات الاجتماعية بشكل عام.³

¹ -حسن إبراهيم حسن المحمداوي: مرجع سبق ذكره. ص 26

2- Marc schabraaq and carry cooper, to be me or not to be me : about alientation . counselling psychologie. Quarterly.2003 . p76

³ - حسن إبراهيم حسن المحمداوي: مرجع سبق ذكره. ص 28.

ويحدد شيروم النتائج السلبية للاغتراب الثانوي والتي يمكن أن نوضحها كما يلي:¹

- فقدان الإبداعية والابتكار بالنسبة لتطور نمو الفرد.
- نقص واضح في التأثير والفعالية.
- المقاومة للتغيير، حتى وإن كان التغيير نحو الأفضل.
- نقص أو تراجع نحو نوعية الحياة والقبول الشخصي أو الرضا الذاتي، وذلك عن طريق رفض الفعاليات الاجتماعية والعيش في حقول الحياة الأخرى، ومعناه أن يكون الفرد يعيش في عزلة اجتماعية.

وقد ذكر شيروم في عرضه لنتائج الاغتراب الثانوي على الفرد العديد من الحالات من الإصابة بأمراض الشخصية والأمراض النفسية وحتى الفسيولوجية والتي عددها.

6. مظاهر الاغتراب:

على الرغم من عدم اتفاق الباحثين على معنى محدد لمفهوم الاغتراب إلا أن هناك اتفاقاً نسبياً بينهم في تحديد مظاهر الاغتراب التي توصلوا إليها من خلال تحليلاتهم للمفهوم وإخضاعه للاختبار والقياس الميداني، وكان من أبرزهم **ملفن سيمون** الذي قام بتطوير التعريفات الواردة في التراث السوسيولوجي والسيكولوجي والفلسفي لموضوع الاغتراب بهدف إخضاعها للاختبار وتطويعها للعمل التجريبي حيث أشار إلى أن هناك خمسة أبعاد أو مظاهر لمفهوم اغتراب تتمثل في العجز، اللامعنى، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، والغربة الثقافية.²

إن معظم الاستخدامات المعاصرة لمفهوم الاغتراب تتفق على تعدد أبعاده كظاهرة نفسية واجتماعية، فشعور الفرد بانفصاله عن نفسه وعن مجتمعه تصاحبه المظاهر المذكورة، وإن هذه الأبعاد والمظاهر هي التي تساعدنا على إدراك معنى هذه الظاهرة باعتبارها ظاهرة مركبة، وأننا بدون هذه الأبعاد لا نستطيع أن نفرق بين الاغتراب والظواهر النفسية المشابهة له كالانطواء والوحدة...

¹ - نقلا عن: عبد السميع سيد أحمد: ظاهرة الاغتراب بين طلب الجامعة المصرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر، 1981. ص 177.

² - جلال سعد : المرجع في علم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985، ص 40.

ونستعرض أبرز مظاهر الاغتراب ومكونات كل منها كما وردت في الدراسات السابقة التي تناولت الاغتراب بالدراسة والبحث، ونذكر من بينها:

1.6. الإحساس بالعجز Powerlessness

ويعني عدم قدرة الفرد على السيطرة على الأحداث والمجريات مع عدم قدرته على التأثير في المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها، مع عجزه عن السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، وهذا ما يجعله غير قادر على تقرير مصيره، فمصيره وإرادته تتحدان من قبل عوامل وقوى خارجة عن إرادته الذاتية.

وهو بهذا المعنى يكون عاجزا عن صنع قراراته المصيرية التي تحدد خطواته المستقبلية وغير قادر على التعبير بصراحة عن آرائه وتطلعاته ويصاحبه الفشل في تدبير أموره، وبالتالي فهو عاجز عن تحقيق ذاته وشاعرا بالاستسلام والخنوع الدائم.

إن جوهر العجز عند الفرد ينتج أساسا من توقعه بأنه لا يملك القدرة على التحكم وممارسة الضبط، وهذا يعود إلى أن الأشياء التي تحيط به تسيطر عليها ظروف خارجية أقوى منه ومن إرادته، فهو الحالة التي يصبح فيها الفرد في ظل سياق مجتمعي محدد يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أو لا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أو مخرجات من خلال سلوكهم أو فعاليتهم الخاصة، أي بمعنى أنهم يستشعرون افتقاد القدرة على التحكم في مخرجات هذا السياق وتوجيهها، الأمر الذي يولد خبرة الشعور بالعجز والإحباط وخيبة الأمل في إمكانية التأثير في متغيرات هذا السياق والقوى المسيطرة عليه.¹

فالفرد الذي يعيش في مجتمع معين ويتقبل املاءاته ويتمثل نظمته وقوانينه لدرجة أنه يصبح عاجزا عن اتخاذ قرارات أو تحديد مصيره خارج السياق المجتمعي، هو فرد يعيش حالة من الاغتراب، كالذي تسأله لماذا قمت بفعل كذا وأنت شخص مثقف؟ فيجيبك: وجدت الناس يفعلون هذا، ولا أستطيع أن أخالفهم.

2.6. الإحساس باللامعنى meaninglessness

وهو شعور الفرد بافتقاده للموجه أو المرشد فيما يتعلق بسلوكه ومعتقداته، مما ينتج عنها شعور بفراغ كبير لانعدام الأهداف الأساسية التي تقوده وتعطيه معنى للحياة وتحدد اتجاهاته وتستقطب نشاطاته، وبهذا فان الفرد يعتقد بأن الحياة خالية من المعنى وهي عبارة عن صحراء خالية لكونها تسير وفق منطق غير معقول، وهذا ما يدفعه للعيش فيها غير مبال وفاقد للواقعية

¹ - أحمد النكلاوي: الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، دراسة تحليلية ميدانية لافتقاد القدرة على ضوء الاتجاه الماكرو بنيوي في علم الاجتماع، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1989، ص 121.

في الحياة وينظر إلى الحياة كونها غير مجدية ومملوءة بالروتين والملل مع عدم رغبته في أن يكون فيها أصلاً.

ويعرف سيمان هذا البعد بأنه توقع الفرد انه لا يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك، فالفرد يغترب عندما لا يكون واضحاً لديه ما يجب أن يؤمن به أو يثق فيه، وكذلك عندما لا يستطيع تحديد معنى لما يقوم وما يجب أن يتخذه من قرارات.¹

3.6. الإحساس باللامعيارية (الأنومي anomy):

تعني عدم تمسك الفرد بالمعايير والضوابط والأعراف الاجتماعية وشعوره بان الوسائل أو السبل غير الشرعية مطلوبة وضرورية لانجاز الأهداف وان تعاكست مع القيم والعادات السائدة، وهذا يعني اهتزاز القيم والمعايير داخل المجتمع، الانهيار الذي يلحق بالبناء الاجتماعي واتساع الهوة بين أهداف المجتمع وقدرة الفرد على الوصول إلى أهدافه، مما يؤدي إلى استحسان المعاني والمقاصد غير المرغوب فيها اجتماعياً لتحقيق الأهداف.

ويشير سيمان إلى أن هذا البعد يعبر عن الموقف الذي تتحطم فيه المعايير الاجتماعية المنظمة لسلوك الفرد حيث تصبح هذه المعايير غير مؤثرة ولا تؤدي وظيفتها كقواعد للسلوك وهذا يعني الوصول إلى الحالة التي تغرق فيها القيم العامة في خضم الرغبات الخاصة التي تهدف إلى الإشباع بأية طريقة.²

فهي الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أن أشكال السلوك التي أصبحت مرفوضة اجتماعياً أصبحت مقبولة اتجاه أي أهداف محددة، أي أن الأشياء لم يعد لها أي ضوابط معيارية، ما كان خطأ أصبح صواب وما كان صواباً أصبح ينظر إليه باعتباره خطأ من منطلق إضفاء الشرعية على المصلحة الذاتية وحجبها عن معايير وقواعد المجتمع.³

ويعتبر دوركايم من أهم علماء الاجتماع، الذين وظفوا هذا المفهوم وروجوا له في أدبيات العلوم الاجتماعية. استخدمه أول مرة في كتابه "تقسيم العمل في المجتمع" الذي صدر عام 1893، ليشير إلى حالة من ضعف المعايير بين أعضاء الجماعة، أو في المجتمع. وهي خاصية تتعلق بالبناء الاجتماعي أو الثقافي، ولا تعبر عن خاصية على مستوى الفرد.⁴

¹ - seeman, m on the meaning of alientation americain, sociologie review ;24, 1995.p270.

² - Ibid,p 364

³ - أحمد النكلاوي: مرجع سبق ذكره، ص 105.

⁴ Merton, K. R. Social Theory and Social Structure, New York: The Free Press, 3rd Edition,1968.p 132

فاللامعيارية تعبر عن اختلال التركيب، الذي يؤدي إلى حالة من حالات غياب النظام أو القانون، وإلى افتقار مفهوم السلوك إلى المعيار، أو القاعدة التي يمكن بها وبناءا عليها قياس أو تمييز السلوك السوي من السلوك غير السوي. وعندما تعم اللامعيارية مجتمعا ما، فإن العلاقات والقيم الاجتماعية ينتابها الصراع والتناقض، وتصبح المتطلبات والواجبات الاجتماعية التي يصادفها الفرد في حياته اليومية متناقضة. فاللامعيارية بهذا المعنى تخص البناء الاجتماعي، وتظهر من خلال العلاقات الاجتماعية التي تعوزها القيم الثقافية.

كما اهتم ميرتون بشرح النماذج المختلفة للسلوك المنحرف، في إطار المجتمع الكبير، وبخاصة بنائه الاجتماعي. وقد وظف اللامعيارية، وحاول توضيح علاقتها بعدد من المفاهيم الاجتماعية الهامة، مثل البناء الثقافي والاجتماعي، والأهداف الثقافية والوسائل المعيارية، والعلاقات الأولية والعلاقات الثانوية الخ.. لذلك أحدث مفهوم اللامعيارية في ثوبه الجديد مناقشة حية في علم الاجتماع، وفي مجال العلوم الاجتماعية عموماً.

أكد ميرتون على أن أنماط السلوك المنحرف، عبارة عن استجابة عادية للمواقف الاجتماعية السائدة. يتعرض الفرد لضغوط اجتماعية، تقوده في اتجاه السلوك المنحرف، ويتعرض لضغوط اجتماعية أخرى، تقوده في اتجاه السلوك السوي، أي الذي يتطابق والقوانين السائدة. ومن هذه الزاوية جاءت مساهمة ميرتون مختلفة عن تلك التي بدأها دوركايم. فهذا الأخير يقترح أن الانحراف ينشأ من محاولة الأفراد لتحقيق الرغبات الفطرية، كالطموحات عبر وسائل غير متوفرة، بينما يقول ميرتون، أن الطبيعة البيولوجية ليست بذات أهمية في شرح الانحراف. فالانحراف من وجهة نظر ميرتون ينشأ من عدم قدرة الفرد على تحقيق تلك الطموحات المتضمنة في البناء الاجتماعي. فيبحث عن أي وسيلة ممكنة بما في ذلك غير الشرعية.

وفي معرض حديثه لشرح الأنومي والسلوك المنحرف، لم يركز ميرتون على الفرد، ولكنه سلط الضوء على البناء الاجتماعي، وما فيه من نظم اجتماعية، تعمل على أن يتوزع نشاط الفرد عشوائيا بين الأهداف الثقافية، والوسائل المعيارية المؤدية إلى تحقيق تلك الأهداف. فالأنومي أو اللامعيارية إذاً هي حالة اجتماعية، تنتج عن تأكيد زائد على هدف معين - أيًا كان هذا الهدف - وفي وقت لا تتوافر فيه قنوات شرعية لبلوغ هذا الهدف. فالصراع بين الأهداف الثقافية، وإمكانية استخدام الوسائل النظامية يقود إلى هذه الحالة. فالمبالغة في التأكيد على الأهداف الثقافية، إذا صاحبها شيء من عدم العناية بتوفير الوسائل التي ينبغي إتباعها لبلوغ تلك الأهداف والتأكيد على أهميتها، سيؤدي إلى انتشار وتنامي حالة اللامعيارية.

فالمبالغة في التأكيد مثلاً على أعضاء فريق رياضي لكسب مباراة رياضية، إذا لم تصاحبها مما سبق يتبين أن اللامعيارية كما يراها ميرتون، تنتج عن عجز بعض الأفراد عن تحقيق الأهداف التي تقرها الثقافة السائدة بالوسائل المشروعة، وذلك لعدم توفر المراكز الاجتماعية المناسبة، والتي تمكن أولئك الأفراد من تحقيق تلك الأهداف بالسبل المقررة . أي أن الأنومي تنشأ من التناقض بين الدعوة إلى تحقيق أهداف وغايات مقررة ثقافياً، وبين وسائل تؤدي إلى تحقيق تلك الأهداف والغايات، ولكنها محددة إجتماعياً-أي تنقيد بالبناء الاجتماعي. ولذلك فإن مصدر الأنومي كما يراه ميرتون، يختلف عن المصدر الذي يراه دوركايم، الذي يقول بأن اللامعيارية تظهر عندما يعجز المجتمع عن تنظيم الكيفية التي يتم بها تحقيق الرغبات، وإشباع الغرائز والنزوات الطبيعية لدى مختلف الأفراد .

وقد أضاف عالم الاجتماع ألبرت كوهين تطويراً لنظرية اللامعيارية. فمن خلال اهتمامه بجنوح الأحداث، اقترح أن الحدث المنتمي إلى أي أقلية من الأقليات الأمريكية المغبونة، إنما يصبو إلى تحقيق الغايات والأهداف التي تحددها الثقافة السائدة في المجتمع. بيد أنه لا يستطع تحقيق أي شيء منها بالوسائل التي تقرها هذه الثقافة، وذلك لعدم حصوله على قسط كاف من التعليم، ومن الخبرات اللازمة، ومن التنشئة الاجتماعية، والتأهيل في داخل الأسرة، وفي المحيط الذي يشمل المنزل والبيئة السكنية، ليتمكن من التنافس مع الآخرين، الذين يملكون مقومات التنافس. ولذلك فإن الحل الوحيد كما يراه كوهين لأبناء هذه الأقليات، كي تتغلب على مشكلاتها، وتحقق بعضاً من أهدافها، لا يتم إلا بتأزرها، حيث يمكن لها أن تتوافق، وأن تقف صفاً واحداً، وتكون لنفسها بذلك ثقافة مستقلة عن الثقافة السائدة، وتصبح أقلية، ذات ثقافة فرعية متحدة الأهداف، بحيث تضمن لنفسها البقاء، والعيش في مستويات غير تلك التي أرادت لها الأغلبية. إن تكاثف أفراد الفئات المغلوبة مع بعضهم، يمكنهم من التكيف مع الثقافة السائدة، بأية وسيلة، ومن تحقيق أهدافهم أو على الأقل بعضها.

4.6. العزلة الاجتماعية social isolation

ويمكن التعبير عنها بأنها نوع من الإحساس بالإقصاء والرفض، كنفق للقبول الاجتماعي، وهو بالتالي شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقاد إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمة والبعد عن الآخرين حتى وإن كان بينهم، وقد يكون هذا مصحوباً بالرفض الاجتماعي والانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع وهو قد يؤدي إلى البعد بين أهداف الفرد وقيم المجتمع ومعاييرها، وقد يقصي الفرد من المشاركة الاجتماعية وشعوره بعدم الانتماء الذي

يولد لديه كراهية لقيم المجتمع مما يدفعه لتبني أفكار ومعايير مخالفة لقيم المجتمع الذي يعيش فيه.¹

ومما يجدر الإشارة إليه إلى أن هذا المعنى للاغتراب لا يقصد به العزلة الاجتماعية التي يعيشها بعض الفلاسفة والمتقنين من الناس كانهادام للتكيف الاجتماعي أو ضعف الاتصال الاجتماعي، نتيجة لكبر الهوة الثقافية والمعرفية بينهم وبين الآخرين، ولذا فإن الأفراد الذين ينزعون إلى العزلة الاجتماعية بسبب اغترابهم عن قيم ومعايير المجتمع الذي يعيشون فيه، لا يرون قيمة لأهدافهم وللمفاهيم والقيم التي يعتز بها المجتمع، ويبرز هذا الضعف في عدد من المؤشرات منها عدم مشاركة الأفكار من المغتربين لبقية الناس في المجتمع فيما يثير اهتمامهم من برامج تلفزيونية ومواعيد رياضية أو فنية.

ويلخص سيمان هذا البعد بأنه حالة من التوقع المنخفض للفرد للاحتواء والتقبل الاجتماعي ثم التعبير عنه بشكل أساسي في مشاعر الوحدة أو الرفض.²

5.6. الغربة عن الذات Self estrangement

هذا النوع من الاغتراب يتمثل في انفصال الفرد عن ذاته وعدم التطابق معها، أي أنه يخلق ذاتا غير حقيقية نتيجة لتأثير الضغوطات الاجتماعية بما تحمله من نظم وأعراف وتقاليد وبكل تناقضاته مما قد يؤدي إلى طمس الذات الحقيقية للفرد، بحيث يكون غير قادر على إيجاد الأنشطة والفعاليات التي تكافئ قدراته وإمكاناته وهذا قد يؤدي إلى الشعور بعدم الرضا عن ذاته ويفقده الصلة الحقيقية بها وقد يرفض كل ما يحيط به وكذلك قد يصاحبه الشعور بالضيق والانزعاج بما هو قائم. ويعني إحساس الفرد وشعوره بتباعده عن ذاته ويمثل هذا البعد النتيجة النهائية للأبعاد الأخرى.³

ويعرف سيمان هذا البعد بأنه عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عما يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف ويحيا كونه مستجيبا لما تقدم له الحياة دون تحقيق ما يريد من الأهداف مع انعدام القدرة على إيجاد الأنشطة التي تكافئ ذاته.⁴

¹ - حسن إبراهيم حسن المحمداوي: مرجع سبق ذكره. ص 31.

² - SEEMAN, M OP. CIT, P 45.

³ - اسكندر، نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988. ص 38.

⁴ - خليفة عبد اللطيف محمد: دراسة في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، 2003 ص 40.

ويعتقد فروم أن هذا البعد من الاغتراب هو نمط من الخبرة من خلالها يرى الفرد نفسه كمغترب، فهو يشعر انه غريب عن نفسه حيث لم يرى ذاته أو لم يخبرها كمركز لعالمه، أو كمنشئ وخالق لأفعاله، ولكن أفعاله ونتائجها تصبح لها السيادة وانه يطيعها ويخضع لها.

6.6. التشيؤ: reification

ويقصد به أن يعامل الفرد كما ولو كان شيئاً وأنه قد تحول إلى موضوع وفقد هويته التي هي بمثابة مركز إنسانيته وجوهر ذاتيته، وهذا يعني وصول الفرد إلى مرحلة يكون فيها شيء أي تذوب ماهيته الذاتية وسط الأشياء المحيطة به وتمحى معالم إنسانيته، ويمكننا الوقوف على جذور التشيؤ من خلال التطرق إلى المفهوم الذي صاغه حون جاك روسو للاغتراب، حيث يعرفه بأنه التسليم أو البيع.. فالإنسان الذي يجعل نفسه عبداً لآخر، إنسان لا يسلم نفسه إنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقاءه على الأقل.¹

وعند التأمل في هذا التعريف نجد فيه جانبين أحدهما إيجابي والآخر سلبي والذي يتمثل في أن يسلم الفرد ذاته إلى الكل في سبيل هدف سامي ونبيل كأن يضحي الفرد بحياته من أجل أن يحيا الآخرين أو من أجل وطنه أو قضية عامة يؤمن بها مجتمعه ويناضل من أجلها، والجانب السلبي هو أن ينظر الفرد إلى ذاته كما لو كانت سلعة تباع وتشترى، كما هو الحال في ظل تقديس المادة وحب المال وتحول العلاقات الاجتماعية من إنسانية إلى علاقات مادية تحكمها المصالح الشخصية الضيقة، وتصبح قيمة الشخص فيما يملك لا في الكفاءة أو ما يستطيع أن يقدمه لمجتمعه، وهذا هو الاغتراب السلبي أو التشيؤ والذي يفقد فيه الفرد وجوده الشرعي الأصل.

ويمكن القول أن التشيؤ ينتج عن إحساس الفرد بفقدان الهوية وأنه مجرد شيء وقد تحول من كيان معرفي يعول عليه في بناء الحضارة وله مكانته الأساسية كفاعل في مجتمعه، وقيمه في مهاراته وإمكاناته، إلى مجرد موضوع غير قادر على تقرير مصيره وأنه مقتلع من حيث أنه لا جذور له تربطه بنفسه أو بواقعه أو بالآخرين.

إن التشيؤ يكشف عن الطبيعة المجنونة للإنتاج الرأسمالي، فعالم التشيؤ عبارة عن علاقات اجتماعية بين أشياء تتسم بخصائص البشر، ومن ثم يصبح البشر في حوزة الأشياء وتتشأ علاقات اجتماعية بين الأشياء وعلاقات مادية بين الأفراد، الأمر الذي يؤدي إلى أن يمنح البشر

¹ - محمد عاطف رشاد زعتر: بعض سمات الشخصية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة الزقازيق، 1989، ص 50.

تقتهم للأشياء وليس لبعضهم بعض، إلى أن تصبح الثقة ذاتها وهي من خصائص الذات الإنسانية، خاصية للأشياء الطبيعية من حيث هي مستقلة عن الذات الإنسانية¹.

7. أشكال الاغتراب لدى الشباب:

لقد حدد الباحثون أشكالاً عدة لظاهرة الاغتراب لدى الشباب وأزمته عموماً، والمسببات التي تقف وراء حدوث هذا الشكل من الاغتراب لدى الشباب، كما أكدوا أنه قد يظهر شكل من أشكال الاغتراب لدى أحد الشباب، وقد يجتمع لدى البعض الآخر أكثر من شكل منه، ومن بين هذه الأشكال:

1.1. الاغتراب الثقافي:

تعد ظاهرة الاغتراب الثقافي من أهم الموضوعات التي اهتم الباحثون بها، وحاولوا تفسيرها والتعمق فيها كونها تركز على اغتراب الهوية الثقافية لدى الشباب، هذه الهوية التي تعد أساس التماسك الاجتماعي لأي مجتمع، وهي أكثر أهمية في حياة المجتمع من الأمور المادية أو الاقتصادية².

ويتجلى الاغتراب الثقافي لدى الشباب العربي خاصة في مظهرين، هما اضطراب الهوية الثقافية، والصراع بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية، وذلك على النحو التالي:

أ. الهوية الثقافية:

يطلق مفهوم الهوية على نسق المعايير التي يعرف بها الفرد، وينسحب ذلك على هوية الجماعة أو المجتمع، أو الثقافة، والهوية ليست كيانه يعطى دفعة واحدة، إنها حقيقة تولد وتتمو، وتتكون وتتغير، وتشيع وتعاني من الأزمات الوجودية والاعتراب³.

يتحدث علماء النفس الاجتماعي عن نوعين من الهوية بينهما درجة كبيرة من الارتباط؛ هما الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية، وتقوم الأولى على الخصال الفردية والوعي، أما الثانية فتقوم على الانتماء للجماعة، ويفقد الأشخاص أحياناً الإحساس بالهوية الشخصية. ولذلك يسلكون طرقاً عنيفة ضد المجتمع ومعاييره، كما يشعر الفرد أحياناً في الجماعات بالفردية

¹ - مراد وهبة: الاغتراب والوعي الكوني، دراسة في هيجل وماركس وفرويد، عالم الفكر، المجاد العاشر، 1979، ص 102.

² - نسرین الشمايلة: الاغتراب لدى الشباب العربي، منتدى الفكر العربي، الشباب العربي في المهجر، عمان. الأردن 2008، ص 13.

³ - اليكس ميكشلي: الهوية، ترجمة علي أسعد وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعة، دمشق، 1993، ص 212.

واللامسؤولية فيصبح اقل وعيا بقيم الجماعة، نظرا لفقدان المسؤولية الشخصية إزاء ما تفعله الجماعة.

لقد أوضح أريكسون في نظريته عن النمو الاجتماعي أن الهوية الشخصية هي عملية متعلمة من الواقع الثقافي والاجتماعي الذي يعيشه الفرد في مجتمعه، وهي مظهر من مظاهر نمو الشخصية. لذا فإن حالات التمرد والعصيان والخروج عن الأعراف والقيم إنما تعبر عن أساليب الرفض لثقافة المجتمع؛ بل الشعور بالغربة والاعتراب، ومن صور الاعتراب الثقافي الناتج عن رفض الهوية الثقافية؛ إظهار سلوكيات غير مألوفة في ثقافة المجتمع، ورفض النظام القيمي للجماعة، وعدم القدرة على الاندماج بها.¹

ومن الآثار السلبية المترتبة على فقدان الهوية الثقافية ظهور الكثير من السلوكيات غير المقبولة، مثل: الانسحاب، والبعد عن التعامل مع الجماعة، وعدم المشاركة في المسؤولية الاجتماعية، والتمركز حول الذات، والانغلاق في دائرة المصالح الشخصية، ورفض القوانين والمعايير الاجتماعية والثقافية، ومن أمثلة هذا ما يحدث من حالات شغب وفوضى والتعبير عن انتماءات جهوية ضيقة وآراء متعصبة للجهة والعرش والانتماء الجغرافي لدى الشباب داخل الجامعات.

كما ارتبطت أزمة الهوية في الشعور بالاعتراب لدى الشباب، من خلال ما كشفت عنه الدراسات المتعلقة بالهوية، ولذلك عرفها البعض أنها تعني فشل الفرد في تحديد هويته، مع الشعور بالاعتراب وانعدام الهدف، وعدم الجدوى أو اللامعنى، وعدم القدرة على التخطيط لأهداف مستقبلية، والافتقار إلى العلاقات الاجتماعية أو إلى الحب الناضج، وعدم القدرة على اختيار المستقبل المهني واللامبالاة واللاجدوى، ولذلك نجد انه لفقدان الهوية أحيانا واضطرابها أثرها الواضح على شعور الفرد بالعزلة والاعتراب والتشاؤم واليأس.

ب. الصراع بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية:

تعاني الثقافة العربية أزمة قيمية تتمثل في انشطارات ثقافية متنوعة، ويرجع ذلك إلى صراعات قيمية بين قيم الماضي وقيم الحاضر، وتعود هذه الأزمة إلى عدم إحياء الثقافة العربية بعناصرها الفاعلة لتصبح قادرة على احتواء القيم الجديدة التي تطرحها الثورات العلمية والتكنولوجية المتقدمة في المستويات كافة.

إن أهم المشكلات في حياتنا الفكرية هي محاولة التوفيق بين تراث الماضي وثقافة الحاضر، فمن تراث الماضي تتكون الشخصية الفريدة التي تتميز بها الأمة عن سائر الأمم،

¹ - نسرين الشمايلة: مرجع سبق ذكره، ص 14.

ومن ثقافة الحاضر تستمد عناصر البقاء والدوام في معتزك الحياة، فالأمة العربية عربية بما ورثته عن السلف من عوامل أهمها العقيدة واللغة والعرف والتقاليد.¹

إلا أن السؤال الذي يمكن طرحه: هل استطاعت الأمة العربية الصمود والحفاظ على ثوابتها؟ أم أنها توافقت وحضارة هذا العصر في أفكاره ووسائله؟

2.7. الاغتراب الاجتماعي:

يرى أرسطو في كتابه السياسة إن كل من كان غير قادر على العيش في المجتمع، أو لا حاجة به لذلك لأنه مكنت بنفسه فهو وحش أو آلة، وهو بهذا يرد انعزال الفرد عن المجتمع إلى الدوافع الإنسانية، أو الأنا العليا والأنا السفلى التي تناولها من بعد فرويد، من دون أن يكون أرسطو فلسفته الخاصة حول نظرية الاغتراب الاجتماعي، ولا تعدو كونها ملاحظات حول الموضوع.

ويرى نومان أن فقدان الوحدة مع البنية الاجتماعية عقب فقد هذه الوحدة الأصلية، وإلى أن يتم تحقيق وحدة جديدة، فإن علاقة الفرد بالبنية الاجتماعية تصبح علاقة تنافر، وتصير البنية الاجتماعية التي كان منتما إليها شيئاً آخر بالنسبة للفرد، وينشأ عدم تطابق في الوعي بين الذات والبنية الاجتماعية، وينظر الفرد إلى البنية كونها شيئاً خارجاً عنه ومعارضاً له، وهو ما يصطلح عليه بالتشوي، أما شاخت فيرجع انعزال الفرد اجتماعياً إلى كونه شخصاً خلاقاً فيصبح شخص غير متوافق مع أطره الاجتماعية، إذ يضع العادات والتقاليد موضع التساؤل أو يخرج عنها، وكلما كانت أصالته أكثر عمقا ازداد عمق اضطرابه إلى الاغتراب عن مجتمعه.²

3.7. الاغتراب الاقتصادي:

ينظر كارل ماركس إلى الاغتراب الاقتصادي كونه العملية التي يفقد الفرد خلالها قدرته على التعبير عن ذاته، هذه الذات التي تحولت وصارت متمثلة في استغلال إنتاج العمال بواسطة الرأسمالي، فعند الأخذ بتقسيم العمل يصبح لكل فرد مجال محدد ومغلق لتقسيم العمل مفروض عليه، ولا منجاة له منه، ويتعين أن يظل كذلك، إذا لم يشأ أن يفقد وسائل كسب معيشته. إلا أن دور كايم لا يوافق ماركس حول منشأ الاغتراب بسبب تقسيم العمل؛ بل يرى أن تقسيم العمل ضروري لتحقيق الانسجام والتماسك داخل القيم الاجتماعية.

ويرى محمد عبد المختار أن مظاهر الاغتراب الاقتصادي تتعدد، فالبيروقراطية واستغلال العلاقة بين الموظف والمدير في المنظمة هي مظهر من مظاهر الاغتراب إلى جانب الشعور

¹ - المرجع السابق، ص 18.

² - المرجع نفسه، ص 19.

بالتشبؤ، والانفصال عن أهداف المجتمع وغاياته وفقدان القوة والإحساس بالعجز، وليس غريبا أن تؤثر الحالة الاقتصادية على اغتراب الشباب، بعد أنه كشفت العديد من الدراسات أن السمات الشخصية للشباب هي نتاج تاريخ اجتماعي اقتصادي.¹

4.7. الاغتراب السياسي:

يعد الاغتراب السياسي احد أشكال الاغتراب الأكثر شيوعا في المجتمع المعاصر، وتبدو مظاهره وتجلياته في العجز السياسي؛ الذي يشير إلى أن الشباب المغترب ليس لديه القدرة على أن يصدر قرارات مؤثرة في الجانب السياسي، كما يفتقد إلى القواعد والمعايير المنظمة للسلوك السياسي، بمعنى أن الشباب يشعر بأنه ليس له دور في العملية السياسية، وان صانعي القرارات لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا. ما يجعله منعزلا عن المشاركة السياسية، مقاطعا لكل انتخابات دون أن يمتلك مبررات لتلك المقاطعة، عازفا عن الانتماء الحزبي.

ويقصد بالاغتراب السياسي شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة الايجابية في الانتخابات السياسية المعبرة بصدق عن رأي الجماهير، وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه، واليأس من المستقبل، على اعتبار أن رأيه لا يسمعه احد، وإن سمع لا يؤخذ بعين الاعتبار.²

إن الدوافع التي تقف وراء الاغتراب السياسي هي نفسها التي تقف وراء الإحساس بالاغتراب الاجتماعي، لان المفاهيم والمناخ العام المسيطر على مجتمع ما هي التي تسيطر بدورها على كل ما هو اجتماعي، ولعل ابرز مظاهر الاغتراب السياسي؛³ سلوك التبلد وعدم المشاركة السياسية، وعدم التصويت، والوعي بالسلطة والعجز السياسي، وفقدان المعنى السياسي، والعزلة السياسية، والانوميا، وفقدان الثقة بين المواطن وساسته، والاستياء، واليأس، وانعدام المعيار السياسي، واللامبالاة السياسية، كما تبين أيضا أن الاغتراب السياسي يرتبط بمتغيرات عدة: نفسية واجتماعية، واقتصادية ودينية... الخ

ويعكس الواقع والظروف السياسية التي يعيشها الشباب العربي في معظم المجتمعات اغترابا سياسيا ملحوظا، ومن ابرز مظاهره ما يتجسد في السلوك الانتخابي، إذ تشمل نسبة المشاركة الشبابية فئات قليلة في كل مرة، وتطرح تساؤلات عديدة، حول هذا السلوك السلبي،

¹ - محمد خضر عبد المختار: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب، القاهرة، 1998، ص 33.

² - محمود رجب: الاغتراب، سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، 1988، ص 101.

³ - محمد خضر عبد المختار: مرجع سابق، ص 36.

كما يمكن تفسير ثورات الشباب العربي في مختلف البلدان العربية بالاغتراب السياسي لدى الشباب، نتيجة حالات التمرد والعصيان والإطاحة بعدة حكام ورؤساء عرب، وفي أحيان أخرى بقوة السلاح، فهي أنظمة وفرت أسباب الاغتراب السياسي، ودوافع التطرف والتمرد عليها.

5.7. الاغتراب الديني:

كتب ماركس وانجلز في الإيديولوجية الألمانية 1845 أن الناس في الماضي كانوا يصنعون لأنفسهم مفاهيم زائفة عن حقيقتهم وما يجب أن يكونوا عليه، وكانوا ينظّمون علاقاتهم طبقاً لأفكارهم عن الله وعن الإنسان السوي، أما شاخنت فيرى أن الإيمان بالعالم الآخر هو علامة على الاغتراب عن هذا العالم وعن المجتمع الإنساني، ولدى الإنسان نفسه.¹

كثيراً ما ناضل الإنسان من أجل تجاوز عجزه في ظل ما يعانيه داخل المجتمع، لكن ما يمكن تمييزه في المجتمع الجزائري حول الظاهرة الدينية لدى الشباب أنها تمتاز بنوع من الاغتراب من حيث العلاقات القائمة بكل ما هو ديني، نتكلم عن حقيقة اجتماعية ربما تثير الكثير من الجدل وهي كيف أنه ومنذ الاستقلال والدولة الوطنية في الجزائر تسعى إلى التحديث وفي المقابل ينتعش التدين في زي تقليدي رجعي وتصبح من مكونات الهوية الفردية؟

والتدين الشبابي كقيمة اجتماعية ليس بعيداً عن قيم الشباب وثقافته من الأزمة والترتيب وهاجس الشك في ما يخص الأخلاق والقيم بصفة عامة، وشأنه شأن ينطوي على تناقضات وازدواجيات تنوع المرجعيات والوجهات المعيارية للفعل مع تشكيلة قيم متنافرة لا تأبه كثيراً بتجانس منظومتها، أو البحث عن أصولها ما دامت تحقق الحاجات الذاتية، وتبدو الظاهرة الإسلامية الحالية ذاتية المنزع ومتمركزة أكثر في نطاق الحياة الخاصة، إنها تطرح بشكل جديد قضية التوفيق الممكن لتجديد ما هو تقليدي مع نمط من الفردانية، فهي: "حركة مزدوجة تجمع فردنة الدين مع عولمته الموسعة كونياً عرضاً وتسويقاً لتكون متاحة للجميع، فتحوّل إمكانية التدين الفردي حسب الطلب."²

ومن وراء هذا لا يمكن أن نتكلم عن الازدواجيات والأزمة القيمية والارتباك المعيارية حين يتم الجمع بين نماذج الثقافة الدينية والثقافة العصرية المتساهلة أخلاقياً، وإنما ينبغي في تقديرنا أن ننظر من الآن فصاعداً إلى أن ما يحدث هو انتقال ضمني وتدرجي من نموذج تنشئة معيارية موكولة إلى المؤسسات الاجتماعية إلى تنشئة إستراتيجية تستند إلى تعلم مستمر

¹ - نسرين الشمايلة: المرجع السابق، ص 18

² -le noire. Frederic, les métamorphoses de dieux, ed, hachette, 2003, p 92

لاستراتيجيات معرفية تمكن الفرد من قراءة الأوضاع التي يوجد فيها ويؤولها باعتبارها اختبارات ومشاكل.¹

بهذا المعنى لم تعد وحدة الفرد المتجانسة تنجم عن المجتمع أو عن مؤسساته عن طريق التنشئة الاجتماعية، بقدر ما تنبع من نشاط الفرد وما تمليه عليه الذات، أو نزعاته الفردية في تكوين توجهاته وسلوكاته وتبريرها وفق عوالم معيارية متعددة.

إن البحث عن الإتمام الشخصي عبر الدين أو الفن مثلاً، قد يأخذ أحياناً منحى علاجياً، أو حتى براغماتياً للتعاطي مع المعايير الاجتماعية، أي التفاعل معها والتحايل عليها أحياناً وفق استراتيجيات التخفي والتقنع في بعض المواقف أو الظهور بمظهر التحجب المتأنق إلى حد الإغراء في مواقف أخرى، هكذا يكشف المجري اليومي للتدين عما يعتل فيه من تفاعلات قائمة بين الفرد والعالم الاجتماعي، الذي ينتمي إليه ويتحرك فيه، كما يكشف أيضاً عما يسكن هذا التدين من مراوحات وازدواجيات في الفعل الاجتماعي.²

إن التعددية والتعقد هما السمتان البارزتان للاجتماعي لكن المفارقة التي تلازم صيرورة التحديث، إنها لم تكن ببساطة مجرد فسخ التقليدية بل هي تقليدية متزاوجة مع الحديث، فالتحديث حركية معقدة تتضمن إعادة ابتكار التقليدية وصياغتها بصفة دائمة، وكأنها تهجين الحديث والتقليدي تهجيناً ينشئ حالة مستحدثة يسميها أ. جيدنز تحلل التقليدية، أي تفكك القوالب الذهنية التي صيغت مع الحداثة الأولى ومع المجتمع التقليدي الذي سبقها، فهي القوالب الذهنية التي كانت تقوم على جملة المؤسسات الاجتماعية والمعايير الثقافية وكأنها مسلمات شبه طبيعية.³

6.7. الاغتراب عن الذات:

إحساس الفرد وشعوره بتباعده عن ذاته ويمثل هذا البعد النتيجة النهائية للإبعاد الأخرى، إن صعوبات وضع تحليل شامل وعام لهذا الاصطلاح يتفق مع الحاجة النظرية لوضع أسس فكرية للبحث الاجتماعي تنعكس في حقيقة استعمال هذا الاصطلاح من قبل عدة مواضيع إنسانية كعلم الاجتماع، والفلسفة السياسية والاجتماعية، والتحليل النفسي والفلسفة الوجودية. وهناك صعوبة أخرى متعلقة باستعمال هذا الاصطلاح وهي أن موضوع الاغتراب متصل بعلم الاجتماع لعلاقته بتفسير أنواع السلوك الاجتماعي، لكن هذا التفسير يتسم باللاموضوعية وبالعجز في توضيح القيمة العلمية لدراسات السلوك الاجتماعي، كما يستعمل هذا الاصطلاح

¹ - المرجع السابق، ص 120

² - المرجع نفسه، ص 126

³ - أنتوني جيدنز: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت لبنان، 2005 ص 158.

في شرح ظواهر التعصب العنصري، المرض العقلي، الوعي الطبقي، الصراع الصناعي والصراع السياسي.¹

7.7. الاغتراب الاستهلاكي:

تناول إيريك فروم الاغتراب الاستهلاكي من خلال نقطتين رئيسيتين: الأولى تخص طريقة الحصول على الأشياء. أما الثانية فتتعلق بانفصال حاجتنا البشرية عن الأشياء التي نستهلكها، فإذا كنت أتوفر على المال استطيع أن اشتري لوحة فنية جميلة وباهظة الثمن مع أنني لا أتوفر على أي حس نقدي للفن، إن مجرد ملكية المال تمنح الفرد حق الحصول على أي شيء يريده والتصرف به كما يشاء، وبذلك هو يسعى إلى تحقيق وجوده بقدرما يستهلك، أنا موجود بقدرما أملك وما استهلك.²

هذه صورة عامة عن أشكال الاغتراب كما بدت في دراسات المفكرين، ومحاولة منا لتوضيح اتجاهات الاغتراب عبر حركة المجتمعات في سياقها التاريخي، مع تسليط الضوء على واقع الشباب العربي بصفة عامة والشباب الجزائري بصفة خاصة.

8. مراحل الاغتراب³:

1.8 مرحلة التهيؤ للاغتراب: وهي المرحلة التي تتضمن مفهوم فقدان السيطرة ببعديه المتمثلين في سلب المعرفة، وسلب الحرية ومفهوم فقدان المعنى، واللامعيارية، فعندما يشعر المرء بالعجز أو فقدان السيطرة إزاء الحياة والمواقف الاجتماعية وأنه لا حول له ولا قوة، فلا بد أن تتساوى معاني الأشياء لديه بل تفقد الأشياء معانيها، وتبعاً لذلك فلا معايير تحكمه ولا قواعد يمكن أن ينتهي إليها.

2.8 مرحلة الرفض والنفور الثقافي: وهي المرحلة التي تتعارض فيها اختيارات الأفراد مع الأحداث والتطلعات الثقافية، وهناك تناقض بين ما هو مثالي وما يترتب عليه من صراع الأهداف، وفي هذه المرحلة يكون الفرد معزولاً على المستوى العاطفي والمعرفي عن رفاقه، إذ ينظر إليهم بوصفهم غرباء، وعند هذه النقطة يكون مهياً للدخول في المرحلة الثالثة.

3.8 مرحلة التكيف المغترب: أو العزلة الاجتماعية بأبعادها الإيجابية المتمثلة في المجازاة المغتربة، والتمرد والثورة، والسلبية التي يعكسها الانسحاب والعزلة الاجتماعية، وفي هذه المرحلة يحاول الفرد التكيف بعدة طرق:

¹ - نبيل رمزي اسكندر، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988. ص38.

² - إيريك فروم: الخوف من الحرية، ص 125

³ - أحمد النكلاوي: مرجع سبق ذكره، ص37

- الاندماج الكامل والمسايرة والخضوع لكل المواقف.

- التمرد والثورة والاحتجاج، أي يتخذ المرء موقفا ايجابيا نشطا، ويتخذ الفرد موقف الرفض للأهداف الثقافية، ويكون المرء في هذه الحالة يقف بإحدى قدميه داخل النسق الاجتماعي، أو بالأحرى خارجه مما يحيله في نهاية المطاف إلى إنسان مغترب.

9. مصادر الاغتراب وأبعاده في الواقع العربي:

لكي نفهم ظاهرة الاغتراب لا بد من تحليله في البنى الاجتماعية، ومدى سيطرة القيم والمعايير الثقافية على سلوك الأفراد والجماعات، ويبين حليم بركات مصدرين رئيسيين للاغتراب على صعيد المجتمع والثقافة، هما السيطرة المفرطة في علاقة المواطن بالدولة ومختلف المؤسسات الاجتماعية، أو على العكس غياب هذه السيطرة بسبب الخلل في القيم التقليدية كما في القيم الجديدة المستوردة، من هذا المنطلق يمكن وصف حالة السيطرة المفرطة من قبل الدولة والمؤسسات العائلية والدينية والتربوية وغيرها بأنها تمارس القمع والضغط على الفرد بغية صهره في البنى القائمة، وتأمين امتثاله لمشينة قيادات الدولة والمؤسسات السابقة، والحد من مشاركته في الحياة العامة، أما في حالة فقدان السيطرة من قبل الدولة تمثل ميلا ظاهرا إلى تفكك العلاقات بين الجماعات وتتقاض مصالحها، ولا يقلل كثيرا مثل هذا النزوع استمرار السيطرة المفرطة في العائلة والطائفة.¹

فما هي مصادر الاغتراب والعجز في الحياة العربية؟ هناك مصادر عديدة داخلية وخارجية لا يمكن الفصل بينهما، وسنركز على ثلاث مصادر رئيسية:²

أ- التفتت الاجتماعي:

تشكل العائلة نواة التنظيم الاجتماعي والنشاطات الاقتصادية في المجتمع العربي القديم والحديث، وكثيرا ما تتمركز السياسة في عدد كبير من البلدان العربية حول الأسرة الحاكمة، فتتمحور بها وحولها حياة الناس بصرف النظر عن أنماط معيشتهم، ويتوارث العرب في العائلة (كانت قبيلة، أم عائلة ممتدة أم أسرة نواة) انتماءاتهم الدينية والطائفية والعرقية والطبقية إلى حد بعيد، وحتى التوجهات والتحالفات السياسية، وربما تكون العائلة أهم الجماعات الوسيطة

¹ - حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006 ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 69.

بين الفرد والمجتمع، وضمنها تكون التنشئة الاجتماعية فهي المصدر الأهم لتشرب القيم والتقاليد السائدة.¹

إن العائلة العربية هي نواة التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، فتكون بالتالي وحدة اجتماعية واقتصادية أساسية تتوقع من أعضائها، كل بحسب طاقته ونظام توزيع العمل المعتمد على التعاون والاعتماد على بعضهم في جميع المجالات، بموجب هذه العضوية يصبح الإنسان مسئولا، ليس عن تصرفاته الشخصية فحسب بل عن تصرف الأعضاء الآخرين، وخاصة الذكور عن الإناث، فالفرد في العائلة التقليدية عضو أكثر منه فردا مستقلا.

والمرأة في العائلة العربية تحتل موقعا دونيا في البنية الاجتماعية، القديمة منها والمعاصرة، فهي كائن يعرف بغيره لا بذاته، كما يستدل من تحديد هويتها بكونها "بنت فلان، زوجة فلان، أخت فلان، ... هي أنثى الرجل" هي الأم، هي الزوجة، وهي باختصار تعرف بالنسبة إلى الرجل، إذ لا وجود لها مستقل عنه، إنها الكائن بغيره لا بذاته، ولأنها كائن بغيره فلا يمكن لها أن تعيش بذاتها، إنها المثال النموذجي للاغتراب.²

ويعيش العرب واقعا مأساويا كما لو أنهم مرميون في العالم والتاريخ من دون أن يتحكموا في مصيرهم، إنهم يتعلقون بنقاط وأهداف ثابتة لا يحددون عنها في عالم متغير، كما أن نقطة الثبات عند العرب ليست في الخيارات الإنسانية، بل في الماديات والماورائيات والعقائد الجامدة، وأكثر ما نهله هي أن نقطة الثبات هي داخل أنفسنا من دون أن ندري، وإن خيارنا المستقبلية تتم من دون أن تستند إلى تحليل سليم للواقع الاجتماعي العربي والتوصل على أساسه إلى حلول عملية وشاملة.³

وبما أن الفرد أصبح عاجزا، فإن المجتمع نفسه أصبح عاجزا، إذ فقد السيطرة على وظائفه الحيوية وموارده المادية والروحية في علاقته بالدولة المهددة بالخضوع لقوى خارجية، من هنا نجد أن المجتمع يعجز عن تجاوز أوضاعه وإعادة بناء نفسه من جديد، والفرد في المجتمع لا يمكن أن يتقبل وضعه، كما لا يجرؤ على أن تكون له أحلام، وتتصل بحالة الاغتراب هذه مشكلات التفكك الاجتماعي والسياسي وخلخلة القيم، والتبعية، والطبقية، والسلطوية، فتسود بذلك علاقات القوة والنزاع لا علاقات التعايش والتضامن، وتغلب النزاعات الفئوية على حساب تطور الإنسان والمجتمع.

¹ - المرجع السابق، ص 71

² - خالد سعيد: المرأة العربية، كائن بغيره لا بذاته، مجلة مواقف، العدد 12، 1991، ص 91

³ - المرجع نفسه، ص 71

ب - ظاهرة التبعية:

تتجلى التبعية في الوطن العربي، في فقدان السيطرة على الموارد وعدم القدرة على تقرير المصير، وبوجود فجوة حضارية تفصل بينه وبين المجتمعات المتقدمة والتي تمارس عليه جميع أنواع الاستغلال والقهر والإذلال، ومن بين أهم جوانب التبعية استيراد السلع الاستهلاكية على حساب التقنية والإنتاج، وارتباط النظام النقدي بالنظام الرأسمالي، وتوظيف الفوائض المالية في الدول الغربية.

وفي هذا المجال اعتبر هشام شرابي أن التبعية لا تؤدي إلى الحداثة، بل إلى قيام مجتمع نيوبطريركي ملقح بالحداثة، فتصبح عملية التحديث نوعاً من الحداثة المعكوسة، ويكون التغيير تغييراً مشوهاً، وللتبعية دورها في رسوخ ظاهرة البنية الطبقية الهرمية وتزايد التفاوت بين الطبقات.¹

وبما أن العائلة هرمية في تنظيمها وقيمها، كذلك المؤسسات الدينية التي فرضت على المؤمنين والمؤمنات بخاصة تفسيرات تخدم مصالحها، بحيث أنه بقدرما يضع المؤمن فيها الثقة تصبح هي قوة على حسابه، فيعاني العجز والفقر في لب وجوده المعنوي، وحتى في نظرتة إلى حياته، ودوره في صنع تاريخه، إن الشعب يعيش بلا تاريخ كي يكون للسلطات المتحكمة تاريخ حافل، وبهذا يميز حليم بركات بين نوعين من الامتثال، الامتثال القسري الذي يقوم على الطاعة عند الاضطرار، والامتثال الاستبطاني الذي يقوم على قناعات داخلية نتمسك بها بصرف النظر عن حضور السلطة أو غيابها.²

ج - سلطوية الأنظمة على المجتمع:

إن أزمة المجتمع المدني هي من بين أهم مصادر هيمنة الدولة على المجتمع، لقد سلبت الدولة في مختلف دول الوطن العربي المجتمع وظائفه الحيوية واحتكرتها لنفسها، لقد سيطرت الدولة على مختلف البنى الاجتماعية، منها السيطرة على العائلة والقبيلة والطائفة والدين والأحزاب والنقابات والجمعيات، وسخرتها لتحقيق أمنها الخاص واستمرار حكمها على حساب أمن المجتمع وسلامته، وما زاد من سلطوية الدولة ضعفها اتجاه القوى الخارجية، وحاجتها إلى الحماية والمساعدة، وهذا ما يفسر اتساع رغبة الشعوب في قيام أنظمة ديمقراطية.

¹ - هشام شرابي: البنية البطريركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر، سلسلة السياسة والمجتمع، دار الطليعة، 1987، ص 20.

² - حليم بركات، المرجع السابق، ص 75.

فالأنظمة السائدة في المجتمعات العربية هي أنظمة مغربية تحيل الشعب أفراداً وجماعات وطبقات وحركات اجتماعية إلى كائنات عاجزة، في علاقاتها بالمؤسسات العامة وبذاتها، ببساطة شعب مغلوب على أمره، مستلب من حقوقه وممتلكاته المادية والمعنوية ومنجزاته ومؤسساته، ومهدد في صميم حياته وكيانه.

فالجرائري مثلاً يعرف أنه يستطيع أن ينتخب ممثليه السياسيين، ولكنه يدرك جيداً في الوقت ذاته أن الانتخابات ستؤدي إلى استمرار نفس الطبقة الحاكمة، إن مثل هذا الإدراك المستمر يزيد من حدة شعوره بالعجز، مع يقينه أنه يعيش في ظل دولة ديمقراطية وتنادي بالحرية، لكن الديمقراطية التي يمارسها هي شكلية في جوهرها، وهذا يزيد من خيبة أمله ويأسه.

لهذه الأسباب استخلص حليم بركات أن التفكك الاجتماعي وظاهرة التبعية وسلطوية الأنظمة في المجتمع العربي، أهم مصادر الاغتراب في المجتمعات العربية، بحيث تجعل البنى الاجتماعية السائدة في تلك المجتمعات وكذلك الأفراد مغربية، تحيلهم إلى كائنات عاجزة في تعاملها مع المجتمع ومؤسسات الدولة.

خلاصة:

انه يتوجب على الفكر العربي أن يتدخل من أجل إنقاذ الإنسان العربي المعاصر من أزمت الاغتراب والتمزق والقلق التي فرضتها الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية على عالما العربي، وفي خضم التطورات والتوجهات العالمية على المستوى السياسي والاجتماعي والثقافي، وذلك بالمساهمة في مناقشة الطروحات الفكرية المحتدمة على الساحة، وإنشاء قنوات حوار عبر المسالك العقلانية، تتجلى في ثقافة نقدية تؤسس لتصويب مسارات الفكر والممارسة. وتعكس موقفا محددا اتجاه قيم العصر واتجاه قضايا الوجود والمصير.

**الفصل الرابع: سوسيولوجيا الشباب والوسط
الجامعي**

أولا.الوسط الجامعي مرسخ للقيم الاجتماعية

1.مفهوم الوسط الجامعي

2.مفهوم التعليم الجامعي

3.مداخل نظرية لدور الجامعة

4.وظائف التعليم الجامعي

5.التنشئة الاجتماعية في الوسط الجامعي

6.وضع الجامعة الجزائرية

ثانيا. سوسيولوجيا الشباب الجامعي

1.الخصائص النفسية للشباب الجامعي

2.الخصائص الاجتماعية للشباب الجامعي

3.مشكلات الشباب الجامعي

4.أثر الوسط الجامعي على قيم الشباب الجامعي

5.الوسط الجامعي والصراع القيمي

أولاً: الوسط الجامعي مرسخ للقيم الاجتماعية

تمهيد:

يعتبر التعليم الجامعي والجامعة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية، حيث يلعب دوراً مميزاً في تكوين الاتجاهات، وتأسيس القيم الاجتماعية والثقافية، ويعمل بالتالي على تطوير المجتمع، وتنمية كافة جوانبه الحياتية بما في ذلك الجانب الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي.

والجامعة هي المعنية أصلاً ببناء ثقافة المجتمع، وتحديد السمات العامة للشخصية الأساسية فيه، والتي تشكل القاسم المشترك لأفراد المجتمع¹، وتتمثل مسؤولية الجامعة، باعتبارها تمثل القيادة الفكرية والعلمية في المجتمع، لما يتوفر لديها من موارد مؤهلة تأهيلاً عالياً في التعامل مع المشكلات والتحديات التي تواجهها في المجتمعات المعاصرة.

والتعليم الجامعي هو قمة السلم التعليمي، يقع عليه عبء رسالة بناء وتطوير الإنسان الذي يمثل الطاقة المحركة والقوة الدافعة لعملية تطور المجتمع وتقدمه، ولهذا اهتمت الجزائر بتكوين الموارد البشرية وبناء الجامعات والتوسع كما ونوعاً على كل المستويات، فإذا كان التعليم مفتاح التنمية فإن الفرد هو أداة التغيير والتطوير لتحقيق التقدم في التنمية، والجامعة إذ تعمل على إعداد الفرد الصالح للمجتمع: علمياً، وخلقياً ومهارياً، فهي كذلك تعمل على تزويد الفرد بالمعرفة والعلم والقيم الخلقية والروحية، حتى يصبح مواطناً صالحاً قادراً على خدمة مجتمعه ووطنه.

ونحاول في هذا الإطار التعريف بالتعليم الجامعي ودوره في ترسيخ القيم الاجتماعية، باعتباره مرحلة تتوج نجاح الطالب في مساره الدراسي في مراحل سابقة، كما نتناول وظائفه في المجتمع الجزائري والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، وكيف يعمل الوسط الجامعي بصفة عامة على التنشئة الاجتماعية وترسيخ القيم لدى الشباب وتدعيمها، ثم نتطرق إلى الوضع الراهن للجامعة الجزائرية.

1 - علي اسعد وطفة: نسق الانتماء الاجتماعي وألوياته في المجتمع الكويتي المعاصر: مقارنة سوسيولوجية في جدل الانتماءات الاجتماعية واتجاهاتها، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلس النشر العلمي في الكويت، العدد 108، السنة 29، 2003، ص 215.

1- مفهوم الوسط الجامعي:

نجد عدة مرادفات لمفهوم الوسط الجامعي مثل البيئة الجامعية، والحياة الجامعية، والمجتمع الجامعي، ويعرفه البعض على أنه: مجتمع تربوي متكامل، يعكس صفات المجتمع البشري ودينامياته، وهو المكان الذي تتابع فيه الخطوات التدريجية التربوية التعليمية لا يجمع بينهم المكان فقط، بل تفاعل الحركات بين هؤلاء لتذهب للتعليم الجامعي النشاط والحركة والاندماج والعطاء.¹

ويرى سعيد إسماعيل أن الوسط الجامعي هو السياق الإنساني والاجتماعي الذي يتم به وفيه التفاعل بين العناصر الأساسية للعمل الجامعي من: مكان وهيئة التدريس، والطلاب، والإدارة، وتنظيمات طلابية، ونواد، والعلاقات الاجتماعية.²

ويرى ماجد الزيود أن مفهوم الوسط الجامعي يتوافق مع البيئة الجامعية وهو ذلك الكيان الاجتماعي الذي يعيشه الطالب داخل الحرم الجامعي ويتفاعل معه، كالعلاقات بالأستاذ والطلاب، والمناهج الدراسية، والأنشطة الجامعية، الأندية واللجان الطلابية، المكتبة، الاقامات الجامعية، المطاعم.... الخ.³

وعليه فالوسط الجامعي هو ذلك السياق الإنساني والاجتماعي الذي يتيح أكبر قدر من عمليات التفاعل الاجتماعي بين الطلبة، ويسمح لهم بممارسة نشاطاتهم وتمثل مختلف الأدوار الاجتماعية، في شكل تنظيمات طلابية، ونشاطات علمية وترفيهية، داخل الحرم الجامعي، ولعل أهم ما يتيح ذلك في الوسط الجامعي، ما تقدمه الإقامة كوسط يعكس صفات المجتمع البشري ودينامياته.

2- مفهوم التعليم الجامعي:

يرى محي الدين صابر أن "التعليم الجامعي هو قمة السلم التعليمي كما وكيفا وتنوعا، وهو مصنع القيادات الفنية والتنظيمية والإدارية، في المجتمعات الحديثة التي تتميز بظاهرة تقسيم العمل الاجتماعي المتخصص".⁴

¹ - محي الدين صابر: الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1983، ص 13.

² - المرجع نفسه، ص 17.

³ - ماجد الزيود: مرجع سبق ذكره، ص 121.

⁴ - محي الدين صابر: المرجع السابق، ص 96.

3- مداخل نظرية لدور الجامعة في المجتمع:

في البداية يجب أن نشير إلى أن هناك اهتماما علميا وسوسيولوجيا منقطع النظير بدراسة الجامعة ودورها في المجتمع، وهذا الاهتمام من شأنه أن يطلعنا عن السبل الكفيلة التي تمكن المجتمع بالاستفادة من هذا الدور بطريقة أوضح، وما تقوم به الجامعة في تشكيل أنماط السلوك لطلابها وخريجيه، وتزويدهم بالمعرفة والخبرة التكنولوجية والمهنية، والتي تزيد من قدراتهم وكفاءاتهم العلمية والمهنية.

والمنتبع لتحليل التراث التاريخي لنشأة الجامعات الحديثة، يستطيع أن يتعرف بوضوح كيف ساهمت الجامعات الأوروبية والغربية في تنمية مجتمعاتها عندما كانت تعيش مرحلة التحول نحو المجتمع الصناعي، فما هي أهم النظريات العلمية التي تناولت دور الجامعة في عمليات التنمية الاجتماعية؟

كان لاهتمام علماء الاجتماع من أمثال ماكس فيبر في ألمانيا، ودراسته لأهمية دور الجامعات في عمليات تطور البحث العلمي والتكنولوجي في المجتمع، ذات قيمة سوسيولوجية هامة، تعكس لنا دور ورسالة الجامعات في تنمية المجتمع الألماني بصفة خاصة والمجتمع الغربي بصفة عامة، ومع ظهور علم الاجتماع الأمريكي برزت العديد من الجهود التي تناولت قضايا التعليم العالي ودور الجامعة في المجتمع الأمريكي، حيث حاولوا إبراز العلاقة التبادلية بين التعليم الجامعي وتنمية المجتمع، والى أي حد يمكن أن تسهم الأدوار الوظيفية للجامعات في تحديث المجتمع وتقدمه؟

إن التحليلات السوسيولوجية لم تتوقف عند هذا الحد، بل كانت هذه التحليلات نقطة انطلاق لتطوير المداخل السوسيولوجية لدراسة الجامعة نظريا وميدانيا، في إطار الواقع والعمليات الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية المتغيرة، ومن أهمية النظريات التي حاولت تفسير العلاقة بين التعليم الجامعي والتنمية في المجتمع الحديث نجد: نظرية التحديث، ونظرية الرأسمال البشري، ونظرية الأنساق الاجتماعية.

3-1 - نظرية التحديث : modernisation theory

ظهرت نظريات التحديث كإحدى النظريات السوسيولوجية التي اهتم علماء الاجتماع المحدثون لتوضيح العلاقة التبادلية والعوامل المفسرة لعمليات التنمية والتحديث في المجتمع الحديث، ولقد ركزت هذه النظرية على مجموعة من العوامل التي تؤثر بصورة مباشرة في عمليات التنمية والتحديث ومنها التعليم، وقد انتقدت هذه النظرية أصحاب الاتجاه البنائي الوظيفي، حيث حاولوا أن يحلوا بصورة واقعية المظاهر البنائية المتغيرة التي حدثت في

المجتمعات، منذ منتصف القرن العشرين تلك المظاهر التي تختلف بصورة نسبية عن وجهات نظر أصحاب المدرسة البنائية الوظيفية.¹

ومن أهم رواد هذه النظرية نجد دايفد ماكليلاند (Mc Lillard) * الذي حاول تحليل العملية التطورية لنشأة عملية التحديث مشيراً إلى العوامل التي بموجبها أحرزت بعض المجتمعات تقدماً ملحوظاً من الناحية الاجتماعية والتكنولوجية عن غيرها من المجتمعات الأخرى، واهتمت نظرية التحديث بصفة أساسية بتحليل الجوانب البنائية الوظيفية، متبينة المداخل التفسيرية السببية لتأثير بوضوح مقدار التداخل بين العوامل التي تؤثر على عمليات التنمية والتحديث في المجتمع الحديث.²

وحاولت النظرية تحليل الانجازات التي أحرزتها الدول المتقدمة الصناعية، على أمل أن تسعى الدول غير المتقدمة لتحليل هذا الانجاز، وحاول ماكليلاند (Mc Lillard) أن يؤكد على نوعية الثقافة الموجودة في المجتمع والتي عملت على تحقيق هذا الانجاز وتكوين الشخصية الفردية في المجتمعات المتقدمة، كما ركز على نماذج الشخصية في تلك الدول والتي تسعى إلى تحقيق التقدم والرغبة في التغير والتحديث، أن تلك النماذج الشخصية هي التي تفسر كيف تتقدم شعوب عن أخرى.³

وهذه الأفكار التي جاء بها ماكليلاند (Mc Lillard) تتطابق مع أفكار ماكس فيبر (max.weber) ورؤيته للأخلاق البروتستانتية وعلاقتها بنشأة الرأسمالية في الدول الغربية، إلا أن رؤيته كانت من زاوية علم النفس الاجتماعي ولا يمكن أن نعتبر هذه العوامل الضيقة وحدها تؤثر في عملية التحديث والتغيير الاجتماعي، اعتماداً على مفهوم: الانجاز والدافعية، والسمات، والقيم، والمعتقدات، إذ هناك المحتوى الثقافي والاجتماعي والتاريخي والحضاري الذي لا يمكن تجاهله في عمليات التحديث.

¹ - عبد الله محمد عبد الرحمن: دراسات في علم الاجتماع، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2000، ص35
* - اهتم ماكليلاند بتحليل نظرة التحديث مركزاً على بعض المتغيرات السوسيولوجية والسيكولوجية والاقتصادية، وحاول أن يقيس معدلات توجيه الانجاز في المجتمع، ومدى تأثيره في عمليات التحديث، ولقد شاركه في الرأي العديد من علماء نظرية التحديث.

² - عبد الله محمد عبد الرحمن: سوسيولوجيا التعليم العالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989، ص 213.

³ - عبد الله محمد عبد الرحمن: دراسات في علم الاجتماع، ص 36.

وقدم كل من انجلز وسميت (englis and smith) دراسة مقارنة على ست دول نامية معتقدين بان عملية التحديث ما هي إلا عملية اكتساب اكبر قدر من السمات لمجموعة من السكان، والاتجاهات والقيم والمعتقدات الحديثة، باعتبارها مركب من العمليات السوسيولوجية والسيكولوجية، ومن أهم ملامح هذا المقياس الذي تصوره كل من انجلز وسميت (englis and smith) لمعرفة شخصية الإنسان الحديث، هي اكتساب الخبرة، الرغبة في التجديد والتغيير وتنويع الاتجاهات والآراء، واكتساب الحقائق والمعلومات والاهتمام بالحاضر والمستقبل وعدم التركيز على الماضي، والتخطيط المستقبلي للشخصية.¹

غير أن هذه السمات والقيم والعادات التي يكتسبها الفرد ليصبح إنسانا حديثا، لم تراع التباين والاختلاف الثقافي والاجتماعي والتاريخي والحضاري، وخاصة الاقتصادي لأن لكل دولة من الدول النامية خصوصياتها وما يميزها عن الأخرى، وهناك العديد من العلماء الذين استخدموا مقولات هذه النظرية وحاولوا تجاوز فهم عملية التحديث على أنها مجرد اكتساب مجموعة من القيم والعادات والتقاليد والاتجاهات حتى نصنع إنسانا حديثا، لأن مفهوم وعملية التحديث لها جوانب متعددة ومعقدة، ربما تظهر في عمليات التصنيع والعمل على اكتساب السمات الإنتاجية، وتحسين الإنتاجية للقوى البشرية، كما تعتبر عملية التحديث في نظر المجددين لهذا الاتجاه، عملية تكيف بشري، وزيادة في العملية العقلانية، والمعرفية بكل جوانب البيئة التي تحيط بالمجتمع الحديث.

3-2- نظرية رأس المال الثقافي: humain capital theory

تعتبر إسهامات عالم الاقتصاد الأمريكي تيودور شولتز (shools) من أهم الإسهامات الاقتصادية التي تبنت نظرية رأس المال الثقافي، وتحليل العلاقة المتبادلة بين التعليم ومخرجاته من القوى العاملة باعتبارها نوعا من استثمار رأس المال وكأحد الأسس الرئيسية لإحداث التنمية الشاملة.

ومن ثم لا يمكن أن ننظر إلى التعليم على أنه نوع من الاستهلاك بقدر ما يعتبر نوعا من الاستثمار الإنتاجي، ولقد ناقش شولتز (shools) أهمية التعليم ودوره في تحسين الظروف الاقتصادية، التي جاءت كنتيجة طبيعية لإعطاء الفرد القدرات والكفاءات اللازمة، أو ما يعرف بالمؤهلات المطلوبة لتكوين الخيارات الشخصية للفرد التي يسعى من أجلها إلى الحصول على

¹ - عبد الله محمد عبد الرحمن: سوسيولوجيا التعليم العالي، ص 215.

المهارات العلمية والفنية، لدخول سوق العمل البشري، ويكون نواة للقوى العاملة المدربة التي تؤدي وظيفتها الأساسية نحو تحقيق النمو الاقتصادي.¹

كما يشير شولتز (shools) إلى طبيعة الانتقادات الموجهة إلى الجامعة ونظام التعليم العالي، خاصة تلك التي تتعلق بالأساس الإيديولوجي من حيث أن الجامعة لا تهتم بصورة ايجابية بسياسات الإصلاح الاقتصادي والاجتماعي التي تنتبها حكوماتها الوطنية، كما أنها لا تراعي طبيعة النفقات الاقتصادية لعملية التكلفة التعليمية، لكن السؤال هل يمكن استخدام الأبعاد التحليلية الاقتصادية لدراسة الأخطاء التي توجد في الجامعات؟

وفي هذا الصدد يرى شولتز (shools) أن "التعليم العالي في أي مجتمع ليس نشاطا حرا، بل العكس فهو نشاط اقتصادي له تكاليفه، وكذلك فإن الموارد المحدودة التي تخصص لدعم الجامعات والكليات والخدمات التي توفرها ذات قيمة عالية، ويمكن تقدير نفقات التعليم العالي بسهولة أكثر من تقدير قيمة عوائدها التي تظهر في صورة خدمات."²

لقد اقتنع أنصار هذا الاتجاه بأهمية التنمية البشرية والاستثمار في الكفاءات، كأساس للتنمية الاقتصادية في المجتمع الحديث، واليابان خير مثال على هذا فسر تقدمها يكمن في ما تملك من كوارر وإطارات فنية مدربة، فالاستثمار التعليمي هو احد الاستثمارات الإنتاجية الهامة والتي تسهم في بناء الاقتصاد الحديث، ولعل الإنفاق في مجال البحوث العلمية بالجامعات من أهم مصادر هذا الاستثمار، ويختلف عن ما يعرف بنمط الاستهلاك التعليمي.

غير أن نظرية رأس المال البشري ركزت في تحليلاتها على جانب واحد، وهو الجانب الاقتصادي للعملية التعليمية، ومدخلاتها ومخرجاتها، وطبيعة النفقات، فهي لم تشر إلى العمليات التي تتداخل في إعداد الإطارات التي يحتاجها سوق العمل، ولم تشر إلى الكيفية التي تعمل من خلالها الجامعة على تنمية المجتمع وتحديثه، فهي تكلمت عن اقتصاد حديث وعن تنمية اقتصادية، لكن مفهوم التنمية الاجتماعية اشم، وتأثيره في بناء المجتمع الحديث اكبر من التنمية الاقتصادية، كما أن الاهتمام بالاستثمار البشري، يجب أن يصاحبه إدراك بالاعتبارات السوسيولوجية والثقافية والتاريخية في تفسير عمليات التنمية الاجتماعية والتأثير عليها.

¹ - عبد الله محمد عبد الرحمن: دراسات في علم الاجتماع، ص 39.

² - المرجع نفسه، ص 42.

3-3 - نظرية الأنساق الاجتماعية ومداخلها المتعددة: général systems theory

في الأصل ظهرت في بداية الخمسينيات من القرن الماضي كنظرية بيولوجية، ثم استحوذت فيما بعد على تحليلات علماء النفس والاجتماع، خاصة في دراسة التنظيمات الاجتماعية، ويرى أنصار هذه النظرية أن الأنساق الاجتماعية تنقسم إلى قسمين أساسيين هي، الأنساق المفتوحة والأنساق المغلقة، إلى أن تركيز أنصار هذه النظرية يكون على الأنساق المفتوحة في دراسة وتحليل المؤسسات التعليمية من مدارس ومعاهد وجامعات، مؤكدين انه لا يمكن أن تعيش أو تستمد مؤسسة تعليمية بدون انفتاحها وتعاملها مع البيئة الخارجية التي تحيط بها، غير أن الدراسات كشفت أن هناك مؤسسات علمية تعتبر انساقا مغلقة ترفض التعامل والتعاطي مع البيئة الخارجية أو المجتمع المحلي، وصنفت على أنها نساق مدرسية غير مستجيبة للبيئة الخارجية، وتقاوم التغير البنائي، ولكن من الناحية الواقعية يعتبر شيئا مستحيلا مع الثورة المعلوماتية والانتشار التكنولوجي، والذي غير كثيرا من ملامح هذه الأنساق¹.

لكن مع ظهور علم اجتماع التربية وتطور النظرية الاجتماعية لعلم اجتماع التنظيم، ركزت بعض الدراسات الحديثة على تحليل العلاقة بين التنظيمات والمؤسسات التعليمية والأكاديمية الجامعية وبين المؤسسات الاجتماعية والصناعية والاقتصادية التي توجد في المجتمع المحلي، حيث حاولت دراسة الجامعة كنسق مفتوح، يؤدي دوره في عمليات التنمية في المجتمع، وحل مشكلاته المتعددة، وهي بذلك تود أن تفند الانتقادات التي وجهت إلى الجامعة واعتبرتها بناءات معزولة اجتماعيا، وأنها لا تؤدي دورها الايجابي في المجتمع.

وفي ضوء تطوير نظرية الأنساق الاجتماعية واستخدامها لدراسة المؤسسات التعليمية، حاول بعض السوسيولوجيين تحديث المداخل التي تستخدم في دراسة المؤسسات التربوية عن طريق تبنيهم ما يسمى بمدخل المحتوى أو المدخل البيئي، ويشير هذا المدخل إلى أن الاهتمام بدراسة المؤسسات التعليمية عن طريق النسق المفتوح يتيح تحليل العلاقة بين المدخلات والمخرجات ومضمون العملية التعليمية التي تتم في هذه المؤسسات، وهذا النمط من التحليل يطلق عليه النموذج الخطي، مدعّمين هذا المدخل بدراسة كافة أنماط التفاعل الداخلية، وعمليات الكفاءة والانجاز وارتباطها بنوعية المدخلات والمخرجات، وتحليل نوعية التكنولوجيا المتطورة وأثرها على تغير الأنماط البنائية والوظيفية للمؤسسة التعليمية².

¹ - المرجع السابق، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 52.

ويركز هذا المدخل على تحليل الواقع الفعلي الذي يوجد داخل البيئة التنظيمية التعليمية، ودراسة كافة الأنشطة والعمليات الداخلية، مع ما يتطلبه التحليل من معرفة بطبيعة النسق العام الذي نطلق عليه المجتمع الخارجي ذلك النسق الذي يؤثر بعلاقاته الايجابية والسلبية على الأنساق الفرعية والحفاظ على بقائها واستمراريتها، فالمدخل المحتوى (البيئي) يحاول دراسة جميع عناصر السلوك الفردي والتنظيمي داخل المؤسسات التعليمية، لمعرفة أنماط العلاقات المتفاعلة بين تلك المؤسسات وبيئتها الخارجية.

يكشف لنا مدخل النسق المفتوح على مدى أهميته في تحليل المؤسسات التعليمية والجامعية والأكاديمية، باعتبارها أنساقا اجتماعية تنتمي إلى النسق الأكبر وهو المجتمع، وتم استخدام مفاهيم اقتصادية جديدة على الحقل التربوي كالمدخلات والمخرجات، ومحتوى العملية التعليمية، إذ تحتل أهمية بالغة للكشف عن اثر البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية على الجامعة والمؤسسات التعليمية الأخرى.

4-وظائف التعليم الجامعي:

يقوم التعليم الجامعي بوظائف عديدة تهدف الى تطوير وتنمية المجتمع وترقيته، نذكر منها وظائف التواصل الثقافي، والتكامل الاجتماعي، وتنمية القدرات الابتكارية، والانتقاء والتخصيص، وتنمية القدرات الاجتماعية.

أ-وظيفة التواصل الثقافي: يقوم التعليم الجامعي بوظيفة توصيل ونقل المعتقدات الموروثة وترسيخها، من اجل المحافظة على القيم الثقافية التي تميز المجتمع، لأنه منطلق من واقعه الذي تشكل عبر مراحل تاريخية، ذلك الواقع الذي يجب أن تنطلق منه الدولة في تنمية المجتمع وصياغة أهدافه المستقبلية لتدعم استقراره، وتشجع وظيفة نقل التراث الثقافي من جيل الى جيل، وتحث على الحفظ والتمحيص والتمسك بالتاريخ والدين واللغة والفلسفة الخاصة بالمجتمع، وهكذا يكمن دور التعليم الجامعي في المحافظة على القيم وترسيخها لدى الأفراد، ويضمن استمراريتها واستثمارها في عملية التنمية والتطور الاجتماعي.¹

ب-وظيفة التكامل الاجتماعي: يعتبر التعليم الجامعي من أهم الوسائل التي توحد المجتمع، وذلك لأنه يفجر القوى الكامنة، ويحول القوى المتناثرة في المجتمع الى قوى متكاملة تعمل على تنميته وتطويره، ويكون ذلك بواسطة توحيد اللغة في التعليم الرسمي، وتنمية قيم الوطنية.

¹ - ثريا التيجاني: مرجع سبق ذكره، ص 139.

ج- وظيفة تنمية القدرات الابتكارية: إن التعليم الجامعي وإن كان يعتمد في جانب منه على التقليد خصوصا الدراسات الأكاديمية، إلا أنه يعمل على تفجير القدرات الابتكارية للطلاب والباحث، وتتميتها عن طريق تدعيمها بمختلف النشاطات التعليمية التي يوفرها التعليم الجامعي.

د- وظيفة الحراك الاجتماعي:

تعتبر الجامعة مؤسسة تعليمية يقوم فيها التعليم على الاختيار والانتقاء، لأن ما ينجزه الفرد في الجامعة يحدد مستقبله ووظيفته ونمط حياته تبعا للتخصص الذي يختاره، كما يحدد دخله ومكانته الاجتماعية. لذلك تعتبر الجامعة أداة رئيسية في توجيه وتسهيل الحراك الاجتماعي في المجتمع، أما التخصيص فيهدف الى تنسيق النظام التعليمي تنسيقا محكما وربطه بمختلف المجالات الاقتصادية والخدماتية في المجتمع.¹

هـ- وظيفة تنمية المهارات الاجتماعية:

الجامعة تعتمد في تعليمها على الصفة الجماعية، حيث تتيح للفرد أن يتحول من الصفة الشخصية الى الصفة الجماعية، لأنها تجعله يهتم بخدمة الجماعة من خلال خدمة شخصه، وبالتالي تعلمه كيف تكون المصالح الخاصة في خدمة المصالح العامة، وتجعله أكثر عقلانية، لأنه يتعلم كيف يتغلب على مركبات النقص والأنانية، كما يتعلم فيها الدقة والتنظيم والاحترام، فضلا عن تزويده بالمعلومات العقلية، والمواد المتخصصة وهذا قد لا يتاح له من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى.²

و- البحث العلمي: إن النظرة الشاملة للوظيفة البحثية للجامعة توضح بأنها تهدف الى تنمية المعرفة وتطويرها وذلك من خلال اشتغال الأساتذة بالبحث العلمي، وتدريب الطلبة عليه، ومن خلال توفير الكتب والمراجع لهم، والاهتمام بالمخابر وأجهزتها، وجعلها في متناولهم. إن البحوث العلمية التي تجرى بالجامعة سواء من جانب الأساتذة أو العلماء، أو من جانب طلبة الدراسات العليا، تضيف الى الرصيد الكلي لعمل الجامعة، وهي بذلك تسهم في دفع المجتمع الى الأمام.³

¹ - زايد مصطفى: التعليم في الجزائر: المؤسسة الرسمية وإعادة تكوين البنية الاجتماعية، مجلة علم الاجتماع رقم 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص 45

² - المرجع السابق، ص 47

³ - علي راشد: الجامعة والتدريس الجامعي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2007، ص 26

ز- العمل على مواجهة مشكلات المجتمع:

على الجامعة أن تساهم في حل المشكلات التي تواجه المجتمع وهي وظيفة جديدة نسبياً تقوم بها الجامعات، فعليها أن تكون متفتحة على المجتمع وعلى مشكلاته، فهي تساهم في اقتراح الحلول التجريبية في مجالات التنمية الاجتماعية والزراعية والصناعية ومصادر الطاقة. كما أنها تساهم في تحذير الناس وتوعيتهم بالمخاطر التي تتهدد المجتمع، كما أن للدراسات الاستشرافية دور كبير في وضع تصور مستقبلي للمجتمع وما يؤول إليه، وبالتالي وضع خطط مستقبلية لتقادي مشكلات قد تحدث مستقبلاً.

س- الدور الإنتاجي الاقتصادي للجامعة: حيث تقوم بعض الجامعات بالإسهام في الإنتاج ليس بما تقدمه من كفاءات متخصصة تدير الإنتاج نفسه، وإنما في إنتاج بعض المنتجات التي يستفيد منها المجتمع، فهناك جامعات تملك أكبر مستعمرة للحيوانات الراقية في العالم وتعمل على رعايتها وحفظها، وغيرها تبيع الخضروات والفواكه من مزارعها.¹

هذه هي أهم الوظائف التي تقوم بها الجامعة في الوقت الحالي، وسوف تزداد هذه الوظائف مع مرور الوقت نظراً للأعباء التي ستلقى على عاتقها نتيجة للتطورات الجارية في المجتمع من حولها والتي لا مناص لها من أن تواجهها.

5. التنشئة الاجتماعية في الوسط الجامعي:

يعتقد الكثيرون أن الجامعة مكان للاطلاع والدراسة فقط، وأن نهوض الجامعة بمهمة التعليم يعفيها من أي واجب آخر، والحقيقة غير ذلك، فالجامعة ليست غرفة صف فحسب ولكن الجامعة:² هي وسط يتألف من مكتبة، إقامات جامعية، معامل ومختبرات، قاعة اجتماعات، نوادي ثقافية، أنشطة طلابية متنوعة، مسرح، ملاعب رياضية، زيارات ميدانية، مجلات، جمعيات، انتخابات وحياة ديمقراطية تتيح قدراً كبيراً من الحرية للطلاب، علاقات مختلفة ومتشعبة، ندوات ومحاضرات ثقافية متنوعة، اسر جامعية، مشروعات علمية... الخ.

وصحيح أن الاستماع للمحاضرات الجامعية والإصغاء للأستاذ وسؤاله ومناقشته في بعض الأمور والمشكلات، تكتسي أهمية بالغة في التعلم واكتساب المعرفة، ولكن تعتبر الأنشطة التي تتم خارج قاعات المحاضرات من الأهمية بما كان في تنمية الطالب الجامعي من جوانبه المختلفة الروحية والعقلية والنفسية والمهارية والاجتماعية، بل يمكن القول أن هناك جوانب لا

¹ - المرجع السابق، ص 26.

² - المرجع نفسه، ص 16.

يمكن تنميتها من خلال قاعة المحاضرات، ويمكن أن نخلص للأهداف العامة لنشاط الطالب في الوسط الجامعي في ما يلي:

- تأكيد الجانب المعرفي بشكل عملي تطبيقي إذ أن مجالات النشاط تتيح الفرصة للاستفادة من مجموع الخبرات التي يكتسبها الطالب بطريقة عملية تؤدي إلى إدراك طبيعة العلاقات التكاملية.
- تنمية قدرات الطلاب العقلانية والجسمانية وإبراز ميولهم وتشجيعهم على ممارسة أساليب التفكير العلمي في مواقف عملية تجريبية.
- تنمية الروح الرياضية واللياقة البدنية والحركية عن طريق ممارسة مختلف الأنشطة الرياضية التي توفرها الجامعة والرياضة الجامعية.
- علاج بعض المشكلات الطلابية النفسية والاجتماعية من خلال مواقف النشاط مثل الانطواء والخجل وعدم القدرة على تحمل المسؤولية.
- ربط الحياة الدراسية بالحياة الاجتماعية المحيطة، وفي ذلك تنمية لروح المواطنة الرشيدة، والمساهمة في تطوير الحياة الاجتماعية.
- تنمية الذوق الفني للطلاب، وتدريبه على تقدير قيمة العمل واحترام العاملين، وتقدير الأعمال الفنية.
- تعزيز الطلبة على احترام قيمة الوقت، وكيفية استغلال أوقات الفراغ في واكتساب المهارات اللازمة لممارسة أنواع نشاط مختلفة.
- والأستاذ الجامعي في الجامعات الأجنبية يشارك طلبته في حياتهم الاجتماعية، ويتصل بهم في نواديهم، ويقاسمهم بعض الأنشطة الاجتماعية أو الثقافية أو الفنية، مما يعقد بين الأستاذ والطلبة صلات شخصية تسهل في مهمته التعليمية والتربوية، وتفتح أمامهم آفاقا اجتماعية واضحة القيمة بالغة الأثر.¹ ومن هنا يساهم الأستاذ بدوره في التنشئة الاجتماعية وترسيخ القيم.
- ويجب أن تشمل الحياة في الوسط الجامعي الرياضة والفنون والثقافة والاجتماع، فالطالب الجامعي يجب أن يكون رياضيا ممارسا لها، ويهوى لعبة ما، لأنها تنمي جسمه وعقله وتحفظ عليه صحته العقلية والنفسية والجسمية، وتعينه على الدراسة والتحصيل، وفي الجامعة الجزائية غالبا ما تقتصر الرياضة على فئة معينة دون فئات أخرى لاعتبارات اجتماعية أو ثقافية، وحتى لاعتبارات تتعلق بإمكانيات كل جامعة وما تستطيع أن توفره من وسائل.

¹ - المرجع السابق، ص 18.

ولا شك أن الأنشطة الطلابية تجعل من الجامعة مجتمعا متكاملًا، يتدرب فيه الطلاب على الحياة الاجتماعية، بأنواعها، وخبراتها وتجاربها، ويبث فيهم روح الجماعة ويدربهم على القيادة الجماعية، والتشاور والتعاون، كما يدعم تكوينهم النفسي وشخصياتهم بما يلاقونه من تحديات ومن مشكلات، وما يتحملونه من مسؤوليات.¹

فالتربية حسب جون ديوي ليست عملية إعداد للحياة فقط بل هي الحياة نفسها، وهي مستمرة وتطالب بأن يكون المتعلم مشاركًا في عملياتها المختلفة، حيث يتميز النشاط الطلابي بميزة فريدة؛ وهي كون الطالب هو العنصر الرئيسي فيه، وهو يختار نوع النشاط الذي يريد أن يشترك فيه، كما يشترك هذا الطالب في وضع خطة العمل لهذا النشاط مما يجعل حماسه ودافعيته للنشاط أكثر من حماسته ودافعيته للمواد التعليمية.

وعلى أية حال فإن النشاطات الطلابية تحقق أهدافًا تربوية عديدة مما يؤكد أهميته، من حيث الصحة البدنية، واستثمار وقت الفراغ، وتنمية المهارات الأساسية للتعلم الذاتي والمستمر، وتنمية العلاقات الاجتماعية، وتنمية القدرة على الاعتماد على النفس، والقدرة على التخطيط، واكتشاف مواهب الطلاب، كما تعمل النشاطات الطلابية على تعميق الشعور بالمواطنة وعدم الاستجابة للنزوات الضارة بالمجتمع وذلك بتكوين مفهوم الصالح العام لدى الطالب.

وعليه فالوسط الجامعي بما يتيح من عمليات اجتماعية تتميز بالتفاعل الاجتماعي وانخراط الطالب في نشاطات متنوعة، تؤهله للقيام بعملية التنشئة الاجتماعية بمفهومها الواسع وترسيخ القيم المرغوبة اجتماعيًا، والتي تشترك فيها اغلب المؤسسات الاجتماعية.

6. وضع الجامعة الجزائرية:

تعتبر جامعات دول العالم الثالث المستهلك الأساسي للمعرفة الغربية، والتي تتمثل في كل أنواع العلم والتكنولوجيا والمجلات والدوريات المختلفة ودور النشر، ومصادر جمع المعلومات وبنوكها، وغير ذلك من الوسائل المعرفية الحديثة التي تعتمد عليها المؤسسات العلمية الجامعية الأكاديمية، حتى أن بعض الدول العربية والتي حظيت بمكانة علمية وتكنولوجية حديثة؛ لا تمتلك السيطرة والتحكم في وسائلها المعرفية وعمليات إنتاجها وتوزيعها.²

وإذا أردنا تسليط الضوء على وضع الجامعة الجزائرية فمن الضروري التأكيد على أن الأمر صعب جدًا نظرًا لضيق ما يسمى بالحقل الثقافي، من مبدعين ونقاد وناشرين، وهيئات

¹ - نفس المرجع، ص 274.

² - مخداني نسيم: الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013، الجزائر، ص 212.

فكرية وأكاديمية، وجوائز تقديرية، وشبكات نشر وتوزيع، وضعف حركية الثقافة ومنتجاتها بين الجزائر والبلاد العربية، ولمراهنة مثقفها ونخبها الحاكمة على الثقافة الغربية، ذات المستوى الرفيع حسبما شاع واستقر في الأذهان.

إن خريجي الجامعة الجزائرية بفعل عددهم الكبير نسبيا، لم تعد لهم تلك المكانة الاجتماعية التي كانت لأسلافهم، فالتطور الكمي الكبير أدى الى ابتذال الشهادات الجامعية، وبالتالي ابتذال الطلبة الجامعيين، إن الأزمة العميقة التي تعيشها الجامعة الجزائرية، تعود الى تراكم تاريخي لمشكلات مادية، أخلاقية، بيداغوجية... ناتجة عن تسيير لا عقلاني، عطل وظيفة الجامعة الطبيعية.¹

وقد أسهمت هذه الأزمة بخطورتها في تزايد التيار المتشائم بمصير الجامعة وبمستقبلها، ويؤكد الياس ماري على أن "حالة التأزم في الجامعة الجزائرية، ابعد بكثير من أن توحى بأي نوع من التفاؤل، وأنها أشبه بحالة المريض الذي يصرع الموت في مصلحة العلاج المكثف"²، ولعل ابرز المؤشرات التي يمكن حصرها للدلالة على هذه الحالة المرضية، التي تزيد في تأزم إمكانية مواجهة المؤسسات الجامعية للتغيرات والتحديات المجتمعية والعالمية ما يلي:³

1- امتداد سوسيوتاريخي للحقبة الاستعمارية التي عملت على توسيع رقعة الجهل وتجميد الفكر، وهو اتجاه مازال مستمرا من خلال الاتجاه الإداري نحو إعادة الإنتاج الواسع للجامعة في ظل شروط إدارية وقانونية تشجع أنماط المثقفين المتميزين بالرداءة والامتنال بدل العقلانية والإبداعية.

2- ارتفاع الطلب على التعليم العالي، والتوسع في الكم وإنشاء الهياكل على حساب الجودة والكيف والعناصر الحيوية للتعليم والبحث العلمي.

3- التباين العميق مع البلدان الغربية في مجال البحث سواء من حيث عدد الباحثين أو عدد البحوث المنجزة "توعيتها ومدة انجازها"، وما يترتب عن ذلك من اثر على عملية النقل والتحويل التكنولوجي، يضاف الى ذلك عدم ارتباط الدراسات والأبحاث بالإطار العام للمشروع التنموي، بقدر ارتباطه خاصة في مجال العلوم الاجتماعية، بالخطاب الرسمي وبإعادة إنتاج إيديولوجية السلطة السياسية.

¹ - المرجع السابق، ص 214.

² - lies mairi: faut-il fermer l'université, Alger:ed:ENAL, 1994,p169

³ - مخداني نسيم: مرجع سبق ذكره، ص 215.

4- امتداد الأزمة الاقتصادية إلى عناصر الهيئة الأستاذية، أسهم إلى تحويل العديد منهم إلى البحث عن مناصب شغل خارج قطاع التعليم العالي، والهجرة إلى الخارج.

ويحدد تقرير اليونسكو 1996 أربعة أهداف للتعليم الجامعي هي: نتعلم لنعرف، نتعلم لنكون، نتعلم لنعمل، ونتعلم لنعيش معا في سلام. وعلى ذلك، فإن حسن إعداد وتكوين الباحث العلمي وتجويده يشكل أحد المداخل الهامة لرفع مستوى المهنة، وتعزيز الانتماء إليها وتجويد الإنتاج فيها.

غير أن نظام التعليم المتمركز حول تبليغ المعرفة واكتسابها هو النظام السائد في نظم التعليم بالبلدان العربية وفي الجامعة الجزائرية، الأمر الذي أدى إلى جعل المعرفة التي تتضمنها البرامج التكوينية بالجامعات تصاب بالهشاشة وعدم الفعالية، ومن ثم عدم تحقيق الأهداف المنشودة من التعليم التي أشارت إليها تقارير اليونسكو.

وبناء على ما سبق، فإن أعراض هشاشة المعرفة المتضمنة بالبرامج التعليمية التكوينية المستندة إلى النظام التبليغي، يمكن توضيحها في الآتي:

أ- الغياب: وتشير إلى عجز المتخرجين عن أداء مهامهم ووظائفهم بعد الولوج في الحياة العملية رغم كونهم يحملون شهادات تشير إلى أنهم مؤهلين للقيام بها. وهذا ما نشهده في المجتمع الجزائري حيث يعجز خريج الجامعة والحامل لشهادة عليا خاصة من الشعب العلمية والتقنية على القيام بالوظيفة التي من المفروض أن تؤهله لها تلك الشهادة التي يحملها. وهو ما عزز القول الاجتماعي أسأل المجرب ولا تسأل الطبيب، أعطيني واحد فاهم خير من واحد قاري (متعلم)؛ ألا تعكس مثل هذه المقولات الشعبية طبيعة المهام والخصائص البنوية والوظيفية للوسط الجامعي وعلاقته بالبناء الاجتماعي من خلال مخرجاته، وبالتالي وكأنه تقييم لآداء خريج الجامعة من طرف أعضاء المجتمع. وهذا من شأنه أن يقلل من الاعتبار الاجتماعي للطلاب الجامعي وللشهادة التي يحملها.

ب- الخمول: إن منهج اكتساب المعرفة يحدد إلى درجة كبيرة فاعليتها وكيفية استخدامها، فقد يتقن الطالب ذكر نظريات معينة، ولكن لا يستطيع حل مشكلة أو مسألة يتطلب حلها تطبيق تلك النظريات، لأنه لا يستطيع أن يوظف ما يعرفه أو ما تعلمه لحل المسألة، فالمعرفة الخاملة هي المعرفة السطحية التي يحتفظ بها المتعلم من أجل الإجابة في الامتحان، وتتطفئ حسب تعبير "سكندر" بمرور الامتحان، وهي نتيجة طبيعية للنظام الدمجي المتمركز حول تبليغ المعرفة والتلقين والتسميع دون فهم واستيعاب لما تتضمنه محتويات المنهاج التكويني، مما يعيق تطبيقها وتوظيفها.

وربما هذا حال مختلف التخصصات في الجامعة الجزائرية خاصة في العلوم الاجتماعية التي تتطلب من المتعلم أن يكون فردا واعيا مفكرا ناقدا، موظفا للمداخل النظرية بحيث يستطيع أن يقوم بمقاربتها في الدراسات الاجتماعية، إن المقاربة النظرية لا تتوقف عند مجرد عرضها في الدراسة كعنصر مستقل، أو في استعمال مصطلحات نظرية ما، لكن تتجاوز هذا الى التحليل والتفسير وفق المنظور الذي يتناسب مع الدراسة.

ج- الساذجة أو السطحية: وتوضح لدى الطلبة في مناقشة قضايا علمية، أو اجتماعية باستخدام مفاهيم اكتسبوها من مصادر غير علمية، رغم تعرضهم لهذه القضايا العلمية الاجتماعية ضمن المقررات وحاولوا تفسيرها تفسيراً علمياً، إلا أن هذه الدراسة المنظمة لم تستطع أن تحل محل المعرفة الساذجة التي اكتسبوها من مصادر غير علمية، وكلما طلب من المتعلم استرجاع تلك القضايا ذكرها بمهارة فائقة، بينما إذا طلب منه تقديم تفسيراً أو تحليلاً لها عاد إلى التفسيرات الساذجة، أو التفسيرات غير العلمية.

د- الطقوسية: يكتسب الطلاب اللغة المقبولة علمياً ويرددونها بدون أية صعوبة؛ إذ نجدهم يرددون مفاهيم وآراء علمية، ويجتازون الامتحان بنجاح من خلال ذلك، ولكن في الواقع يرددون ألفاظاً جوفاء لا معنى لها بالنسبة إليهم كمن يقوم بطقوس ليس لأنه يفهمها، بل لأنه وجد جميع الأفراد يقومون بها. فقد يتحدث مثلاً المتخصص في علم الاجتماع عن مفهوم الطبقة، ومفهوم الطبيعة البشرية، أو دراسة الحالة، ولكن إذا سألناه عن معنى هذه المفاهيم يعجز عن تحديد المقصود بها.

ز- الاغتراب: أي أن منشأ هذه العلوم في معظمها غربي، ولا يرتبط بقضايا الوطن، ويصعب تطبيقها على مشكلاته وقضاياها. ونضيف إلى أن هناك اجتزاء للمعرفة وعدم اكتمالها لدى الطلاب، والاعتماد على الاختصارات والتلخيص، من أجل سهولة الحفظ، كما أنه لا يوجد تكامل في التخصص الواحد، يلم الفرد فيه بعد التخرج بمختلف المعلومات والنظريات المفسرة له.

كما نلاحظ عدم وجود علاقة أو ترابط بين مجموعة المعارف المتضمنة في المادة الواحدة من جهة ومعارف المواد الأخرى من جهة أخرى، مما يجعل تكوينه مجزأ؛ إذ نجده لا يستطيع ربط معرفة بأخرى، وهذا ما يجعله عاجزاً عن استثمار تلك المعارف في الحياة العملية، كما نجده عاجز عن إنتاج المعرفة، لأن ذلك يتطلب أن يكون الطالب قادراً على الربط بين تلك المعارف المتنوعة وتركيبها.

إن أزمة التعليم الجامعي في الجزائر التي ذكرناها برزت لارتباطها بعوامل تتعلق بالبناء الاجتماعي في المجتمع الجزائري والتغيرات المحلية والعالمية التي يتعرض لها، وحتى يواكب المجتمع الجزائري تلك التغيرات، فإنه مطالب بإيجاد تعليم عال قادر على إنتاج الإنسان الجزائري العقلاني المفكر والمبدع والمحلل والناقد.

من هذا المنطلق جاءت الإصلاحات التي أدخلت على التعليم العالي، والتي كان من بينها الاستغناء على نمط التعليم العالي الكلاسيكي (السابق)، وتبني نظام (ل.م.د) الذي بدأ تطبيقه بالجامعة الجزائرية الموسم (2004-2005) كما تم تعميمه بأغلب الجامعات الجزائرية في العام الموالي (2005-2006).

ويهدف نظام (ل.م.د) الى إخراج الجامعة الجزائرية من أزمتها العميقة، على اعتبار أن الإصلاحات كانت جذرية ومست كافة أطراف العملية التعليمية التعليمية، وتطوير التعليم العالي وجعله يتماشى ويستجيب للمقاييس العالمية شأنه في ذلك شأن الإصلاحات التي سبقته، ف نظام (ل.م.د) يعطي وضوحا بالنسبة لمنح الشهادات الخاصة بكل مؤسسة، أو كلية إذ تتبنى مستويات وتسميات عالمية للشهادة، والتي تسمح بتسمية وتحويل الشهادات الممنوحة من طرف المؤسسات الجامعية وتسهيل التنقل للطلبة، هذا فضلا عن كونه نظام يتسم بالمرونة واللين عكس النظام السابق.

غير أن الحقيقة التي يجب أن نأخذها بعين الاعتبار أن تطبيق نظام (ل.م.د) كان في ظل أزمة متعددة الأبعاد، وفي ظرف زمني قصير تم تعميمه على اغلب الجامعات، خاصة مع تزايد الطلب على التعليم العالي وارتفاع عدد الطلبة الجامعيين الى مليون طالب جامعي أو اقل بقليل، وزيادة التكلفة التعليمية وعدم تلاؤم المخرجات التعليمية مع سوق العمل، والقصور الذاتي وعدم الكفاية، كلها مشاكل تجعل من هذا النظام مكلفا من الناحية المادية بالنظر الى الطلب المتزايد على التعليم العالي، إذ أن التكوين النوعي الذي يمثل إحدى الغايات الكبرى لهذا الإصلاح مشروط بتوفير الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة.

ثانيا: سوسيولوجيا الشباب الجامعي:

للطالب الجامعي خصائص عامة، على الجامعة والأستاذ الجامعي أن يكون على وعي وإدراك بهذه الخصائص، فالطالب الجامعي يمر بمرحلة نمو انتقالية؛ فهو على وشك إنهاء مرحلة المراهقة إن لم يكن قد تجاوزها فعلا إلى مرحلة نضج أخرى تسمى مرحلة الشباب. ونحاول في هذا المقام أن نتكلم عن الخصائص النفسية والاجتماعية للطالب الجامعي، واهم قضايا الشباب الجامعي ومشكلاته، ومدى تأثير الوسط الجامعي في قيمهم التي يحملونها، وطبيعة النسق القيمي في الوسط الجامعي.

1- الخصائص النفسية للشباب الجامعي:

لا شك أن أهم التغيرات التي تطرأ على الشباب الجامعي تمس الشخصية في مختلف جوانبها، حيث يتصرف الطالب الجامعي بحكمة وتعقل تعكس دخوله مرحلة الرشد، لأن سلوكه ليس موجها أصلا لجلب انتباه الكبار مادام هو عضو منهم وتصرفاته عادية بالنسبة لهم.

إن النضج العاطفي والعقلي الذي اكتسبه الفرد في عمر الثامنة عشر أو التاسعة عشر هو شاهد على هوية (الأنا) التي أصبحت قادرة على الانضواء في الواقع الاجتماعي، يظهر الطالب الجامعي تماسكا في أفكاره ومعتقداته من خلال أفعال وسلوكات يشارك فيها مع مجموعة اختار الانتساب إليها. ومن بين أهم ميزات هذه المرحلة نفسيا:¹

أ- **الفكر المستقل:** إن الدخول في الحياة الاجتماعية أو مرحلة الرشد تشير بتعبير علم النفس إلى هذا الاستقلال الفكري؛ أي قدرة الفرد على مراقبة أفكاره وأفعاله، ويظهر الفرد الشاب والمسلح بالنضج قدرة فائقة على تنظيم خياراته، لقد أصبح شخصا مسؤولا.²

إن القدرة على تحمل المسؤولية ومراقبة الذات والتحكم فيها هي القاعدة الأساسية للانخراط في نسق قيمي يوجه الأفكار والمشاعر والسلوكيات، إنه (الأنا) مركز الوعي، هذه القدرة على قول (أنا) تفترض الامتلاك الكامل للوسائل التي تجعل الفرد يعبر عن أفكاره وعن التزامه العملي بما يقول كما أنه وعي للذات وللهوية، إن مصطلح الهوية يعود بمختلف مفاهيمه إلى الشعور الواعي بالتمايز الفردي أحيانا، وأحيانا أخرى إلى بذل جهود واعية لتأسيس استمرارية الخبرة المعاشة وأحيانا إلى إنهاء تضامن الفرد مع المثل العليا للمجموعة.

¹ - امتثال زين الدين: مرجع سبق ذكره، ص 20

² - المرجع نفسه. نفس الصفحة.

إن الفكر المستقل قد يأخذ مساحة واسعة في حياة الطالب الجامعي ويؤدي الى الإبداع الفني، ذلك أن مزج الفكر الذاتي الخاص مع العوامل البيئية يؤدي الى الإنتاج والموهبة الفنية، إن هذا الفكر المستقل يبقى في هذه المرحلة الجامعية خاضع لبعض الضغوطات الاجتماعية التي قد تؤثر على الفرد وتؤدي إلى تعطيل القدرة على القرار الخاص، إن الفكر المستقل هو نتيجة لدرجة مرتفعة من التوازن بين كل القوى الحيوية التي تحيط بالفرد، كانت داخلية أو خارجية، وهذا ما يؤدي الى الانسجام والتلاؤم بين وسائل التكيف والحاجات ويوفر للفرد معنى وقيمة للحياة.

2.1. **مختلف التزامات الشباب الجامعي:** هذه المرحلة الانتقالية ما بين المراهقة والرشد، تسمح بالاستفادة في تدعيم الأنا من خلال دمج ومزج التجارب المختلفة، فنرى الشاب يلتزم بنشاطات مختلفة في الحياة وفي ميادين متنوعة بوعي وحرية. ومن بينها:¹
أ- **العلاقة بالجنس الآخر:**

علاقة غير مبنية على هدف جنسي فقط، وإنما تكتسي طابع تحقيق الهوية النفس-جنسية، وبالتالي ستؤمن للشريكين قدرة التواصل الجسدي مع شريك مختار دون خوف من فقدان الهوية الذاتية.

وشبابنا العربي بصفة عامة يعاني من مشكلات في التواصل مع الجنس الآخر وضعف في التربية الجنسية، وقد حاولت بعض دول الخليج أن تفرض قانونا يمنع الاختلاط في المؤسسات التربوية المختلفة، إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور انحرافات جنسية خطيرة بين الشباب، وخاصة مع الانفتاح الإعلامي الذي أتاح للشباب مجالا واسعا للإبحار في عالم الجنس دون ضوابط أو قيود، ومع ذلك يبقى هذا الموضوع في المجتمعات العربية وحتى في المجتمع الجزائري من الطابوهات والمحظورات، وهذا ما يفسر الانحرافات الجنسية الخطيرة التي نشهدها.²

ب- **الاهتمام السياسي والنقابي:**

حيث أن الشباب في المرحلة الجامعية يحمل طاقة جسدية ونفسية تؤهله للصراع والتحدي لذا يكون مؤهلا للعمل السياسي، خاصة ضمن نشاط المنظمات الطلابية وممارسة العمل النقابي. إذ يبحث الطلبة في هذه المرحلة عن التعبير عن النزعة الجماعية فيهم وهذا ما يدفعهم الى الانضمام في جماعات بهدف العمل السياسي أو النقابي، وهو دافع غريزي بالإضافة الى القناعة

¹ - المرجع السابق، ص23

² - عبد العالي دبله، مرجع سبق ذكره، ص86

الفكرية، فالمنظمات الطلابية في الجامعات الجزائرية متعددة ومتنوعة وتجسد توجهات الأحزاب السياسية في المجتمع الجزائري.

كما انه في مرحلة الشباب يزداد الطموح في احتلال دور اجتماعي والتعبير عن الارادة بدرجة عالية، مما يدفع الشباب الى الانضمام إلى التنظيمات الطلابية والتيارات السياسية، لاحتلال دور اجتماعي ومركز مرموق في المجتمع.¹

ج- الخيار المهني:

تتركز هذه الخيارات على قدرة الطالب وميوله التي اكتشفها من خلال طاقة التركيز، التي نمت وتطورت وجعلته يتعامل بوعي ومرونة وجدارة مع التقنيات المختلفة، وهذا ما يمكنه من خيار مهني يجسد طموحاته ويبلور هويته ودوره في عالم الشغل.

ويبقى الشاب (الطالب) في هذه المرحلة الانتقالية والتي قد تطول بحاجة الى التشجيع والدعم النفسي الذي يكسبه الثقة بذاته ويجعله يشعر بالطمأنينة والقبول، وان خياره المهني متلائم مع طموحاته وبأن دوره الاجتماعي يحمل قيمة له وللآخرين.

د- الاهتمام الروحي:

تبرز عند الشباب حاجة إنسانية تتطور وفق مراحل النمو العقلي ألا وهي الحاجة الإيمانية والعلاقة بالدين، ويتحرك الشباب بالنسبة للدين وفق مراحل الاستفادة من المعرفة الفطرية الموجودة عند كل الناس، ذلك أن البعد الروحاني هو بعد حيوي يدفع كل إنسان ومنذ القدم إلى طرح الأسئلة التي تتعلق بالوجود وما بعد الوجود، "أن العواطف الدينية تبدأ في حدود الثانية عشر من العمر وتتصاعد الى أقصاها تدريجيا."²

أما في المرحلة الجامعية مرحلة النضج والاكتمال في النمو العقلي، وحيث أن المثالية تشكل جانبا مهما في وعي الشباب للكون، يبدأ البحث العقلي والتأمل في الكتب الدينية، ويعمل ذهن الشباب في تحليلها وتقييمها.

وينظر البعض الى أنّ الشباب والدين لا يتفقان، وان أيام الشباب هي حياة الانطلاق والتحرر التي قد تصطدم بالدين وبنواحيه المتعددة، غير أن الواقع يكشف عن الالتزام الديني للطلاب الجامعي، بما أن الانتماء الديني مكون أساسي ورئيسي في المجتمع الجزائري وثقافته.

¹ - امتثال زين الدين: مرجع سبق ذكره ، ص24.

² - المرجع السابق، ص25.

هـ - الثقة بالنفس:

يتصف الطالب الجامعي بقدر كبير من الثقة بالنفس والاعتماد عليها، والاستقلال بها، وقد يفاخر بأن له رأياً مستقلاً، وأنه لا يخضع لآراء الآخرين، وثقة الشباب بنفسه واعتماده على ذاته ينبعان من إدراكه بإمكانياته ومعرفته بقدراته.¹

وعليه يجب أن يتمتع الطالب الجامعي بالصحة النفسية والتي لا تعني سلامة الفرد من المرض النفسي والعقلي بصوره المتعددة، وعدم ظهور أعراض الاضطرابات السلوكية الحادة في أفعاله وتصرفاته. بينما المعنى المقصود بالصحة النفسية هو درجة نجاح الفرد في توافقه الداخلي بين دوافعه ونوازعه المختلفة وفي توافقه الخارجي، وفي علاقاته بالوسط الجامعي وبيئته الاجتماعية بما فيها ومن فيها من موضوعات وأشخاص.

وهناك مؤشرات نستدل بها على الصحة النفسية للطالب الجامعي ومن أهمها؛ التقبل الواقعي للطالب لحدود إمكانياته وهذا يقتضي أن يعترف الطالب بوجود الفروقات الفردية والاختلاف في الإمكانيات البدنية والذهنية، واستمتاع الطالب بعلاقات اجتماعية سواء في محيطه الأسري أو في بيئته الاجتماعية أو في الوسط الجامعي، كما يجب أن يكون راضياً عما يقوم بها من عمل ودراسة، وأن يمتلك القدرة على تحمل المشاق وتحمل المسؤولية في سبيل تحقيق أهدافه والابتعاد عن الإحباط، والإقبال على الحياة بحماس وان يكون مشاركاً في مجتمعه لا منعزلاً عنه.

2. الخصائص الاجتماعية للشباب الجامعي:

اعتبر بيار بورديو الشباب مجرد كلمة انطلاقاً من توجه إيديولوجي خاص، فالشباب بالنسبة له هو بناء عقلي أنتجته بنية اجتماعية أو حقل اجتماعي وليس معطى، فالحد الفاصل بين الشباب والشيخوخة هو رهان صراع.

ذلك الصراع الذي يجعل الشباب يطور ثقافة خاصة به نتيجة للتغيرات والتطورات التي يمرون بها، وتؤدي إلى ما يمكن أن نسميه بثقافة الشباب، وتنشأ هذه الثقافة بفعل استقلالهم جزئياً عن عالم الكبار، وبسبب وجود أسلوب حياة غير خاضع لمعايير الراشدين وقيمهم وطرق تفكيرهم.

¹ - علي راشد: مرجع سبق ذكره، ص 57.

وثقافة الشباب تشير الى مجموعة القيم والسلوكيات التي تتجسد في أنظمة العلاقات الاجتماعية التي تتبلور حول حاجات الشباب ووضعهم في المجتمع وإحساسهم بمشكلاتهم، بحيث تضم هذه الفكرة أطر قيمية وفكرية لتوجيه السلوك.

إنّ الشباب مصدر التغيير الثقافي والاجتماعي في المجتمع ككل، والسياق الاجتماعي والتاريخي للمجتمع هو الذي يحدد اتجاهاتهم ومواقفهم وأنماط سلوكهم، ومشاركتهم الفعلية في أمور وقضايا مجتمعهم تعد ضرورة كونهم يمثلون طاقة المجتمع الحقيقية. لذلك فالأصل في التربية هي إعداد الفرد للحياة لا التكيف معها فقط.

لذلك فإن الشباب الجامعي ليسوا طبقة اجتماعية مستقلة عن سائر طبقات المجتمع، ولا فئة اجتماعية أو عمرية متجانسة موجودة خارج قوى المجتمع الأخرى، وأن مكوناتها وانتماءاتها الاجتماعية وارتباطاتها الثقافية متعددة.¹ إنّ وصول الطالب الى الجامعة في عامه الأول لا يعني انه طالب لكنه يتطلع لان يكون كذلك، ففي البداية هو طالب معرفة علمية لا أكثر، فالنجاح الجامعي يمر عبر تعلم مهنة الطالب، ولا يفيد الدخول الجامعي بشيء إذا لم يكن مصحوبا بعملية انتساب أو توافق مؤسساتية وثقافية.²

ويتطلب النجاح واستمرار الطالب في الدراسة الجامعية التوافق مع المجتمع الجامعي، ليقوم بمهامه أثناء التعليم الجامعي على أكمل وجه،". وعدم توفر هذا النوع من التوافق يعتبر مؤشرا على أن هناك حاجات غير مشبعة للطالب داخل البيئة الجامعية التي يدرس فيها، وعدم إشباع جزء من هذه الحاجات يؤدي الى نقص في مستوى التوافق مع الوسط الجامعي لدى الطالب ، مما يترتب عليه نقص أو تعثر أثناء فترة التعليم وما بعدها".³

ويعتبر الطالب في النظام التعليمي الحديث، خاصة في ظل نظام (ل.م.د) هو محور العملية التعليمية التعليمية كلها، إذ يحرص هذا النظام على كيفية إطلاق الطاقات الخلاقة والإبداعية لدى كل طالب حسب قدراته وميولاته واهتماماته، وفي كيفية قيام الطالب بدور أكثر ايجابية في عملية التعلم الذاتي، وحل المشكلات والوصول الى الحقائق بنفسه.

إن ثقافة الطالب الجامعي مرتبطة الى حد كبير بنمط التعليم الثانوي والجامعي، ولكون التلقين هو السائد بدلا من الحوار، وحث الطالب على طرح الأفكار ومناقشتها، فالطالب لا يشعر بحاجة الى التعبير وبالتالي الى ثقافة ومعلومات تتعلق بقضايا معرفية معينة، كما أن ذلك

¹ - مخداني نسيم: مرجع سيق ذكره ، ص 200.

² - المرجع نفسه، ص 204.

³ - محمد قاسم القريوتي: التعليم العالي في الأردن، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1996، ص 19.

يرتبط كثيرا بمجهودات الطالب البحثية، وحراكه الاجتماعي والفكري وأنشطته في بيئته الجامعية.

فالتألمب الالامعي لا يقرأ، ويشعر بأنه ليس بحاجة الى القراءة، ويقضي معظم أوقات فراغه بين مقاهي الانترنت والنوادي الطلابية، بحثا عن ما يمكن أن نسميه "الثقافة المبتورة"، وبات الهاتف الخلوي والانترنت هما المصدر الرئيسي لثقافته بعيدا عن الكتاب.¹

إن الطلبة حاليا غير قادرين على اتخاذ المبادرات، وان يصبحوا فاعلين في الميدان الثقافي الالامعي، فإنادتهم في التعلم ورغبتهم في أن يكونوا ايجابيين اصطدمتا بطبيعة المؤسسة الالامعية، خاصة في ظل الانفصال بين التربية من جهة والتعليم من جهة أخرى في النظام التربوي، حيث أصبح الحصول على شهادة جامعية غاية. "مما انعكس سلبا على العلم باعتباره مادة تستهلك في سبيل الحصول على الشهادة، وفقدان الكتاب لدلالته القيمة بكونه وعاء للمعلومات، على الطالب استهلاكها في سبيل الحصول على شهادة."²

ولعل أهم مظهر للنشاط الذي يقوم به الطالب في الوسط الالامعي هو نشاطه ضمن المنظمات الطلابية وممارسة العمل النقابي والنضال السياسي، فللطلبة دور أساسي في بناء القوة السياسية، فهي "قوة الشباب، وصوت المثقف وهي الأكثر إبداعا، وخاصة وأنها متفرغة نوعا ما مقارنة بالنقابات العمالية".

إنّ العجز الفكري الذي أصاب المنظمات والحركات الطلابية اثر انهيار المنظمات السياسية التي استندت عليها في بدايتها، جعل خطبها تكرارا بأشكال متعددة لنفس الجمل التي تجتر أفكارا عامة، تبقى مملة ما دامت لا تتغذى باستمرار بالجديد من حقائق الحياة الاجتماعية.³

وبقدما تقلصت قاعدة التيارات الطلابية، بقدما زادت لديها ميول التحكم بالطلبة وفرض توجه نضالاتهم وأنشطتهم بشكل غير ديمقراطي، هكذا تقوم الأقلية بمصادرة حق الجماهير الطلابية في التعبير والنقاش الحر، واتخاذ القرار بشكل جماعي وشفاف. ومنها ما يصل الى حد استعمال العنف.

¹ - المرجع السابق، ص 22.

² - المرجع نفسه، ص 27.

³ - مخداني نسيمه: مرجع سبق ذكره، ص 210.

3. مشكلات الشباب الجامعي:

إن موضوع الشباب اليوم في قلب كل المناقشات حيث طغى على الساحة الفكرية والأكاديمية والإعلامية، خاصة من طرف علماء الاجتماع الذين أهملوا هذا الموضوع لفترة طويلة من الزمن.

إن الشباب الجامعي وفئة الشباب بصفة عامة، تعاني فعلا من ظاهرة الإحباط بدرجة كبيرة الى الحد الذي تؤدي به الظروف الى الحصول على ما يرغب فيه ولو بطرق غير شرعية، وما ينجم عنها من أخطار وصعوبات للشباب من جهة والمجتمع الذي يعيش فيه هذا الشباب، ولا نعتقد أن شبابنا بعيد عن هذا الوضع إذ دلت العديد من الدراسات التي أجريت حول الشباب أنه يعاني من العديد من المشكلات:¹

فالشباب يعاني من المشكلات التي ترتبط بحاجاته الأولية مثل الصحة، والجنس، وعدم معرفتهم لميولهم الحقيقية وذكائهم، وعدم معرفة كيفية اختيارهم لمستقبلهم المهني، كما أن الشباب يعيش بعضا من مظاهر التناقض؛ ولكنه لا يعيها تماما، ومن هنا تأتي تناقضات استجاباته في كثير من البحوث التي تناولت القيم والاتجاهات.

إن التركيز على أوضاع شبابنا ومشكلاته اليومية له ما يبرره، فهم مورد بشري هام يساهم مساهمة فعالة في بناء وتطور المجتمع وتنميته، كما أن أوضاع الشباب في المجتمعات الحديثة حسب انتوني جينز هي المؤشر الأساسي الذي يدل على مستويات الصحة والعافية والرفاه الاجتماعي الذي يتمتع به أي مجتمع.

وتتضح أزمة الشباب الجامعي في مشكلة تناقض القيم وخاصة مع الانفتاح الهائل على وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، انه فعلا يعيش في ما يمكن أن نطلق عليه المكان الثالث Tiers Lieux بحيث لا هو راض كليا أو جزئيا عن وضعه الحالي ولا هو باستطاعته أن يصل الى ما يحلم به، ومن هنا تظهر السلوكيات غير المحبذة عند هذه الفئة، كما أن الاختيار بالنسبة للاختلاط أو للزى أو لتصفيف الشعر لا ينم عن وعي وإدراك، بل ينم في الغالب عن التقليد والانخراط في تيار يدفع بهم الى منحى ما.²

¹ - عبد العالي دبله: مرجع سبق ذكره ، ص 84.

² - المرجع نفسه، نفس الصفحة.

إن ما يجعل الشباب الجامعي جمهرة لا تختلف اختلافاً بيناً عن جمهرة غير مثقفة، هي عدم امتلاكها القدرة على الاختيار بتفكير واع وعقلاني، فالمثقف هو الذي يختار لنفسه وبفسه، أما غير المثقف فانه لا يستطيع أن يختار ولا يستطيع أن يوازن بين أكثر من موقف.¹

ولا نريد بهذا أن نجعل من الشباب الجامعي شخصيات لا عقلانية، لكن المغزى هو التفريق بين من يؤمن بما يقوم به عن قناعة وفكر واضح يجده ركيزة ذهنية يقيم عليها ما يعتقد، وبين من يقلد ولا يؤمن بما يقوم به، غير أن الشباب الجامعي يبدو في ظاهر السلوك أن الوسط الجامعي يتيح له قدراً من الحرية، لكن الواقع غير ذلك. فالضغوط التي يتعرض لها الشباب الجامعي هي ضغوط مغلقة بغلاف من الحرية الظاهرة، بحيث لا يكاد يدرك الشباب انه مضغوط عليه من قبل مؤسسات اجتماعية تلعب دوراً هاماً في تشكيل سلوكه والتأثير عليه.

وبفعل النظرة المستقبلية التي يتصف بها الشباب الجامعي نراهم أكثر حرصاً على تغيير الواقع وأكثر حساسية اتجاه متغيراته، ونظرتهم للواقع تمتزج بالمثالية في توجهاتهم وآمالهم الذاتية والاجتماعية، وهذا يضعهم غالباً في مشكلة قيمية مع الإطار الاجتماعي الذي يحيط بهم وينتمون إليه، فهم يرون أن القيم التي اكتسبوها من الوالدين والأسرة والبيئة الاجتماعية لم تعد كافية ومناسبة للتفاعل مع متطلبات الواقع، إن محاولة التخلص من كافة ألوان الضغط والتعبير عن الرغبة في التحرر تعد من الخصائص المميزة للشباب الجامعي.

كما تعتمد الحياة الجامعية اعتماداً كبيراً على العلاقة بين الأستاذ والطالب، تلك العلاقة التي ينبغي أن تكون ايجابية يسودها الود والعطف والاحترام المتبادل والثقة، فالحياة الجامعية ليست مجرد كتاب وتحصيل، وإنما عبارة عن تفاعل إيجابي بين الأساتذة وطلابهم، وبين الطلبة فيما بينهم، وعن طريق الانخراط في جميع نواحي الحياة في الوسط الجامعي، بالاحتكاك والانخراط في النوادي الرياضية والثقافية والفعاليات التي تنظمها الجامعة والاقامات الجامعية والمنظمات الطلابية وممارسة العمل النقابي والسياسي، باعتبار الجامعة مجتمع مصغر ووسط يتوفر على صفات المجتمع عامة، من شأن هذه العلاقة التفاعلية أن تنعكس على أداء الطالب الأكاديمي وتنمّي مستواه التحصيلي.

إن الشباب الجامعي لا يلعب دوراً ايجابياً في حياته، فالشباب لا يختار التخصص الدراسي عن قناعة شخصية وميل ورغبة، بل عن إجبار اجتماعي والأصل في الدراسة أن تكون على

¹ - أحمد محمد موسى: الشباب بين التهميش والتشخيص، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2009، مصر، ص 111.

أساس الاختيار الشخصي والتذوق الفردي لما يقوم به الإنسان، فالعلم في أصله عشق للطبيعة أو القيم.

لكنه تحول الى ضغط اجتماعي بغير هدف واضح من طرف الشباب فهو لم يختار لا الكلية ولا التخصص، بل معدله في شهادة البكالوريا كان الفيصل الوحيد الذي دفع به الى تخصص ما. فحاضر الطالب الجامعي ومستقبله هما نتيجة لضغط اجتماعي، فالشباب الذي كان يتصور انه اختار ورسم لنفسه خطوط مستقبله يجد نفسه فجأة مجبرا على تكيف قدراته العقلية والنفسية مع ما يتطلبه التخصص الدراسي الذي لم يختره.

كما أنهم (الشباب) لا يحسون بقيمتهم الذاتية أو حتى قيمتهم في نظر المجتمع الذي ينتمون إليه، ذلك أن الشباب الجامعي يحس بأنه قليل القيمة إذا ما قورن بالقيمة التي كان يتمتع بها الشباب الجامعي قديما من حيث الاعتبار الاجتماعي وقدرته على فهم التحولات والتغيرات الاجتماعية.

والشباب المثقل بالمشكلات لا يستطيع أن يقوم بدوره وتحقيق الأهداف المرجوة منه، حيث أن هذه المشكلات تنقل كاهله وتعوق حركته ونشاطه الذهني والاجتماعي وتعرقل تكيفه النفسي والدراسي والاجتماعي، ولذلك ينبغي تحرير الطالب مما يعانيه من مشكلات.

ومن أهم المشكلات التي يعانيها الطالب الجامعي نجد: مشكلات نفسية تتعلق بالتكيف الاجتماعي كالشعور بالخجل والشعور بالنقص، والصعوبة في إقامة صداقات، وعدم النضج، وعدم الرضا عن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطالب الجامعي.

ومن المشكلات الأكاديمية عدم الرضا عن الجامعة، والحاجة الى العون الأكاديمي وتنظيم الوقت، والعجز العقلي عن مواصلة الدراسة الجامعية، وصعوبات التحصيل الدراسي، والغش في الامتحانات، وإثارة الفوضى ومظاهر العنف في الوسط الجامعي وغيرها من السلوكات غير السوية.

وإذا كان ينظر الى الشباب دوما على أنهم مصدر الإزعاج والمشكلات (العنف في الوسط الجامعي، الغش في الامتحانات، المخدرات، الانحرافات الجنسية، الجريمة، السلبية اتجاه قضايا المجتمع المصيرية..) فهم أيضا مصدر التغير الاجتماعي وهم الذين بواسطتهم يجدد المجتمع نفسه.

4. أثر الوسط الجامعي على قيم الشباب الجامعي:

تعد الجامعة بما تملكه من مرافق وأنشطة وأندية وإقامات وغيرها، بمثابة مجتمع مصغر أو صورة مصغرة للمجتمع الأكبر، كما يرى البعض أن الجامعة مكان لمجتمع بشري لا يعد للحياة فقط، بل هو الحياة نفسها، فالوسط الجامعي يسهم في بناء شخصية الشباب، بما تملكه من دور كبير في التأثير على قيم الطلبة، ولا يعود هذا التأثير لعامل معين، وإنما لعدة عوامل، منها ما يتعلق بالمناهج، منها ما يتعلق بالأستاذ وعلاقات الزمالة والنشاط، ومختلف الجماعات الاجتماعية التي تتشكل في صور متعددة داخل الوسط الجامعي تحت مؤثرات متنوعة.

إن الحياة الجامعية هي محصلة التفاعل بين عناصر العمل الجامعي جميعاً، وإن هذه العناصر والمكونات تكاد تتصل بكل شأن من شؤون حياتنا العامة، وهي عملية متشابكة معقدة تشمل كل أجهزة المجتمع ومؤسساته.¹

وبما أن نسق القيم والاتجاهات والميول هو ركيزة الحياة الجامعية بجملتها، فقد أصبحت مسؤولية تعليمه وتعلمه منوطة بعناصر العمل الجامعي كلها، بحيث تفقد هذه الحياة فاعليتها إذا فقدت الاتساق والتآزر بين مختلف مكوناتها، ولأن تعليم القيم والاتجاهات والميول يستحيل أن يتم نظرياً وتلقين ما يصعب تعليمه تدريباً وتمريناً مباشرة وقصداً، وإنما هو يُكتسب معاشية ومكابدة، أصبح من المُحتم أن يترافق هذا المستوى من التعليم مع جملة سياق الحياة الجامعية، يربط القيم الموجهة، ويؤسس لاتجاهات معينة ويكسب الميول الدافعة، بحيث تتلاحم عناصر التعليم الجامعي عامة، ويشد بعضها أزر بعض في وحدة فعالة، تكشف عن مجهول المعرفة، وتنشئ مهارة العمل، بحيث تنقل الإنسان فرداً وجماعة نقالات نوعية لحياة أفضل.²

ويؤكد محي الدين على أهمية دور الجامعة الثقافي والتربوي ودورها في تأصيل السلوك الإنساني، في شخصية الطالب وتنمية الجوانب الوجدانية والأخلاقية والقيمية فيه حيث يقول: "يجب أن تتضمن أي محاضرة يقدمها الأستاذ كل الجوانب الأساسية الثلاث، وهي: المهارات، والمعارف والسلوك، والاهتمام ينحصر في مدارسنا بالمنهج المكتوب، بينما أثبتت الدراسات أن الجانب المهاري والجانب السلوكي، يشكلان أساس النجاح بل ويتفوقان على الجانب المعرفي.³"

¹ - المرجع السابق، ص 122.

² - علي خليفة الكواري: مفهوم المواطنة في الدولة القومية، مجلة المستقبل العربي، عدد 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 66.

³ - علي اسعد وطفة: نسق الانتماء الاجتماعي وأولوياته في المجتمع الكويتي المعاصر، ص 133.

وفي ظل التغيرات العالمية المعاصرة وما نجم عنها من مشكلات أخلاقية وقيمية، بات لزاما على الجامعات أن تهتم بالجانب الثقافي والتربوي أكثر من أي وقت مضى، سيما وأن أكثر فئات المجتمع تعرضا لهذه التغيرات والتحولات الثقافية والاجتماعية هم فئة الشباب الجامعي، وذلك بحكم وضعهم الاجتماعي من حيث هم فئة تعيش مرحلة انتقالية، من خلال تحصيل العلم والمعرفة، نحو تغيير وضعهم الاجتماعي إلى الأفضل، وهذه التغيرات ليست مجرد عناصر تتجاوز مع ما يتلقاه الطالب الجامعي من معارف ومهارات وقيم، وإنما تدخل في نسيج التكوين الشخصي بحيث تلتحم بما يتعلم وتتفاعل معه، بل وقد تكونه وتوجهه.

ويعبر ريدغنز (readgins) عن تراجع الدور التربوي والثقافي للجامعات في كتابه "الجامعة في خراب" حيث يعزو الكاتب تبدل دور الجامعة في المقام الأول إلى هبوط المهمة الثقافية التي أولتها لها الدولة- الأمة وشكلت مبرر الجامعة: منتج، وحام، ناشر لفكرة الثقافة القومية، ويرى أنه في ظل العولمة (الاقتصادية) أصبحت الجامعة شركة كبرى (corporation) لا تمتلك دورا في الثقافة باعتبارها المشروع التاريخي للبشرية جمعاء منذ عصر التنوير، وأن تتحول مرجعيتها الأساسية من الثقافة القومية إلى السوق¹.

إنه يتعين على الجامعة كمؤسسة تربوية أن تتحمل العبء الأكبر في مواجهة التغيرات العالمية المعاصرة وآثارها، ولاسيما العولمة الثقافية، انطلاقا من دورها كمؤسسة تعليمية تعتمد على العلم والتخطيط والتحليل العلمي وفق رؤى حاضرة ومستقبلية، تهدف إلى تأصيل الثقافة القومية واستدماج مكونات الهوية الوطنية فيهم، ليكونوا أعضاء فاعلين في بناء أمتهم، فالجامعات المسئول الأول عن الاستمرارية الثقافية والحضارية للمجتمع، وتزويد الأجيال بالقيم والسلوكيات.

إن الجامعة تجمع عابر بالنسبة لشباب، في طور التخلص من سلطة العائلة وعلاقاتها، والدخول في علاقات اجتماعية متمثلة في العمل أو الزواج، كما أنها فترة يكتسب فيها الشباب توجهات اديولوجية معينة، ولعل التوجه الإيديولوجي لدى الشباب الجامعي يبلغ ذروته في فترة الانفلات المؤقت أو النسبي من قبضة المؤسسات الاجتماعية الضاغطة، وإن كانت الجامعة في أساسها مؤسسة اجتماعية إلا أن دورها معرفي وإيديولوجي بالدرجة الأولى².

¹ - ماجد الزبيد: مرجع سبق ذكره، ص 124.

² - علي ليلة وآخرون: الشباب القطري وقضاياها، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، الدوحة، قطر 1991، ص 190.

ويمكن اعتبار الفترة الجامعية فترة نموذجية تبلغ فيها الحاجة الإيديولوجية ذروتها لدى الشباب المثقف، بالإضافة الى كونها فترة اكتساب أفكار جديدة، وبعد هذه الفترة، يعود الشباب ليستقر مهنيا واجتماعيا، ونفسيا وإيديولوجيا، ويدخل من جديد ضمن علاقات وقيم المجتمع، وكأن المجتمع يعود ليمارس عملية استرداد تاريخي للشباب المثقف بواسطة المهنة أو المؤسسات العائلية، ومثل هذه السمات هي التي جعلت الباحثين يتحدثون عن الشباب باعتباره فئة أو طبقة إيديولوجية في حالة صيرورة.

لذلك يحدد الشباب الجامعي علاقاتهم بالدراسة وفقا لثلاث مبادئ كبرى تمثل الوظائف الأساسية للنسق الجامعي، وهي وظيفة التأقلم مع سوق الكفاءات (المشروع المهني) ووظيفة التنشئة الاجتماعية (الاندماج في الوسط الجامعي والطلابي) ووظيفة الإبداع الفكري (الأهلية الثقافية).¹ فالطالب الحقيقي هو الذي يطمح الى تجسيد مشروع مهني معين، ويسعى الى امتلاك رصيد فكري ثري ومتنوع، ويمتلك روحا نقديا بناءة، ويعمل على الاندماج اللائق والمناسب في الوسط الجامعي.

5. الوسط الجامعي والصراع القيمي:

بما أن الجامعات تمثل جزءا أساسيا من مكونات المجتمع المعاصر، فإن هذه المؤسسة أداة مهمة للتغيير الاجتماعي، الذي يشمل التغيير في المنظومة الثقافية والتربوية والقيمية، وقد تعزز ذلك بدخول العولمة في جميع مناحي الحياة.

ولا يمكن للجامعة الجزائرية أن تعزل نفسها عن القضايا والمشكلات الاجتماعية الراهنة، كمشكلة الصراع القيمي لدى الشباب، باعتبارها إحدى المؤسسات المتميزة في دورها ووظائفها وعلاقتها بمختلف مكونات البناء الاجتماعي، والقادرة على توفير بدائل وخيارات عملية لكل إشكاليات الشباب، نظرا لما تتمتع به من قدرات فكرية ومؤهلات عالية تمكنها من القيام بهذه الوظائف.

ونظرا لأهمية الدور الذي تلعبه الجامعة في تشكيل حياة الشباب الجامعي، في مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والفكرية، فإن شيوع أية مظاهر سلبية لدى الشباب، وبرز المشكلات الاجتماعية والأخلاقية، كمشكلة الصراع القيمي وغيرها، يدل على

¹ - محمد سبيلا: الشباب والإيديولوجيات، مجلة الوحدة، العدد 10، يوليو 1985، ص 19.

مدى القصور من جانب هذه المؤسسة، ذلك أن الجامعة أولت عنايتها بمستوى الطلاب الأكاديمي والعلمي والتوسع الكمي على حساب الجوانب الأخلاقية والتربوية عموماً.¹

إذ يؤكد الجابري أن نظام التعليم الجامعي في معظم الأقطار العربية يكرس ظاهرتي الازدواجية والانفصام في الشخصية الثقافية بسبب تطبيقه للنماذج التربوية المتناقضة.²

وفي هذا الإطار يمكن أن نبين ما توصل إليه خليفة في دراسته للشباب الجامعي: "أن شبابنا الجامعي يعيش معظمهم في الآونة الأخيرة حالة تناقض لا مثيل لها وحالة صراع بين قيمه، وأهدافه الخاصة، وبين قيم وأهداف المجتمع الذي ينتمي إليه، فقد سادت القيم المادية، والسلبية واللامبالاة، واللامعيارية، وضعف الموجهات السلوكية والفكرية، وعدم الجدية، وعدم تقدير قيمة الوقت وأهميته، وعدم الرغبة في الاطلاع، وعدم احترام الكبار وتقديرهم، وعدم الصدق والأمانة في التعامل، والتبعية في سلوكياته وأفكاره، وأفعاله لكل ما هو مستورد أو غربي."³

ولعل شيوع مثل هذه الوضعية في حياة الشباب داخل الجامعة يؤدي بالنتيجة إلى إحساسهم بالصراعات القيمية، والإحساس بالاعترا ب الاجتماعي بكل أبعاده، بسبب التناقض والتباين بين ما هو موجود داخل الجامعة وخارجها، وبين الواقع الطموح.

فالشباب الجزائري يوجد في قلب التحولات الاجتماعية الكبرى، التي تعرفها البلاد، تحولات ارتبطت بالمنظومات الاجتماعية، الأنساق، الهياكل التأطيرية، بُنَيَات التنشئة الاجتماعية، الأفكار، السلوكات، القيم والتمثلات.... فالشباب هم أكبر فئة من فئات المجتمع الجزائري من حيث التعداد.

كما يوجد الشباب في قلب تحولات التشكيلة الطبقية، المتميزة بتراجع الطبقة الوسطى، هذه الأخيرة التي تبقى أساساً للتوازنات الاجتماعية والاقتصادية وكمنتج للقيم ورافعة للتنمية، ولا شك أن هذا التراجع في جوانبه الثقافية، يظهر في قلة الاعتبار الاجتماعي للمعلم والمتعلم في المجتمع، إذ نجد هذه النظرة التي تقلل من شأن المتعلم والمعلم أثرت على وظيفة التعليم والمدرسة كوسيلة للتقدم الاجتماعي والحراك، وعلى تراجع الموقع الاجتماعي للطالب الجامعي في الجزائر.

¹ - ماجد الزبود، مرجع سبق ذكره، ص 130.

² - عابد الجابري: مرجع سبق ذكره، ص 211.

³ - عبد اللطيف محمد خليفة: مرجع سبق ذكره، ص 32.

واشرنا في موضع سابق من الدراسة الى التحولات التي عرفتھا الأسرة الجزائرية، تلك التحولات التي أثرت على وضعية الشباب داخلھا، خاصة مع التوسع الحضري للمدينة الذي يخلخل النظام الأبوي، ويشنت نظام القرابة التقليدي، ويشجع على ب بروز مظاهر الفردانية.¹ فمع مظاهر الأسرة النووية تخلص الشباب من شبكات الهيمنة، التي كانت تمنح للكبار عموما، وللمنتمين منهم الى "الدار لكبيرة" على الخصوص، سلطات واسعة، تتخذ من اديولوجيا السن-التي تلزم الصغار باحترام الكبار - ذريعة لبسط جهودھا وضمان الامتياز على حساب الشباب الذين يكتفون بمركز دوني يجعلهم مبعدين في مجال التدبير الاجتماعي، والحوار والمشاركة في اتخاذ القرار داخل الأسرة.

غير أن النزوع نحو الفردانية، لم يعد قاصرا على شباب المدن، فالشباب الريفي هو الآخر يوجد داخل دينامية البحث المتواصل عن تحصيل نوع من الاستقلالية عن السلطة الأسرية²، هذه الاستقلالية التي ترتبط أساسا بالعمل والحصول على منصب شغل، وهي تعكس تبعية الشباب لأسرهم في الجانب الاقتصادي. وترتبط قيمة الفردانية بالنسبة للشباب داخل الأسر، بتقليص دور الأب على مستوى السلطة المادية والمعنوية.

لكن يؤكد علماء الاجتماع على دور الأسرة في حماية الشباب، وهي تقف كحصن منيع ضد الأزمات المادية وصمام أمان في ظل ظروف تتميز بالنزوع الى الأسرة النووية، وهي عاجزة موضوعيا عن تكوين مساكن مستقلة، خاصة في ظل ظرف يتميز ببطالة الشباب ويحول دون ولوجهم للحياة المهنية، خاصة تلك التي تمس حاملي الشهادات الجامعية، إحدى التحولات التي زعزعت علاقة الشباب مع الشهادة، التعليم، الشغل، وساهمت في إحداث ما يمكن تسميته بالتمطط* السوسيولوجي لفترة الشباب، بسبب طول مرحلة البحث عن ولوج سوق العمل.

ولا شك أن بطالة حاملي الشهادات الجامعية، لها تأثيرات اجتماعية سلبية، تتجلى في ظهور حركات اجتماعية تطالب بالعمل للشباب العاطل، وعلى الرغم من برامج التشغيل المتنوعة التي أوجدتها الجزائر لامتنصاص البطالة إلا أن الاحتجاجات أصبحت من الفئات المستفيدة من هذه البرامج، كفئات عقود ما قبل التشغيل والشبكة الاجتماعية وغيرهم، أصبحت تطالب بالإدماج

¹ - محمد نور الدين افاية: السلطة والفكر، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب 2003، ص124.

² - المرجع نفسه، ص125 .

* مصطلح استعملته رحمة بورقية في بحثها "المجتمع السارة والنساء والشباب" تقرير معد في إطار الدراسة المتعلقة ب 50 سنة من التنمية البشرية، ص 52.

والحصول على حقوقها كفئة نشيطة في المجتمع الجزائري، والواقع أن هذه البرامج أحدثت تكديسا لحاملي الشهادات في المكاتب والإدارات العمومية وأصبحت تعكس مفهوم البطالة التقنية. كما أن هذا الوضع له انعكاسات سلبية نفسية واجتماعية على هذه الفئة الشبابية.

ويرى الباحث في ضوء ما سبق، أن المسؤولية الملقاة على عاتق التربية العرضية التي تتم في سياق الجامعة مسؤولية كبيرة، لاسيما في ظل تزايد موجات العولمة الثقافية التي تستهدف الهوية الثقافية للشباب بالدرجة الأولى، فعلى الجامعات أن تراجع فلسفتها وتبورها وتصوغها في رؤية مستقبلية لمواجهة التغيرات المتسارعة، لاسيما وأن طلاب الجامعة يعدون من أكثر الفئات العمرية تقبلا لما هو جديد.

وعليه فالوسط الجامعي يعد مجتمع مكون من الطلبة، تتكون فيه شخصياتهم، واتجاهاتهم وقيمهم، وتترك في نفوس الشباب ووجدانهم مشاعر تدوم مع الفرد في العالم المهني والمجتمع طوال حياته، ويعني ذلك أن الوسط الجامعي ليس خارج إطار الصراعات القيمية أو الاجتماعية، وإنما هو إحدى أدواته الفاعلة، باعتبار الجامعة وسيلة الأمة في تكوين وبناء شخصية المواطن الصالح، وبالتالي نحن بأمس الحاجة لان تضطلع الجامعة الجزائرية بدورها في إعادة بناء منظومة القيم لدى الشباب لتمكنه من مواكبة التغيرات السريعة والمتلاحقة، في كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية، ليكون قادرا على مجابهة التحديات والصعاب بعزم واقتدار.

خلاصة:

إن الجامعة بحكم تنظيمها الاجتماعي، تجسد مجموعة من القيم تشكل الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات الحديثة، فهي بكل تأكيد جزء من المجتمع الحديث، لهذا نستطيع أن نتحدث عن ثقافة الشباب الجامعي بوصفها ثقافة فرعية خاصة بفئة عمرية معينة، تنطوي على قيم، ومعايير، وأنماط سلوكية، ومطامح ومثاليات، تشكل في مجملها إطارا مرجعيا لسلوكات هذه الفئة.

فالوسط الجامعي يتميز الى حد ما بالخصوصية، حيث ينتمي الفرد إليه بحكم توفر بعض الشروط وتحقيق أهداف معينة، كما يشارك الطالب في الوسط الجامعي أفراد جماعته في أحاسيسهم وأذواقهم واتجاهاتهم وقيمهم، ومن هنا فان التكيف مع الوسط الجامعي يساعد الأفراد على الإبداع والابتكار في شتى أنواع الفنون والمعارف.

الجانب الميداني للدراسة

الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة

الإجراءات المنهجية للدراسة

1. مجالات الدراسة
2. منهج الدراسة
3. عينة الدراسة
4. أدوات جمع البيانات
5. أساليب المعالجة الإحصائية

تمهيد:

يتناول هذا الفصل الأسس المنهجية للدراسة الميدانية من خلال عرض وتحليل الأسلوب المعتمد في جمع البيانات الامبيريقية ومعالجتها، فالمعرفة العلمية تقوم على جانبين أساسيين ومهمّين هما البناء المنطقي والبناء المنهجي، هذا الأخير الذي يقوم على جملة الاتجاهات العقلية والتجريبية التي تساعد الباحث على تحليل المعطيات النظرية، من أجل تحقيق الاتساق والتكامل بين الاطار النظري والمنهجي، حيث قمنا بدراسة استطلاعية، كم تمّ الاعتماد على جملة من الوسائل والتقنيات لجمع المعطيات، وكيفية اختيار العينة وتحديد حجمها ونوعها والتي تضم عينة من طلبة الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

1. مجالات الدراسة:

1.1. المجال المكاني:

تجرى الدراسة الحالية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، التي تحمل اسم المجاهد والرئيس الراحل محمد بوضياف المولود بالولاية-المسيلة-، حيث تقع الجامعة على الطريق الوطني رقم 60 الرابط بين المسيلة والجزائر العاصمة، يحيط بها نسيج عمراني هام، وكذلك مجمعات صناعية وطنية، انطلق بها التعليم العالي سنة 1985 وذلك بإنشاء المعهد الوطني للهندسة المدنية وتسيير التقنيات الحضرية، وفي سنة 1989 تم إنشاء المركز الجامعي بالمسيلة وانطلاقا من هذا التاريخ تم فتح فروع أخرى وفي سنة 2001 تم ترقية هذا المركز إلى جامعة وذلك بفتح فروع جديدة هي العلوم السياسية والعلاقات الدولية العلوم الفلاحية وفي سنة 2003 تم فتح قسمين هما التربية البدنية والرياضية و التاريخ.

2.1. المجال البشري:

يشير المجال البشري إلى تحديد وحدات المجتمع الأصلي للدراسة والمتمثل في عدد الطلبة الكلي المقيمين في مختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة ،حيث بلغ عددهم في العام الحالي 2012 (20610) طالب مقيم موزعين على الجنسين في 10 إقامات جامعية يوضحها الجدول التالي:

الجدول رقم (01) توزيع أفراد مجتمع الدراسة من الإناث على الاقامات الجامعية:

العدد	الجنس	اسم الإقامة
مغلقة للترميم	إناث	إقامة حسوني 1
2523	إناث	إقامة حسوني 2
3395	إناث	إقامة حسوني 3
1169	إناث	01 نوفمبر بنات
425	إناث	حي النسيج
1329	إناث	إقامة 1000 سرير
977	إناث	إقامة الهضاب
2599	إناث	إقامة 2500 سرير
12417		المجموع

الجدول رقم (02) توزيع أفراد مجتمع الدراسة من الذكور على الاقامات الجامعية**:

الإقامة	العدد
نويوات موسى الأحمدى	1420
القطب الجامعي 01	3395
القطب الجامعي 2	3378
المجموع	8193

3.1. المجال الزمني:

عادة ما يبدأ المجال الزمني لموضوع ما من فترة اختياره وتسجيله وينتهي بالانتهاء منه، وينقسم المجال الزمني للدراسة إلى مرحلتين:

أ. المرحلة الأولى: الدراسة الاستطلاعية للتراث النظري:

وفيها تم البحث النظري حول كل ما يتعلق بموضوع الدراسة، من إسهامات نظرية والمداخل المنهجية التي استخدمت في موضوع الدراسة، والدراسات السابقة التي تطرقت للموضوع، وذلك من أجل بناء تصور منطقي ومنهجي عن الموضوع وتحديد أبعاده وطرح الإشكالية التي تعد نقطة البداية فيه، وهذا كله يتجسد عمليا في مشروع الدراسة حيث يقدم إلى اللجنة العلمية، وعند الموافقة عليه يكون بوسع الباحث البدء في الدراسة.

وتمكننا في هذه المرحلة من الدراسة من الاستفادة في تكوين الأدوات وبناءها، وضبط الأبعاد والمؤشرات وتحديد المفاهيم من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة سواء الأجنبية أو العربية أو الجزائرية (المحلية)، والتي تناولت متغيري الدراسة سواء التغير القيمي أو مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي ولدى الشباب بصفة عامة.

حيث تبين على مستوى الدراسات التي أجريت على موضوع القيم بصفة عامة أنها تتفق على أنها متغيرة وتختلف في الزمان والمكان، وأن أولوياتها وترتيبها حسب الأفضلية بالنسبة للأفراد يتغير من فترة لأخرى ومن مكان لآخر، ويتأثر النسق القيمي عادة بالتغيرات التي تطرأ على المجتمع.

** الجدول 1، 2 تم الحصول عليهما من مديرية الخدمات الجامعية بجامعة المسيلة للسنة الجامعية 2012-2013.

حيث تم تقسيم القيم التي تكون النسق القيمي للأفراد الى قيم سياسية دينية تعليمية اقتصادية وأسرية، وقد روعي في اختيارها الاعتبارات التالية:

- أنها تمثل عناصر ومكونات أساسية في بناء النسق القيمي لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة.

- أنها تتمايز مراحلها عبر العمر من العيانية الى التجريد ومن البساطة الى التعقيد والتركيب.

- أن تمثل هذه القيم الجوانب المختلفة للنسق القيمي. فهي تتضمن قيما سياسية واقتصادية وتعليمية ودينية وأسرية.

أما فيما يتعلق بمظاهر الاغتراب فقد تبين أن أكثر مظاهر الاغتراب شيوعا؛ والتي تتقاطع فيها العديد من الدراسات الأجنبية والعربية التي أجريت على الشباب الجامعي هي: اللامعيارية، التشيؤ، العجز، اللامعنى، العزلة الاجتماعية، وعليه حددنا هذه المظاهر في دراستنا.

ب. المرحلة الثانية: الدراسة الاستطلاعية الميدانية:

والتي تمثلت في إجراءات الدراسة الاستطلاعية الميدانية التي سبقت الدراسة الأساسية، والتي أفادتنا في جمع المعلومات المتعلقة بمجالات الدراسة، كما ساعدتنا في التعرف على مجتمع الدراسة وضبط العينة، وتحديد أدوات جمع البيانات المناسبة للدراسة، وخاصة ما تعلق ببناء الاستمارة والتي في كل مرة يتم تعديلها. حيث أعد الباحث استمارة أولية للتعرف على القيم السائدة بين الطلبة الجامعيين موضوع الدراسة خلال شهر مارس 2013 الإجابة عليها تكون إما بنعم أو لا، حيث اتضح انه يجب الاعتماد على مقياس متعدد الأبعاد؛ لأن التعامل مع موضوع التغير القيمي أو مظاهر الاغتراب يحتاج الى كشف الأبعاد النفسية والاجتماعية التي تؤثر في استجابات أفراد عينة الدراسة، دونما التقيد باتجاهين إما الرفض أو التأكيد.

ليتم بعد ذلك الاعتماد على مقياس للتغير القيمي والذي اعتمدنا في إعداده على مجموعة من المقاييس التي استعملت لاختبار القيم، وبعد تعديل العبارات وتكييفها على البيئة الجزائرية وفئة الشباب الجامعي، تم التأكد من صدق المقياس وثباته، وتطبيقه في شهر أبريل 2013، حيث هدفنا من خلال هذه الأداة الى الكشف عن مواطن التغير التي أصابت النسق القيمي للطلبة الجامعيين في الجامعة الجزائرية مقارنة بنتائج دراسات سابقة في نفس الموضوع.

كما تمكنا من خلال معاشتنا لأفراد عينة الدراسة من الذكور في الوسط الجامعي من تحديد أهم الملامح والميزات التي يجب أن يكون عليها مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي؛ والذي سنُفصل لاحقا فيه، حيث قام الباحث بتطبيق مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي في شهر جوان 2013 والذي صمم اعتمادا على الدراسات السابقة في فترة طويلة نسبيا، نظرا لعدم تلائم العبارات المتوفرة في مقاييس الاغتراب مع البيئة الجزائرية، ومع فئة الشباب الجامعي، خاصة وأن أغلب الدراسات التي أجريت على الاغتراب في المجتمع الجزائري كان ميدانها المصنع أو المؤسسات الاقتصادية، كما أن الأبعاد التي اختارها الباحث في دراسة الاغتراب لم تعتمد مجتمعة في الكثير من الدراسات الجزائرية (المحلية) التي تم الاطلاع عليها.

كما سعت الدراسة الاستطلاعية إلى تحديد أهم الخصائص السيكومترية لمقياسي التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي (الصدق، الثبات) للتأكد من مدى صلاحيته للتطبيق على طلبة الاقامات الجامعية المختارة، ومدى تلائم عباراته مع ما نريد قياسه ميدانيا ليتسنى للباحث القيام بالدراسة الميدانية عن طريق مقياس يتوفر على قدر كاف من الصدق والثبات.

2- منهج الدراسة:

إن طبيعة الموضوع تفرض على الباحث إتباع منهج معين لفهم وتحليل مشكلة بحثه، مع محاولة الإجابة عن التساؤلات المطروحة واختبار الفرضيات والتأكد من صحتها، خاصة الإجابة عن السؤال (كيف) الذي يرتبط بمشكلة تفسير الحقائق المتصلة بالظاهرة المبحوثة.¹ والمنهج هو "الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للمشكلة لاكتشاف الحقيقة، وللإجابة على الأسئلة والاستفسارات التي يثيرها موضوع البحث، وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى تلك الحقائق وطرق اكتشافها".²

حيث تقتضي طبيعة هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي لمناسبتها في الكشف عن العلاقة بين التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي والتي تظهر لدى طلبة الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، والمنهج الوصفي التحليلي يعد "أسلوبا من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية عن الظاهرة أو موضوع محدد، خلال فترة

¹ - صلاح مصطفى الفوال: منهجية العلوم الاجتماعية، عالم الكتب، القاهرة، 1982، ص 191.

² - محمد شفيق: البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتبة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001، ص 86.

زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على المعلومات التي تتطلبها الدراسة كخطوة أولى، ثم يتم تحليلها بطريقة علمية وموضوعية ما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة كخطوة ثانية، والتي تؤدي إلى التعرف على العوامل المكونة والمؤثرة على الظاهرة كخطوة ثالثة".¹

3. عينة الدراسة:

1.3. كيفية اختيار عينة الدراسة:

في كل دراسة ميدانية على الباحث أن يختار عينة تمثيلية من المجتمع الذي يريد دراسته وتكوين فكرة عنه، وتعد عملية البحث في العينة من أهم المراحل والخطوات التي ينبغي إتباعها في أي دراسة علمية -سوسيولوجية-، علماً أن طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج ونوع الأدوات التي يختارها الباحث للتحقق من فرضيات الدراسة، مما يفرض على الباحث الاعتماد على أسلوب المعاينة، وباعتبار أن الموضوع محل الدراسة هو التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، قد حدد الباحث الإقامة الجامعية كوسط ينتمي إلى الجامعة ويشهد تفاعلات اجتماعية بين الطلبة من مختلف البيئات الاجتماعية وبخلفيات متنوعة، كما أنّ الطلبة الجامعيين يقضون أوقات كبيرة بين الجامعة والإقامة طيلة العام الدراسي، فقد اعتمد الباحث في اختيار مفردات الدراسة على العينة الحصصية.

حسب الأستاذ بلقاسم سلاطنية هي تشبه العينة الطبقية حيث تستعمل عندما نحتاج إلى طبقات أو مجموعات متجانسة، لظاهرة لها علاقة بالمتغير المطلوب بحثه، على أن يكون حجم كل طبقة في العينة متناسباً مع حجم الطبقة المناظرة في المجتمع الأصلي.

لكن بدلاً من اختيار الأفراد بطريقة عشوائية، يمكن في العينة الحصصية أخذ كل فرد تتوفر فيه المواصفات دون تطبيق أسلوب العشوائية على كل فئة، وعندما يتم الحصول على عدد الأفراد المشكلين للعينة من كل الفئات والحاملين لكل الصفات المحددة مسبقاً نتوقف عن الاختيار.²

2.3. اختيار عينة الدراسة ومبرراتها:

تتميز مرحلة الشباب بخصائص نفسية واجتماعية تجعلها من أهم المراحل في حياة الإنسان، فهناك خصائص نضوج صورة الذات وتبلورها والقدرة على اتخاذ القرار وأخذ

¹ - محمد عبيدات وآخرون: منهج البحث العلمي - القواعد والمراحل والتطبيقات -، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأردن، الأردن، 1999، ص 35.

² - بلقاسم سلاطنية، حسان الجبلاني: أسس البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الكتاب الأول، الجزائر، 2007، ص 138

المبادرة في التنفيذ والاستجابة السريعة الفعالة للمثيرات المختلفة وتكوين الذات المثالية، والقدرة على نقد القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع وعدم تشربها بسهولة، وتكوين مجموعة من الاتجاهات النفسية والاجتماعية والأهداف المستقبلية، وغيرها من الخصائص التي تجعلنا نقول بحق أن هذه المرحلة - بحكم خصائصها وطبيعتها مشكلاتها - تعد مرحلة هامة تشكل مصدر قلق واهتمام وتقصي لدى الباحثين على اختلاف مشاربهم.

وإن كنا بصدد دراسة ظاهرة الاغتراب لدى طلبة الجامعة؛ فإن اختيار هذه الفئة تحديداً قد جاء من منطلق طبيعة هذه الفئة وخصوصيتها. إذ يبدو أن الطلبة الجامعيين أكثر الشباب تأثراً بما يحدث في مجتمعاتهم باعتبارهم الأكثر وعياً وانفعالاً بما يحيط بهم من تغيرات وتطورات متسارعة، في حين أنهم قد لا يملكون سلطة صنع القرار أو إحداث التغيير.

وتعتبر العينة من الركائز الأساسية في بناء أي بحث علمي ذلك أنها جزء من المجتمع بمعنى أنها تأخذ مجموعة من أفراد المجتمع على أن تكون ممثلة له.¹ "وهي بذلك تسمح بالحصول في حالات كثيرة على المعلومات المطلوبة مع اقتصاد في الموارد الاقتصادية والبشرية وفي الوقت، ودون الابتعاد عن الواقع المراد معرفته."²

إن معرفة الباحث لطبيعة مجتمع الدراسة يعد أمراً هاماً لأنه على ضوءه سيحدد عينة الدراسة وكيفية اختيارها بشكل يتناسب مع صفات مجتمع الدراسة.³

وقد تم تحديد العينة المعنية بالدراسة بالاختصار على طلبة الاقامات الجامعية من الإناث والذكور بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

لقد تم تحديد عينة الدراسة من خلال مراعاة ما يلي:

٧ أن يكون الطالب قد قضى أكثر من سداسي في الحياة الجامعية، وعليه تم تطبيق أداة الدراسة في السداسي الثاني من العام الدراسي.

٧ أن تشمل انتماء أفراد العينة إلى الوسط الريفي والحضري ومن مختلف المناطق الجغرافية.

¹ - رشيد زرواتي: مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص 334.

² - فضيل دليو: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، الجزائر: منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 1999، ص 142.

³ - نبيل احمد عبد الهادي: منهجية البحث في العلوم الإنسانية، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006، ص 261.

٧ ينحصر البحث على الطلبة المقيمين بالاقامات المحددة من قبل الباحث مع استبعاد غير المقيمين، وذلك لان فرص معايشة العمليات الاجتماعية بالنسبة للمقيمين وما يتعرضون له من مواقف اكبر إذا ما قورنوا بغير المقيمين.

٧ أن لا يكون أحد أفراد العينة من الطلبة الأجانب، باعتبار مجال الدراسة، وباعتبار أن الاغتراب لدى الأجانب ينتج عادة عن الهجرة ومتاعب الغربة، ونحن بصدد دراسة النسق القيمي للطلبة الجامعيين الجزائريين وعلاقته بمظاهر الاغتراب .

٧ أن يكون أفراد العينة من الذين يزاولون دراستهم الجامعية وفق نظامي التعليم العالي الكلاسيكي ونظام ل.م.د.

والعدد الإجمالي للطلبة الجامعيين المقيمين في مختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة سنة 2012 يقدر ب 20610 طالبا وطالبة، حيث تم اعتماد نسبة 2.5% من كل إقامة جامعية على اعتبار القاعدة التي اقراها موريس انجريس في تحديد حجم العينة من المجتمع الأصلي في حالة ما إذا كان المجتمع كبيرا، إذ يرى انه في حالة تجاوز مجتمع الدراسة لعشرات الآلاف أو عشرات المئات من الآلاف فانه من 01% إلى 05% يكون كافيا؛ لتفادي تكرارا ظهور نفس المفردات في عينة الدراسة، وبالتالي هذا النوع من التكرار لا يفيد الباحث، ويصبح ذلك صحيحا كلما كبر حجم المجتمع الأصلي.¹

وبالتالي يتوزع أفراد عينة الدراسة حسب النسبة المئوية المحددة من طرف الباحث 2.5% بالنسبة للذكور والإناث كالاتي:

الجدول رقم (03) حجم عينة الدراسة من الإناث والذكور:

مجتمع الدراسة	نسبة المعاينة	حجم العينة
إناث	2.5%	310
ذكور	2.5%	204
المجموع	2.5%	514

¹ - موريس انجريس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ترجمة مجموعة من الباحثين ط2، دار القصة للنشر، الجزائر 2004، ص 319.

الجدول رقم (04) توزيع أفراد عينة الدراسة من الإناث على الاقامات الجامعية:

اسم الإقامة	الجنس	العدد	نسبة المعاينة
إقامة حسوني 2	إناث	2523	63
إقامة حسوني 3	إناث	3395	80
01 نوفمبر بنات	إناث	1169	29
حي النسيج	إناث	425	20
إقامة 1000 سرير	إناث	1329	33
إقامة الهضاب	إناث	977	25
إقامة 2500 سرير	إناث	2599	60
المجموع		12417	310

ومن خلال معطيات الجدول رقم (03) يتحدد حجم عينة الدراسة من الطالبات بـ 310 طالبة مقيمات بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة من مختلف التخصصات العلمية والخلفيات الاجتماعية والجغرافية.

الجدول رقم (04) توزيع أفراد عينة الدراسة من الذكور على الاقامات الجامعية:

الإقامة	العدد	نسبة المعاينة
نويوات موسى الأحمدي	1420	35
القطب الجامعي 01	3395	85
القطب الجامعي 02	3378	84
المجموع	8193	204

ومن خلال معطيات الجدول رقم (04) تتحدد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين بـ 204 طالب مقيم بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة من مختلف التخصصات العلمية والخلفيات الاجتماعية والبيئات الجغرافية. وعليه فان عينة الدراسة هي عينة حصصية التي تم سحبها وفقا لنسبة 2.5% من المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية من مجتمع الدراسة، تقدر بـ 514 طالبا وطالبة يتم إجراءات الدراسة الميدانية عليهم.

4. أدوات جمع البيانات:

يتوقف نجاح أي بحث في تحقيق أهدافه على الاختيار المناسب لأدوات البحث من أجل الحصول على البيانات والمعلومات المناسبة، إلا أنه من الضروري أن تتحقق درجة معينة من الثقة في البيانات التي يتحصل عليها الباحث عن طريق أدوات البحث. وكما أشرنا سابقا من أن اختيار المنهج وأدوات البحث تم بناءا على طبيعة موضوع الدراسة الذي يصف التغير القيمي وعلاقته بمظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، وتتمثل هذه الأدوات في:

1.4. الملاحظة:

تعد الملاحظة أداة من أدوات جمع البيانات ومصدرا للمعرفة الصحيحة، ولقد اعتمدنا على الملاحظة البسيطة كما تحدث تلقائيا ودون الاعتماد على أدوات لقياسها، كما كانت هذه الملاحظة بالمشاركة بمعنى "أن يقوم الباحث فيها بالملاحظة ويشترك في أي نشاط تقوم به الجماعة موضوع الملاحظة، وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب في ملاحظة الأفراد التي يتصل أعضاؤها ببعض اتصال مباشر، ومن مزاياها أنها تهيئ للباحث ملاحظة السلوك الفعلي للجماعة في صورته الطبيعية".¹

ويمكن أن نضيف هنا أن الباحث أقام في أحد الأحياء الجامعية طيلة فترة تطبيق الاستبيان، مما يتيح رصد أهم المواقف والميزات التي يتميز بها أفراد عينة الدراسة. من أجل رصد أهم السلوكيات في مختلف المواقف لذا فقد ساعدتنا الملاحظة فيما يلي:

٧ محاولة التركيز على بعض مظاهر الحياة الجامعية وأوجه النشاط في الوسط الجامعي، وتفاعل الطلبة الجامعيين مع مختلف الأحداث الوطنية السياسية، الاقتصادية، الرياضية، الدينية والدولية كثورات الربيع العربي واتجاهات الطلبة نحوها.

٧ ملاحظة الفرق بين الطلبة في عادات اللباس وحضور مختلف الفعاليات في الوسط الجامعي، والجماعات الاجتماعية السائدة في الوسط الجامعي، وعلى أي أساس تتكون، وهل الوسط الجامعي امتداد لثقافة المجتمع أم أنه منفصل ومستقل بذاته، باعتباره يحوي فئات متجانسة ومحددة الأهداف.

¹ - أبو النجا محمد العمري: الخطوات المنهجية في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية الأزاريطة،

الإسكندرية، مصر، 2000، ص 177

كما أن الملاحظة أفادتنا في التأكد من مدى صحة المعلومات التي أدلى بها المبحوثين وبين ما هو موجود حقيقة في الوسط الجامعي، وهذا لاعتبارنا بأن الملاحظة محك خارجي يمكن الاحتكام إليه في التثبت من مدى صدق البيانات.¹

2.4. المقابلة:

اعتمدنا في دراستنا هذه على المقابلة وهذا لجمع المزيد من البيانات الميدانية، حيث تعرف المقابلة على أنها "دليل يشتمل على قائمة أو مجموعة من الأسئلة المحددة والمرتبة ترتيباً منهجياً معيناً وتتضمن عدة مواضيع فرعية مقصودة، توجه الأسئلة للمبحوثين بهدف الحصول على المعلومات والبيانات الموضوعية."² حيث اعتمدنا في دراستنا على المقابلة المقننة وغير المقننة.

أ. المقابلة الحرة (غير المقننة) Unstructured Interview:

هذا النوع من المقابلات لا يعتمد على استخدام أسئلة محددة مسبقاً. وبالتأكيد الباحث لديه فهم عام للموضوع ولكن ليس لديه قائمة أسئلة معدة مسبقاً. وتتميز المقابلة الحرة بالمرونة حيث يمكن تعديل أو إضافة أسئلة في أثناء المقابلة.

ونهدف من خلال توظيف هذه الأداة في الدراسة إلى معرفة واقع الطلبة الجامعيين في الوسط الجامعي كبيئة تربوية اجتماعية، تتكامل في دورها مع الدور الذي تقوم به الأسرة، خاصة وأن فئة الطلبة تتطلب اهتمام خاص بحكم المرحلة التي يمرون بها، ونرمي من وراء المقابلات غير المقننة التي أجريناها في هذه الدراسة مع الطلبة الجامعيين إلى التعرف على أهم القيم الاجتماعية التي يحملونها، من حيث أوضاع الشباب الجامعي وقضاياهم، كالتعليم، العمل، الزواج والقيم السلوكية والتربوية، ودور التعليم الجامعي في غرس القيم الوطنية. وتدعيم قيم الانتماء والهوية، والاختيار للزواج والنظر إلى المستقبل وتطلعاتهم إليه، بالإضافة إلى مواضيع أخرى تتعلق بالمشاركة السياسية والانتخابات التشريعية التي تزامنت مع إجراء الدراسة الميدانية، ودور الدين في حياة الفرد والمجتمع، وكذا رأي الشباب الجامعي في الإصلاحات السياسية ودورهم في إنجاحها والتغيير ومدى فاعلية الأحزاب السياسية في ذلك، كما أنه ومن خلال المقابلات التي أجريناها تم التحقق من

¹ - محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، ط2، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ص762.

² - فضيل دليو وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، دار البعث، قسنطينة، 1999، ص192

صحة بعض البيانات والمعطيات التي حصلنا عليها من أدوات جمع البيانات الأخرى خاصة أداة الاستمارة.

ب. المقابلة (المقننة) Structured Interview:

تتم المقابلة المقننة من خلال قيام الباحث بإعداد قائمة من الأسئلة قبل إجراء المقابلة، ويتم طرح نفس الأسئلة في كل مقابلة وبالغالب حسب نفس التسلسل، وإلا أن ذلك لا يمنع من طرح أسئلة غير مخطط لها إذا ما رأى الباحث ضرورة لذلك¹. وقد تكون الأسئلة المطروحة في هذا النوع من المقابلات ذات نهايات مغلقة، وقد تكون الأسئلة ذات نهايات مفتوحة². وسمح لنا استعمال هذا الأسلوب من المقابلة بـ:

- بضمان قدر من الترتيب المنظم المرغوب فيه في البيانات التي يتم جمعها.
 - ساعد الإعداد المسبق للأسئلة في اختيار الألفاظ والعبارات بعناية.
 - سهولة مراجعة وجدولة وتحليل البيانات التي يتم جمعها من المقابلات الموجهة، وذلك للنمطية العالية في الأسئلة التي تؤدي إلى الحصول على إجابات نمطية.
- 3.4. الاستمارة:

وهي أحد أدوات جمع البيانات الأكثر شيوعاً في البحوث الوصفية، وتعد الأداة الأساسية لجمع البيانات في الدراسة الحالية، أما باقي الأدوات المستعملة فهي أدوات ثانوية مكملة تدعم ما تأتي به الاستمارة من معلومات، وهي "وسيلة الاتصال الرئيسية بين الباحث والمبحوث، وتحتوي على مجموعة من الأسئلة تخص القضايا التي نريد معلومات عنها من المبحوث"³، وفي المقابل فإنها تسهل على الباحث " عملية جمع المعلومات وتحليلها، ولا تربكه في تصنيفها أو معرفة مكنونها"⁴.

ونظراً لأهميتها في البحث الحالي أخذت من الباحث جهداً كبيراً ووقتاً كثيراً من أجل إعدادها بصورتها النهائية، حيث قام الباحث في البداية بإعداد استمارة تحتوي على أسئلة مفتوحة وأخرى مغلقة، اتضح بعد عرضها على الأستاذ المشرف أن هذا النوع من الأسئلة ذو بعدين أحدهما الرفض (لا) والآخر القبول (نعم)، لا يصلح لقياس ما أعد لقياسه نتيجة لطبيعة الموضوع.

¹ - محمد علي محمد: مرجع سبق ذكره، ص 523

² - أنظر الملحق رقم (01) يوضح دليل المقابلة الذي اعتمدته الباحثة في هذه الدراسة.

³ - بلقاسم سلاطينية، حسان الجبلاني: مرجع سبق ذكره، ص 77.

⁴ - فضيل دليو وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص 54.

لذلك ارتأى الباحث بعد الاطلاع على الدراسات السابقة في الموضوع أن يسعى إلى الاستفادة من المقاييس التي أعدت لدراسة التغير القيمي، أو مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي وطبقت في البيئة العربية، وفقاً لمقياس الاتجاهات، بالاعتماد على التدرج الثلاثي، والذي يعطي للمبحوث ثلاث تقديرات لاختيار واحد يراه، دون التقيد بالفرض الكامل أو التأييد المطلق.

وفي هذه الدراسة استعملنا مقياس لكل متغير من متغيرات الدراسة، ذلك أنه في الدراسة الحالية لم نستطع تجميع المعلومات عن عينة الدراسة بدقة اعتماداً على البيانات المتحصل عليها من المقابلة أو الملاحظة، لذلك تم الاستعانة بمقياسين الأول خاص بالكشف عن التغير القيمي، والثاني مقياس يهدف إلى الكشف عن مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

والمقياس هو اختبار مقنن يضم مجموعة من الأسئلة، أو الفقرات المطروحة حول الموضوع أو ظاهرة معينة، والتي تم تحكيمها من قبل عدد أكبر من ذوي الاختصاص.¹ والهدف منه جمع المعلومات المتعلقة بالظاهرة المدروسة، فقد يكون جاهزاً تم تطبيقه في إحدى الدراسات في بعض الدول العربية، أو على بعض المجتمعات، حيث يمكن تطبيقها مرة أخرى بشرطين أن يستخرج لها الباحث معايير الصدق والثبات، بحيث يتناسب ذلك مع العينة المراد دراستها.²

وفيما يلي تفصيل لاستعمال هذه الأداة في الدراسة الحالية:

3.4-1. مقياس التغير القيمي في الوسط الجامعي:

من خلال مراجعة التراث النظري والبحثي المتعلق بالقيم وطريقة قياسها، يمكننا الوقوف على الطرق المختلفة التي اتبعها الباحثون لقياس القيم، وبداية أود أن أقول أن اختلاف الباحثين في طرق قياس القيم لا يشوبه صراع بقدر ما يثري موضوع القيم، فالهدف واحد والمنطلقات البحثية والفرضيات مختلفة مما تجعل كل باحث يختار طريقة مناسبة لبحثه، لكن هناك فارق في مستوى الدقة من طريقة لأخرى.

ويمكن أن نعدد طرق قياس القيم التي اعتمدها الباحثون في علم الاجتماع وعلم النفس في: أ- التوجه الأول: ويعتمد أصحاب هذا التوجه في قياسهم للقيم على منهج تحليل المضمون للتوصل إلى القيم، مثلاً يلجأ البعض إلى تحليل السير الذاتية للأفراد، وقام بتحليل مضمونها،

¹ - نبيل أحمد عبد الهادي: مرجع سبق ذكره، ص 114.

² - المرجع نفسه، ص 113.

للكشف عن قيمهم، بينما قام آخرون بتحليل الرسالة الموجهة للأفراد سواء كانت مسموعة أو مقروءة أو مرئية.¹

ب- **التوجه الثاني:** ويعتمد أصحاب هذا التوجه على المقابلة الشخصية للأفراد أو مجموعة من الأفراد المعنيين بالدراسة في موضوع القيم، حيث يوجه القائم بالمقابلة مجموعة من الأسئلة ويحاول أن يتعرف على استجابات المبحوثين إزاءها، كأن يقدم قصص ناقصة ويطلب من المبحوث إكمالها، كما اعتمد بعض أنصار هذا الاتجاه على تحليل المبحوث للصور التي تعرض عليه وما يراه فيها، أو استخدام الرسوم التي يقوم بها المبحوث لاستشفاف ما لديه من قيم.²

ج- **التوجه الثالث:** ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى استخدام الاختبارات والمقاييس المقننة لهذا الغرض، وفي هذا الإطار نجد المقاييس التي وضعت لقياس القيم كثيرة ومتنوعة وفي مختلف البيئات الاجتماعية، كما أنها تعتمد تصنيفات متعددة للقيم، وبعيدا عن الخوض في السرد عن هذه المقاييس يمكن تصنيفها إلى فئتين هما:

الفئة الأولى: وتتضمن المقاييس التي تعتمد على تقديم البنود ذات البدائل المتعددة، حيث يطلب من المبحوث اختيار البديل الذي يلاءم حالته من بين عدة بدائل، ومن أكثر هذه المقاييس شيوعا مقياس ألبرت وفرنون للقيم. وهذه المقاييس تتعامل مع القيم من منظور الاتجاه أو الاهتمام.

الفئة الثانية: وتتضمن المقاييس التي تتضمن البنود للفرد وعليه إعادة ترتيبها كما يرى المبحوث (حسب أهميتها) ومن أمثلتها دراسة روكيتش للقيم، وهذه القيم لا تكشف عن قيم الفرد بقدرما تكشف عن القيم المرغوبة اجتماعيا.

ويمكن اعتبار هاتين الفئتين تتعاملان مع القيمة عند مستوى التقبل أو التفضيل، وهو ما يعني وقوفهما عند معرفة الحكم أو التفضيل الذي يبديه الفرد للقيمة فقط ولا يعبران عن الاستيعاب الحقيقي للقيمة واستدماجها والالتزام بها، فمستوى الالتزام بالقيمة يعبر عن أرقى مراحل الاستيعاب حسبما يوضح كراثر هل وزملائه.³ وفيما يلي نحاول تقديم وصف لمحاولتنا إعداد مقياس للتغير القيمي حسب محتوى القيم من منظور التفضيل.

¹ - محمد علي محمد: مرجع سبق ذكره، ص 92

² - عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في علم النفس الاجتماعي، المجلد الثاني، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة،

مصر 1992، ص 71

³ - سمير خطاب، مرجع سبق ذكره، ص 110.

أ- الحاجة لإعداد مقياس:

يمكن الإشارة إلى أن اختيار لفظ إعداد هو اختيار مقصود، وذلك كما يوضحه فرج طه حيث يحدد معنى الإعداد في كونه ليس تأليفا ولا ترجمة، فيذكر "أن ما نظنه تأليفا قد يكون سبقنا إليه أحد العلماء دون أن ندري، وما نظنه ترجمة قد نكون تصرفنا فيه وحرّفناه بما يخرج عن أصله، بحيث تقتضي الأمانة العلمية أن نخرجه من عداد الترجمات"¹، فإثارا للسلامة والبعد عن الشكليات سوف نستخدم مصطلح إعداد في هذه الدراسة.

ونشير أيضا إلى أننا لا نعترض على استخدام منهج تحليل المضمون ولكن طبيعة الموضوع وأهداف الدراسة تقتضي من الباحث استخدام مقياس يقيس التغير القيمي لدى الطلبة الجامعيين في الوسط الجامعي.

ب. وصف المقياس:

وهو مقياس يتضمن القيم السائدة لدى الطلبة الجامعيين، تم إعداده وفقا لخصوصيات المجتمع الجزائري، ويقس خمس أنواع من القيم حسب بعد المحتوى الذي حدده نيكولاس ريتشر (Nicolas Richtr) في تصنيفه للقيم على أساس عدة أبعاد من بينها بعد المحتوى². ويقس المقياس خمسة أنواع من القيم وهي: القيمة الأسرية، والقيمة التعليمية، والقيمة الاقتصادية، والقيمة الدينية، والقيمة السياسية، وهو يحتوي على خمسون عبارة موزعة بالتساوي على القيم الخمس السالفة الذكر بعدد 10 عبارات لكل قيمة، أما طريقة الإجابة عنها فهي تكون إما موافق، لا أدري، لا أوافق.

ج. كيفية إعداد المقياس: تستهدف الدراسة الحالية معرفة التغير القيمي لدى الطلبة الجامعيين وعلاقته بمظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، من خلال تطبيق المقياس الذي سنقوم بإعداده في هذه الدراسة.

- قام الباحث بالاطلاع على عدة مقاييس نذكر منها: مقياس القيم الفارقة الذي عربّه عبد الحميد جابر، ومقياس القيم لعبد السلام عبد الغفار، ومقياس ألبرت وفرنون وليندزي الذي ترجمه عطية هنة، ومقياس القيم لجامعة شيكاغو.

- الاطلاع على مقياس القيم للطاهر محمد بوشلوش والذي طبقه على عينة من الطلبة الجامعيين الجزائريين عام 1999.³

1- فرج عبد القادر طه، مرجع سبق ذكره، ص 21.

2- نورهان منير حسن فهمي: مرجع سبق ذكره، ص 131.

3- الطاهر بوشلوش: مرجع سبق ذكره، ص 423.

- كما تم الاطلاع على استبيان النسق القيمي لعبد العالي دبله بجامعة محمد خيضر بسكرة.¹
 د. صياغة أولية للاستبيان: تمت الصياغة الأولية بأسئلة مفتوحة، حيث تم صياغة أكثر من 70 عبارة، واعتمادها كاستبيان استطلاعي طبق على عينة عشوائية تكونت من 30 طالب وطالبة بجامعة المسيلة، وتتمثل أهمية هذا العمل الاستطلاعي من خلال هذه الأسئلة المفتوحة في أنها تمكنا من التعرف على مواطن الغموض التي تحيط بالظاهرة المدروسة، والأبعاد الحقيقية لموضوع القيم في الوسط الجامعي، كما أنه يساعدنا على صياغة عبارات أكثر دقة ووضوح.

- تم مناقشة فقرات الاستبيان الاستطلاعي مع الأستاذ المشرف وبعض الأساتذة من علم النفس وعلم الاجتماع الذين قاموا بتحكيم الاستبيان، حيث تم الاتفاق على حذف 20 عبارة ليصبح عددها 50 عبارة، روعي في إعدادها أن تكون معبرة عن فكرة واحدة، والتوازن بين محاور المقياس، وأعطى لها ميزان ثلاثي التدرج.²

هـ. صياغة تعلية الاستبيان:

بعد إعداد المقياس وجمع فقراته تمت كتابة تعلية الاستبيان، حيث تضمنت البيانات الشخصية الخاصة بالمبحوثين من حيث الإقامة الجامعية، المستوى الدراسي، والتخصص، الجنس، السن، الحالة الاجتماعية، العمل موازاة مع الدراسة، منطقة السكن، المستوى الدراسي للوالدين، نوع العمل للوالدين، عدد الإخوة. من أجل التعرف على خصائص العينة، حيث يطلب من المبحوث وضع علامة (X) في الخانة المناسبة.

أما بالنسبة للتعليمات فقد تم فيها إعطاء فكرة مختصرة عن المقياس وطبيعة الفقرات التي يتكون منها، وان الهدف من هذه الدراسة هو البحث العلمي وسوف يتم التعامل مع المعلومات بسرية تامة، مع إعطاء بعض الملاحظات على كيفية الإجابة، وذلك بوضع علامة (X) واحدة في الخانة المناسبة أمام كل فقرة.

و. كيفية تصحيح المقياس:

ونقصد بذلك وضع درجة لاستجابة كل مبحوث على كل فقرة من فقرات المقياس، وذلك بوضع ثلاث بدائل للاستجابة أمام كل فقرة، موافق، لا أدري، لا أوافق، وتم تحديد أوزان لهذه البدائل بحيث موافق = 3، لا أوافق = 1، لا أدري = 2. وبهذه الطريقة يمكن الحصول على الدرجة الكلية للمقياس لاستجابات المبحوثين على عبارات المقياس، عن طريق جمع

¹ - عبد العالي دبله: مرجع سبق ذكره، ص 103

² - أنظر الملحق رقم (02) يوضح مقياس التغير القيمي في الويط الجامعي.

درجات كل مبحوث على جميع عبارات محاور المقياس. وبهذه الطريقة يتم التصحيح لجميع الاستبيانات.

ز. الخصائص السيكمترية لمقياس التغير القيمي في الوسط الجامعي:

لا يمكن الاعتماد على نتائج الدراسة المتحصل عليها باستخدام الأدوات التي يتطلبها، دون توفير الشروط السيكمترية لها من ثبات وصدق والتي تتوقف عليها قيمة النتائج المتوصل إليها.

صدق المقياس: بكل بساطة الاختبار الصادق هو الاختبار الذي يقيس ما وضع لقياسه؛ أي أنه يكشف فعلاً عن المتغير أو المتغيرات التي وضع من أجل الكشف عنها، ويدل صدق أداة الدراسة على الذي نقيسه؛ أي مضمون هذه الأداة، وطرق حساب صدقها يدل على العلاقة بين الأداء على هذه الأداة والحقائق التي تدل على السلوك الفعلي لأفراد العينة.

وقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على صدق المحكمين، حيث تم عرض الصورة المبدئية للمقياس على مجموعة من أساتذة جامعيين في علم الاجتماع وعلم النفس وكان عددهم (05)¹، للحكم على صدق عبارات الاستبيان من حيث أنها تقيس موضوع الدراسة، والحكم على مدى وضوح صياغته والعبارات المكررة، ومدى التقارب بين كل بعد وفقراته، ومدى ملائمة البدائل الثلاث، وبعد الحصول على جميع الملاحظات التي قدمت من طرف المحكمين قمنا بتعديل المقياس من حيث الصياغة وحذفت بعض العبارات ليصبح بصورته النهائية.

وقد استخدمنا طريقة أخرى لحساب الصدق؛ هي الصدق الذاتي حيث يتم اللجوء إلى هذا النوع من أنواع الصدق عندما يتعذر وجود محك خارجي مثل الآراء والانطباعات، وهنا لا يوجد فرق بين الثبات والصدق.

ويقاس الصدق الذاتي بحساب الجذر التربيعي لمعامل ثبات الاختبار، وبما أن معامل ثبات المقياس الذي تم الحصول عليه عن طريق التجزئة النصفية² يساوي (0.80) فإن معامل الصدق الذاتي يساوي (0.90) ونتيجة لذلك يمكننا أن نعتبر معامل ثبات فقرات المقياس معاملاً لصدق فقراته.³

¹ - انظر الملحق رقم (03) يوضح قائمة بأسماء الأساتذة المحكمين للمقياس.

² - عبد اللطيف محمد خليفة: **مرجع سبق ذكره**، ص 120

³ - انظر الملحق رقم (04) يوضح كيفية حساب معامل الثبات عن طريق التجزئة النصفية

ثبات المقياس: يشير ثبات الأداة إلى الاتساق والدقة في استخراج نفس النتائج عند تكرار التجربة على نفس الأفراد، وهناك طرق كثيرة لحساب الثبات، وقد تم اختيار طريقة التجزئة النصفية، لحساب معامل ثبات الاستبيان وذلك بتقسيمه إلى جزأين؛ أي توزيع الأسئلة على قسمين أو اختبارين متماثلين، وذلك بجعل القسم الأول من الاختبار يتضمن الأسئلة التي تحمل أرقاماً فردية والقسم الثاني يتضمن الأسئلة التي تحمل الأرقام الزوجية، وذلك للتقليل من طول الاستبيان، ومنه تم حساب معامل ارتباط سبيرمان بين الجزأين (الفردية والزوجية)، ويستعمل هذا المعامل حينما تكون البيانات المجمعة على مستوى الرتب، وليس على مستوى الفئات، في هذه الحالة نلجأ إلى هذا المعامل لإيجاد الارتباط بين متغيرين. وبعد إيجاد معامل الارتباط بين فقرات المقياس الفردية والزوجية قمنا بتصحيح أثر التجزئة النصفية، بتطبيق معادلة سبيرمان براون وبهذا كان معامل ثبات المقياس المتحصل عليه بطريقة التجزئة النصفية هو (0.80).

3.4-2. مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي:

نظراً لأنه لم يكن ممكناً للباحث استخدام أحد المقاييس الجاهزة والخاصة بالكشف عن مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، والتي تم الاطلاع عليها من خلال الدراسات السابقة التي أجريت، وذلك لمبررات علمية وموضوعية منها:

- عدم توفر أداة قياس تناسب مجتمع الدراسة الحالية، وتعكس طبيعة ومواصفات ذلك المجتمع، ومنها عدم وجود أداة شاملة تغطي مختلف جوانب مظاهر الاغتراب التي أراد الباحث دراستها.

- وأيضاً بدافع الحاجة إلى بناء أداة قياس ملائمة لأهداف الدراسة، وهو ما دفع الباحث إلى إعداد مقياس لقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، مع الأخذ بعين الاعتبار خصوصية البيئة التي أجريت فيها الدراسة، وملائمة أسلوب صياغة العبارات للخلفية الاجتماعية والثقافية لمجتمع الدراسة، وقد تم بناء وتطوير المقياس وفق الخطوات التالية:

أ. التخطيط عن طريق تحديد المجالات والفقرات، في ضوء المقاييس السابقة. وحددت المجالات في خمسة محاور، محور اللامعيارية، محور اللامعنى، محور التشيؤ، محور العجز، محور العزلة الاجتماعية. ومن بين المقاييس التي تم الاعتماد عليها:

- مقياس العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي للجالية العراقية بالسويد:¹ قام الباحث بتصميم المقياس لقياس الاغتراب لدى العراقيين في بلاد المهجر، إذ احتوى هذا المقياس

¹ - حسن إبراهيم حسن المحمداوي : مرجع سبق ذكره. ص 120

على ستة أبعاد، العجز، العزلة الاجتماعية، اللامعنى، التمرد، التشيؤ، اللامعيارية، خصص لكل بعد 10 عبارات، وحدد الخيارات من خمس بدائل حسب التدرج الخماسي لمقياس ليكرت. والمقياس هو مطور من مقياس سيمان 1959، ومقياس عادل الأشول، ومقياس عبد اللطيف محمد خليفة 2003. مقياس الاغتراب للشباب لإجلال سري 2003. مقياس مشاعر ومعتقدات الاغتراب لسناء حامد زهران 2004.

- **مقياس الاغتراب النفسي:**¹ يهدف المقياس إلى قياس الاغتراب النفسي لدى المعاقين سمعياً، لكن الباحث اعتمد في صياغته على 26 مقياس للاغتراب وبالتالي أبعاد الاغتراب والعبارات التي تقيسها حددت بدقة في هذا المقياس من قبل الباحث، بحيث لاحظنا التشابه أو حتى التطابق بين المقاييس الأخرى.

- **مقياس مظاهر الاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية:**² يقيس درجة الشعور بالاغتراب لدى الطلبة السوريين في بعض الجامعات المصرية، حيث ضم المقياس الأبعاد التالية: اللامعيارية، العزلة الاجتماعية، التمرد، اللاهدف، التشيؤ، العجز، اللامعنى، واغتراب الذات، وضم المقياس 96 عبارة بواقع 12 عبارة لكل بعد من أبعاد الاغتراب.

ب- الاستفادة من الأطر النظرية والدراسات السابقة ومراجعة الأدبيات المختلفة، كالكتب والمراجع والمقالات التي تتكلم عن ظاهرة الاغتراب.

ج- كتابة عدد كبير من الفقرات لتغطي جميع المحاور، وصياغة الفقرات بصورتها الأولية والتي بلغ عددها 117 فقرة.

د- صيغت اغلب فقرات الاستبانة بصيغة سلبية لأنها تمثل مظاهر الاغتراب.

هـ- تم عرض العبارات المقترحة على (10) محكمين من المختصين في علم النفس والاجتماع بجامعة محمد خيضر بسكرة ومحمد بوضياف المسيلة والصادق بن يحيى جيجل وفرحات عباس سطيف، للتأكد من مناسبة الفقرات لمجالات الدراسة ودقة صياغتها، ووضوحها، بالإضافة إلى حذف وتعديل أو حتى إضافة بعض الفقرات.

و- بناء على ملاحظات المحكمين وتوصياتهم، أجريت التعديلات بحذف بعض الفقرات وتعديل بعضها، وأهم ملاحظة هي كثرة العبارات وتكرارها بصياغات مختلفة، حيث تم

¹ - عبده سعيد محمد أحمد الصنعاني: مرجع سبق ذكره، ص 118

² - بشرى علي: مرجع سبق ذكره، ص 133

استيفاء العبارات التي حازت على نسب عالية من موافقة المحكمين، وبالتالي أصبح المقياس يحتوي على 50 عبارة موزعة على خمسة محاور بدلا من 117.¹

ومن خلال الدراسة الاستطلاعية قام الباحث باختيار عينة عشوائية من 26 طالب وطالبة من غير عينة الدراسة الأصلية، ومتشابهة تماما مع العينة الأصلية، للتأكد من مدى ملائمة الاستبانة المعدة، ومناسبتها لمستواهم العمري والعلمي، من حيث الوضوح ومناسبة العبارات، وتذليل أي عقبات يمكن أن تواجه المبحوثين.

حيث تم التأكد من ملائمة عبارات المقياس المعدة للطلبة الجامعيين، ووضوحها ومناسبتها، بحيث لم تواجههم أي مشكلة في فهم العبارات أو غموض في إحدى العبارات.

كما سعت الدراسة الاستطلاعية إلى تحديد أهم الخصائص السيكومترية لمقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي (الصدق، الثبات) للتأكد من مدى صلاحيته للتطبيق على طلبة الاقامات الجامعية المختارة، ومدى تلائم عباراته مع ما نريد قياسه ميدانيا ليتسنى للباحث القيام بالدراسة الميدانية عن طريق مقياس يتوفر على قدر كاف من الصدق والثبات.

أ.صدق الأداة:

يمكن للباحث أن يستخرج لأداة بحثه معايير الصدق استنادا لأنواع الصدق المختلفة²، حيث اعتمد الباحث على صدق المحكمين. فبعد إعداد أداة الدراسة بصورتها الأولية، وللتحقق من صدق المحتوى، قام الباحث بعرضها على (10) من المحكمين ذوي الخبرة والاختصاص في علم النفس وعلم الاجتماع بجامعة بسكرة والمسيلة وجيجل وسطيف، بهدف التأكد من صدق محتوى الفقرات المكونة للاستبانة، ومدى ملائمتها لأهداف الدراسة ومتغيراتها، وقد تم اعتماد الفقرات التي حازت على نسب عالية من الموافقة.³

كما تم بناء على توصيات المحكمين تعديل بعض العبارات من حيث الصياغة والألفاظ، وكذلك حذف بعض العبارات غير المناسبة أو المكررة في المعنى ثم عرض المقياس مرة أخرى في صورته النهائية على مجموعة المحكمين للتأكد من فقراته.

ب.ثبات المقياس:

تم حساب معامل الثبات بطريقة إعادة الاختبار، وتعتمد هذه الطريقة على تطبيق المقياس بنفس صورته مرتين متتاليتين على عينة من الطلبة الجامعيين، ثم يتم حساب معامل

¹ - الملحق رقم (05) يوضح مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي بصورته النهائية.

² - نبيل أحمد عبد الهادي: مرجع سبق ذكره، ص 114.

³ - انظر الملحق رقم (03) قائمة بأسماء الأساتذة المحكمين.

الارتباط بين درجات الاختبار الأولى والثانية، ويسمى المعامل الناتج معامل الاستقرار، وقد طبق الباحث نفس المقياس على عينة من الطلبة الجامعيين تبلغ (26) طالبا مرتين تفصل بينهما مدة زمنية (15 يوم)، ثم تم حساب معامل الارتباط بين الدرجتين بطريقة الارتباط للدرجات الخام.

وقد بلغ معامل الارتباط (0.88) وهو دال عند مستوى دلالة (0.01) مما يدل على أن المقياس يتمتع بدرجة عالية من الثبات.

الجدول رقم(05): يوضح معاملات الارتباط بين التطبيقين الأول والثاني:

مظاهر الاغتراب	معامل الارتباط	قيمة الدلالة
اللامعيارية	*0.752	0.01
محور اللامعنى.	*0.854	0.01
محور التشويؤ.	*0.732	0.01
العجز.	*0.910	0.01
العزلة الاجتماعية.	*0.841	0.01

ج.وصف المقياس: يتضمن المقياس 50 عبارة موزعة على خمسة محاور، خصص المحور الأول لبعده اللامعيارية ويضم 10 عبارات من رقم 1-10، أما المحور الثاني يتناول بعد اللامعنى ويضم 10 عبارات من رقم 11-20، المحور الثالث ويتضمن بعد التشويؤ ويتضمن 10 عبارة من 21-30، المحور الرابع وخصص لبعده العجز ويضم 10 عبارة من 31-40، أما البعد الأخير فخصص للعزلة الاجتماعية ويضم 10 عبارات من 41-50.

وتتم الاستجابة على عبارات المقياس بالاختيار من ثلاث بدائل (أوافق، لا ادري ، لا أوافق) ويعطى التقدير 1.2.3. على الترتيب ،ويسمى هذا الأسلوب بالتقدير الكمي، كما أن البدائل الثلاث تساعد على زيادة درجة الثبات والذي يزداد بزيادة عدد البدائل المستخدمة، كما أن هذا الأسلوب يساعد على المعالجة الإحصائية باستخدام الحاسب الآلي من خلال النظام الإحصائي في العلوم الاجتماعية spss.

د.طريقة التصحيح:

يسلم المقياس للطلاب حيث يقوم بإبداء الرأي في مدى انطباق كل عبارة من عبارات المقياس عن حالته، ليتسنى لنا الحكم على مدى تطابق العبارات على أفراد العينة ويعطى لكل عبارة علامة مندرجة من 1-2-3- للبدائل (لا أوافق، لا ادري ، أوافق) على الترتيب في حالة الأسئلة المصاغة بالسلب، وبإعطاء الدرجات 1-2-3 للبدائل (لا أوافق، لا ادري ، أوافق) على الترتيب للأسئلة المصاغة إيجابا.حيث لا تعبر الدرجة 1 عن قيم المبحوث

واتجاهاته على الإطلاق، أما الدرجة 3 يعبر مضمون العبارة عن المبحوث تملأ، ويمكن الحصول على الدرجة الكلية للاغتراب والتي تمثل مجموع درجات الفرد على كافة المقياس. إن الدرجة الكلية للاغتراب على المقياس ككل تتراوح بين (50-150)، أما المتوسط المعياري للمقياس فيمثل درجة الخيار الأوسط مضروباً في عدد العبارات ($100=2*50$) ولكل بعد ($20=2*10$)، وقد اعتمدت كمحك للحكم على وجود مظاهر الاغتراب لدى عينة أفراد الدراسة من حيث شدة المظاهر أو انخفاضها.

ويعتبر كل من حصل على درجة تساوي المتوسط أو تزيد أنه يعاني من مظاهر الاغتراب بصورة واضحة، ومن قلت درجته عن المتوسط بأنه ذو اغتراب منخفض، أو أنه لا يعاني من مظاهر الاغتراب. مع الأخذ بعين الاعتبار درجة كل مظهر من مظاهر الاغتراب في حال قلت الدرجة الكلية عن المتوسط المعياري. لأنه يوجد من يعاني بشدة من مظهر واحد من مظاهر الاغتراب المدروسة دون مظهر آخر.

ه. الهدف من المقياس:

يهدف هذا المقياس بعد تطبيقه إلى تحديد مستوى مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي لدى طلبة الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة من الجنسين، والذين يتسمون بالاغتراب (تكون لهم درجات عالية بعد تصحيح المقياس). ويمكن تحديد أهم مظاهر الاغتراب المنتشرة بين طلبة الاقامات الجامعية وترتيبها حسب الدرجات المحصل عليها، والتدليل على كل بعد من أبعاد الاغتراب حسب النسق القيمي السائد لدى أفراد عينة الدراسة.

5- الوثائق والسجلات:

تعتبر الوثائق والسجلات الرسمية إحدى أدوات جمع البيانات والمعلومات التي يلجأ إليها الباحث للحصول على البيانات والمعطيات التي لا يستطيع الحصول عليها من باقي الأدوات الأخرى، كما تساعد في شرح وتفسير بيانات تم جمعها من خلال أدوات أخرى. ونظراً لطبيعة الدراسة الحالية فإن الباحث استعان بسجلات قيدت فيها عدد الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة وعدد الطلبة الجامعيين، واختصاصاتهم، والبيئة الجغرافية التي ينتمون إليها، ونشير هنا إلى أن الحصول على مثل هذه المعلومات لم يكن بالأمر اليسير، نظراً للاعتبارات السلبية التي يحملها بعض الإداريين عن الدراسات السوسولوجية، والتكتم والسرية والخوف الذي مازال يميز الإداري الجزائري، حيث تطلب الأمر استعمال عدة

وسائط للوصول إلى هذه المعلومات، كما أن موقع مديرية الاقامات الجامعية بالمسيلة على الانترنت لم يتم تحيينه من سنة 2010.

6. أساليب المعالجة الإحصائية:

إن البيانات المجمعة مهما كانت دقتها وكميتها فإنها من دون قيمة حقيقية، إلا إذا عرضت للتحليل الدقيق الذي يساعد على تحديد الاتجاهات واستخلاص النتائج، وتفسير العلاقات السببية التي تتحكم بالظاهرة المدروسة في إطارها الاجتماعي، باستخدام الأدوات التحليلية الإحصائية والرياضية، وقد تم الاعتماد على التحليل الكيفي، بالمقارنة بين المعطيات والنتائج.

إن الذي يحدد نوع المعالجات الإحصائية في أي دراسة هو طبيعة موضوع البحث من ناحية؛ والمعلومات والبيانات التي تم الحصول عليها من ناحية أخرى، فهذا يحد ذاته يحدد طبيعة ونوعية الإحصاء المستخدم في الدراسة إن كان وصفيًا أم تحليليًا.¹ بعدما تم جمع بيانات الدراسة الميدانية عن طريق إجابات عينة الدراسة على عبارات المقياس وإدخال هذه البيانات بالحاسب الآلي، تمت معالجتها باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS ver14) ؛ أي الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية، وذلك بعد ترميز البيانات الكيفية والتعبير عنها بأرقام حتى يسهل معالجتها إحصائيًا.

مثال: الجنس: ذكر = 1، أنثى = 2

المستوى الدراسي: سنة أولى = 1، سنة ثانية = 2 ، سنة ثالثة = 3، ماستر = 4، دكتوراه = 5

هل أعدت السنة: نعم = 1، لا = 2

الحالة الاجتماعية: أعزب = 1، متزوج = 2

ونفس الشيء لباقي البيانات حيث عرضنا الدرجات الكلية للاستجابات المبحوث إزاء كل محور من محاور المقياسين بعد تصحيحهما، كما استخدم الباحث مجموعة من الأساليب الإحصائية وهي:

تم حساب التكرارات والنسب المئوية للتعرف على الخصائص الشخصية لأفراد عينة الدراسة وتحديد استجابات أفرادها اتجاه عبارات المحاور الرئيسية التي تتضمنها أداة الدراسة.

كما تم حساب معامل الارتباط بيرسون "ر" بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية للمحور الذي تنتمي إليه، وذلك لتقدير الصدق البنائي للمقياس.

¹ - نبيل أحمد عبد الهادي: مرجع سبق ذكره، ص 116

وبعد ذلك تم حساب المقاييس الإحصائية التالية:

أ- استخدم الباحث الانحراف المعياري والذي يعتبر من أهم مقاييس التشتت "يقيس معطيات العامل المتغير في البحث، ويكون عن طريق قياس درجة انحراف المعطيات عن الوسط".¹ لمعرفة مدى انحراف استجابات أفراد عينة الدراسة لكل عبارة من عبارات الدراسة، ولكل محور من المحاور الرئيسية عن متوسطها الحسابي.

ب- ويلاحظ أن الانحراف المعياري يوضح التشتت في استجابات أفراد العينة عن متوسط كل عبارة فكلما اقتربت قيمته من الصفر كلما تركزت الاستجابات وانخفض تشتتها بين درجات المقياس، أما إذا كان الانحراف المعياري 1.00 فأعلى فيعني عدم تركز الاستجابات وتشتتها بين درجات المقياس علماً بأنه يفيد في ترتيب العبارات حسب المتوسط الحسابي لصالح أقل تشتت عند تساوي المتوسط الحسابي.²

ج- المتوسط الحسابي وذلك لمعرفة مدى ارتفاع أو انخفاض استجابات أفراد العينة على كل عبارة من عبارات متغيرات الدراسة الأساسية، مع العلم بأنه يفيد في ترتيب العبارات حسب أعلى متوسط حسابي.

كما استخدمنا المتوسط الحسابي لمعرفة مدى ارتفاع أو انخفاض استجابات أفراد الدراسة عن المحاور الرئيسية (متوسط متوسطات العبارات)، مع العلم بأنه يفيد في ترتيب المحاور حسب أعلى متوسط حسابي.

د- معادلة سبيرمان - براون لتصحيح معامل الارتباط عند حساب ثبات مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي.

هـ- تم استخدام معامل الارتباط بيرسون ، لمعرفة مدى ارتباط محاور أداة الدراسة النسق القيمي لطلبة الاقامات الجامعية، للإجابة على فرضيات الدراسة الأولى والثانية والثالثة والرابعة.

و- لحساب الفروق بين الجنسين تم استعمال اختبار (T-Test) من خلال تحليل التغير القيمي.

ز- حساب جذر الثبات لإيجاد الصدق الذاتي لمقياس التغير القيمي.

¹ - معن خليل العمر : مناهج البحث العلمي في علم الاجتماع ، ص 99.

² - عبد اللطيف محمد خليفة: مرجع سبق ذكره ، ص 118.

خلاصة:

من خلال هذا الفصل تم عرض مجالات الدراسة كما تم تحديد المنهج المناسب للدراسة، والأدوات التي تم اعتمادها في جمع البيانات، كما وضحنا بدقة مبررات استعمالها ومدى ثباتها وصدقها في قياس ما أعدت لقياسه، حيث قمنا بإجراء دراسة استطلاعية سبقت الدراسة الميدانية، وبيّنا كيفية اختيار عينة الدراسة ونوعها والخصائص التي يتوفر عليها أفراد عينة الدراسة والتي تتناسب مع خصائص المجتمع الأصلي وكذلك الأساليب المتبعة في المعالجة الإحصائية لبيانات الدراسة.

**الفصل السادس: عرض نتائج مقياس التغير
القيمي في الوسط الجامعي**

عرض نتائج مقياس التغير القيمي في الوسط الجامعي

أولاً. عرض ومناقشة البيانات العامة

ثانياً. تحليل بيانات مقياس التغير القيمي:

1. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم الاقتصادية
 2. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم التعليمية
 3. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم الأسرية
 4. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم الدينية
 5. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم السياسية
- ثالثاً. التباين في التوجهات القيمية بين الطلبة والطالبات.
- رابعاً. ترتيب القيم حسب استجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين.
- خامساً. ترتيب القيم حسب الجنس من عينة الدراسة.

تمهيد:

نحاول في هذا الفصل مناقشة النتائج المتحصل عليها من خلال تطبيق أداة الاستبيان حول موضوع التغير القيمي في الوسط الجامعي، إذ نبدأ بعرض خصائص أفراد عينة الدراسة من حيث السن والجنس والمستوى الدراسي الذي ينتمون إليه، ثم الانتماء الجغرافي والذي يتمثل في منطقة السكن والحالة الاجتماعية للطلبة الجامعيين، ثم نبرز الخصائص العامة لانتمائهم الأسري من حيث دخل الوالدين والمستوى التعليمي لهما والحالة الاجتماعية لهما. ثم نتطرق بالتحليل والتفسير لاستجابات أفراد عينة الدراسة إزاء مقياس التغير القيمي بمحاوره المختلفة سياسية واقتصادية ودينية وأسرية وتعليمية، وهي قيم ظلت حسب العديد من الدراسات السابقة المكون الأساسي لنسق القيم في المجتمع الجزائري، كما حافظت على نمط معين من حيث الترتيب والأولوية لدى الأفراد في المجتمع الجزائري، ونحاول في هذا الفصل أن نتعرف ونتبين مدى التغيرات التي تعرضت لها.

أولاً: عرض ومناقشة البيانات العامة:

يتم التعرف على مجتمع هذه الدراسة عن طريق معرفة خصائص أفراد العينة التي أجريت عليهم الدراسة من طلبة الجامعيين الموزعين على مختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، لإبراز الملامح الهامة التي تميز أفراد عينة الدراسة والخلفية الاجتماعية والثقافية التي ينتمون إليها، لما لتلك الخصائص من أهمية في معرفة مدى تأثيرها على متغيرات الدراسة (المحاور التي تشتمل عليها الدراسة).

نحاول من خلال هذا الجزء من البحث أن نستعرض بالتحليل أبرز الخصائص لأفراد عينة الدراسة؛ من المستوى التعليمي والاقتصادي والاجتماعي، والتي يتميز بها أسر المبحوثين، وكذا انتمائهم الجغرافي والفئة العمرية التي تتعامل معها الدراسة، لان الدراسة الحالية تستهدف دراسة التغير القيمي في علاقته بمظاهر الاغتراب وقد أثبتت العديد من الدراسات علاقة القيم وتأثرها بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي والتعليمي والانتماء الجغرافي.

لذلك نحاول توصيف عينة الدراسة من خلال البيانات التي تم تجميعها ومن ثم نعطي قراءة تحليلية لهذه المعطيات في ضوء النتائج التي نتوصل إليها الدراسة.

1. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس:

الجدول رقم (07) يوضح
توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس

النسبة النسبة النسبة	إناث	النسبة المئوية	ذكور	الإقامة الجامعية
%12	63	//	//	حسوني 02.
%16	80	//	//	حسوني 03
%7	29	//	//	01 نوفمبر
%2	20	//	//	حي النسيج
%6	33	//	//	1000 سرير
%4	25	//	//	الهضاب
%13	60	//	//	2500 سرير
//	//	%8	35	نويات موسى
//	//	%16	85	القطب الجامعي 01
//	//	%16	84	القطب الجامعي 02
%60	310	%40	204	المجموع

من خلال الجدول رقم (07) رقم نلاحظ أن أفراد عينة الدراسة من الإناث والذكور يتوزعون على الإقامات الجامعية حسب نسبة 2.5 بالمائة التي حددت في اختيار العينة ونلاحظ أنه كلما زاد عدد الطلبة المقيمين يزداد حجم العينة، حيث بلغ عدد الإناث (310)، وعدد الذكور (204)، وعليه يتبين أن عينة الدراسة تمتاز بكثرة تمثيل الإناث بالنسبة للذكور، وهي ميزة المجتمع الأصلي الذي أخذت منه العينة.

ويتوزع أفراد عينة الدراسة على (10) إقامة جامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، (07) إقامات جامعية بالنسبة للإناث، و (03) إقامات بالنسبة للذكور. حيث تتوفر هذه الإقامات على كافة وسائل الإقامة والراحة، من إقامة ومطعم ونادي، التدفئة، قاعة للنشاطات، وهي إقامات جديدة في معظمها. وهي تعكس اهتمام الدولة الجزائرية بالتعليم العالي وتوفير كل الظروف من أجل راحة الطالب الجامعي.

2. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب السن:

الجدول رقم (08) يوضح
توزيع أفراد عينة الدراسة حسب السن

السن	إناث	النسبة المئوية	ذكور	النسبة المئوية
أقل من 19 سنة	107	%34	49	%24
من 20 إلى 23	123	%40	86	%42
أكثر من 23 سنة	80	%26	69	%34
المجموع	310	%100	204	%100

يوضح الجدول رقم (08) توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغير السن حيث يشترك أفراد عينة الدراسة من الجنسين في الفئة العمرية بين (20 و 23 سنة)؛ فهي أكبر فئة عمرية بالنسبة للإناث بنسبة (40%)، وأكبر نسبة بالنسبة للذكور أيضا (42%)، مع العلم أن هناك تفوق في عدد الذكور الأكثر من 23 سنة يقابله تفوق للإناث في الفئة الأقل من 19 سنة. وعليه فأفراد عينة الدراسة يتركز أغلبهم في مرحلة تمتد من (19 إلى 23 سنة) وهي مرحلة مرتبطة بدرجة كبيرة بالمراهقة وخصائصها، التي تتميز بتغيرات جسمية ونفسية واجتماعية هامة، تنمي لديهم القدرة والاستعداد والإمكانية على مواجهة متطلبات الحياة. كما ترتبط بمرحلة الشباب على اعتبار المدة الزمنية المحددة لمرحلة المراهقة، وعليه نتساءل الى أي فئة ينتمي أفراد عينة الدراسة؟

نريد من ذلك القول أن المشكلات متداخلة بين مرحلتي المراهقة والشباب، ويصعب رسم حدود واضحة تفصل بينهما، وربما من غير المفيد افتعال مثل هذه الفصل. فانتهاج المراهقة (كمرحلة) هو تدرج داخلي مرن ضمن مرحلة الشباب نفسها أكثر مما هو لحظة قطع. ولكن السؤال المطروح: إذا وضعنا الحد العمري الاصطلاحي جانبا وأعطينا الأولوية للقضايا والمواضيع والخصائص التي تشكل مضمون مرحلة الشباب، يبقى التساؤل مطروحا: متى تنتهي مرحلة الشباب؟

هل هو الاستقلال الكامل عن أسرة الأهل اقتصاديا واجتماعيا؟

هل يكون ذلك عندما تعترف الأسرة بدور الشاب أو (الشابة) المستقل في هرمية الأدوار ضمن التشكيل العائلي أو العائلي الموسع ومعياره إمكانية اتخاذ القرارات المنفردة والمشاركة الفعلية في اتخاذ القرار الأسري؟

هل هو يتعلق بتصور اجتماعي - ثقافي - سلوكي سائد لماهية "النضج" الاجتماعي بما يتجاوز التحديد القانوني أو العمري، وفي هذا السياق قد نجد أنفسنا أمام عتبات مختلفة: 18 سنة سن الرشد القانوني؛ أحيانا 21 سنة هو سن الاقتراع (أو 16 سنة). هذه الحدود العمرية المختلفة، إنما تعبر عن تصورات معينة لموقع العتبة الى تجيز الانتقال من طور "الشباب" بما هو طور يتسم بالتعلم وبعدم اكتمال النضج، إلى طور الاعتراف الكامل بالحقوق.

فالمراهق يشكو من أن والديه لا يفهمانه، ولذلك يحاول الانسلاخ عن مواقف وثوابت ورغبات الوالدين كوسيلة لتأكيد وإثبات تفرده وتمييزه، وهذا يستلزم معارضة سلطة الأهل؛ لأنه يعد أي سلطة فوقية أو أي توجيه إنما هو استخفاف لا يطاق بقدراته العقلية التي أصبحت موازية جوهرياً لقدرات الراشد، واستهانة بالروح النقدية المتيقظة لديه، والتي تدفعه إلى تمحيص الأمور كافة، وفقا لمقاييس المنطق، وبالتالي تظهر لديه سلوكيات التمرد والمكابرة والعناد والتعصب والعدوانية.

فهي مرحلة يكون فيها الشاب له القدرة والاستعداد على تقبل القيم والمعتقدات الجديدة؛ فبالقدر الذي يستطيع فيه تشرب واستمماج القيم السائدة في المجتمع، في المقابل يسهل عليه تقبل كل ما هو جديد، بحيث تصبح له مطالب قد لا تتصل بإشباع حاجات أساسية ولكنها تتصل بإشباع حاجات اجتماعية. ففي هذه المرحلة بالتحديد وفي الوسط الجامعي الذي ينتمي إليه الطلبة تتكون فيه شخصياتهم، واتجاهاتهم وقيمهم، وتترك في نفوس الشباب ووجدانهم مشاعر تدوم مع الفرد في العالم المهني والمجتمع طوال حياته.

ويعني ذلك أن الوسط الجامعي ليس خارج إطار الصراعات القيمية أو الاجتماعية، وإنما هو إحدى أدواته الفاعلة، باعتبار الجامعة وسيلة الأمة في تكوين وبناء شخصية المواطن الصالح، وبالتالي نحن بأمس الحاجة لان تضطلع الجامعة الجزائرية بدورها في بناء منظومة القيم لدى الشباب لتمكنه من مواكبة التغيرات السريعة والمتلاحقة، في كافة المجالات الاجتماعية والثقافية والفكرية والاقتصادية والسياسية، ليكون قادرا على مجابهة التحديات والصعاب بعزم واقتدار.

وعليه نستعمل في هذه الدراسة مصطلح الشباب الجامعي للتدليل على أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين، وذلك لإدراكنا ووعينا بمتطلبات هذه المرحلة وتطلعات الطلبة الجامعيين فيها.

3. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي:

الجدول رقم (09):

يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي

المجموع	النسبة المئوية	ذكور	النسبة المئوية	إناث	لمستوى الدراسي
6%	5%	11	7%	23	السنة الأولى ل.م.د.
38%	41%	84	37%	115	السنة الثانية ل.م.د.
39%	48%	98	30%	92	السنة الثالثة ل.م.د.
14%	3%	05	23%	70	ماسترا ل.م.د.
3%	3%	06	3%	10	نظام كلاسيك
100%	100%	204	100%	310	المجموع

يتضح من خلال البيانات المحصل عليها من ميدان الدراسة في الجدول رقم (09) أن أغلب أفراد عينة الدراسة من الجنسين يزاوون دراستهم الجامعية في السنة الثانية بنسبة 38%، وهذه جزئية مهمة وضعها الباحث في اعتباره؛ نظرا لكون طول أو قصر المدة التي يقضيها الطالب في الجامعة يساهم في مدى معرفة الطالب بالوسط الجامعي، وتمكنه من التفاعل فيه.

وبالتالي فإن مظاهر الاغتراب قد تظهر على الطالب نتيجة لعدم تأقلمه مع الجامعة كوسط يختلف عن الثانوية، وابتعاده عن الأسرة التي كانت توفره له كامل احتياجاته، وربما تفرض عليه الرقابة في تصرفاته وسلوكاته، كما أن الوسط الجامعي لا يمتلك نفس آليات الضبط الاجتماعي السائدة في المجتمع، وبالتالي فالوسط الجامعي علاوة على أنه وسط تتم فيه التنشئة الاجتماعية بصور مختلفة، غير أنه يتيح قدرا من الحرية والمرونة، وهامش أوسع للأفراد في التصرف بحرية في حياتهم الشخصية، لذلك من المهم في اختيار عينة الدراسة أن نختار طلبة على الأقل تمكنوا من قضاء وقت كاف للتعرف على الوسط الجامعي وعليه؛ اختار الباحث بداية السداسي الثاني من سنة 2012 لتطبيق أدوات الدراسة.

أما النسب الأخرى فبالتفاوت توزيعها بين السنة الثالثة ل.م.د بنسبة 28% ومستوى الماستر بنسبة 16%، وحتى طلبة السنوات الأولى من عينة الدراسة تم التعامل معهم بعد أن قضوا وقتا كافيا حسب رأي الباحث في الوسط الجامعي يسمح لنا بتطبيق أدوات الدراسة، وتجدر الإشارة إلى أننا لم نأخذ بعين الاعتبار التخصص الدراسي في الجامعة لأن ما يهمنا بالدرجة الأولى هو الانتماء للوسط الجامعي بصفة عامة، ومن ورائه الإقامة الجامعية كأبرز مكان يتيح للطالب التفاعل الاجتماعي سواء مع الطلبة أو في الوسط الجامعي والأحداث التي تميزه من فترة لأخرى.

4. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الانتماء الجغرافي:

الجدول رقم (10)

يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الانتماء الجغرافي

مكان السكن	إناث	النسبة	ذكور	النسبة	النسبة العامة
وسط ريفي	192	%37	135	%26	%63
وسط حضري	118	%23	69	%14	%37
المجموع	310	%60	204	%40	%100

من خلال بيانات الجدول رقم (10) يمكننا أن نقر بأن أغلب أفراد عينة الدراسة من وسط ريفي بنسبة (63%) وهم في الأغلب من البلديات التابعة لولايتي المسيلة وبرج بوعريريج وبعض الولايات المجاورة على اعتبار الانتماء الإقليمي لجامعة المسيلة ميدان الدراسة والتي تستقبل طلبة هذه المناطق بدرجة أكبر، ولا شك أن القيم التي يحملها الفرد من منطقة ريفية تختلف عن تلك التي يحملها الذي ينتمي الى وسط حضري، وفي الدراسة الحالية نجد 37% من أفراد عينة الدراسة ينتمون اجتماعيا إلى أوساط حضرية والتي تمثل المدن الكبرى في ولايتي المسيلة وبرج بوعريريج والدوائر التابعة لهما.

إن نحن إزاء مفهوم التحضر؛ لكن ليس بمفهومه الواسع، على الأقل من خلال انتقال أفراد عينة الدراسة من الريف الى المدينة- على اعتبار أن اغلب أفراد عينة الدراسة من وسط ريفي- الذي يشير إلى العملية التي بواسطتها تأتي الغالبية من سكان البلد للعيش في المدن مع تركيز مصاحب للأنشطة الاقتصادية والإدارية والتنظيمات السياسية وشبكات الاتصالات في هذه المناطق الحضرية، ويشير أيضا إلى كيفية عيش الناس وأنماط سلوكهم وعلاقاتهم الاجتماعية وترابطهم (تفاعلهم). ويعرفه بيترمان: "بأنها عملية اجتماعية يقوم الفرد خلالها بالهجرة من الريف إلى المدينة والتكيف والتطبع بأخلاق وعادات وسلوكية أبناء المدن وتقبل أسلوب الحياة وأنماط العلاقات الاجتماعية الموجودة فيها."

وفي نفس السياق أكدت دراسة عبد اللطيف خليفة حول ارتقاء القيم، على الفروق في ترتيب القيم بين الريفيين والحضرين، حيث أكدت دراسته أن الريفيين يرتبون القيمة السياسية في مرتبة أخيرة بعد القيمة الدينية، على عكس الحضرين الذين يرتبون القيمة الاقتصادية بعد القيمة الدينية، علما وان هذه التفضيلات القيمية تنشأ مع متغير المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسر والأفراد ومن اتجاهات وميول الوالدين في عملية التنشئة الاجتماعية، وفي هذا الصدد أكدت الدراسة على أن الأمهات اللواتي يعشن في مستوى اجتماعي واقتصادي مرتفع يعطين

أهمية اكبر لقيم اعتبار الآخرين وحب الاستطلاع وضبط النفس، في حين أن الأمهات اللاتي يعشن في مستوى اقتصادي متدن يعطين أهمية اكبر لقيمة الطاعة والنظافة.¹

5. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية:

الجدول رقم (11) يوضح

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	إناث	النسبة	ذكور	النسبة	النسبة العامة
أعزب(ة)	298	%57	184	%36	%93
متزوج(ة)	10	%2.5	15	%2.23	%3.73
مطلق(ة)	02	%0.5	05	%0.87	%1.37
المجموع	310	%50	204	%40	%100

من خلال عرض بيانات الجدول رقم (11) يتجلى لنا بأن الأغلبية من أفراد عينة الدراسة من الجنسين غير متزوجين، وهو أمر يمكن تفسيره بالمرحلة العمرية التي ينتمي إليها أفراد عينة الدراسة من 19 سنة إلى 23 سنة، وهي مرحلة عمرية قد لا تتوفر في الطالب المقترضات اللازمة للزواج، كما أن التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري في المدة الأخيرة، نجم عنها تحولات جذرية في مفهوم الزواج والسن الذي يقابله، حيث أخذ دور العائلة يتقلص مع انتشار التعليم، والتقلص في ظاهرة الخجل مع الاختلاط في التعليم، وتزايد عدد المتعلمين، وأصبح للراغبين في الزواج متسع للتعارف والترتيب للزواج في مجال العمل أو في الوسط الجامعي، ومع هذا ما زال الزواج التقليدي يلقي بظلاله في المجتمع الجزائري، كما أن تأخر سن الزواج أصبح السمة البارزة للشباب في المجتمع الجزائري، وله العديد من الأسباب التي تتحكم في هذا العامل؛ إن اقتصاديا أو اجتماعيا أو التفرغ للدراسات العليا أو الإيفاء بالتزامات معينة قبل الزواج.

كما أن الزواج بالنسبة للمرأة في المجتمع الجزائري يكون في أغلبه بعد إنهاء الدراسة، وعادة ما تنتظر الأسر الجزائرية إنهاء الفتاة لدراستها ثم إتمام مراسيم الزفاف، ونحاول أن نبين أهم القيم السائدة لدى أفراد عينة الدراسة في ما يتعلق بالزواج كقيمة اجتماعية وأهم محدداته، والمعايير التي تتحكم في الشاب أو الشابة من أجل الاختيار للزواج.

¹ - عبد اللطيف خليفة: مرجع سبق ذكره، ص 93.

إن القيم الأسرية المبالغة في المظهرية الاجتماعية والتقليد والمحاكاة، والتي اعترت نسقنا القيمي والثقافي والاجتماعي في وضع الشروط التعجيزية أمام الشباب، تجلت في التباهي والمغالاة في المهور والمظاهر الاحتفالية، كما أن ارتقاء المرأة في التعليم والعمل جعلها تفكر في أن ذلك أكثر أمناً من الزواج، بدليل أن العمل وإكمال الدراسة للفتاة من بين أهم الشروط التي توضع أمام العريس، ومرد ذلك الى أن الفتاة تفكر في تأمين مستقبلها.

كما أنه ونتيجة للتغيرات الاجتماعية والثقافية العالمية والمحلية، ارتفع سن الزواج وخاصة في المناطق الحضرية. لأن أعداداً كبيرة من الشباب يلتحقون بالتعليم بمراحله المختلفة، وتستغرق بعض أنواع التعليم سنوات عديدة، لا بد أن تتلوها فترة من الاستقرار المادي والاستعداد للزوج مما جعل سن الزواج في الوقت الحالي يتراوح بين 23 - 28 سنة للفتيات، و27 - 34 سنة للشباب.¹

ويبدأ سن الزواج بعد سن النضج البيولوجي بكثير أو قليل تبعا لظروف الشخص المقبل علي الزواج. وفي استطاعة الشخص أن يختار من يتزوجه سواء كان مماثلا له في السن أو أكبر أو أصغر (في حدود الشرعية) وسن الزواج المسموح به قانونا في المجتمع الجزائري هو 18 سنة للفتى و16 سنة للفتاة.

¹ - سناء الخولي: الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، ب.ت، القاهرة، ص 222.

6. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي للأبوين:

الجدول رقم (12) يوضح

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي للوالدين

المستوى التعليمي	الأب	النسبة	الأم	النسبة
أمي	99	%22	115	%23
ابتدائي	76	%16	93	%19
متوسط	111	%24	131	%26
ثانوي	74	%14	62	%12
جامعي	116	%24	101	%20
المجموع	476	%100	502	%100

يتبين من خلال عرض بيانات الجدول رقم (12) أن عدد الآباء لا يساوي حجم العينة (514) وذلك بسبب الوفاة، وكذلك بالنسبة للأمهات من عينة الدراسة.

ويظهر جليا من الجدول أعلاه التفاوت بين مختلف المستويات التعليمية للوالدين لأفراد عينة الدراسة، بالنسبة للآباء يتوزع المستوى التعليمي بالتساوي بين المستوى الجامعي والمستوى التعليمي المتوسط بنسبة (24%)، ولو تم جمع عدد الآباء الذين تلقوا تعليما متوسطا فاقل لوجدناه يتجاوز (62%) وهو عدد كبير ينم عن تطور نوعي في تعليم الآباء إذا ما قورن بدراسات سابقة، يميزها دائما المستوى التعليمي المتدني، لكن النتيجة الحالية على الرغم من أنها تدل على حجم الأمية ومحدودية التعليم لدى الأولياء في المقابل تبين تطورا ملحوظا في أعداد المستفيدين من التعليم الأساسي.

كما أن نسبة (24%) هم جامعيون ذوا شهادات عليا، وتشير الكثير من الدراسات إلى دور المستوى التعليمي في التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، وأن المستوى التعليمي المنخفض عادة ما يعكس انخفاض درجات الضبط والإشراف وغيره من العوامل المرتبطة بنمط التعليم وأسلوب التربية داخل الأسرة

أما عن المستوى التعليمي لأمهات أفراد عينة الدراسة فقد انحصرت أكبر نسبه بين (بدون مستوى) والمستوى (الابتدائي) بنسبة قدرها (42%) لكل مستوى، ثم يليهما المستوى التعليمي للأم (ثانوي) بنسبة (12 %)، ثم يليه المستوى التعليمي (متوسط) والمستوى التعليمي (جامعي) بنسبة (8%) على التوالي.

ونستنتج أن المستوى التعليمي للأمهات متدني جدا فأغلب الأمهات لا يتعدى مستواهم المستوى المتوسط، فنجد نسبة (68 %) تتراوح بين دون مستوى والمستوى الابتدائي والمستوى المتوسط، مما يقلل من قدرتهم على الضبط والتوجيه، والتعامل مع الأبناء بطريقة سوية ، خاصة وأن المراهقة تستدعي بعض الخصوصية في التعامل.

لقد كشفت نتائج الدراسة عن تدني المستوى التعليمي لآباء وأمهات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين، حيث بلغ مستوى متوسط فأقل (62%) بالنسبة للآباء ،ونسبة (68%) بالنسبة للأمهات مما يعكس انخفاض مستويات الضبط والإشراف وغيره من العوامل المرتبطة بأساليب التنشئة الأسرية غير السوية والتأثير في الطالب الجامعي الذي يعيش تحولات نفسية واجتماعية عميقة تتطلب تفهما ورعاية أكبر من طرف الأولياء، ولعل ما يعزز هذا الطرح هو تدني مستوى تعليم الأمهات مما يقلل من قدرتهم على الضبط والتوجيه وهذا ما يتفق مع الدراسة التي أجراها عزت مرزوق عبد الحفيظ حول أساليب التنشئة الأسرية غير السوية، حيث كشفت الدراسة أن الغالبية العظمى من سكان المناطق العشوائية يميلون إلى الأساليب التقليدية في تنشئة الأبناء، ويرجع ذلك إلى انخفاض الوعي الثقافي في تلك الأسر، وانخفاض درجة وعي الوالدين بما تحدثه هذه الأساليب في سلوكيات الأبناء من آثار غير سوية¹.

ويؤثر المستوى التعليمي والثقافي للأسرة في تنشئة الأبناء وتربيتهم فتميل الأسر ذات المستوى التعليمي المرتفع إلى القراءة والمطالعة ومشاهدة البرامج التلفزيونية المفيدة والتعليق عليها، وغير ذلك من ممارسة الأنشطة الثقافية.²

أما الأسر ذات المستوى التعليمي المنخفض لا تعرف للكتابة سبيلا، فلا تقرأ المجالات أو الكتب أو الصحف ولا تتقن التعامل مع وسائل الإعلام، هذا الانخفاض في المستوى التعليمي والثقافي يتسبب في عدم الاتفاق بين الوالدين على طريقة تربية أبنائهم، وبذلك تسود الأساليب غير السوية في تنشئة أطفالهم ولعل أهمها الإهمال والتذبذب.³

¹ - عزت مرزوق فهم عبد الحفيظ: مرجع سبق ذكره، ص 216.

² - منير مرسى سرحان : مرجع سبق ذكره ، ص 183.

³ - عبد الحميد قمحاوي: المستوى الثقافي للأسرة وتأثيره على تربية الأطفال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،

1985، ص 156.

7. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب نوع العمل للأبوين:

الجدول رقم (13) يوضح

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب نوع العمل للأبوين

نوع العمل	الآباء	النسبة المئوية	الأمهات	النسبة المئوية
لا يعمل	54	%12	313	%62
أعمال حرة	196	%40	34	%07
موظف	174	%36	150	%30
متقاعد	52	%12	05	%01
المجموع	476	%100	502	%100

تكشف بيانات الجدول رقم (13) عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي لأسر المبحوثين من عينة الدراسة؛ على اعتبار أن المهن التي يمارسها الأولياء هي مصدر الدخل للأسرة ويتعزز هذا الدخل إذا كان الأبوين يعملان معاً، خاصة مع التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري من تعليم المرأة والسماح لها بالعمل، حيث كانت مثل هذه القيم مرفوضة في المجتمع الجزائري إلى وقت ليس بالبعيد، غير أن التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفت الجزائر منذ التسعينات مهدت لبروز العديد من القيم في المجتمع الجزائري واختفاء أخرى وهذا حسب العديد من الدراسات في المجال الاجتماعي.

ويبين الجدول أن (%40) من عينة الدراسة يشتغلون في الأعمال الحرة، وهي أحد أهم الاتجاهات نحو قيم العمل في المجتمع الجزائري لأن الوظائف الحكومية لا تحقق للفرد ذاته بسرعة، والراتب لا يكفي شريحة كبيرة من المجتمع لتحقيق حاجياتها في ظل تدني القدرة الشرائية، كامتلاك بيت أو سيارة أو العديد من الأشياء التي كانت إلى وقت قريب تعد من الكماليات، وهي الآن من الضروريات ومطلب لكل فرد. كما أن الانفتاح السياسي والاقتصادي والقيم التي تستتبع اقتصاد السوق جعل منها عديدة تبرز كالمسرة، والوساطة خاصة في مجال بيع العقارات والسيارات وغيرها.

كما أن نسبة (%36) يعملون في وظائف حكومية، ما يعكسه المستوى التعليمي للأولياء من عينة الدراسة حيث تكلمنا عن نسبة المتعلمين وذوو الشهادات من الأولياء الذين مستواهم الدراسي ثانوي أو جامعي بنسبة تقارب (%38)، ونسبة (%12) من العاطلين عن العمل، لكنهم يمارسون بعض النشاطات المؤقتة من حين لآخر حسب نتائج المقابلات التي أجريناها مع الطلبة من عينة الدراسة، يبقى أن نشير إلى أنه توجد نسبة (%12) متقاعدين وهي نسبة قليلة،

نتوخى من خلالها أن المجتمع الجزائري بمختلف فئاته الاجتماعية هو مجتمع فتي ومعدلات الشباب فيه مرتفعة، لذلك جاءت نسبة الأولياء المتقاعدين أو المسنين قليلة إذا ما قورنت بالفئات النشيطة في المجتمع الجزائري من عينة الدراسة.

وفيما يخص الأمهات فان نسبة (62%) عاطلات عن العمل وهو ما يجعلنا نتساءل: على الرغم من التحولات العميقة التي شهدتها المجتمع الجزائري على مختلف الأبنية الاجتماعية ووظائفها، وعلى الرغم من تزايد الاهتمام بتعليم المرأة ومنحها الاهتمام في كل المجالات، ومحاولة إقحامها في العديد من ميادين العمل التي كانت أعمالا أو مهنا رجالية، خاصة وان برنامج رئيس الجمهورية في الكثير من محاوره اعتمد على تنمية المجتمع الجزائري وعلى دور المرأة والنهوض بمكانتها في المجتمع الجزائري، وحتى الإصلاحات السياسية الأخيرة أعطت نسبة كبيرة لتمثيل المرأة في البرلمان والمجالس المنتخبة، وهي مكاسب نوعية حصلت عليها المرأة الجزائرية في العشرية الأخيرة بصفة خاصة، إلا انه لا تزال المرأة العاملة محل نقد اجتماعي، ولعل هذه النتائج تعكسها خصائص أفراد عينة الدراسة من حيث أن أغلبهم ينتمون الى أوساط ريفية، حيث تعد المرأة في الريف الجزائري اقل حظوظا ومكانة منها في المدينة، في حين عمل المرأة أصبح من محددات الزواج بالنسبة للرجل، فهناك من يرفض إطلاقا المرأة العاملة، وحسب المقابلات التي أجريناها انه هناك من الأمهات من كانت عاملة وبعد الزواج انفصلت عن عملها ونزلت عند رغبة الزوج بالمكوث في البيت.

لذلك يمكن تفسير هذه النسبة الكبيرة من الأمهات العاطلات عن العمل برغبة الأزواج في عدم عمل المرأة والقيم الاجتماعية السائدة لديهم حول العمل، كما أن تدني المستوى التعليمي كما لاحظنا له دور في عدم تمكن الأمهات في الحصول على وظائف أو الحفاظ عليها، ومسألة التوفيق بين عمل المرأة داخل وخارج البيت يطرح العديد من الإشكالات.

وتأتي في المرتبة الثانية الأمهات العاملات في وظائف حكومية حيث بلغت نسبة (30%) وهي نسبة معتبرة، إذا ما قورنت بدراسات سابقة حول عمل المرأة في المجتمع الجزائري، ونسبة (07%) من الأمهات العاملات في أعمال حرة كالتجارة والخياطة وغيرها.

كما أن الزيادة السكانية الكبيرة التي تعيشها الجزائر أدت إلى حدوث تغييرات كبيرة في الأسرة الجزائرية مثل هجرة الأب للعمل وبروز دور الأم على كافة المستويات وبالتالي غياب دور الأب، بالإضافة إلى الاستقلالية الاقتصادية للمرأة التي دفعتها لعدم الاعتماد بصورة رئيسية - علي الرجل كما كان في السابق، الأمر الذي انعكس على الشباب فافتقد كثيرا من قيمه، كالحب، والولاء، والغيرة، والخوف على أفراد أسرته، بل صارت المنفعة الذاتية هي

المحرك الأساسي لسلوكه داخل الأسرة، كما ظهرت قيم دخيلة أمام الشباب ناتجة عن طبيعة العلاقة بين الأبوين مثل الطلاق الاقتصادي وهو امتناع الزوج عن الإنفاق على الأسرة لرفضه لسلوك الأسرة، فتضطر الزوجة للعمل للإنفاق على أسرتها.

وتؤكد بعض الدراسات على أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة و المتدنية من فقر وبطالة وصعوبة الظروف المعيشية تزيد من احتمال إهمال الوالدين لأطفالهم والتخلي عن القيام بمهامهم في التربية والتوجيه، نظرا لانشغالهم في توفير أدنى المطالب الضرورية لأفراد الأسرة.¹

وهذا ما جعل بعض الظواهر الاجتماعية تظهر في المجتمع الجزائري بسبب غلاء المعيشة وتفرغ الأب للعمل والكد من أجل كسب العيش، ما جعله يتخلى عن دوره التربوي للأبناء لصالح جهات ومؤسسات أخرى في المجتمع، حيث أصبح الشارع وجماعة الأقران، والتلفزيون.... وغيرها تعد كشريك اجتماعي أخذ الدور التربوي من الأب، وهو ما يؤثر على عمليات التنشئة الأسرية داخل الأسرة والضبط الاجتماعي.

كما أن خروج المرأة للعمل وعدم تفرغ الأب ولد ظاهرة مستحدثة في المجتمع الجزائري ألا وهي ظاهرة أطفال المفاتيح؛ أي يعطى مفتاح البيت للطفل من أجل أن يسهل له الدخول والخروج إلى البيت، في ظل غياب الأب والأم، ولكم أن تتصوروا الآثار السلبية لمثل هذه الظاهرة على الأبناء والأطفال في المجتمع الجزائري.

كل هذه المظاهر تترجم على الواقع، فتعكس سلبا على تنشئة الأطفال فتشيع صفات القسوة والإهمال واللامبالاة والرفض والتذبذب، فيصبح الآباء أقل قدرة على التغلب على عوامل الصراع بين إمكانياتهم ومعطيات الأسرة ومتطلباتها.²

¹ - نصر الدين جابر: علاقة أسلوب التقبل / الرفض الوالدي بتكيف الأبناء، ص 140.

² - المرجع نفسه، ص 144.

8. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية للوالدين:

إن التعرف على الحالة الاجتماعية الحالية للوالدين لأفراد عينة الدراسة، يساعد في إلقاء المزيد من الضوء على نتائج الدراسة وربطها بالتأثير الذي يمكن أن تنتجه على نسق القيم لديهم، حيث يكون للحالة الاجتماعية الحالية للوالدين أثر على نوعية استجاباتهم خاصة فيما تعلق بمحور القيم الأسرية، كما هو الحال بالنسبة للخصائص الاجتماعية الأخرى.

الجدول رقم (14) يوضح

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية للوالدين

الحالة الاجتماعي للوالدين	التكرار	النسبة المئوية
يعيشان معا	466	91%
مطلقان	10	1,59%
الأب متوفي	26	5,37%
الأم متوفية	05	0,99%
متوفيان معا	07	1,40%
المجموع	514	100%

يتبين من خلال عرض بيانات الجدول رقم (15) والذي يوضح الحالة الاجتماعية للوالدين، أن اغلب أسر المبحوثين تتميز بالاستقرار ووجود الأبوين معا بنسبة (91%) وهي نسبة تعبر عن مستوى التنشئة الأسرية الذي يتلقاه المبحوثون من عينة الدراسة في أسرهم، فهي بمثابة نقطة البدء التي تزاوّل عملية التنشئة للفرد داخل الأسرة، وفق القواعد الأساسية في تنظيمها وضبط شؤونها، وتوزيع اختصاصاتها، وتحديد الواجبات المسؤولة عن أدائها، وخصوصاً تربية الطفل تربية صالحة سليمة متوازنة في جميع جوانب الشخصية الفكرية والعاطفية والسلوكية.

كما أوضحت الدراسة أن نسبة 5,37 % يعيشون يتامى الأب ويفتقدون لحنانه ودوره في الأسرة، وأوضح بعض المشتغلين في مجال علم النفس التربوي وعلم الاجتماع ، ماهية دور الأب كمصدر أساسي للاغتراب والذي يكمن في اتّساع المسافة العاطفية والوجدانية بين المغترب وأبيه وغياب اهتمام الأب بابنه وانشغاله عنه وغياب العلاقات والروابط العاطفية مع وجود الدكتاتورية والتسلط والقسوة الشديدة في المعاملة والعدوانية والكراهية اتجاه الأب والتفرقة في المعاملة بين الأبناء بالإضافة إلى فقدان الأب بالغياب أو الطلاق أو الموت.

ثانيا. الخصائص العامة لأفراد عينة الدراسة:

يتبين من خلال عرضنا للخصائص الاجتماعية لأفراد عينة الدراسة، أنهم يتميزون بعدة خصائص؛ والتي تمثل عاملا مهما في تكوين شخصياتهم من خلال الخلفية الاجتماعية والانتماء الجغرافي ومتوسط أعمار أفراد عينة الدراسة، والمستوى الثقافي والاقتصادي لأسرهم وبنية هذه الأسر ووظائف أفرادها. وقد أسفرت الدراسة الحالية على عدة سمات يتمتع بها أفراد عينة الدراسة نبرزها فيما يلي:

أ. تتميز عينة الدراسة بسيطرة الإناث على الذكور من حيث العدد حيث بلغت نسبة الإناث (60%) في حين يمثل الذكور نسبة (40%)، وهذا التفاوت العددي يعكس طبيعة المجتمع الأصلي الذي أخذت منه عينة الدراسة الحالية، كما أن كل أفراد عينة الدراسة ينتمون إلى فئة الشباب حيث متوسط العمر لا يزيد عن 21 سنة لكلا الجنسين، وبالطبع انتمائهم إلى مؤسسة تعليمية مثل الجامعة تستقطب فئات من هذا العمر بدرجة أكبر، وبالتالي فأفراد عينة الدراسة يمرون بمرحلة مهمة تتخلها تحولات عميقة على مستوى بناء الشخصية والرغبة في تأكيد الذات وتحقيق الاستقلالية في كل النواحي، والسعي إلى الحصول على دور اجتماعي يضمن للفرد تحقيق ذاته.

ب. كما أن المستوى الدراسي الذي ينتمون إليه في الجامعة هو السنة الثانية فما فوق وهذا راجع لاعتبارات وضعها الباحث بالدرجة الأولى، ونسبة طلبة السنوات الأولى من مختلف التخصصات تعاملت معهم الدراسة مع بداية السداسي الثاني، إذن أغلب أفراد عينة الدراسة اخذوا وقتا كافيا للتعرف على الحياة الجامعية ومتطلبات الوسط الجامعي، مما يسمح لهم بتكوين قيم ومواقف واتجاهات في هذا الوسط، ما يمكنهم من محاولة تقييم ذاتي لقيمهم وما يسود الوسط الجامعي وهنا يكتسب الطالب آليات التكيف مع هذا الوسط أو العكس.

ج. وينتمي (63%) من أفراد عينة الدراسة من الجنسين إلى بيئات ريفية تنعكس على قيمهم وتصوراتهم، وحتى على تفاعلهم مع الوسط الجامعي حيث أكدت العديد من الدراسات على دور البيئة في تنمية مختلف جوانب الشخصية التي يحملونها، وهي تعكس طبيعة المجتمع الجزائري الذي يتركز فيه السكان في المناطق الريفية أكثر من المدن، غير أن هذه الخاصية أخذت في التغير خاصة مع فترة التسعينات والوضع الأمني المتردي حيث شهد المجتمع الجزائري موجات هجرة كبيرة من الريف إلى المدن، ومع تحسن الأوضاع وبفضل السياسية التي انتهجتها الدولة الجزائرية وتركيزها على تنمية الأرياف وتحسين ظروف العيش فيها وتطوير الخدمات

الصحية والتعليمية وبرامج السكن وتزويده بالمياه والغاز الطبيعي والكهرباء؛ كلها مجهودات أدت إلى عودة الكثير إلى قراهم الأصلية.

د. ونظرا لكون أفراد عينة الدراسة من الشباب الذين يسعون إلى نيل شهادة علمية تؤهلهم الى شغل مناصب ووظائف، وبالتالي إلى ادوار اجتماعية معينة فان نسبة 93 بالمائة منهم غير متزوجين، لأن نظرة الشباب نحو الزواج اختلفت، والزواج المبكر ارتبط بقيمة اجتماعية بالعائلة الممتدة وتراجع بتراجعها، ذلك أن الزواج يتطلب من الفرد أن يمتلك مؤهلات معينة حتى يقوم بأدواره، وعليه العمل والسعي إلى الاستقرار والتطلع إلى مستقبل أفضل كلها قيم تؤجل الزواج كمشروع إلى مراحل أخرى، كما أن شباب اليوم يرفض إعادة إنتاج الطرق التي عاش عليها الآباء، وربما يتجلى هذا الرفض في محور القيم الأسرية التي جاءت في نتائج هذه الدراسة وهو ما ساهم في تأخر سن الزواج لدى الجنسين عن ما عرف عنه في السابق.

وهذه الظاهرة ليست خاصة بالمجتمع الجزائري فقط بل تخص الكثير من المجتمعات العربية وهو ما ذهبت إليه الكثير من الدراسات والتي تناولت الأسباب الكامنة وراءها، والتي أدت إلى وصف الظاهرة بالعزوف والغلاء والتكاليف وزوال القيم التقليدية... الخ.

و.وعن المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأسر أفراد عينة الدراسة يظهر أن آباء أفراد عينة الدراسة ينتمون إلى مستويات تعليمية لا تتجاوز مرحلة التعليم المتوسط بنسبة (63%)، في حين أن الأمهات اللاتي مستواهن أقل من مرحلة التعليم المتوسط يتجاوز نسبة (68%)، وعليه فان المستوى التعليمي والثقافي لأسر أفراد عينة الدراسة هو مستوى متوسط ولا يرقى إلى مستوى المجهودات التي بذلتها الدولة الجزائرية في مجال التربية والتعليم، وعلى الرغم من هذا نقر أن مستواهم الدراسي مرتفع وجيد إذا ما قورنت بنتائج دراسات سابقة أجريت في المجتمع الجزائري في فترات سابقة إذ كثيرا ما تتكلم تلك الدراسات عن تدني المستوى التعليمي لأسر المبحوثين، فهو تطور نوعي وملحوظ، وتنعكس آثاره في طرق التنشئة الأسرية ووظائفها وبنيتها وحتى على السلوك الإنجابي وغيرها.

هـ. ويمتثلن (40%) من آباء أفراد عينة الدراسة المهن الحرة، وهو اتجاه ساد لدى الكثير من الأفراد في المجتمع الجزائري نتيجة لتأثره بالانتقال من التسيير الاشتراكي للمؤسسات والاتجاه نحو اقتصاد السوق والمناصب التي فتحتها هذه السياسة والقيم المرتبطة بالسوق وتحريره، ونجد (36%) يعملون في وظائف حكومية وتعكس بالدرجة الأولى المستوى التعليمي للآباء حيث تتقارب مع مستواهم التعليمي الذي يفوق مرحلة التعليم المتوسط، أما المتقاعدين فنسببتهم (12%) وكذا العاطلين عن العمل بنفس النسبة.

أما الأمهات فإن نسبة كبيرة منهن لا تعمل أو لا تشغل وظائف فهن مأكثات بالبيت بنسبة (62%)، وترتبط هذه النسبة بالمستوى التعليمي المتدني للأمهات من جهة، كما ترتبط بالاعتبار الاجتماعي للمرأة العاملة في المجتمع الجزائري والذي يبقى غير كافيا، ومدى تمثّل الآباء لهذه القيمة على اعتبار أنهم نشئوا في مجتمع غير مجتمع الأبناء، كما أن الانتماء الريفي لأسر عينة الدراسة يؤثر على هذه القيمة ومدى تقبلها وكذلك المستوى التعليمي.

ثالثاً: تحليل بيانات مقياس التغير القيمي:

إن مصدر القيم هو البناء التحتي للمجتمع؛ ونقصد به البناء الاقتصادي للمجتمع الذي يحدد صوراً معينة من الوعي تطابق ذلك الأساس المادي، فكما يقول ماركس "ليس وعي الناس من يحدد وجودهم، بل وجودهم (المادي) من يحدد وعيهم"، ومهما يكن من أمر الصور التي يتجلى بها الوعي الاجتماعي في المجتمع فإنه يتخذ طابعاً طبقياً، ويكون المجموع الكلي للأفكار والقيم والضوابط التي تعتقها طبقة معينة معبراً عن ديولوجيتها.

وتبعاً لهذا الطرح فإن القيم نسبية، وذات طبيعة متغيرة في الزمان والمكان، تغير يتناسب مع الأوضاع الاقتصادية والمصالح الاجتماعية، والوضع الطبقي للمجتمع هو الذي يبقى للقيم نسبيتها، ذلك أن كل طبقة تحاول أن تقاوم من أجل الحفاظ على أفكارها وقيمتها ومصالحها.

وبما أن دراستنا الحالية تمت إجراءاتها الميدانية في الوسط الجامعي، فإننا نشير هنا إلى أن الوسط الجامعي يتضمن أنشطة طلابية تعد هي المجال الطبيعي الذي يكتسب من خلاله الطالب الخبرات المتنوعة، حيث تتضمن هذه الأنشطة أموراً متعددة تتعلق بالجوانب: البدنية والحركية والعقلية، والاجتماعية، والثقافية، والفنية وغير ذلك. فلا يقتصر دور المؤسسة التعليمية - الجامعة - على مواد تخصصية، وإنما هو تربية متكاملة، وإتاحة الفرصة للطلبة لممارسة الديمقراطية والحوار البناء والقيام بالنشاط الفكري والثقافي والاجتماعي والرياضي، وكذلك تنمية المفاهيم الإنسانية والعلمية، وحب الخير وعدم التعصب الأعمى، وعلى الطالب أن يحيا حياة دراسية - جامعية - كاملة، ويتشرب المفاهيم السليمة والسلوك المثالي لتصله وتهذه.

فتعمل المؤسسة الجامعية على تهيئة البيئة الجامعية الملائمة للتحصيل العلمي والقيام بالدور التربوي مما ينعكس إيجاباً على شخصية الطالب الجامعي وتحصيله الأكاديمي، كما تلعب دوراً متعاضداً في تربية وتنشئة الطلاب على حب الوطن.

ويمكن عرض أهمية الأنشطة الطلابية في تنمية القيم لدى طلبة الجامعة التي تقدم في مختلف الاقامات الجامعية في:

- تحقيق الإيجابية في حياة الطلبة بحيث تتوازن شخصيته بين التحصيل الدراسي والنشاط اللامنهجي.

- تقديم كافة الخدمات الخاصة بالطلبة وفق الأسس العلمية وفي إطار تربوي.

- توفير الرعاية الثقافية والاجتماعية والرياضية.

- مساعدة الطلبة علي تحقيق الاندماج السليم في المجتمع عن طريق اللقاءات المنظمة بينهم وبين إخوانهم في الجامعات الأخرى داخل الجزائر وبما يحقق التعارف وتبادل الخبرات البناءة.

- تعويد الطلبة علي المشاركة الاجتماعية وتنمية العلاقات الأخوية بينهم وبين أساتذتهم .
 - توفير الراحة والطمأنينة للطلبة.
 - ربط الطلبة بمجتمعهم وتأكيد انتمائهم لوطنهم وأمتهم.
 - الإسهام في رعاية المتفوقين ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة من الطلبة .
- ونحاول في هذا المحور أن نناقش التغيرات التي طرأت على النسق القيمي للطلبة الجامعيين في ظل التحولات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة، مقارنة بنتائج دراسات سابقة أجريت على نفس الفئة من المجتمع الجزائري في فترات سابقة.
- نناقش على وجه الخصوص القيم الاقتصادية والأسرية والتعليمية والدينية والسياسية، من حيث الحفاظ على مكانتها وأولويتها لدى الشباب الجامعي، أو من حيث أن هناك تراجعاً في بعض القيم لحساب قيم أخرى.
- 1- تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم الاقتصادية:
- الشباب أكثر عرضه لتأثيرات العولمة الاقتصادية التي تكشف لهم عن حياة شباب آخرين وتدفع بهم نحو المقارنات. وتحديد موقعهم وموقفهم من تلك التأثيرات بين تبني ما يفد إليهم أو الاكتفاء بموقف المتفرج. أو التشبث بموقف المحافظة الراضية لكل جديد. وهذا ما يجعل البعض يقابل سلوكيات الشباب في عصرنا هذا بالإنكار أو الاستنكار، وهو ما تعبر عنه شريحة هامة من الشباب في بعض سلوكياتهم اليومية.
- والقيم الاقتصادية نعني بها تلك القيم السائدة لدى أفراد عينة الدراسة والتي تعني بقيمة العمل والوظيفة، بقيمة الإنسان كإنسان في المجتمع؛ فما هو المحدد الرئيسي لهذه القيمة؟ وهل حقيقة هناك تفسيرات مادية لجوهر للعلاقات الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين؟

الجدول رقم (15)

يوضح استجابات الطلبة الجامعيين على محور القيم الاقتصادية

القيم الاقتصادية		أوافق	النسبة المئوية	لا أوافق	النسبة المئوية	لا أدري	النسبة المئوية
01	الوظيفة أهم من عائدها المادي	308	60%	190	37%	15	3%
02	تتطلب الحياة المعاصرة أن يمارس الشخص أعمالا إضافية	390	76%	113	22%	10	2%
03	أصبحت الثروة هي من تكسب السمعة والمكانة في المجتمع	406	79%	92	18%	10	2%
04	الهدف الأساسي للعمل هو الحصول على المال	334	65%	26	5%	154	30%
05	ينبغي على الفرد أن يتعلم من أجل كسب عيشه	395	77%	113	22%	05	1%
06	يجب أن يقتصر توظيف المرأة على مهن دون غيرها	370	72%	82	16%	62	12%
07	يتيح المجتمع فرصا كبيرة للكسب والعمل	215	42%	123	24%	175	34%
08	أن الحصول عن وظيفة لدى الدولة ضمن من العمل الخاص أو الحر	457	89%	51	10%	05	1%
09	عصرنا مادي وبتطلب كسب المال بأي طريقة	406	79%	57	11%	51	10%
10	عصرنا مادي واختفت فيه كثير من القيم الجميلة	503	98%	05	1%	05	1%
المجموع		514					

ومن خلال الجدول رقم (15) جاءت استجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين كالتالي:

إن الحصول عن وظيفة لدى الدولة ضمن من العمل الخاص أو الحر حيث يوافق نسبة 89% من خلال هذه العبارة يتبين أن الاتجاه السائد لدى أفراد عينة الدراسة، وهو تفضيل العمل الحكومي عن العمل في القطاع الخاص، وهو راجع إلى الاستقرار الذي تحققه الوظيفة الحكومية، كما أنه في المجتمع الجزائري بصفة عامة هناك اتجاهات سلبية مرتبطة بالقطاع الخاص كقيمة الراتب الزهيدة، وعدم الترسيم وعدم الحصول على كامل الحقوق التي تضمنها الوظيفة الحكومية.

وهي قيمة لم تتغير في المجتمع الجزائري حيث ظلت الوظيفة الحكومة دائما محل تفضيل إذا ما قورنت بالعمل في القطاع الخاص، وهو ما يتفق مع دراسة الطاهر بوشلوش والتي أجراها على الطلبة الجامعيين إذ تتفق مع هذا الاتجاه.

أما عبارة عصرنا مادي واختفت فيه كثير من القيم الجميلة فان نسبة 98% من أفراد عينة الدراسة يرون أن القيم الجميلة اختفت في المجتمع الجزائري؛ كقيم التعاون (التوزيع مثلا) والاحترام وطاعة كبار السن...، وأصبح الأفراد يجرون وراء المادة فقط، وحسب المبحوثين فان

القفازة والشتارة والنفاق والخداع والسرقة والحقرة حلتّ بديلا لتلك القيم الجميلة، التي كان المجتمع الجزائري يفتخر بها إلى وقت قريب.

وتدعيما لذلك يرى 79% من المبحوثين أنه أصبحت الثروة هي من تكسب السمعة والمكانة في المجتمع، والثروة بمعنى المال وحسب المبحوثين أن يكون لك المال فتحترم ولا يهم من تكون أو أخلاقك أو القيم التي تؤمن بها، فالنظرة المادية للطلبة الجامعيين تمتد إلى المجتمع والعلاقات السائدة فيه. وهي انعكاس له فالوجود الاجتماعي للطلاب الجامعي هو الذي يحدد وعيه والقيم التي يحملها وطبيعتها، فالتحولات التي طرأت على البنى التحتية كان من شأنها المساس بمنظومة القيم لديه.

وهو يعزز الاتجاه المادي السائد بين المبحوثين وتراجع لتلك القيم الصادقة ولو جزئيا، فقيمة الفرد بما يملك من أشياء، وحددها المبحوثون في امتلاك السيارة والهاتف ذو النوعية الجيدة واللباس الأنيق أو كمبيوتر محمول، وأنه كثيرا ما يكون الطالب محرجا أو يحس بالنقص لعد امتلاكه لهذه الأشياء.

كما أن الهدف الأساسي للعمل هو الحصول على المال حسب 65,51% من أفراد عينة الدراسة من الجنسين؛ حقيقة العائد المادي ارتبط بالعمل منذ ظهوره في تاريخ الإنسانية لكن؛ ما تحققه الوظيفة أو العمل للفرد يتعدى الجانب المادي، كالدور الاجتماعي والمركز الاجتماعي والاستقرار النفسي، وعلى حد تعبير محمد الغزالي رحمه الله إذا كانت رسالة الأحياء في الدنيا هي العمل فإن العاطلين أموات.

كما أن 30% من المبحوثين أجابوا بلا أدري وهو ما يعكس حالة من الشك وعدم اليقين لدى الطالب الجامعي حول قيمة العمل فيما يحققه من مركز وما يمنحه من أدوار، أو في الراتب الذي يوفره، والمفروض أن فئة من الشباب الجامعي المثقف لا تكون بهذه الحالة من الشك والريب.

وفيما يخص القيم المرتبطة بعمل المرأة والوظائف المؤهلة لها فإن 72,50% من عينة الدراسة يرون أنه يجب أن يقتصر توظيف المرأة على مهن دون غيرها، كون أن هناك مهن رجالية لا يمكن للمرأة أن تعمل فيها، وحسب المقابلات التي أجريناها فإن المبحوثين خاصة من الذكور يرون أن التعليم والطب والمحاماة والمهام الإدارية أنسب لعمل المرأة منه في القطاع الاقتصادي. في حين يرى 15% أنه يمكن للمرأة أن تعمل في الكثير من المجالات.

وهذا تغير ملحوظ في قيم عمل المرأة إذ وإلى وقت ليس بالبعيد كان مرفوضا في المجتمع الجزائري، خاصة وأن أغلب أفراد عينة الدراسة من وسط ريفي يتميز بنوع من التشدد والقيم

المحافظة إزاء المرأة، حيث تبين أن المبحوثين يرون أن هناك مجالات عديدة تستطيع المرأة أن تعمل فيها ماعدا تلك المهن التي تعد رجالية فقط.

وذكرنا سابقا أن اغلب المبحوثين يقرون بأن الهدف من العمل هو الحصول على المال، حيث يتأكد هذا في استجاباتهم إزاء عبارة الوظيفة أهم من عائدها المادي، حيث يرى 65% من المبحوثين أن الوظيفة أهم من عائدها المادي وهي نسبة اقل بكثير من التي ذكرناها آنفا وهذا ما يؤكد سيطرة النزعة المادية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة. ويرى 37% بأنهم لا يرون أن الوظيفة أهم من عائدها المادي، بل ويوافقون الاتجاه الذي ذهبنا إليه.

وحتى التعليم والهدف منه يرتبط بالحصول على وظيفة أو عمل وهذا ما توضحه عبارة: ينبغي على الفرد أن يتعلم من اجل كسب عيشه، حيث قدرت نسبة الاستجابة 77% ممن يوافقون على هذه القيمة، وربما سنوضح من خلال محور القيم التعليمية بصورة موسعة كيف ارتبطت الشهادة في نظر المبحوثين بسوق العمل، وطموحاتهم المرتبطة بالحصول على الشهادة الجامعية.

غير أن 22,88% يرون أنه من الضروري أن يحصل الفرد على تعليم عال يؤهله للكثير من المهام والأدوار في المجتمع بغض النظر عن الوظيفة، ولعل سوق العمل والتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة من الطلب المتزايد على اليد العاملة المؤهلة، جعل الدراسة والشهادة الجامعية محددًا أساسيًا في اقتحام سوق العمل، إلا أن هذا لا يخلو من صبغة مادية تميز استجابات أفراد عينة الدراسة.

ولعل هذه النزعة المادية تترجم أكثر في العبارة التالية، وتؤثر في الشاب الجامعي وقيمه وسلوكه إذ يرى 79% من المبحوثين أن **عصرنا مادي ويتطلب كسب المال بأي طريقة**، بمعنى الكسب غير المشروع مبرر وكأن الغاية تبرر الوسيلة، وهنا حسب المقابلات التي أجريناها مع المبحوثين فإنهم فهمهم "لأية طريقة" يعني عدم الاعتماد على المؤهل العلمي والوظيفة التي تتناسب معه، بل المهم هو الحصول على عمل يضمن توفير الحاجات الأساسية للشباب في عصر الماديات والاحتياجات المتزايدة، غير أن هذا يعني وبوضوح حالة من اللامعيارية تظهر لدى أفراد عينة الدراسة.

ولتحقيق الأفضل وإشباع الحاجات المتزايدة للأفراد والأسر يرى 76% من المبحوثين أنه تتطلب الحياة المعاصرة أن يمارس الشخص أعمالا إضافية، خاصة مع انفتاح الجزائر على اقتصاد السوق ظهرت مهن جديدة تتطلب من الفرد أن يتقن أبجدياتها فقط، كالسمسرة في العقارات والسيارات والهواتف النقالة، والعمل في بعض المهن الحرة موازاة مع الدراسة.

في حين يرى نسبة 22% أن الحياة المعاصرة لا تتطلب أعمال إضافية، وأن التفرغ للدراسة هو المهم، لأن الطالب في ظل تراكم الحجم الساعي والواجبات والالتزامات الجامعية لا يستطيع التوفيق بين العمل والدراسة كما أنه ليس من السهل الحصول على عمل موازي يتلائم والدراسة الجامعية.

وعليه يتيح المجتمع فرصا كبيرة للكسب والعمل حسب 42% من أفراد عينة الدراسة، بينما لا يوافق نسبة 24% على هذه العبارة حيث يرون أن المجتمع لا يوفر فرصا للكسب والعمل، على اعتبار أعداد الخريجين ومعدلات البطالة التي تنامي يوما بعد يوم، فالغني يزداد غنى والفقير يزداد فقرا.

لقد برزت مشكلات نفسية واجتماعية لدى اغلب أفراد المجتمع؛ كإغتراب الشباب، نتيجة لعدم التكافؤ بين ثورة التطلعات والمفاهيم والقيم المادية التي يتزايد دور الاتصالات الكوكبية في كثافتها وبين الفرص المتاحة لإنجاز الأهداف.

ولعل من بين مظاهر هذا الغبن الواقع على الشباب إغتراب فقدان القوة نتيجة للانفصال المتزايد بين ما حصله من تعليم وبين المتطلبات السريعة للتغير والتجدد لأسواق العمل، والذي تدلل عليه زيادة معدلات البطالة ومن ثم تأثير تلك البطالة على فرص الحراك بين الأجيال وأيضا الفجوة بين النضج النفسي والاجتماعي وإلحاح الحاجة للإشباع ذات الصلة، واتساع المدى الزمني لفرص إشباعها والذي يدل عليه من بين أدلة أخرى؛ تأخر سن الزواج، بل والإحجام عنه لدى فئات ذات وعي نوعي بضرورة الزواج وتكوين الأسرة.

وتؤكد ذلك نتائج بحث ميداني أجرى على عينة من 217 طالب فقير من جامعة Ningxia بالصين عام 2003 وجاءت النتائج أن العديد من طلاب الجامعة يشعرون بالتبعية والاكنتاب والفقر في ظل النظام العالمي الجديد وأن 56% وصفوا حياتهم على أنها غير سعيدة، وأن 52% يشعرون بالقلق في ظل نمط الحياة المادي السريع.

وهذا ما جعل "هيدجر" يصف "التطورات المتسارعة بفعل التكنولوجيا المفعمة بالنزعة المادية، أنها التكنولوجيا المصابة بداء الحصاد" لذا نتساءل: هل ينذر عصر المعلومات بطوباوية رأسمالية سوداء، أم يبشر بعالم يعاد بناؤه من جديد، على أسس أخلاقية مغايرة، ترفض الوضعية العلمية واصلها الفكري، وترفض البراجماتية ونفعيتها القصيرة النظر، وترفض ذاتية

ما بعد الحادثة وقد اقتربت في رأى البعض من حد الفوضى التي يمكن أن تؤدي بنا إلى الهلاك¹.

2- تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم التعليمية:

نسعى من خلال هذا المحور إلى استعراض استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين المقيمين في مختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة حول محور القيم التعليمية، والتي ترتبط بنشاط الطالب الجامعي في الجامعة ومدى تكيفه مع هذا الوسط الذي لا يهتم بتنمية الجانب المعرفي فقط؛ بل يهتم بتنمية جميع جوانب الشخصية النفسية والاجتماعية والأخلاقية، ونناقش مع أفراد عينة الدراسة من الجنسين مدى أهمية التعليم الجامعي، وقيمة الشهادة التي يحصل عليها، وهل هو مهتم بذلك وما هي تطلعاته المستقبلية؟ نناقش ماهية وجوده في الوسط الجامعي، هل يشجع على طلب العلم؟ وما مدى اهتمام الطالب بالأحداث التي تجري في المجتمع والظواهر المنتشرة فيه؟ وهل يفكر في مواصلة الدراسات العليا؟

وحسب نتائج دراسات سابقة أجريت في المجتمع الجزائري أطلع عليها الباحث احتلت القيم التعليمية مراكز متقدمة من حيث التفضيل في السلم القيمي للطلبة الجامعيين، وجاءت على سلم أولوياتهم.

أما في الدراسة الحالية فإننا نجد القيم التعليمية في المرتبة ما قبل الأخيرة على سلم أولويات القيم لدى الطلب الجامعيين، لكن هذا لا يعني عدم اهتمام أفراد عينة الدراسة بالتربية والتعليم أو أنهم لا يولون قيمة لذلك، لكن بروز القيم المادية وسوداها لدى أغلب أفراد عينة الدراسة، جعل التعليم الجامعي والحصول على شهادة مرتبط بالحصول على عمل أو وظيفة تؤمن المستقبل، مما يجعل القيم التعليمية تتراجع وتظهر القيم الاقتصادية بالدرجة الأولى.

لأن النجاح في الحياة العملية ومن خلال النماذج المتوفرة في المجتمع الجزائري كبيئة اجتماعية يتربى بها الفرد، والنماذج السلوكية التي يتأثر بها ويحاول تقليدها، يرى أن الحصول على وظيفة لا يخضع لمعايير عقلانية بقدر ما يخضع لاعتبارات ناتجة عن الفساد الإداري كالمحسوبية والجاه والرأسمال الاجتماعي (المال)، إن وجود تلك النماذج في بيئته قد عززت استضعاف دور التعليم الجامعي وعدم التشجيع عليه، ومن ثم فأنها تعمل على خلق نماذج سلوكية لخريج الجامعة للتعامل مع الواقع مقابل طالب ضعيف خانع لتلك النماذج.

¹ - إجلال إسماعيل حلمي: محاضرات في علم الاجتماع العائلي، إخوان زريق، مصر الجديدة، مصر 1987، ص 7-8

وتشكل القيم والأمثال الشعبية المكتسبة من الأسرة وباقي مؤسسات المجتمع عن طريق التنشئة الاجتماعية فعلا قويا على السلوك الفردي للإنسان، سواء كان هذا السلوك حركيا أو سلوكا غير منظور كالتفكير والإدراك أو ما يصدر عن الإنسان في مواقف الحياة المختلفة في البيئة الاجتماعية، وبواسطة القيم المكتسبة يمكن أن نتوقع طبيعة السلوك خصوصا إذا علمنا موجّهات هذا السلوك وهي تعمل كدافع تبريري عما يصدر من الأفراد ونعني بذلك الأمثال.¹

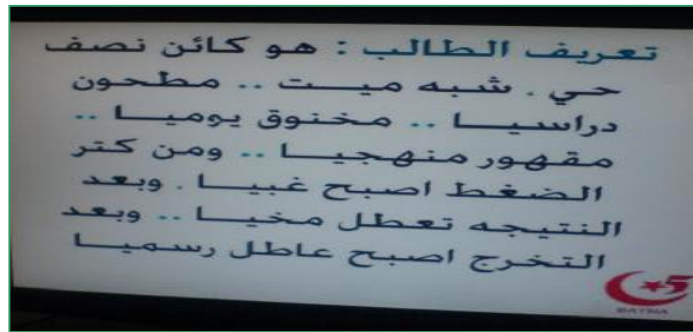
ففي المجتمع الجزائري توجد الكثير من الأمثال الشعبية التي تعبر عن التغير في النسق القيمي وعن تقهقر القيمة التعليمية لصالح قيم أخرى، كأن تسمع من يقول "إلي قرى، قرى بكري"، إلى قرى، قرى وقت الشمعة" بمعنى أن من كان ناجحا في المجتمع بفضل التعليم والشهادة التي يحملها زمن من الماضي وقد ولى، فالتعليم لم يعد له تلك الأهمية وكأنه قد ولى ذلك الزمن الذي يقدس العلم والمتعلم.

أو أن يقال "اسأل المجرب ولا تسأل الطبيب"، "أعطني واحد فاهم ولا واحد قاري"؛ ففي المثل الأول يفضل اجتماعيا من له تجربة وخبرة في شيء معين كالعلاج مثلا على ذلك المتعلم الطبيب الذي يبقى في نظر المجتمع ناقص للتجربة والخبرة، حيث ما زال بعض الأفراد يعتقدون بفعالية العلاج التقليدي على حساب الطب وما يقدمه، أما في المثل الثاني فإن المتعلم في نظر المجتمع ليس واعيا بالضرورة وأن الخبرة والتجربة هي من تصنع الفرد الواعي "الفاهم" وليس التعليم.

وإذا سلمنا بأن الوجود هو من يحدد الوعي الاجتماعي، فلنتأمل الصورة التالية التي تعكس واعي ومفهوم الطالب الجامعي لنفسه:

الصورة رقم - 1 - من موقع الفايس بوك وهي متداولة بين الطلبة من أفراد عينة

الدراسة عبر الهواتف النقالة



¹ - الفضيل رتيمي: مرجع سبق ذكره، ص 291.

وتتناول الصورة أعلاه تعريف الطالب، وهو يعكس الشعور بالدونية واحتقار الذات، حيث أعده الطالب بنفسه حيث يرى نفسه وكأنه كائن نصف حي لا يتمتع بما يفي لإشباع حاجاته المادية والنفسية والاجتماعية، يتكلم عن القهر والضيق والاختناق والضغط في الحياة اليومية داخل الوسط الجامعي، ويتكلم عن المصير الغامض الذي ينتظره في المستقبل الذي يقر بأن البطالة هي مصيره وقدره المحتوم.

إن هذا التعريف بما يتضمنه من حقائق لا يصدق على جميع الطلبة الجامعيين، وقد يتنافى مع ما تبذله الدولة الجزائرية من مجهودات، لكنه يسلط الضوء على واقع معين، ولو جزئياً، ولو تأملنا القيمة الأبرز فيه لوجدناها القيمة المادية المرتبطة بتعليم يمنح وظيفة تمنح بدورها عائداً مادياً، لا عيب في أن يكون التعليم مرتبطاً بسوق العمل والوظائف لكن المشكل هو هذا التشاؤم واللامعنى الذي يسود في هذه الصورة حول قيمة العلم.

وجاءت نتائج الدراسة حسب استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين من كلا الجنسين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة على محور القيم التعليمية كالتالي:

الجدول رقم (16) يوضح

استجابات الطلبة الجامعيين على محور القيم التعليمية

القيمة التعليمية		أوافق	النسبة المنوية	لا أوافق	النسبة المنوية	لا ادري	النسبة المنوية
01	التعليم المناسب هو الذي يؤهل الفرد إلى المهن الحرة	150	29 %	262	51 %	102	20 %
02	التعليم الحرفي أفضل من التعليم الجامعي	154	30 %	231	45 %	118	23 %
03	أصبحت الشهادة الجامعية لا معنى لها حاليا	246	48 %	190	37 %	67	13 %
04	أفكر كثيرا في ترك الدراسة	113	22 %	355	69 %	41	8 %
05	ينبغي توقيف الأبناء عن الدراسة لمساعدة آبائهم على الأعمال الحرة	175	34 %	267	52 %	62	12 %
06	في الظرف الراهن من الضروري الحصول على شهادة جامعية	457	89 %	26	05 %	26	5 %
07	لحد الآن لا اعرف الفرق بين النظام الكلاسيكي والنظام الجديد	282	55 %	159	31 %	67	13 %
08	لا شيء يشجع على طلب العلم في الجامعة	360	70 %	150	29 %	05	1 %
09	أفكر في مواصلة الدراسات العليا	442	86 %	46	09 %	15	3 %
10	الجامعة طورت مهاراتي وقدرتي على تحليل الأشياء وتفسيرها	190	37 %	31	06 %	287	56 %
المجموع		514					

من خلال بيانات الجدول رقم (16) تبين أن عبارة "في الظرف الراهن من الضروري الحصول على شهادة جامعية جاءت بنسبة 89. % ممن يرون أنه من الضروري الحصول على شهادة جامعية، كون الشهادة الجامعية تتوج مراحل دراسية متعاقبة بالنجاح، وتؤهل الفرد إلى التخصص في مجال معين كما تؤهله في التوجه نحو الحياة العملية وهو مؤهل على درجة عالية، ونشير إلى التعديلات التي طرأت على القوانين التي تنظم الوظيفة العمومية في الجزائر، والتي تعلي من شأن الشهادة الجامعية وتتمننها، وأصبحت المسابقات والأجور محددة حسب درجة الشهادة العلمية.

أما عبارة "أفكر في مواصلة الدراسات العليا" إذ يرى نسبة 86 % أنهم يفكرون في مواصلة الدراسات العليا، على اعتبار أنه كلما تدرج الفرد في مراحل تعليمية أكثر كلما كانت فرصه

أحسن في الحصول على عمل مريح وراتب جيد، كما أن النظام الجامعي الجديد ل.م.د يجعل من التدرج في المراحل التعليمية شيئاً ضرورياً كون الوظيفة العمومية أصبح يشترط الماستر في الكثير من الوظائف، خاصة الوظائف التي تفتح في التعليم وبعض المصالح الإدارية، إذن مواصلة الدراسات يفتح آفاقاً أفضل وفرص أحسن.

أما عن وعي المبحوثين بالتحويلات التي تعرفها الجامعة الجزائرية خاصة الانتقال من النظام الكلاسيكي إلى نظام ل.م.د، فإن عبارة **لحد الآن لا اعرف الفرق بين النظام الكلاسيكي والنظام الجديد** يرى 55% من المبحوثين من عينة الدراسة أنهم لا يعرفون الفرق بين النظام الكلاسيكي ونظام ل.م.د، على الرغم من أن أغلب أفراد عينة الدراسة من طلبة السنة الثانية والثالثة؛ طبعاً هناك حد أدنى من المعرفة فيما يتعلق بسنوات التدرج من مرحلة إلى أخرى وطرق الانتقال، لكن وحسب البيانات المحصلة من المقابلة فإن الطالب الجامعي من عينة الدراسة يتساءل هل ليسانس ل.م.د تعادل ليسانس كلاسيك؟ وما هي الأهداف المرتبطة بكل نظام؟

إذا كان طالب في الجامعة الجزائرية لا يعي حقيقة انتماءه إلى مسار تعليمي معين، ولا ما هو مطلوب منه، فكيف للجامعة أن تتطور؟ إنه ورغم الحملات التحسيسية وتوعية الطلبة بنظام ل.م.د إلا أنه حسب ما لمسناه يبقى غير كاف، ولم تحقق تلك المجهودات أهدافها، كما أن الإضرابات التي قادها الطلبة في هذا النظام دليل على عدم التجاوب معه، وعلى عدم فهم للفلسفة والقيم التي يرتكز عليها، كالمنافسة بين الطلبة؛ وإلا كيف نفسر إضراباً جماعياً مطلبه الأساسي الانتقال الجماعي للماستر ولكل طلبة الدفعة؟

ورغم ما تبذله الدولة الجزائرية من مجهودات من أجل النهوض بالتعليم العالي وترقية البحث العلمي وضمان كافة الظروف الملائمة للطالب الجامعي من أجل تحصيل جيد، غير أن نسبة 70% يرون أنه لا شيء يشجع على طلب العلم في الجامعة، ومرد هذه النظرة المتشائمة لدى الطلبة من عينة الدراسة كونهم من المقيمين في مختلف الاقامات الجامعية فيربطون الظروف التي يعيشونها في الإقامة الجامعية بطلب العلم في الجامعة، وكأنها عملية إسقاط لظروف معينة في الإقامة الجامعية على العملية التعليمية التعلمية داخل الجامعة، كون الوسط الجامعي هو حيز مكاني ووجودي ينتج وعياً معيناً للطالب كونه يتفاعل مع مختلف حيثياته، وبالتالي فالوسط الجامعي بالنسبة للطالب لا يتجزأ.

وفي هذا المقام لا يمكن أن ننكر ما توفره الدولة الجزائرية على مستوى الاقامات الجامعية من خدمات وبالمجان، وما يقدم فيها من نشاطات تربوية وثقافية ورياضية، غير أن عوامل ما

تتعلق بنمط التسيير من جهة، وبسلبية الطالب في التعامل مع الممتلكات العامة الموجودة على مستوى الاقامات الجامعية، تحولها ومع انطلاقته الموسم الجامعي بأيام قليلة إلى إقامات بدون حنفيات، بدون إنارة، بدون أبواب في دورات المياه، إلى جدران بدون طلاء تحمل عبارات لا تمت للوسط الجامعي بصلة*.

كلها تؤثر على الطالب لأنه يشاهد مظاهر العنف الرمزي والمادي، يشاهد مجتمعا ينتمي إليه ويرفضه بصورته في الوقت نفسه، كلها تجعل منه يعتقد أن الخلل في الجامعة في شيء خارجي وليس في الطالب الذي يتلف كل ما يتعلق بالملكية العامة.

أما عبارة أصبحت الشهادة الجامعية لا معنى لها حاليا: فيرى 30% أنهم يرون أن الشهادة الجامعية لا قيمة لها طالما أنها لا تضمن وظيفة، أي أن التعليم الجامعي غير مرتبط بالتوظيف أو سوق العمل، كما أن نسبة 45% من المبحوثين أجابوا بلا ادري إن كانت هناك قيمة للشهادة الجامعية، فنوع الإجابة نفسها يعكس أن الشهادة الجامعية فقدت بريقها.

غير أن سؤالا ملحا يلوح في الأفق: ألا يعد تناقضا بين أن يرى غالبية أفراد عينة الدراسة أنه من الضروري الحصول على شهادة وفي نفس الوقت يتطلعون إلى استكمال الدراسات العليا، وفي نفس الوقت يرون أن الشهادة الجامعية لا قيمة لها؟

أرى أنه لا يعكس تناقضا طالما أن الوجود الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي لدى الأفراد؛ فما هو متوفر في المجتمع من معطيات تتعلق بالكم الهائل من الخريجين وحاملي الشهادات، وأعداد البطالين في تزايد، فإن الطالب يعتقد انه مشروع شاب بطل، لكن بطل وحامل لشهادة جامعية أحسن من بطل من دون مؤهلات.

أما فيما يتعلق بعبارة ينبغي توقيف الأبناء عن الدراسة لمساعدة آبائهم على الأعمال الحرة فإن نسبة 34% من المستجوبين يوافقون على محتوى العبارة حيث يرون أن التفرغ لمساعدة الآباء وممارسة المهن الحرة أفضل من الاستمرار في التعليم الجامعي الذي يحيل في النهاية على البطالة، غير أن 52% لا يوافقون ويرون أنه من الضروري الحصول على الشهادة، لأن سوق العمل يعتمد على المؤهل العلمي بالدرجة الأولى.

* يمكن أن نشير هنا إلى أن الباحث أقام في عدد من الاقامات الجامعية للذكور ولاحظ بأن هذه المظاهر السلوكية تكاد تكون القاسم المشترك بين مختلف الاقامات، كما أنها تظهر على لائحة المطالب للمنظمات الطلابية في كل حركة احتجاجية تنظم داخل الإقامة، تحسين ظروف، إصلاح دورات المياه، الإنارة في الممرات، النظافة، وهي مظاهر سلبية صنعها الطالب بنفسه ليطالب بإصلاحها وتوفيرها في كل مرة.

أما العبارة الجامعة طورت مهاراتي وقدرتي على تحليل الأشياء وتفسيرها فإن المبحوثين من عينة الدراسة انقسمت استجاباتهم بين من يوافق على مضمونها بنسبة 37% ممن يوافقون على مضمونها، ونسبة 56% ممن لا يدرون إن كانت الدراسة في الجامعة طورت مفاهيمهم وقدرتهم على التحليل، وهي درجات عالية تعكس عدم ثقة الطالب الجامعي فيما يمكن أن يستفيد من الجامعة من مهارات في التواصل وقدرات على التحليل والتفسير، كما أن تسارع الأحداث التي تزامنت مع استجواب المبحوثين خاصة تلك التي ميزت الدول العربية سياسياً وسقوط أنظمة وزعماء عرب في وقت قصير جعل الكثير لا يفهمون هذه الأحداث ولا يدركون أسبابها بدقة. وعليه أرجح تأثر المبحوثين بهذه الأحداث في إبداء استجاباتهم إزاء هذه العبارة.

وحسب نتائج المقابلات التي أجريناها من المبحوثين يحتل الإعلام الدور الأبرز في تحليل وتفسير الأحداث والتطورات التي يشهدها المجتمع الجزائري أو العربي بحيث تحول الفرد من مجرد متلقي إلى مشارك وناقل للخبر ومعلق عنه، أو مشاهد وكأن الوسائط الإعلامية تفكر وتحلل بدلا منه، إن البث الفضائي لا يمكن تجاهله أو محاولة منع الأفراد من مشاهدته والتعرض إلى برامجهم وذلك بسبب استخدامه التقنيات المتقدمة، لذلك لا يمكن إهمال أو تجاهل أهمية الاتصالات الفضائية وما أحدثته من تأثير عظيم على حياة الأفراد والجماعات¹.

فالفصائيات تلعب دورا استراتيجيا في التنشئة الاجتماعية على قيم المواطنة والولاء لنظام ولقيم مجتمعية محددة، وهي وسيلة مهمة لمحاورة الآخر وتسويق صورة الأمة وقيمها وحضارتها للعالم. فإذا كان تحقيق ملايين الدولارات على حساب هذه الأهداف النبيلة هو المقياس وهو معيار النجاح، فهذا يعني أن المؤسسة الإعلامية أصبحت مثل مصنع الإسمنت لا علاقة لها بالفكر وبالقيم وبالحضارة وبالثقافة وبالذاكرة الاجتماعية وبإنسانية الإنسان وآدميته وبالهوية الثقافية.

ويعاني الإعلام الفضائي العربي اليوم من أزمة هوية وغياب المشروع والإستراتيجية، حيث تجاوز كل الضوابط والمبادئ التي تحكم العمل الإعلامي النزيه والمسئول. تكاثرت الفصائيات في العالم العربي فظهر تلفزيون الواقع، وفصائيات تعالج المرضى على الهواء وأخرى تخصصت في الشعوذة والسحر وقراءة كف اليد والأوراق، وأخرى تخصصت في الغزل على الهواء، وأخرى في التجارة عن طريق الرسائل القصيرة، فساهمت إلى حد كبير في تلويث الفضاء الإعلامي العربي مبتعدة كلياً عن تقديم رسالة إعلامية هادفة ومسئولة.²

¹ - علي المشاط: الاتصالات الفضائية في خدمة الوطن العربي، مجلة البحوث، العدد السادس، بغداد، 1982، ص124.

² - موقع: <http://www.ahewar.org/debat/add.art.asp?cid=228>

ومن خلال سؤالنا للمبحوثين عن التعليم الحرفي إن كان أفضل من التعليم الجامعي، فإن نسبة 29% يوافقون على محتوى عبارة التعليم الحرفي أفضل من التعليم الجامعي، فالتعليم الجامعي ليس مرتبطاً بالتوظيف أو بالأحرى لا يضمن وظيفة في حين أن تعلم حرف معينة يؤهل لسوق العمل ويضمن عائداً مادياً للفرد، وربما ترتبط هذه النظرة بسواد القيم المادية وطغيانها على تفكير أفراد عينة الدراسة.

كما ترتبط بعدم الاستقلالية المادية للطالب الجامعي عن أسرته إذ دائماً ما توفر له أسرته حاجياته المادية ونفقاته، وبالتالي يبقى مقيداً من الناحية المادية في إشباع الضروريات بما يتوفر من مال، خاصة وفي ظل الثقافة الاستهلاكية الواسعة يبقى الطالب في حاجة إلى الكثير من المال من أجل توفير ما يشبع حاجاته الاستهلاكية من ملابس وهاتف نقال وكمبيوتر محمول...، غير أن 51% لا يوافقون على محتوى العبارة ويرون أن التعليم الجامعي أفضل وأنه مهما كانت الظروف تبقى للشهادة الجامعية قيمتها وحظها في التوظيف، وأن المجتمع الجزائري وما شاهده من حراك اجتماعي كان للتعليم الجامعي الفضل الأكبر فيه، من خلال تحسين مستوى الأفراد ومراكزهم وأدوارهم.

نستنتج من خلال تحليل استجابات أفراد عين الدراسة من الطلبة الجامعيين المقيمين في مختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة، أن القيم التعليمية تراجعت لحساب القيم الاقتصادية، وأن الجانب الاستهلاكي والمادي يطغى على نظرة الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة كما أن الوسط الجامعي أضحى بدوره وسطاً مغترباً عن الواقع الاجتماعي، ولا يمارس دوره بما يضمن تحقيق الأهداف العليا للمجتمع.

لقد جرى العرف على النظر إلى التعليم العالي بوصفه مؤسسة اجتماعية. والمؤسسات الاجتماعية بطبيعتها لها رسالة، وقيم، ومسؤوليات محددة كانت في السابق تتصف بقدر من الثبات، لكنها أصبحت في العقود الأخيرة عرضة للتغير السريع. فمحراب القيم الدينية الذي كان المسيطر على العمل الجامعي منذ نشأة الجامعات، طغى عليه فيما بعد البعد الأكاديمي، الذي جعل من المعرفة وتقاليدها إنتاجها، وطقوس العلم المميّزة المحراب الجديد.

ثم جاءت قيم السوق لتلوث هذا المحراب وتفسد الكثير من ممارسات البحث العلمي، وتملأ أجواءه بتضارب المصالح، وتنتشر فيه ممارسات الغش عند الطلبة وأزمة الالتزام عند الأساتذة.¹ وهذا ما أدّى إلى طرح أسئلة محرجة حول قدرة الجامعات على تقديم "الخير العام": public

1 - Bok, Derek. Universities in the Marketplace: The Commercialization of Higher Education, Princeton, NJ: Princeton University Press, 2003.p113

"good" للمجتمع، وتحقيق القيم التي طالما سعت الجامعات إلى تحقيقها، مثل قيم المساواة والأمانة والعدل والحرية الأكاديمية، وهو نفسه الأمر الذي دعا إلى وضع الجامعات في موقع المساءلة عن قدرتها على تحقيق التوازن بين تقديم الخير العام للمجتمع، والمستوى الأكاديمي، ومتطلبات السوق.¹

3- تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم الأسرية:

نحاول أن نتناول بالتحليل في هذا المحور استجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين إزاء محور القيم الأسرية، والشباب الجامعي من عينة الدراسة عند هذه السن يتصفون بصفات وخصائص اجتماعية ونفسية منها؛ الشعور بالرغبة في الاستقلال بالتفكير، وفي تكوين رأي خاص في الموضوعات المختلفة، كذلك ميلهم إلى الاندفاع والانخراط في جماعات غير الأسرة، وسعيهم إلى مسايرة أقرانهم من الجنس نفسه، وميلهم إلى البحث عن المثل العامة والقيم المختلفة التي يرضي عنها الجنس الآخر، ميلهم إلى المخاطرة والعنف وحب الظهور وإلى الاهتمام بالمظهر، وميلهم في المرحلة التالية إلى الاهتمام بالأمور السياسية والاجتماعية وإلى التخصص في الدراسة وممارسة الهوايات، والقدرة على تحمل المسؤولية في المجتمع والأسرة.

ولا شك أن للتحويلات العميقة التي شهدتها المجتمع الجزائري خاصة على مستوى الأبنية التحتية، منذ التسعينات من القرن الماضي، حيث انتقلت الجزائر من نمط التسيير الاشتراكي للمؤسسات إلى سياسة اقتصاد السوق والخصوصية للمؤسسات العمومية، وما انجر عنه من تسريح للعمال وفقدان لآلاف العمال لوظائفهم، وما نجم عنه من تشتت للطبقة الوسطى واندثارها، ومن الأحادية الحزبية إلى التعددية والنهج الديمقراطي؛ والذي بدأ متعثرا متأثرا بأزمة التسعينات وما انجر عنها من عشرية سوداء عاشها المجتمع الجزائري بكل تفاصيلها.

لا شك أن كل ما ذكرناه آنفا له تجلياته وتأثيراته على الأسرة الجزائرية؛ سواء على بنيتها أو وظائفها وحتى على مستوى قيمها وما تعلق بطريقة التربية وكيفية إعداد الأبناء للمستقبل إناثا أو ذكورا، فعلى مستوى البنية اهتزت أركان الأسرة الجزائرية في شكلها البطريركي الأبوي الممتد من الجد والجدة إلى الأحفاد؛ حيث وبعد هذه التغيرات وبداية تبلور قيم اقتصاد السوق أخذت الأسرة الجزائرية الممتدة في التفكك حتى صارت إلى أسرة نووية، وحتى السلوك الإنجابي أخذ يعرف تطورات هامة.

1 - Burke, Joseph and Associates. Achieving Accountability in Higher Education: Balancing Public, Academic and Market Demands, San Francisco, CA: Jossey-Bass, 2005. P78

كما أن حركة الأسرة الجزائرية طالما اتسمت بالتحول من الواسعة الممتدة إلى الأسرة النووية، غير أن التحول لم يتم بالكامل وذلك بالرغم من التحول الهائل الذي حصل في بنى المجتمع الجزائري والانتقال من قيم الريف إلى قيم المدينة، كما أن هذا الانتقال لم يتم بالكامل كالذي حدث في أوروبا مع النهضة الصناعية، لكن الذي حدث في المجتمع الجزائري هو أن هذه التحولات أدت إلى تمدين الأرياف وتريف المدن، بحيث اختلطت القيم وتداخلت ولم تتغير بالكامل عن طريق الانتقال من التقليدي إلى الحداثي، وعليه فالتماسك ليس ما يميز حركة الأسرة الجزائرية كما أن التفكك الكامل ليس ما يميز حركتها وتطورها.

كما أن الأزمة الأمنية التي مر بها المجتمع الجزائري مست كافة البنى الفوقية والتحتية للمجتمع الجزائري، وأحدثت خلا في النسق القيمي وحتى في النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري، وإن آثار تلك الأزمة تظهر على الكثير من الأفراد في المجتمع الجزائري، سواء في شكل ظواهر اجتماعية مرضية، أو في شكل أمراض نفسية، من خلال معدلات الانتحار والعنف في أغلب الأوساط الاجتماعية؛ الوسط الرياضي والتربوي والجامعي في الشارع في النقاشات في الجماعات الاجتماعية، كما أن ظاهرة مبتكرة في الانتحار تطرح العديد من الأسئلة ويجب دراستها، ألا وهي ظاهرة انتحار الشباب حرقا والتي لم يعرف لها المجتمع الجزائري المسلم سابقة في تاريخه.

ومعنى ذلك أن للتغير الاجتماعي صيرورة بطيئة تشبه الاسفنجية التي تنتشر الماء بهدوء ، حتى ترتوي ثم تبدأ بترشيح هذا الماء، فلا شك أن ردود الفعل الأولى يمكن أن يكون لها دور قيادة عملية التغير الاجتماعي، ولكنها ليست الحاسمة ولا النهائية، فالمجتمع يستوعب الطارئ الجديد أيا كان نوعه وموضوعه وميدانه ثم يلعب دوراً في صوغ الوعي الاجتماعي وإعادة بناء البنية الاجتماعية، بما يتناسب والظرف الجديد وعلى وفق خصائص المجتمع.

إن نحاول من خلال هذا المحور أن نغوص في أعماق الأسرة الجزائرية من أجل استظهار القيم التي يحملها الطلبة الجامعيون وكيف ينظرون إلى أهم القضايا التي تواجههم؛ من خلال اتخاذ القرار داخل الأسرة، الاختيار للزواج، وهل يحبذون الحوار والأسلوب الديمقراطي أم أنهم يرون العكس؟، وهل يفضلون الإقامة مع الأهل بعد الزواج أم أنهم يميلون إلى الاستقلالية والعيش بعيدا عن الأسرة؟، وكيف ينظر الطلبة الجامعيون إلى عمل المرأة وتعليمها وإلى ورقابة الأسرة عليها؟ وهل يمكن أن تكون المرأة العاملة والمتعلمة زوجة ناجحة؟

الجدول رقم (17) يوضح

إجابات الطلبة الجامعيين على محور القيم الأسرية

القيم الأسرية		أوافق	النسبة المئوية	لا أوافق	النسبة المئوية	لا ادري	النسبة المئوية
01	أطيع والدي طاعة مطلقة	226	44%	150	29%	138	27%
02	أشارك في اتخاذ قرارات الأسرة	231	45%	190	37%	92	18%
03	أفضل أن تكون تربية الوالدين موجهة على أساس الحوار لا التسلط	210	41%	257	50%	46	9%
04	أحب أن أختار شريك (ة) حياتي بمفردي	279	56%	107	21%	143	28%
05	أحب أن تختار لي الأسرة زوج أو زوجة من الأقارب	164	32%	282	55%	143	28%
06	أصبح التعليم مطلب للفتاة وشرطا أساسيا من شروط الاختيار للزواج	375	73%	67	13%	71	14%
07	أفضل الإقامة مع الأهل بعد الزواج	56	11%	442	86%	71	14%
08	كي يتعاون الزوجان على متاعب الحياة أصبح العمل مطلبا أساسيا للفتاة وشرطا من شروط الاختيار للزواج	328	64%	159	31%	15	3%
09	أفضل إنجاب عدد اكبر من الأطفال	77	15%	431	84%	05	1%
10	أفضل أن تكون رقابة الأسرة أكثر تشددا على سلوك البنات	262	51%	154	30%	97	19%
المجموع		514					

واحتلت القيم الأسرية المرتبة الثانية من حيث درجات الاستجابة من طرف المبحوثين من عينة الدراسة على مقياس التغير القيمي بعد القيم الاقتصادية، حسب بيانات الجدول رقم (17) حيث وفي اغلب الدراسات السوسولوجية في المجتمع الجزائري والتي اطلع عليها الباحث تشير إلى انه دائما ما تحتل القيم الأسرية الصدارة من حيث الترتيب، غير أنه في الدراسة الحالية احتلت المرتبة الثانية وهو مؤشر على التغير القيمي لدى الطلبة الجامعيين والذي يشهده المجتمع الجزائري بصفة عامة.

وتأتي عبارة "أصبح التعليم مطلبا للفتاة وشرطا أساسيا من شروط الاختيار للزواج" المرتبة الأولى في هذا المحور، حيث ترى نسبة 73% يوافقون على محتوى العبارة، وهو ما يعني اتفاق المبحوثين من الجنسين على حق المرأة في التعليم، وهو من بين المكاسب التي انتزعتها المرأة في المجتمع الجزائري، إذ لو لاحظنا أنه في مطلع الستينات والسبعينات كانت أقلية من الإناث من تحصل على حق التعليم، ثم تدريجيا أصبح يسمح لها بالدراسة لكن في الأطوار التعليمية الأولى فقط حتى أصبحت نسبة الإناث في التعليم العالي تفوق الذكور.

ويعتبر المبحوثون أن الاختيار للزواج يعد فيه التعليم أحد المعايير المهمة إن لم يكن أهمها، كون الفتاة المتعلمة تستطيع تربية أبناءها بطريقة جيدة، هذا ما يعكس تغيرا في القيم المتعلقة في تربية الأبناء، كما أنها تملك فرصة الحصول على عمل خاصة وإن القيم الاقتصادية هي التي تطغى على أفراد عينة الدراسة، وتعكس هذه النظرة من المبحوثين إلى المرأة

المتعلمة، تغيرات جذرية وعميقة في المجتمع الجزائري الذي ناضلت فيه المرأة من أجل نيل حقوقها، كما أن الإرادة السياسية في النهوض بالمرأة لها دور مميز في هذا التغير حيث عملت الجزائر على إلزامية ومجانية وديمقراطية التعليم في المجتمع الجزائري، كما أنه تشير دراسات سابقة إلى النظرة السلبية التي لازمت تعليم المرأة وعدم الاهتمام به سابقا.

والعبارة الثانية حسب استجابات أفراد عينة الدراسة في محور القيم الأسرية تكمل العبارة السابقة من حيث المعنى والمغزى، إذ يرى 64% أنه "كي يتعاون الزوجان على متاعب الحياة أصبح العمل مطلباً للفتاة وشرطا من شروط الاختيار للزواج"، وعليه التعليم والعمل شرطان أساسيان من شروط الاختيار للزواج.

ووفق هذا المنظور نلاحظ أن هناك تغيرا عميقا حصل على النسق القيمي لدى الشباب الجامعي، إذ وبالنظر إلى الماضي القريب كان تعليم المرأة يلاقي العديد من الصعوبات داخل الأسرة في شكلها التقليدي، أما العمل فكان أمرا صعبا جدا غير أن التغيرات الحاصلة مهدت لاستفادة المرأة من التعليم والعمل بل واقتحمت الكثير من المجالات بعد أن كانت تعمل في بعض القطاعات دون غيرها كالتربية والصحة، وهذا ما يعكس طبيعة التغير القيمي في المجتمع الجزائري وخصائصه إذ يتميز بأنه بطيء لكنه يقع ويتطلب وقتا كافيا فقط.

لكن في المقابل هناك نسبة 23% لا ترى في العمل شرطا ضروريا، أو أحد محددات الاختيار للزواج، وترى أن الوظيفة الأساسية للمرأة (الزوجة، المربية) هي البيت وخدمة الزوج وتربية الأبناء، وحسب المقابلات التي أجريناها مع أفراد عينة الدراسة، تم استعمال الأحاديث النبوية التي تبرر الموضوع وفق هذا السياق، أي يغلب البعد الديني في تفسير دور المرأة.

إن تحسن المستوى التعليمي والتوسع في الهياكل وانتشاره في كل ربوع الوطن والتحولات السياسية والاقتصادية التي مست المجتمع الجزائري، مهدت لتحرر المرأة شيئا فشيئا من القيود التي فرضتها الأسرة الممتدة في ظل السلطة الأبوية، خاصة مع اندثار الأسرة الممتدة، وميل الأفراد إلى الاستقلالية.

وتشير الدراسة الحالية إلى أن 41% من أفراد عينة الدراسة من الجنسين يفضلون الحوار الأسري والأسلوب الديمقراطي داخل الأسرة وكطريقة في التربية، خاصة وأن هذا النمط يعطي فعالية للاتصال بين أفراد الأسرة حسب المقابلات التي أجريناها مع المبحوثين، غير أن الذين لا يفضلون هذا الأسلوب يؤكدون على أنه لا يوجد حوار داخل الأسرة وأنهم لا يناقشون الكثير من القرارات الأسرية، وأن الأم دائما ما تلعب دور الوسيط بين الأب والأبناء في مناقشة القرارات الأسرية.

لأن الأب يملك سلطة مرجعية القانون ويعتمد كرمز للتماهي والتقليد على الصعيد الذهني، أما الأم فهي صاحبة السلطة العاطفية التي تبعث عند الأبناء الشعور بالأمان والاطمئنان والانتماء وهي التي تؤمن لهم حرارة العلاقة الأسرية، لذلك نجدها تعمل دور الوسيط بين الأب والأبناء في الأسر التي لا تعتمد على الحوار والنقاش في اتخاذ القرارات الأسرية.

إن العامل الحاسم في التربية الأسرية هو إحساس الأبناء بمدى وعمق اقتناع الأهل فكريا وسلوكيا بالقيم والمبادئ التي ينادون بها مما يجعلهم قدوة حسنة في نظر أبنائهم فعند ذلك يحصل التمثل لهذه المبادئ، ومن ثم اقتناع الأبناء بصحة هذه القيم والمبادئ، وتلك المبادئ ترتبط بمدى قدرة الأهل على الحوار وإثارة النقاش الهادف مع الأبناء شرحا وترغيبا، وليس قهرا وترهيبا، ذلك أن السلوك المرغوب فيه المتوافق مع المبادئ والأخلاق لا جدال فيه، بمعنى أن إحساس الطفل أو الابن بالوالدية تشكل له الدافع إلى اعتناق مبادئ وقيم أسرته وأهله بالحدس والانفعال وبالذهن.¹

بالموازاة مع هذا يرى 44% أنهم يطيعون والديهم طاعة مطلقة، ويلتزمون بالطاعة وبر الوالدين لأن القضية دينية وأخلاقية بالدرجة الأولى، وأن للوالدين فضل كبير ولا يمكن رد جميلهما مهما فعل وقدم المرء، كما أن الفئة الأخرى من عينة الدراسة التي لم توافق على محتوى العبارة لا تبدي الرفض أو المعصية للوالدين داخل الأسرة إنما يريدون القول أنهم أكثر استقلالية، ولهم منظورهم الخاص البعيد عن تأثير الأولياء في اتخاذ قراراتهم، فالطاعة المطلقة تستلزم الامتثال التام للأوامر والنواهي.

كما أن شباب اليوم خاصة الشباب الجامعي أصبح أكثر ميلا إلى التحرر من القيم التقليدية السائدة في المجتمع، بمعنى أن قيمهم أكثر انفتاحا على الآخر على العالم الخارجي على الثقافة الغربية، على تمثلها من خلال اللباس وأصنافه وقصات الشعر وأنواع الغناء المختلفة، وامتلاك الوسائط التكنولوجية من هواتف نقالة متعددة الوسائط والانترنت وأجهزة الكمبيوتر المحمول، من خلال تكوين صداقات عابرة للحدود في مجتمعات افتراضية ينمو ضمنها حلم يتجاوز الوطن واللغة والدين بل يتجاوز الجغرافيا والتاريخ. ولعلنا نلاحظ في جامعتنا اليوم إقبال الشباب على السراويل الضيقة والتي تكون بدون حزام ولا تكاد تغطي خصر من يلبسها، وهو نوع من السراويل لبسه السجناء الأمريكيون من السود احتجاجا على بعض المطالب تجسيديا لثقافة الرفض، أو ألبسة الراب..

¹ - عباس محمود مكي: دينامية الأسرة في عصر العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2007، ص 142.

كما أنه ورغم تلك الطاعة المطلقة التي عبر عنها أغلب أفراد عينة الدراسة إلا أن الاستقلالية في صنع القرار واتخاذ من قبل أفراد عينة الدراسة داخل الأسر التي ينتمون إليها ليست استقلالية تامة طالما أن أغلب أفراد عينة الدراسة لا يتمتعون بالاستقلالية المادية، فكما بينا من خلال تفسير البيانات العامة أن الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة يعتمدون على أسرهم ماديا وأن أغلبهم يتلقون أموالا من أسرهم بالإضافة إلى منحة الدراسة الجامعية التي لا تكفي لمتطلبات الدراسة الجامعية رغم رفعها في المدة الأخيرة.

حيث يقر نسبة 45% أنهم يشاركون في اتخاذ القرار داخل الأسرة ويدخلون في النقاشات الأسرية، غير أن نسبة 37% لا يشاركون أسرهم في اتخاذ القرارات بل كل الأوقات يقضونها خارج الأسرة ولا يهتمون لما يتخذ من قرارات أسرية، بل يكتفون بسماعها لأنهم وحسب المقابلات التي أجريناها متفرغون للدراسة لحياتهم الخاصة لأمر يرونها أهم في حياتهم وأنهم يحددون ما يناسبهم بعيدا عن الأسرة، لأن مستقبلهم يعنيهم هم أنفسهم بالدرجة الأولى.

وربما نرجع هذا إلى المستوى التعليمي والثقافي المحدود لأسر المبحوثين، فلا يمكن مناقشة التخصص الذي يختاره الطالب في الجامعة مع أفراد أسرته خاصة الأبوين إذا كان مستواهم التعليمي لا يتعدى الابتدائي أو المتوسط، كما أن العلاقة بالأسرة حسب هذه الفئة من عينة الدراسة لا تتعدى الالتزام المادي.

أما فيما يخص عبارة "أفضل أن تكون رقابة الأسرة أكثر تشددا على سلوك البنت" والتي تفصح عن آراء أفراد عينة الدراسة فيما يخص تربية البنت داخل الأسرة الجزائرية، فإن نسبة 30% يرون أن من الأفضل أن تكون تربية البنت تتميز بالرقابة والمتابعة والالتزام داخل الأسرة، وأغلبهم من الذكور في حين يرى 51% وأغلب هن من المبحوثات أن الرقابة والتشدد تكون أحيانا سلبية وبالتالي لا يوافقون على محتوى العبارة، وهن من الإناث في عينة الدراسة؛ بمعنى أن التشدد والرقابة لا تعطي نتائجها المرجوة في تربية البنت وأنه رغم ما ينتشر في المجتمع والجامعة خاصة من مظاهر سلبية إلا أن التربية المبنية على الحوار والثقة والتفهم هي التي تحمي الفتاة، لأن غرس القيم وتبنيها يتم بالترغيب لا بالترهيب.

أما فيما يتعلق بالسلوك الإنجابي للمبحوثين والقيم المتعلقة به، فإن عبارة "أفضل أن أنجب أكبر عدد من الأطفال"، إنه وخاصة في ظل التحولات العميقة التي يشهدها المجتمع الجزائري فإن أغلب أفراد عينة الدراسة وبنسبة 84% لا يميلون إلى إنجاب عدد كبير من الأطفال، وأهم ما اتسمت به الإجابات هنا حرص واضح بين جل المبحوثين بالتفريق ما بين تحديد النسل

والمباعدة بين الولادات. فبالنسبة لمعظمهم الحديث يجب أن يقتصر على مفهوم المباعدة وليس التحديد وذلك وفقا للتعاليم الدينية.

وقد كان هناك شبه إجماع بأن ممارسة التنظيم من عدمها يجب أن يتم تحديدها باتفاق مسبق بين الزوجين. ومع ذلك ذكرت ثلة قليلة منهم بأنهم لا يمانعون تحديد عدد الأطفال أيضا، ذلك لأن لعدد الأطفال بحد ذاته تبعات اقتصادية ونفسية وصحية للوالدين عموما وللأم خصوصا.

وتعتبر قضية التنظيم العائلي قضية تخص الزوج والزوجة معا، وبالتالي فمن البديهي أن اتخاذ القرار حولها يكون بين الزوجين لتحديد العدد المناسب، وذلك لمراعاتهما ووعيهما بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية للأم والطفل، على اعتبار أن الأسرة العصرية من خصائصها اتخاذ القرار بين الزوجين يكون ضروري خاصة من ناحية الإنجاب، وقد دلت دراسات سابقة في الموضوع أن اتخاذ القرار في إنجاب العدد المناسب من الأطفال يكون بين الزوجين معا وليس قرارا فرديا.

وهذا يبرز مدى وعي الزوجين في الأسرة العصرية عكس ما كانت عليه مكانة المرأة في الأسرة التقليدية. أما بالنسبة للرغبة في إنجاب عدد معين من الأطفال فلها دلالات كثيرة سواء عند المرأة أو عند الرجل فقد عبّر عنها الباحثان "ماريا ريتا تستا" "MARIA RITA" و"ليوناردو قريلي" "léonardo grilli" فيقولان بأن الخصوبة المثالية تفسر بمعيار اجتماعي، بينما الرغبة في إنجاب طفل يعتبر كمعيار فردي¹، وبالتالي فبالنسبة للمرأة فترغب في أن يكون لديها عدد من الأطفال يملئون عليها حياتها، وخاصة إذا تعلق الأمر بمجتمع يضغط على المرأة في أن يكون عندها عددا معين من الأطفال، فمن خلال الولادات تثبت المرأة وجودها وأهميتها الاجتماعية، ومن خلال أمومتها تصل إلى إحساسها بتأدية دورها، أما بالنسبة للرجل فوجود الأطفال يثبت رجولته ويحافظ على استمرار عائلته ولقبه كذلك، ويمكن الإشارة إلى أن الرغبة في الإنجاب لعدد معين من الأطفال تختلف عند الأفراد في كثير من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والإيديولوجية.

فقد كانت الأسرة التقليدية أو الجماعة العائلية لها تصور عن الطفل وعن قيمته وخاصة إذا كان الطفل ذكرا فيبقى دائما رمز القوة والسلطة، وهو مفخرة للعائلة كما أنه يبقى هدفا وبالتالي فإن الولادات الكثيرة لها ما يبررها في المجتمع الجزائري في وقت مضى، أما في الأسرة

1 - Revue Population, Maria Rita Testa Et Lénardo Grilli: L'influence, Des Différences De Fécondité Dans Les Régions Européennes Sur La Taille Idéale De La Famille, Volume 61, N°1-2 -2006, Janvier Avril, édition Française, I N E D, Paris, 2006.p 110.

العصرية فقد اختلف الأمر وخاصة مع التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع فإنها تسعى إلى عدد محدود من الأطفال.

ومن خلال البيانات الموضحة في الجدول أعلاه يتضح أنّ تحديد رغبة أفراد العينة في الإنجاب، إن دل على شيء فهو يدل على تقليد الأسر للنمط الاجتماعي الحديث وتفضيلها للأسر القليلة العدد، بعد إدراكها التام بالنفقات العالية التي تتطلبها المجالات الصحية والمعيشية والتعليمية للآباء والأطفال.

فهو يؤثر على شكل العلاقة بين أفراد الأسرة وتعاملهم مع بعضهم البعض وحصة كل منهم من الاستهلاك داخل البيت. ثم أن بعضهم شدد على أن الاكتظاظ يرفع من مستوى التوتر داخل البيت ويزيد من المشاكل بين أفرادها لتنافسهم الضمني والمعلن على الخصوصية والمساحة الفيزيائية والمعنوية داخله.

إذن يبين عرض القيم الأسرية لدى أفراد عينة الدراسة أن هناك قيما حديثة تظهر لدى الطلبة الجامعيين فيما يخص الكثير من القضايا الأسرية، لكن في المقابل هناك وجود للقيم التقليدية خاصة فيما يتعلق بنظرة الطالب الجامعي للمرأة وأدوارها داخل المجتمع، فهذه القيم لم تتحرر كلياً من التقليدي لتصبح حديثة.

4- تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم الدينية:

إن القيم الدينية في المجتمع الجزائري تأثرت بالعديد من التغيرات والتحولات شأنها شأن القيم المتعلقة بالأنساق الأخرى، وعلى الرغم من تعلق الفرد الجزائري بالقيم الدينية والدور الذي لعبته مختلف المؤسسات الدينية عبر التاريخ كالزوايا والكتاتيب والمدارس القرآنية، إلا أنه في هذه الدراسة تراجعت القيم الدينية لصالح قيم أخرى، متأثرة بالتحولات التي يشهدها المجتمع الجزائري ووسائل الإعلام وما تحمله من ثقافة العولمة، وكما يرى مارشال ماك لوهان أننا نعيش في عصر التغيرات العاصفة حيث يشكل التغير الاجتماعي نفسه الشكل الوحيد للثبات.¹

وللتوضيح فالدين كمفهوم ليس له نفس المعنى الذي يحمله التدين، فالتدين كمظهر سلوكي لم يظهر في التاريخ الإسلامي إلا بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام. وفي الجزائر شهد التدين خاصة مع الإسلام السياسي العديد من التحولات والتطورات، وظهرت بموجبه الكثير من المذاهب التي ينادي بها بعض الجماعات وهي امتداد لحركات فكرية ودينية ظهرت في العالم الإسلامي، لكن وبعد الأزمة الأمنية التي عاشتها الجزائر لم يعد التدين ظاهرة اجتماعية ولا يعبر عن جماعات بعينها، كذلك التي ظهرت مع مطلع التسعينات.

وعليه فالتدين تعبير مناسب عن الدين يوضح محتوى السلوك الديني بمفهومه الواسع، ويعتبر الدين بمثابة الإطار المرجعي الذي ينظم معارف الفرد وسلوكه، مما يعني تقبل الفرد قيم وأخلاقيات الدين وتمسكه بها، واشتراكه في الممارسة والعبادات وتحقيقه للواجبات التي يفرضها الدين عليه.

ونحاول من خلال استعراض نتائج هذا المحور استكشاف القيم الدينية لدى الطلبة الجامعيين فيما تعلق بالالتزام الديني وأداء الواجبات، والقيم المتعلقة بارتداء الحجاب، ودور الوسط الجامعي في تدعيم القيم الدينية، وآثار العولمة والثورة التكنولوجية الحاصلة على التدين لدى الشباب الجامعي، وهل يمكن التوفيق بين روح العصر وما تتطلبه الحداثة من أن يكون عليه الفرد وتعاليم الدين.

وهذا ما سنتعرف عليه من خلال الجدول التالي والذي يتضمن مجموعة من العبارات تحتوي على مؤشرات ذات بعد ديني والتي من خلالها نريد أن نقيس البعد الديني وأهميته من خلال استعراض مواقف واتجاهات شريحة هامة من المجتمع الجزائري وهي الشباب الجامعي:

¹ - Marchal mac lohan: électronique et décrochage psychologique, Alain gras: sociologie de l'éducation, paris 1974, p39

الجدول رقم (18) يوضح

إجابات الطلبة الجامعيين على محور القيم الدينية

القيمة الدينية	أوافق	النسبة المئوية	لا أوافق	النسبة المئوية	لا ادري	النسبة المئوية
01 أحافظ على واجباتي الدينية	293	57%	10	02 %	200	39%
02 أفضل قراءة الكتب الدينية وزيارة المواقع الدينية	262	51 %	226	44 %	15	03%
03 السعادة الحقيقية هي الإيمان بالدين	293	57 %	118	23 %	92	18%
04 إن التمسك بالمبادئ الدينية لا يتعارض مع العقلانية في التفكير	154	38 %	313	30 %	41	32%
05 إن ضعف الإيمان لدى الأفراد هو سبب كل المظاهر السلبية التي نشاهدها في المجتمع والجامعة	226	44 %	154	30 %	123	24%
06 أشعر أنني ضعيف الإيمان ومعلوماتي في الدين ناقصة	210	41 %	154	30 %	133	26%
07 أجد صعوبة في التوفيق بين مظاهر الحياة العصرية وتعاليم الدين	210	41 %	195	38 %	102	20%
08 أؤيد فكرة اختلاط البنات والذكور في الأقسام الدراسية	308	60 %	174	34 %	26	05%
09 أفضل أن ترتدي المرأة الحجاب	416	81 %	82	16 %	128	25%
10 أعتقد أن شباب اليوم مازال متمسكا بالقيم الدينية	150	29 %	355	69%	05	1%
المجموع	514					

بالطبع ليست جميع القيم الثقافية متساوية من حيث المكانة، ففي حالة المجتمع الجزائري توجد قيم تتعلق بالثوابت كتلك المتصلة مباشرة بالدين. وهذه تظل ثابتة وإن حدث تحويرات عليها فإنها تكون في عدد من الأنماط السلوكية الفرعية، أو تكون تحويرات محدودة وفي نطاق ضيق، لكن توجد في نفس الوقت قيم أخرى تحتل مكانة أدنى من حيث درجة تمسك الأفراد بها، وهي المعرضة قبل غيرها للتضحية بها، على الرغم من أن بعضها قد تكون له وظيفة هامة مثل تلك المتعلقة بتقوية التماسك والتضامن الاجتماعي.

ومن خلال نتائج الجدول رقم (18) يتبين أنه قد بلغت نسبة الطلبة الجامعيين الذين يفضلون ارتداء المرأة للحجاب 81% من خلال الاستجابة على عبارة " أفضل أن ترتدي المرأة الحجاب"، أي أن هناك اتفاق نسبي على الحجاب كقيمة دينية ذو دلالة رمزية، للمرأة المسلمة الملتزمة، خاصة من الذكور، لكن الحجاب له شروطه وأصوله فنلاحظ في الجامعة الجزائرية تطورا لمفهوم الحجاب يتجاوز مع العصرية ما انعكس على شكله، فظهرت تصاميم للحجاب معمولة تراها حجابا لكنها لا تحجب ما أمر به الدين أن يحجب، ناهيك عن اختزال الحجاب في الكثير من المرات في الخمار فقط.

إذن أردنا أن نبين تمظهر البعد الديني في الواقع الاجتماعي والتغيرات القيمية التي طرأت على هذا التمظهر في اللباس من خلال إدراجنا لهذه الملاحظات حول الحجاب، حيث يعج الحجاب كمفهوم يختلف من طالبة إلى أخرى، وبالتالي يختلف لبسه ودرجة المحافظة فيه بدرجة تمثل القيم الدينية والانتماء الجغرافي والأسري، حيث ظلت العائلات الريفية أكثر العائلات محافظة على تحجب المرأة والتزامها، وربما يمكن تفسير هذه النسبة العالية للموافقين على الحجاب إلى كون أغلب أفراد عينة الدراسة ينحدرون من مناطق ريفية.

كما يرى أغلب أفراد عينة الدراسة أن السعادة الحقيقية تكمن في الإيمان وذلك بنسبة 57%، وفي هذا تأكيد على وجود هذه العلاقة فعلا، أي بين الدين وسعادة الفرد، نظرا لما يتيح الدين من طمأنينة وراحة نفسية للمؤمن، ولما له من أثر في حياة الفرد والمجتمع على السواء، فهو يضع من المبادئ والقواعد ما ينظم علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بالآخرين وبمجتمعه، ويضع الحقوق والواجبات، ومن ثم فهي قيم ملزمة موجودة في الأنا الأعلى لكل إنسان، كما أنها تتموقع في الضمير الجمعي لكل مجتمع.

غير أن 23% أجابت بالرفض وعلى قلة هذه النسبة إلا أننا نعتبرها مرتفعة، لأنه طالما كانت القيم الدينية ضمن أولويات القيم في المجتمع الجزائري، وهو ما يفسر تراجعها في هذه الدراسة، فالمجتمع الجزائري يعيش مرحلة انتقالية تتداخل فيها القيم التقليدية بالحدائية.

كما بينت الدراسة أن أغلب أفراد عينة الدراسة وبنسبة بلغت 57% يحافظون على واجباتهم الدينية باعتبار أن هذه الواجبات الدينية والمحافظة عليها تعد مقوما من مقومات الحياة وهي رسالة كل إنسان خلقه الله عز وجل، وبالتالي جاءت الاستجابات ايجابية نحو هذه القيمة، ويعد هذا مظهرا من مظاهر تمسك الطلبة الجامعيين بقيمهم الروحية والأخلاقية.

أما عبارة "إن ضعف الإيمان لدى الأفراد هو سبب كل المظاهر السلبية التي نشاهدها في المجتمع والجامعة" حيث توافق نسبة 44% على محتوى العبارة وأن ابتعاد الأفراد عن تعاليم الدين وما يقره من قيم روحية هي سبب المظاهر السلبية التي نراها في الجامعة أو في المجتمع، فالقيم الدينية هي قيم ملزمة تلزم الفرد وتوجه سلوكه وبالتالي لا يمكن أن يضيع فرد يهتدي بتعاليم وقيم الإسلام.

غير أن عبارة "ضعف الإيمان" عبارة تستعمل على نطاق واسع في المجتمع الجزائري وأحيانا بطريقة غير عقلانية وسطحية، فكل ما يشهده المجتمع الجزائري من ظواهر سلبية ومرضية تفسرها هذه العبارة، وهي في الواقع نتيجة لأسباب يجب البحث فيها، وليست سببا

رئيسياً لتلك الظواهر، وعليه يجب مراجعة الكثير من المفاهيم مراجعة علمية وتتطلب بحثاً في الأصول الفلسفية لها، كأن نطرح سؤال من هو المؤمن؟

غير أن نسبة 39% ممن أجابوا بلا أدري على محتوى العبارة، يرون أن ضعف الإيمان والوازع الديني لا يفسر تلك المظاهر السلبية بقدر ما يفسر ميل الأفراد من حيث أصبحوا يؤمنون بالمصلحة، وأن العلاقات بين الأفراد تحكمها قيم مادية بالدرجة الأولى، كما أن هناك أفراد تراهم متدينين حسب ما يدل عليه المظهر ولكن سلوكياتهم مغايرة للمظهر الذي هم عليه. وفيما يخص الوسط الجامعي وهل يساعد على التزام الفرد بقيمه الدينية 48% ممن يوافقون على أن الوسط الجامعي لا يساعد على ذلك، وعليه يمكن أن نوضح أن الأفراد في المجتمعات التقليدية يكتسبون المعرفة والمهارات التي تؤهلهم للقيام بنجاح بادوار البالغين من دون أية حاجة إلى التعليم النظامي، ولكن في المجتمعات الأكثر تعقيداً لم يعد في قدرة الآباء نقل المعارف والمهارات الكافية إلى أبنائهم للقيام بادوار البالغين.

والتعليم الجامعي يقوم بوظيفة هامة وحيوية من أجل بقاء المجتمع واستمراره وذلك نتيجة المحافظة على بعض المعتقدات والمهارات التي لا تورث ولكنها تكتسب عن طريق التعليم الجامعي الذي يعاون في تشكيل شخصيات الأفراد، بحيث تتلاءم مع الثقافة السائدة مما يسهم في تكامل المجتمع ومساعدة الفرد في التوافق مع بيئته، وإن النسق التعليمي أصبح يتغير بصفة مستمرة ليجاري الأحداث في المجتمع، كما أن البحث العلمي أصبح وظيفة متزايدة الاهتمام للتعليم العالي، وأصبح التغير الثقافي^(*) هو القاعدة وليس الثبات، وهناك ملاحظة هامة وهي أن المجتمعات النامية الأخذة بأساليب التكنولوجيا الحديثة تعاني من التعارض بين ثقافتها التقليدية والحديثة المستوردة، ولذلك تبذل هذه المجتمعات جهود التوجيه وتغيير أنساقها التعليمية من أجل استيعاب الثقافة الجديدة المستعارة في المجتمعات الغربية. -وربما هذا ما يبرر الفلسفة التربوية التي تبنتها وانطلقت منها الإصلاحات الجذرية في النظام التربوي ونظام التعليم العالي. -

ولعل هذا ما يعانيه الطالب الجامعي من تعارض بين تنشئته الاجتماعية والقيم التي يحملها من جهة، وبين بعض القيم والمعارف والمهارات التي يتلقاها في الجامعة، لذا لا بد من إعداد أجيال قادرة على التعامل مع العلوم والمعارف المختلفة من جهة وامتلاك ثقافة إنسانية واسعة

^{*} - التغير الثقافي (Cultural Change) وهو عملية أكبر وأوسع من التغير الاجتماعي إذ يشمل التغير الثقافي كل تطور أو تحول يحدث في عنصر من عناصر الثقافة، سواء كان ذلك في الفن أو العلم أو الصناعة أو الفلسفة أو اللغة أو الأدب، كما يشمل فوق ذلك كل التغيرات التي تحدث في أشكال وقواعد النظام الاجتماعية (معجم العلوم الاجتماعية، 1975، ص 165).

وتأخذ دورها الإنساني المميز من دون استعلاء أو انتقاص من حضارات الشعوب وثقافتها، وتنشيط التفاعل بين الثقافات المختلفة، وإدراك أن أي ثقافة من هذه الثقافات إنما هي حصيلة ظروف وبيئات حضارية وتراث أمم مختلفة.

كما أن ثقافة المجتمع هي انعكاس لمجموعة من الخصائص السائدة في هذا المجتمع، والمجتمع الجزائري مجتمع له ثقافته المتميزة التي تراكمت عبر الزمن، فهي تتميز بوجود نسق قيمي متميز، ويشترك أفرادها في قيم ومعتقدات أو اتجاهات وتصورات تختلف إلى حد ما عن الثقافة الكلية، وتؤثر في سلوك الأفراد وتحدد اتجاهاتهم.

ويسعى الطلبة الجامعيون إلى تدعيم قيمهم الدينية والروحية بالقراءة والمطالعة في المجال الديني واستعمال مواقع الانترنت لذلك، حيث تبين عبارة "أفضل قراءة الكتب الدينية وزيارة المواقع الدينية أن 52% من المبحوثين ومن كلا الجنسين يقومون بقراءة الكتب الدينية وتصفح المواقع الإسلامية، وننوه هنا إلى أن القنوات الفضائية والمواقع الدينية تكاثرت في العشرية الأخيرة، وهي تقوم بأدوار غير معلنة بخلفيات مذهبية وعقائدية لا تتماشى مع قيم المجتمع الجزائري، كونها تحث على التشيع وتكرس مذاهب دينية بعينها، لذلك أطلقت الجزائر إذاعة القرآن الكريم وقناة فضائية دينية من أجل توجيه الشباب الجزائري وتدعيم روابطه بالمذهب المالكي.

وفيما تعلق بعبارة "أجد صعوبة في التوفيق بين مظاهر الحياة العصرية وتعاليم الدين" يوافق عليها نسبة بلغت 41% من الطلبة الجامعيين الذي يرون أن المؤثرات الثقافية بوسائلها المتعددة أصبحت تجعلهم عاجزين عن الالتزام بالدين، وهي نسبة تدل على أن الشباب الجزائري عرضة لتيارات العولمة، هذه التيارات التي تريده أن يتخلى عن حضارته وينسلخ عن أمته ويلتزم كل الالتزام بما تريده وتقله وتهدف إليه الحضارة الغربية.

التي تُعد آخر ما أنجبه التاريخ البشري، لذا ينبغي على جميع الأمم الالتزام برسالتها التبشيرية التي تحرر العالم حسب قولها من الظلم والقهر والفقر والتعسف الاجتماعي وتمنحها الحرية والديمقراطية والرفاهية وحقوق الإنسان.

في الوقت الذي تبالغ فيه العولمة بالفوائد التي تجلبها للأمم جمعاء فأنها تنتقد انتقاداً مراراً حضارات الشعوب التي لا تعترف بها ولا بالهبات التي قدمتها للإنسانية وتلصق بها التهم الملققة وتسيء إلى ماضيها المشرق وتطعن شخصيتها في الصميم لكي لا يكون لها أثراً في الحضارة العالمية ولكي تتبوأ الحضارة الغربية مركز الصدارة في العالم وتكون الحضارة الوحيدة التي لها الفضل في التقدم والتطور والنهضة.

غير أنه وبالرغم من تمثل الشباب الجامعي من عينة الدراسة للقيم الدينية وتمسكه بها إلا أنه ما زال يشعر أنه ضعيف الإيمان ومعلوماته في الدين ناقصة بنسبة بلغت 40% ممن يشعرون بعدم امتلاكهم لثقافة دينية، وعليه يبدو أن هذه المرحلة تحتاج الى تدعيم وتوجيه لأفكار الشباب حتى يتم تزويدهم بالفهم الصحيح للدين، حتى لا ينحرف شبابنا الجامعي عن دينه وعن قيم مجتمعه، فالفهم الخاطئ للدين ادخل المجتمع الجزائري في مآهات ودوامة من العنف؛ كما أن العولمة والقيم المرتبطة بها قد تساهم في تشويه القيم الروحية والأخلاقية للشباب الجامعي، وبالتالي يجب الاهتمام بهذه الجزئية وان تضطلع الجامعة الجزائرية بدورها في تنمية القيم الروحية وتوجيه الشباب الجامعي إلى الفهم السليم للدين.

ونشير هنا إلى أن التعليم الجامعي في الجزائر هو تعليم متخصص في فروع علمية معينة يعمل على تزويد الطالب بالمهارات العلمية والمهنية فقط، علما أن المجتمعات إنما تتطور وترتقي وفقا لتطور نظام القيم فيها، ومن ثم فالمجتمع الأفضل والأبقى هو الذي يرتقي فيه نظام القيم، كما أن العولمة كنظام تنادي بالقيم الإنسانية النبيلة ووجدت سهولة كبيرة لدخول مجتمعات توصف بأنها مغلقة، كون تلك القيم يسعى أي مجتمع للارتقاء إليها.

إلا أنه ومن خلال سؤالنا للمبحوثين حول التمسك بالمبادئ الدينية ومدى تعارضه مع العقلانية في التفكير، فقد لاحظنا انقسام المبحوثين بين مؤيد بنسبة 38% ومعارض بنسبة 31% أنهم غير موافقين، فالمؤيدون يرون أنه لا يوجد تعارض بين العلم والدين، كما أن الأخذ بالأسلوب العلمي في التفكير لا يتعارض مع التمسك بالمبادئ الدينية والأخلاقية، أما غير الموافقين على محتوى العبارة يرون أن هناك تعارضا خاصة في مناقشة المسائل الفلسفية، وبين التاريخ الأوروبي كيف أن سيطرة الكنيسة على المجتمع الأوروبي أدخل أوروبا في عصور الظلام، إلا أنه لا ننفي في هذا الصدد أن العرب لم تتأثر لهم الحضارة وعصور الازدهار إلا من خلال الدين الإسلامي، الذي حرر العقل والإنسان معا ودعا إلى التدبر والتأمل وتحريم الرق والعبودية.

وعلى كل لا ننكر أن الصراع الذي ظهر في القرون الوسطى بين الفرق الكلامية والفقهاء انتهى إلى تعطيل العقل العربي، وتحريم الاشتغال بالفلسفة واعتبارها زندقة، وقد حاول ابن رشد جاهدا أن يوضح أنه لا تعارض بين الدين والفلسفة وأن التعارض يظهر من سوء فهم أحدهما. وعن مواقف المبحوثين من الاختلاط في الدراسة فجاءت استجابات المبحوثين على عبارة "أؤيد فكرة اختلاط البنات والذكور في الأقسام الدراسية"، نسبة 60% يوافقون على الاختلاط في التعليم كما يرى نسبة 35% أنهم لا يؤيدون الاختلاط بين الجنسين وهي نسبة كبيرة لا تعبر

بصدق عن التطور الملحوظ في النسق القيمي للطلبة الجامعيين على مختلف محاور مقياس التغير القيمي الذي تم تطبيقه في هذه الدراسة، وربما ترجع إلى كون المبحوثين متأثرين بالمظاهر التي لا تعجبهم في الوسط الجامعي، ويرون أنها ناتجة عن الاختلاط، كالعلاقات الغرامية وبعض المظاهر الشاذة التي لا تليق بالطالب الجامعي أو بقضية الحرم الجامعي.

كما نشير إلى أن الكثير من الدراسات توصلت إلى أن أغلب المبحوثين في المجتمع الجزائري لا يؤيدون الاختلاط في التعليم، خاصة أولئك الذين ينحدرون من مناطق ريفية، غير أن الجزائر قطعت أشواطاً كبيرة في سبيل تعليم المرأة والنهوض بها، وإبراز دورها ومكانتها في المجتمع الجزائري، وعليه فهذه النتيجة تعبر نوعاً ما عن التأثير بالوسط الريفي الذي ينحدر منه أغلب المبحوثين.

ويرى الطلبة الجامعيون من عينة الدراسة أن شباب اليوم مازال متمسكاً بالقيم الدينية بنسبة 29% بالنظر إلى المحافظة على العبادات كالصلاة والصيام، والالتزام ببعض المظاهر الدالة على التدين كلبس القميص وتقصير السروال وحمل السواك، بينما لا يرى ما نسبته 69% أن شباب اليوم مازال متمسكاً بالقيم الدينية، وأن تلك المظاهر في رأيهم - حسب المقابلات التي أجريناها - لا تعبر عن التدين الحقيقي، كون ما ينتشر في الجامعة والمجتمع بصفة عامة من مظاهر ليس من تعاليم الإسلام في شيء كالغش والخداع والرياء، وانتشار الجريمة والمخدرات في الوسط الجامعي، وتناول الكحول وبعض المظاهر السلوكية غير السوية.

إن محورية الدين في الحياة اليومية للفرد تجعل منه محور الاتفاق والالتقاء من جهة، ومحور الصراع بين فئات مختلفة من جهة أخرى، باعتباره معيار التقويم للانحرافات في ميادين شتى، ونجد من يميز بين الممارسات الدينية في المجتمع وما يتميز به من حركية في هذا المجتمع.

لا شك أن الإيمان الديني يوجه السلوك الأخلاقي ويدعمه، لكن غير المتدينين يرفضون أن يجرّدوا من المثل والقيم والفضائل الأخلاقية، أو أن تعدّ هذه القيم خارج سياق التزاماتهم نحو أنفسهم ونحو الآخرين وغيرها، في عقيدة دينية دون أخرى أو اتجاه إيديولوجي محافظ أو متحرر أو في انتماء حزبي دون غيره. وأهم ما في القيم والأخلاق أن الفرد الذي يمتلكها يتخذها معايير لسلوكه عندما يكون بعيداً على ملاحظة الآخرين، وليس مجرد استجابة لظروف معينة من كسب منفعة أو دفع مفسدة.

وإذا كان الاهتمام بتعزيز القيم في التعليم الجامعي واجباً دينياً عند الأستاذ المتدين، فإن ذلك لا يقلل من شأن الدوافع الأخرى لهذا الاهتمام عند الأستاذ المتدين وعند غيره أيضاً؛ إذ يشعر

بعض الأساتذة بشيء من الاعتزاز والسعادة النفسية لقيامهم بتعزيز القيم وبخاصة لما يلقونه من احترام الآخرين وتقديرهم لهم، فضلاً عن قناعتهم بأن الاهتمام بالقيم يعود إلى أنها فضائل في حد ذاتها، مما يبرر اعتبارها من المتطلبات المهنية والوظيفية للأستاذ الجامعي.

ولا تقتصر مشكلات سوء الفهم الذي ينتاب تعليم القيم على ما سماه شوارتز (shwartz) بالخرافات الثلاث. فثمة اتجاه يتبناه بعض أعضاء هيئة التدريس، يرى أن القيم هي تعبيرات وميول ذاتية لا بد من تمييزها عن الحقائق الموضوعية والتجريبية التي هي مركز اهتمام التعليم الجامعي. لكن هذا التمييز أمر ينكره اليوم فلاسفة الأخلاق، فما يسمى بالقيم يشمل عادة العادات والتقاليد والطموحات والانتماءات والتحيزات، وهي تشغل موقعاً في قضايا الإنسان لا تتسجم مع الصورة التي قدمتها الفلسفة الوضعية التقليدية لها بوصفها أفكاراً واتجاهات غير عقلانية. فهذه القيم ليست مجرد حالات من التفضيل أو الرأي الذاتي، وإنما تنتمي إلى الحقل العملي من العقلانية، وتدخل في تفضيلات الإنسان على أساس من المبادئ، وتفضي إلى تطوير أهداف يمكن الدفاع عنها، وهي تؤدي بالفعل وبصورة عملية إلى ازدهار الحياة الفردية والاجتماعية.¹

5- تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم السياسية:

تتوقف أنماط ومستويات المشاركة السياسية المنتظرة من الفرد في المجتمع على جانب كبير من نمط التربية والقيم التي يحملها حول العملية السياسية، حيث أن سير النسق السياسي يحتاج إلى تجاوب أفراد المجتمع مع أداء النظام السياسي من خلال مؤسساته والفاعلين فيه، إن هذا التجاوب والذي يمكن أن يعبر عنه بالتفاعل بين الفرد ككائن معزول مضمن جماعات معينة من جهة، وسير النظام السياسي من جهة أخرى وهي المشاركة السياسية.

غير أن القيم السياسية طرأت عليها تحولات خاصة في ظل العولمة؛ إذ نجدها قد تحولت إلى مجموعة من القوانين الموضوعية تفرض نفسها على الجميع، ولا تميز أحداً عن الآخر لأن غاية القيم السياسية هي إحداث اندماجية الأفراد في المجتمع وتحقيق الاستقرار والتجانس الاجتماعي.

وعليه تتجلى أهمية السياسي مثلما عبر عنه سامويل ايزنشتاد (samouel isntchad): "إنها مركز البني السياسية لا تسمح بتحرر البني الأخرى، وجعل الأنساق الاجتماعية لا تتفصل عنه، كلها مظاهر تسمح للسياسي بالتستر وراء الأنساق الأسيرة؛ من دين، وثقافة، وفضاء عام،

1- Carr, David and Landon, John. Teachers and Schools as Agencies of Value Education: Reflections on Teachers' Perceptions. Part Two: The Hidden Curriculum. Journal of Beliefs and Values 20 (1) 1999 p. 21-29.

وإبداع ونقد، وحرية التفكير والتعبير، بعبارة أشمل كل القيم التي تحقق استقلالية الأفراد¹، وهي كلها انساق للممارسة تمنح بنى دلالية لتجارب الأفراد، بمعنى أن القيم يمكن أن تتعايش في كل مجتمع حتى المجتمع الجزائري الذي ينعت بأنه مجتمع متأزم.

ونحاول في هذا المحور أن نتبين أهم القيم السائدة لدى الطالب الجامعي وكيف ينظر للعملية السياسية، يشارك، ينتخب، ما هو تصوره للعملية السياسية؟ وكيف يختار ممثله في مختلف المؤسسات التشريعية والتنفيذية؟ وعلى أي أساس؟ بل وهل تكتسي حياته الجامعية نوعا من الممارسة السياسية والنقابية كالانخراط في المنظمات الطلابية؟ وهل يتطلع إلى الوصول إلى مناصب ومراكز سياسية مستقبلا أم لا؟ ما هو تصوره للممارسة السياسية في الجزائر؟ وكيف يقيم أحداث الربيع العربي التي مست العديد من الدول العربية؟ وهل يوافق على تقلد المرأة للمناصب السياسية ومشاركتها في النظام السياسي؟

وتشير نتائج الدراسة إلى أن القيم السياسية احتلت المركز الأخير من حيث اهتمامات الطلبة الجامعيين ودرجات استجاباتهم على مختلف محاور مقياس القيم، ونتناول بالتفصيل درجات الاستجابة نحو كل عبارة على النحو التالي:

¹ -انظر الجمعي النوي: التغير القيمي وأزمة الأهداف في الحقل السياسي-(المجتمع الجزائري نموذجا)، مقال منشور

عبر موقع الجلفة: www.eldjelfa.com

* تشير هنا إلى أن تحليل مقياس التغير القيمي صادف التحضير للانتخاب التشريعية مايو، 2012 وتأثيرات ثورات الربيع العربي والإصلاحات السياسية التي أعلن عنها رئيس الجمهورية وعليه كرس وسائل الإعلام بكل أنواعها للحث على المشاركة الانتخابية، كما أن المقابلات امتدت على فترات مع عينة الدراسة.

الجدول رقم (19) يوضح

إجابات الطلبة الجامعيين على محور القيم السياسية

القيم السياسية	أوافق	النسبة المئوية	لا أوافق	النسبة المئوية	لا ادري	النسبة المئوية
01 أحب أن انتخب في كل مرة	175	34%	318	62%	21	04%
02 أميل إلى انتخاب الفرد الصالح ولا يهمني الحزب الذي ينتمي إليه	170	33%	236	46%	107	21%
03 أحب الانخراط في العمل السياسي	30	06%	355	92%	10	02%
04 أرغب في الانخراط في المنظمات الطلابية	123	24%	313	61%	77	15%
05 أتطلع إلى الوصول إلى مراكز سياسية مستقبلا	102	20%	344	67%	67	13%
06 اعتقد أن الأحزاب السياسية تملك برامج جيدة	77	15%	344	67%	92	18%
07 تخدم الأحزاب السياسية القائمة حاليا الأهداف العليا للمجتمع	36	07%	436	85%	41	08%
08 الربيع العربي من صنع الدول الغربية	246	48%	190	37%	77	15%
09 السياسة لا تعني إطلاقا	205	40%	267	52%	41	08%
10 أعتقد أن هناك تعددية حزبية وديمقراطية في الجزائر	72	14%	431	84%	10	02%
المجموع			514			

يتبين من خلال بيانات الجدول رقم (19) أن العبارة الأولى من حيث درجات الاستجابة: "تخدم الأحزاب السياسية القائمة حاليا الأهداف العليا للمجتمع" إذ يرى نسبة 85% أن الأحزاب السياسية في الجزائر لا تخدم الأهداف العليا للمجتمع بقدر ما تخدم مصالحها وتسعى إلى تحقيق المصالح الشخصية بالدرجة الأولى حسب المبحوثين، وتبين العديد من المحطات الانتخابية التي مرت بها الجزائرية، كيف ارتبط العمل السياسي بثقافة الربيع ومحاولة الكسب والتكسب من العملية السياسية، بعيدا عن النضال السياسي الذي يعتمد على القاعدة النضالية الشعبية والبرامج، فغياب معارضة حقيقية جعل من الأحزاب والعمل السياسي مجرد مسرحية.

فروءاء الأحزاب يستأثرون برئاسة الحزب ويفتقرون إلى مناضلين حقيقيين، ما يجعلهم في كل مرة يلجؤون إلى تبني أساليب متنوعة لإقناع الناخبين، وما ظاهرة التجوال السياسي إلا دليل على السعي إلى تحقيق المصالح الشخصية تحت أي لون سياسي.

أما فيما يخص باعتقاد المبحوثين من عينة الدراسة بوجود ديمقراطية في الجزائر فنسبة 53% لا يعتقدون أن هناك تعددية حزبية وديمقراطية في الجزائر، بالمعنى الكامل التي تحملها كلمة ديمقراطية. وهذا ينم عن وعي لدى المبحوثين بحقيقة العملية السياسية في الجزائر، رغم المكاسب التي حققتها إلا أنها تبقى بعيدة عن تلك التجارب الديمقراطية الرائدة، فهي تجربة ناشئة وما زالت محل مراجعة وإصلاحات.

كما أن هناك رفضاً للمشاركة في العمل السياسي من قبل أغلب أفراد عينة الدراسة وبنسبة 93% ممن لا يحبون الانخراط في العمل السياسي، إنها نسبة تعبر عن رفض العمل السياسي، فالمشاركة السياسية تظهر من خلال نشاط الفرد في الميدان السياسي من خلال التصويت، أو الاهتمام بالأمور والمعلومات السياسية، أو الانخراط والنضال ضمن جماعات سياسية، أو إبداء مواقف وآراء اتجاه قضايا سياسية، أو إجراء مناقشات حول قضايا تهم الشؤون العامة للمجتمع، هذا التعاطي مع الأمور السياسية يعطي مؤشرات لدرجة مشاركة الفرد في العمل السياسي.

إلا أن أفراد عينة الدراسة وبنسبة اقرب إلى الإجماع تعبر عن رفضها للمشاركة السياسية بكل مظاهرها، فمن المسئول عن هذا الرفض؟ خاصة إذا كنا نعلم أنه ترجم في العديد من المناسبات السياسية إلى فعل مقاطعة، ونسبة المشاركة في الانتخابات في تدني مستمر، وحتى نسبة الأوراق الملغاة من التصويت "الورقة البيضاء" نجدها تحتل المركز الثاني بعد الحزب الفائز في الكثير من المواعيد الانتخابية.

لا شك أن مسؤولية المقاطعة السياسية للشباب مشتركة تلقى على عاتق السياسيين بالدرجة الأولى، وعلى عاتق وسائل الإعلام ومختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي عجزت على إنتاج قيم تعزز روح المسؤولية في شبابنا والإقدام على الانخراط في العمل السياسي، كما أن العملية السياسية نفسها في الجزائر أنتجت قيماً لا تشجع على الانخراط فيها.

ويتجلى هذا الرفض للمشاركة السياسية في رفض أداء الواجب الانتخابي والتصويت عبر صناديق الاقتراع، إذ يرى نسبة 62% من أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين بأنهم لا يقومون بأداء واجبهم الانتخابي في كل مرة.

إنه لمن المحير؛ كيف لنخبة المجتمع أن يكون وعيها امتداد للوجود الاجتماعي وما ينتج من قيم حول العملية السياسية؛ امتداد للثقافة الاجتماعية السائدة لدى عامة الناس وتصوراتها للعمل السياسي، فيتبنى الطالب الجامعي مواقف ما لأن الجميع يتبنوها أو يراها كذلك، لقد كانت الجامعة والى وقت قريب منبع كل تغيير، ومحرك كل فعل اجتماعي، وما عيد الطالب المصادف لـ: 19 ماي إلا إحياء لذكرى الأسلاف من الطلبة الذين تركوا مقاعد الجامعة والتحقوا بثورة التحرير.

وجاءت استجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارة أرغب في الانخراط في المنظمات الطلابية بالرفض بنسبة 61% أنهم لا يرغبون في الانخراط بالمنظمات الطلابية، والمنظمات الطلابية تعد مدرسة في العمل النقابي والتكوين السياسي كون الطالب الجامعي يجد نفسه ينتمي إلى تنظيم معين له أهداف يريد تحقيقها، يتبنى قناعات معينة، ويتدرج في المناصب والمراكز حسب نشاطه وقدرته على إثبات ذاته.

غير أن العمل الطلابي يرفضه الكثير من الطلبة من عينة الدراسة ولهم أفكار وتصورات مشوهة عن المنظمات الطلابية، فبالنسبة لهم ومن خلال المقابلات التي أجريناها تعد المنظمات الطلابية أماكن للتجمع وقضاء وقت الفراغ، وأنها تستغل من طلبة انتهازيين يسعون إلى تحقيق مصالح شخصية، يسعون إلى توطيد علاقاتهم بالإدارة، مطالبهم أصبحت مفهومة ومستهلكة جدا، أنهم لا يسعون إلى نشر أفكار والدفاع عن قيم ومبادئ بقدر سعيهم إلى تكريس الوضع القائم والمحافظة عليه.

إن المنظمات الطلابية وفقا لهذا التصور قد وقعت فيما يسميه فرنسيس فوكوياما بالأسر التنظيمي، فعوض أن تقوم بالدفاع عن الطلبة والضغط على الإدارة الجامعية، أصبحت بدورها أداة في يد الإدارة التنظيمية للجامعة من أجل امتصاص غضب الطلبة وإضراباتهم.

إن الفاعلين من الطلبة الجامعيين في المنظمات الطلابية لا يختلفون عن الفاعلين السياسيين في مختلف الأحزاب السياسية، يسعون إلى تحقيق مصالح ضيقة، وكأنها عملية إعادة إنتاج للبنى الفوقية والتي تشكلت أساسا في البنى الذهنية.

يطول الحديث عن المنظمات الطلابية وما هو عليه الحال في الجامعة الجزائرية؛ فتحوّلت بعضها إلى لجان مساندة والبعض الآخر إلى تنظيم الحفلات والسهرات والرحلات، والعمل المناسباتي كما هو الحال لدى الأحزاب السياسية كما أنها تكاثرت وتعددت أسمائها وتوحدت نشاطاتها وتمتطت أعمالها. بل تضارب مصالحها ظهر في صراع وصل إلى حد العنف والضرب، عوض الحرص على تدعيم الحوار والسلوك الديمقراطي.

وربما هذا الوضع ذاته هو الذي جعل أغلب أفراد عينة الدراسة يرفضون الانضمام إلى العمل الطلابي والانتماء إلى منظمات لا تعبر عن انشغالاتهم وطموحاتهم. وبالعودة إلى الأحزاب السياسية فإن 67% من عينة الدراسة يرون أن الأحزاب السياسية لا تملك برامج جيدة، تسعى بالارتقاء بالمواطن وتحقيق الأهداف العليا للمجتمع، فالعمل المناسباتي جعلها أحزاب لا تظهر إلا مع المواعيد الانتخابية.

كما أن البرامج السياسية التي تحملها الأحزاب تعبر عن تصور عام لمستقبل الجزائر وكيفية الارتقاء به، فهل تعدد الأحزاب السياسية يعني تعددا في برامجها؟ وإن كانت تملك برامج فكيف نفسر سباتها الذي لا تغفو منه إلا في المناسبات الانتخابية؟ أين دور تلك الأحزاب في المعارضة ومساءلة الحكومة؟

ونشير إلى أن 67% من أفراد عينة الدراسة لا يتطلعون للوصول إلى مناصب سياسية مستقبلا، أي أنه ليس لهم طموح في المجال السياسي وبالتالي لا ينوون ممارسة السياسة أو الانخراط في أحزاب سياسية، بل يرون أن هناك مجالات أفضل لتحقيق ذواتهم بعيدا عن عالم السياسة والمشاكل التي تميزه.

أما عبارة السياسة لا تعينني إطلاقاً فقد وافق على مضمونها 52%، ومعنى لا تعينني أي لا أمارسها ولا أفكر في ممارستها، على الرغم من أن الفرد الجزائري مسكون بالسياسة ويتكلم في السياسة في كل مكان، إلا أن هناك قطيعة بين الاهتمام والفضول وروح النقد التي تظهر في النقاشات التي تخص الشأن العام والممارسة السياسية، قطيعة يتحمل السياسيون أنفسهم أسبابها ونتائجها. أما فيما يخص الأحداث السياسية العربية منها خاصة، فيرى نسبة 48% أن ثورات الربيع العربي هي من صنع الدول الغربية، وليست ناتجة عن وعي للشعوب العربية بحالها، أو كما فسرها بعض الإسلاميين بالنهضة الإسلامية.

لقد لمسنا تأثير المبحثين بما يحدث بالدول العربية خاصة تونس ومصر وسوريا وليبيا، ووعيمهم العميق بالتحديات التي ستواجه الجزائر مستقبلاً، لأنها ليست بمعزل عن ما يحدث عربياً، فحالة الحرب والفوضى والانقسام تلك من شأنها أن تؤثر في استقرار الجزائر، وعليه يرى المبحوثون أن الربيع العربي لن يمر من الجزائر لأن ما تعيشه الدول العربية الآن عاشته الجزائر في أكتوبر 1988. والعبارة الأخيرة من حيث درجات استجابة أفراد عينة الدراسة على محور القيم السياسية هي أميل إلى انتخاب الفرد الصالح ولا يهتمني الحزب الذي ينتمي إليه، فيرى 33% أنهم لا يهتمهم الحزب بقدر ما يهتم الفرد من يكون، والعملية الانتخابية في الجزائر مازالت مرتبطة بالجهوية والعلاقات القروية.

إذن من خلال استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بالمسيلة، يتبين بأن أغلب أفراد عينة الدراسة لا تعنيهم السياسة، ولا يريدون الانخراط في العملية السياسية، حتى أداء الواجب الانتخابي يلاقي نوعاً من الرفض، وهذا يعبر عن قطيعة بين السياسي والاجتماعي كون الطالب الجامعي يرى بأن صانعي القرار السياسي لا يضعون له اعتباراً ولا يعملون له حساباً، فيمتد هذا المفهوم لدى الطالب الجامعي ليشمل كل أنواع الاتجاهات السلبية نحو المجتمع عموماً والنظام السياسي خصوصاً.

ويلاحظ من العرض السالف لاستجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم السياسية، هناك أزمة في المشاركة السياسية للطالب الجامعي، بالرغم من اختلاف الاستجابات إلا أن هناك تشابهاً فيما بينها مما يؤكد الاتجاه العام السائد والرافض للعملية السياسية والانخراط فيها، لعدم الثقة في الانتخابات وبأهمية الصوت الانتخابي وضعف فاعلية الوسائط السياسية كالأسرة والمؤسسة الجامعية ووسائل الإعلام والأحزاب، فضلاً عن الانشغال بالدراسة الجامعية ومشاكل الحياة اليومية، وربما اللامبالاة والاعتقاد بعدم جدوى المشاركة السياسية.

رابعا. التباين في التوجهات القيمية بين الطلبة والطالبات وفقا لنتائج اختبار (ت)

الجدول رقم (20)

يوضح الفروق في القيم لدى أفراد عينة الدراسة من الجنسين

القيم	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	اختبار (ت)	مستوى الدلالة *
القيم الاقتصادية	ذكور	33,48	2,65	2,75	دالة**
	إناث	28,88	7,55		
القيم الأسرية	ذكور	26,90	0,60	0,24	غير دالة
	إناث	29,23	3,97		
القيم الدينية	ذكور	27,90	0,58	0,33	غير دالة
	إناث	27,55	4,55		
القيم التعليمية	ذكور	25,75	2,58	3,11	دالة**
	إناث	33,45	0,55		
القيم السياسية	ذكور	25,03	6,75	0,22	غير دالة
	إناث	25,66	3,4		

* دالة عند مستوى 0,05

يتبين من خلال الجدول رقم (20) والذي بين توزيع المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وقيمة (ت) ومستوى الدلالة على القيم الخمس لكل من الطلبة والطالبات من عينة الدراسة، أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية فيما يتعلق بالقيمة الاقتصادية والقيمة التعليمية، حيث تفوق الطلبة على الطالبات في القيمة الاقتصادية؛ إذ جاء المتوسط الحسابي لهذه القيمة عند الطلبة 33,48 وبانحراف معياري قدر بـ 2,65 في حين نجد المتوسط الحسابي لنفس القيمة عند الطالبات أنه يساوي 28,88 وبانحراف معياري يساوي 7,55 درجة.

وهي تحتل الصدارة ضمن السلم القيمي للطلبة الجامعيين من حيث أهميتها النسبية من بين القيم الخمس، وهنا نشير إلى تراجع القيم الدينية والأسرية والتعليمية، وهذه دلالة على التغير القيمي الذي يشهده المجتمع الجزائري ضمن أهم فئة اجتماعية تمثل الشباب الجامعي المثقف، وفي هذا تراجع لدور مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية في تنمية وغرس القيم الأخلاقية والروحية في نفوس أبنائها، لصالح مؤسسات أخرى أصبحت تمثل شريكا تربويا يحتل يوما بعد يوم مساحات إضافية كلما تراجع دور الأسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية، كما أنه ناتج ربما عن ظاهرة التدخين التي عرفت انتعاشا في بداية التسعينات وتراجعا بفعل الأزمة التي مر بها المجتمع الجزائري.

غير أن القيم الأسرية ومن خلال قيمة (ت) الموضحة في الجدول أعلاه يتبين أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات في هذا المحور، إذ بلغ المتوسط الحسابي عند الذكور 26,90 وبانحراف معياري قدره 0,60 درجة. في حين بلغ المتوسط الحسابي عند الطالبات 29,23 وبانحراف معياري قدره 3,97 درجة، وبلغت قيمة (ت) بالنسبة للقيمة الأسرية (0,24)، وعليه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث حول هذه القيمة، وهكذا يتضح مدى تمسك الطلبة والطالبات من عينة الدراسة بالقيم الأسرية وما تعنيه لهم، على اعتبار أن الأسرة تبقى المرجعية الأساسية للأبناء في مختلف المراحل العمرية، من أجل الاستشارة واتخاذ القرار واللجوء إليها وقت الحاجة، كما أنه هناك التزام مادي من قبل أسر المبحوثين نحو أبنائهم من الطلبة الجامعيين.

وفيما يتعلق بالقيمة الدينية فنلاحظ من خلال الجدول عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الطلبة والطالبات في استجاباتهم إزاء هذا المحور، حيث بلغ المتوسط الحسابي عند الطلبة الذكور 27,90 وبانحراف معياري قدره 0,58 درجة، في حين بلغ المتوسط الحسابي لدى الطالبات 27,55 وبانحراف معياري قدره 4,55 درجة ونشير هنا إلى أن هذه القيمة قد نالت تقريبا نفس التقدير والاهتمام من كلا الجنسين.

وعليه فإن القيم الدينية هي قيم روحية وعقائدية تكتسي صفة الإلزامية، أي أنها تعتبر من القيم الإلزامية¹، غير أن هناك عوامل عديدة تؤثر في النسق القيمي للفرد والمجتمع، كالثقافة والتقاليد والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، والجنس والمهنة والمستوى التعليمي، كما أن الفرد يكشف عن قيمه انطلاقاً من الأسرة والمدرسة والجامعة وغيرها.

وفي هذا يرى بارسونز أن دور الجامعة لا يتجاوز دور الأسرة والمدرسة بل يكمله، فالجامعة تمثل النخبة المثقفة التي يعول عليها في استمرارية الحضارة الثقافية وتسيير عجلة التنمية وإدامة تطور المجتمع، إذن ورغم تراجع القيم الدينية على السلم القيمي للطلبة الجامعيين إلا أنه يمكن اعتبار المبحوثين ومن ثم الشباب الجامعي على درجة كبيرة من التمسك بقيمه الدينية، رغم ما يقال بأن شباب اليوم ابتعد عن الدين أو تأثر بمختلف المؤثرات الخارجية وثقافة العولمة.

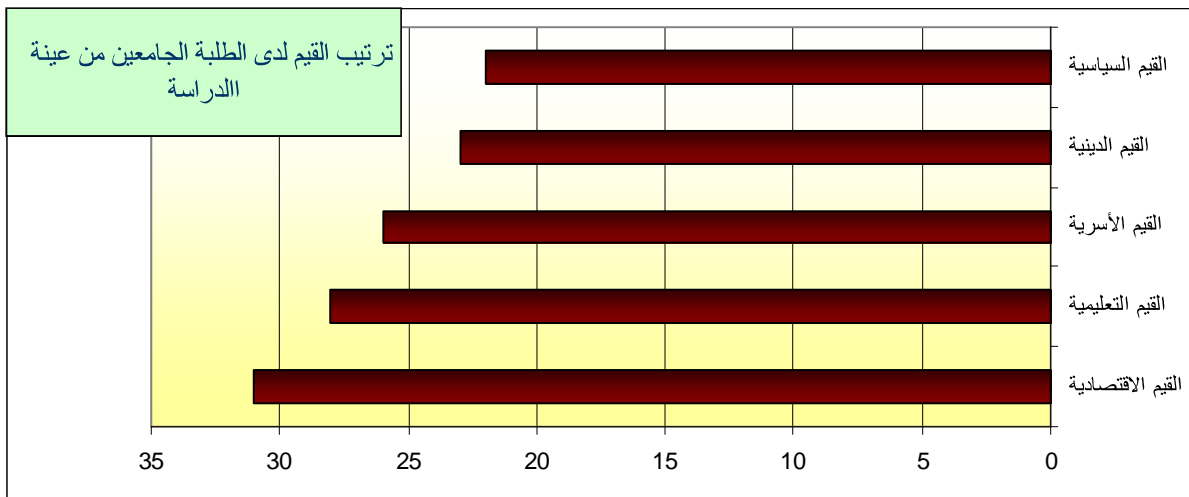
¹ - نبيل صالح: مرجع سبق ذكره، ص 38.

وبالنسبة للقيمة التعليمية فيوضح الجدول من خلال قيمة (ت) أن هناك فروقا بين الجنسين لصالح الإناث في القيم التعليمية حيث يتفوق الإناث في تأكيد القيم التعليمية وبلغ المتوسط الحسابي للإناث 33,45 وبانحراف معياري قدره 0,55، في حين جاء المتوسط الحسابي للذكور على محور القيم التعليمية 25,75 وبانحراف معياري بلغت درجته 2,58.

تأتي القيم السياسية بأقل درجات استجابة من الجنسين حيث بلغ المتوسط الحسابي لدى الذكور 25,03 وبانحراف معياري قدره 6,75، أما بالنسبة للطالبات فقد بلغ المتوسط الحسابي 25,66 وبانحراف معياري قدره 3,4 درجة، كما أن قيمة (ت) بلغت 0,22 وهي غير دالة إحصائياً، وعلى الرغم من أن بعض الدراسات تؤكد على ميل الذكور أكثر من الإناث إلى المشاركة السياسية والتطلع إلى المناصب السياسية، إلا أن الدراسة الحالية تؤكد أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث فيما يتعلق بالقيمة السياسية، وفي هذا تأكيد على ضعف الميل إلى المشاركة السياسية، وعلى الشعور بالرفض اتجاه ما هو سياسي من الجنسين، كالمقاطعة والممانعة وعدم التصويت أو الانخراط.

خامساً - ترتيب القيم حسب استجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين:

الشكل رقم (01) يوضح ترتيب القيم لدى أفراد عينة الدراسة من الجنسين



لا شك أن المجتمع الجزائري مر خلال السنوات الأخيرة بمرحلة تغير على نطاق واسع ، يبدو هذا في التغيير الذي حدث على المحيط والإمكانيات ونمط معيشة الأفراد. وطال هذا التغير النسق الثقافي، فتقافة المجتمع ليست محصنة ضد التغير والتبدل. لكن يلاحظ أن حجم وسرعة التغير في الجوانب المختلفة للثقافة ليست واحدة، وأن استجابات الأفراد للتغير ليست متساوية، فحين يقبل بعض أعضاء نفس المجتمع على القيم الجديدة، يحرص آخرون على التمسك بالقيم القديمة، بينما يميل البعض الآخر إلى الخلط بين الجديد والقديم. بحيث تنعكس هذه الاختلافات على أنماط السلوك.

وبيتين من الشكل رقم (01) ترتيب القيم حسب متوسطها الحسابي لدى أفراد عينة الدراسة من الجنسين؛ حيث حقق محور القيم الاقتصادية أعلى درجات استجابة من قبل المبحوثين من الطلبة والطالبات المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة، واحتلت بذلك القيم الاقتصادية المرتبة الأولى، وتأتي القيم التعليمية في المرتبة الثانية وعلى الرغم من تأكيد أفراد عينة الدراسة على أهمية التعليم الجامعي، لكن سيادة الاتجاه المادي، والتشاؤم من الواقع الذي آلت إليه الشهادة الجامعية حسبيهم، وأعداد الخريجين ومعدلات البطالة كلها أثرت في قيمهم التعليمية ونظرتهم للشهادة الجامعية والفائدة المرجوة من التعليم الجامعي.

وتأتي في المرتبة الثالثة القيم الأسرية بما تضمنه المحور من مؤشرات تتعلق باتخاذ القرار داخل الأسرة والاختيار للزواج وطاعة الوالدين، وفي المرتبة الرابعة تأتي القيم الدينية على الرغم من أن بعض الدراسات السابقة تؤكد على سيادة الاتجاه الديني لدى الطلبة الجامعيين* لكن تراجعت القيم الدينية في الدراسة الحالية.

وتأتي القيم السياسية في المقام الأخير من حيث ترتيب القيم لدى الطلبة الجامعيين، حيث توصلت الدراسة إلى عزوف الطلبة الجامعيين عن المشاركة السياسية بمختلف أشكالها وصورها، والرفض القائل للانخراط في العملية السياسية، وهي قيم تعكس الواقع المتأزم للسياسي وعلاقته بالاجتماعي في المجتمع الجزائري.

من الواضح إقبال الشباب الجامعي من عينة الدراسة على القيم المادية والذي جاء نتيجة للاستفادة من مختلف مقومات الحياة الحديثة. حيث اقتنت الأسر الجزائرية المنتجات الصناعية الحديثة، وتعودوا في شيء من السرعة على التعامل مع الكثير منها. واقترن هذا النشاط

* انظر دراسة الطاهر محمد بوشلوش : التحولات الاجتماعية والاقتصادية وآثارها على القيم في المجتمع الجزائري.

بانتشار واسع للتعليم، وبارتفاع مستوى الخدمات الصحية والسكنية، والتوسع في مشاريع الزراعة والصناعة، وتطوير قطاع الاتصالات والمواصلات.

وقاد هذا إلى تقدم مكانة القيم المادية، وإلى ارتفاع مستوى الطموحات، والرغبة الشديدة لتحقيق النجاح المادي. بالطبع أدى هذا إلى ظهور قيم جديدة، وتحويل قيم قديمة، للتعامل مع أنماط سلوكية جديدة. ويتوقع كما حدث في مجتمعات أخرى –

أن تكون سرعة التغير في مجال القيم أكبر من مقدرة بعض أعضاء المجتمع على التكيف مع ما قد يشار إليه بنظام حياة جديدة.

وبعبارة أخرى قد يفشل بعض أعضاء المجتمع في مسايرة نمط التغير في نسق القيم. إذ لا يستجيب الجميع لتغير القيم بنفس الكيفية، بل أن البعض يحاول التماهي في التمسك بالقديم، بينما تلجأ الغالبية إلى خلط القديم بالجديد، وقد يقود كل هذا إلى أن يفشل البعض في التعرف على القيم المناسبة، وهنا تضطرب الأمور، وتظهر على السطح أشكال كثيرة من أنماط السلوك، التي تبدو وكأنها صادرة عن حالة من حالات الارتباك والاضطراب في التمييز بين المشروع والممنوع. وقد يلجأ البعض إلى ممارسة كل ما يرونه كفيلاً بتحقيق طموحاتهم وأهدافهم، دون التفكير كثيراً فيما إذا كان هذا يتعارض والقيم التي كانت سائدة وتلك التي تحض على حسن الخلق

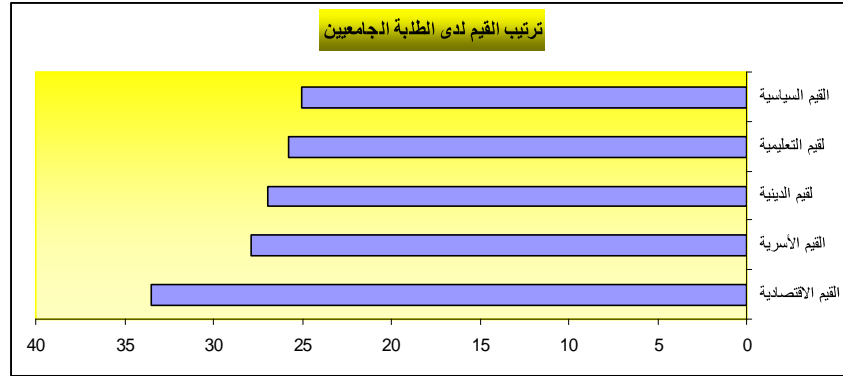
وقد حاولت أكثر من دراسة التحقق من هذا الفرض العام الذي تمت ترجمته بطرق متعددة ومن بينها تلك التي سلطت الضوء على نمط من السلوك المنحرف أخذ في الانتشار أخيراً بحيث صار يهدد العملية التعليمية ونقص به الغش في الامتحانات، فهذا النوع من أنماط السلوك عرف في أكثر من مجتمع وخلال أكثر من زمن، وقد اهتم بدراسته عدد كبير من الباحثين الذين حاولوا الربط بين نمط السلوك هذا وعدد من العوامل الذاتية للطلاب.

لقد صار خلال السنوات الأخيرة التأكيد أكثر من اللازم على النجاح المادي، وصاحبت هذا التأكيد حملة إعلامية واسعة النطاق، تقلل من شأن الكثير من القيم والمعايير المتعارف عليها بحيث وصفت بالتقليدية والرجعية، واتهمت بعرقلتها لحركة وتطور المجتمع، مما أدى إلى حدوث غموض عند الكثيرين بحيث أصبح التمييز بين المستحب والمستهج، المقبول والمنبوذ أمراً غير واضح، وانتشرت ميكانيزمات تبرير الكثير من الأخطاء والكثير من مظاهر الانحراف بين مختلف شرائح المجتمع.

سادسا: ترتيب القيم حسب الجنس من عينة الدراسة:

أ- عند الطلبة

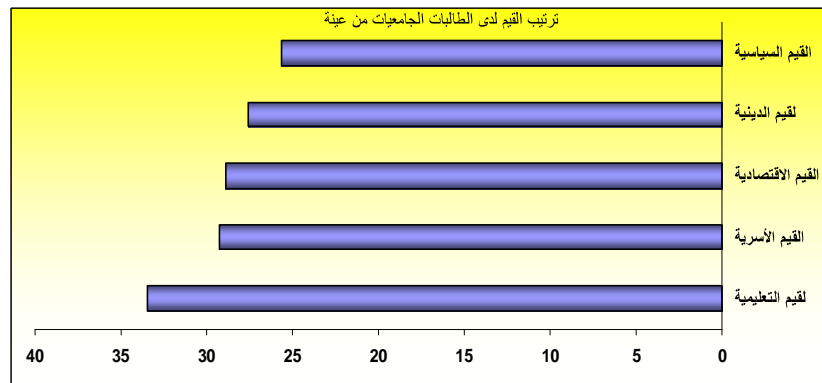
الشكل رقم (02): يوضح ترتيب القيم لدى الذكور



يتبين من خلال الشكل رقم (02) والذي يوضح ترتيب القيم عند الطلبة الجامعيين حسب أعلى درجات الاستجابة إزاء كل محور من المحاور الخمس لمقياس القيم، أن القيمة الاقتصادية احتلت الصدارة وتليها القيمة الأسرية، ثم القيم الدينية، وفي المرتبة الرابعة تأتي القيم التعليمية وفي المرتبة الخامسة تأتي القيم السياسية.

ب- عند الطالبات

الشكل رقم (03): يوضح ترتيب القيم لدى الإناث



يتبين من خلال الشكل رقم (03) والذي يوضح ترتيب القيم عند الطالبات الجامعيات حسب أعلى درجات الاستجابة إزاء كل محور من المحاور الخمس لمقياس القيم، أن القيمة التعليمية احتلت الصدارة وتليها القيمة الأسرية، ثم القيم الاقتصادية، وفي المرتبة الرابعة تأتي القيم الدينية وفي المرتبة الخامسة تأتي القيم السياسية.

خلاصة:

لقد عرضنا في هذا الفصل بالتحليل والتفسير للبيانات الشخصية لأفراد عينة الدراسة، محاولة منا للتعرف على الخصائص السوسيوديمغرافية لأفراد عينة الدراسة، ثم عرضنا لتحليل استجابات أفراد عينة الدراسة على محاور مقياس التغير القيمي، وتبين بصورة جلية التغير القيمي الذي مسّ نسق القيم للطلبة الجامعيين، على مستوى القيم الأسرية والسياسية والتعليمية وبدرجة اكسر القيم الاقتصادية وطغيان النزعة المادية التي ميّزت هذا النسق، وبدرجة أقل على مستوى القيم الدينية.

من الواضح إقبال الشباب الجامعي من عينة الدراسة على القيم المادية والذي جاء نتيجة للاستفادة من مختلف مقومات الحياة الحديثة. حيث اقتنت الأسر الجزائرية المنتجات الصناعية الحديثة، وتعودوا في شيء من السرعة على التعامل مع الكثير منها. واقترن هذا النشاط بانتشار واسع للتعليم، وارتفاع مستوى الخدمات الصحية والسكنية، والتوسع في مشاريع الزراعة والصناعة، وتطوير قطاع الاتصالات والمواصلات.

الفصل السابع: عرض ومناقشة نتائج الدراسة

عرض ومناقشة نتائج الدراسة

أولاً. عرض ومناقشة نتائج فرضيات الدراسة

1. عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الأولى
 2. عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الثانية
 3. عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الثالثة
 4. عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الرابعة
 5. عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الخامسة
- ثانياً. عرض ومناقشة الفرضية العامة للدراسة

ثالثاً. النتائج العامة للدراسة

رابعاً. توصيات الدراسة

خاتمة

أولاً. عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

1- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الفرعية الأولى: والتي مفادها:

توجد علاقة بين التغير في نسق القيم لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعنى لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب.

1.1. مناقشة محور اللامعنى:

يعد التكيف مع الحياة الجامعية مطلباً أساسياً لنجاح الطلبة واستمرارهم بالدراسة لاسيما أن التكيف مع الوسط الجامعي يعد مؤشراً على تكيفهم العام، أما سوء التكيف فيدل على أن هناك حاجات غير مشبعة لدى الطلبة داخل البيئة الجامعية مما ينعكس أثره على تدني الأداء أثناء فترة التعلم وما بعدها¹.

ويواجه الطلبة في حياتهم الجامعية مشكلات تسهم في إعاقة تكيفهم وتحد من تحقيق أهداف الجامعة في بناء الطلبة علمياً والإسهام في نمو شخصياتهم، خاصة فيما تعلق بالجدوى من الجامعة وما يمكن أن يحققه الفرد بعد نهاية هذه المرحلة، وقيمة الشهادة التي يتوج بها مساره الجامعي، هل حقيقة تؤهله لتحقيق طموحاته وأهدافه المستقبلية؟ أم أنها لا معنى لها في ظل كثرة حاملي الشهادات وقلة فرص العمل؟

ونقصد باللامعنى أن الفرد لا يستطيع التنبؤ بنتائج أفعاله المستقبلية، وجدوى ما يقوم به في الحاضر، لا طموح له ولا أمل يحذوه من خلال ما يفعله، وبالتالي فإن الحياة أو الجامعة - كمرحلة - لا معنى لها وتفقد مسوغات استمرارها في نظره، وينجم مثل هذا الشعور عن تعرض الفرد لحالات الإحباط خاصة تلك الناجمة عن التأثير بنماذج اجتماعية معينة، وعدم إشباع الحاجات المختلفة النفسية والجسدية والاجتماعية والمادية، خاصة وأن أفراد عينة الدراسة في مرحلة عمرية حساسة جداً، فاللامعنى مرتبط بعدم قدرة الفرد على إيجاد أهداف محددة وتوجيه سلوكه نحوها، لأنه لا يستطيع فهم وتفسير المعايير التي توجه تصرفات المسؤولين في المجتمع. كيفية وطرق التوظيف مثلاً، القيمة الاجتماعية للنجاح في المسار الدراسي مقارنة بالنجاح المادي. وسنناقش من خلال هذا المحور أهم القضايا التي تشغل الطلبة الجامعيين في الوسط الجامعي بصفة عامة، وكيف ينظرون إليها ومستوى اللامعنى لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب، والقيم التي تدخل في توجيه سلوكياتهم، وجاءت استجاباتهم إزاء هذا المحور كالتالي:

¹ - محمد جعفر الليل: دراسة بعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي لطلاب وطالبات جامعة الملك فيصل (بحث منشور في المجلة العربية للتربية، المجلد (13)، العدد (1)، يونيو 1993) ص188.

الجدول رقم (20) يوضح
استجابات الطلبة والطالبات على محور اللامعنى

لا ادري				لا اوافق				اوافق				مباراة تقديس مظاهر الانتماء	
%	ثكور	%	إناث	%	ثكور	%	إناث	%	ثكور	%	إناث	محور الالامعنىلدى الإناءك و الخصور	
23	47	47	88	52	107	28	87	24	49	25	77	أنا متأكد أن حياتي لا هدف فيها	01
16	33	47	88	54	110	29	90	29	59	23	71	الجامعة تؤهلني لما أحب أن أعمله في المستقبل	02
14	29	19	59	24	49	23	71	62	126	58	180	الحياة في الجامعة مضطربة للوقت فهي مملة وروتينية	03
13	26	52	161	35	37	18	56	52	107	30	93	ليس لدي أفكار يمكنني الاعتماد عليها مستقبلا	04
03	06	49	152	21	45	22	68	75	153	29	92	تمنيت لو لم أكن موجودا في الجامعة أصلا	05
02	04	41	127	36	49	24	74	61	124	35	108	لا يهمني شيء في الحياة الوسط الجامعي	06
09	18	31	96	29	57	28	87	62	126	40	124	لا اعرف لماذا أنا على هذا الحال وهل يمكن أن تتغير حياتي للأحسن.	07
06	12	14	43	22	61	30	93	73	149	57	177	لا يوجد ما يستهويني في الجامعة	08
18	33	43	133	24	49	22	68	59	120	35	109	لو اتجهت إلى الحياة العملية لكان خيرا لي من الجامعة	09
05	10	28	87	31	51	25	77	64	130	46	143	النجاح والفشل سواء بالنسبة لي ما دمت في النهاية أصبح بطالا	10
514												المجموع	

نلاحظ من خلال بيانات الجدول رقم (20) أن استجابات أفراد عينة الدراسة جاءت متقاربة وتثير استجاباتهم حول القضايا التي تشغلهم في الحياة الجامعية افتقادهم للوعي بوجودهم والهدف الذي يسعون الى تحقيقه بدقة.

وفيما يتعلق بالاستجابة حول العبارة "أنا متأكد أن حياتي لا هدف فيها" إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 24% من الذكور ونسبة 25% من الإناث، وهي نسبة معتبرة كون التعبير عن مرحلة عمرية كالتي يمر بها أفراد عينة الدراسة بأنها لا هدف فيها، وهي أساسا تتميز بالطموح والاندفاع الى تحقيق الأهداف والحلم بمستقبل أفضل، إن رأي المبحوثين في انعدام الهدف لديهم يدل على انعدام المعنى فيما يقومون به، فيما يسعون إليه، إنها نظرة متشائمة للواقع الذي لا يأملون في تحقيق ذواتهم وأهدافهم من خلاله، كون ما هو متاح لهم لا يتوافق مع ما يوفره المجتمع من فرص.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 52% من الذكور ونسبة 28% من الإناث، ولا شك أن نسبة الذكور تتجاوز النصف ممن يرون أن لهم أهدافا في الحياة يسعون الى تحقيقها، وبالتالي فان الجامعة مرحلة مهمة يستطيعون من خلالها الحصول على مؤهلات تضمن لهم تحقيق طموحاتهم. وهو شعور نابع من إدراك حقيقة اجتماعية مهمة وهي أن الفرد لا بد له من شهادة أو مؤهل معين كي يقتحم الحياة العملية وسوق العمل.

كما أن نسبة 47% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة. وهذا الاتجاه السلبي من طرف الإناث؛ من حيث عدم التعبير عن الرأي يفسر في اتجاه أنهم لا يملكون أهدافا أو لم يستقروا على أفكار معينة يمكن من خلالها التأسيس لنظرة مستقبلية، كون أن المستقبل يبدو غامضا لديهم، وهي نسبة كبيرة بدورها تبرز مظهرا من مظاهر الاغتراب وهو اللامعنى بين أفراد عينة الدراسة من الإناث.

أما فيما يخص عبارة "الجامعة تؤهلني لما أحب أن أعمله في المستقبل" يوافق على محتوى العبارة نسبة 29% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، فهم يرون أن المؤهل العلمي ضروري لتحقيق أهدافهم وأن سوق العمل أصبح مرتبطا بمستوى تأهيل الأفراد، ونوعية الشهادات التي يحصلون عليها، وبذلك تعد الجامعة من بين أهم المؤسسات التي تسهر على تكوين الأفراد وتزويدهم بالمعارف والخبرات التي تتوج في النهاية بشهادة جامعية.

لكن رغم هذا فالنسبة المذكورة أعلاه لا تعبر عن ما تبذله الجامعة وما يتطلع إليه القائلون عليها، وإلا كيف نفسر النسب التالية ممن لا يوافقون على مضمون العبارة نسبة 54% من الذكور ونسبة 29% من الإناث، وهي نسب عالية خاصة بين الذكور الذين يرون انه من المهم

الحصول على شهادة جامعية لكن هذا لا يعني أن الشهادة تؤهلهم بالضرورة الى العمل الذي يرغبونه أو تحقيق طموحاتهم وأحلامهم، وكما رأينا في محور القيم التعليمية انه في وقتنا الحالي من الضروري الحصول على شهادة جامعية إذ يقر 81% انه من الضروري الحصول على شهادة جامعية، كون الشهادة الجامعية تتوج مراحل دراسية متعاقبة بالنجاح، وتؤهل الفرد الى التخصص في مجال معين كما تؤهله في التوجه الى الحياة العملية وهو مؤهل على درجة عالية، ونشير الى التعديلات التي طرأت على القوانين التي تنظم الوظيفة العمومية في الجزائر والتي تعلي من شأن الشهادة الجامعية وتضمنها، كما أصبحت الأجور محددة حسب درجة الشهادة العلمية.

ويمكن أن نورد ما توصلنا إليه في محور القيم التعليمية عبارة أصبحت الشهادة الجامعية لا معنى لها حاليا فيرى 58% أنهم يرون أن الشهادة الجامعية لا قيمة لها طالما أنها لا تضمن وظيفة؛ أي أن التعليم الجامعي غير مرتبط بالتوظيف أو سوق العمل، غير أن سؤالاً ملحا يلوح في الأفق: ألا يعد تناقضا أن يرى غالبية أفراد عينة الدراسة انه من الضروري الحصول على شهادة جامعية وفي نفس الوقت يسعون الى استكمال الدراسات العليا، وفي نفس الوقت يرون أن الشهادة الجامعية لا قيمة لها؟

أما عن رؤية أفراد عينة الدراسة لطبيعة الحياة الجامعية وتصورهم لها فإن عبارة "الحياة في الجامعة مضيفة للوقت فهي مملة وروتينية" ويوافق على محتوى العبارة نسبة 62% من الذكور ونسبة 58% من الإناث، وعليه تتقارب الاستجابات من حيث شدتها ونظرتها السلبية للحياة الجامعية بين الجنسين، ويمكن تفسير هذا بقلة الاعتبار الاجتماعي للطالب الجامعي ونظرته الدونية للشهادة الجامعية من جهة، وكون الاقامات الجامعية على ما تصرفه من أموال وما توفره من إمكانيات تبقى بعيدة عن ما يطمح إليه الطالب الجامعي، فنجد الاقامات الجامعية ينتشر فيها من المظاهر والسلوكيات ما يتنافى مع الهدف الذي أسست من أجله، كما أن ما توصلنا إليه من خلال مناقشة محور القيم التعليمية من أن أفراد عينة الدراسة لا يميلون الى ممارسة النشاطات الرياضية والثقافية التي تتوفر عليها الاقامات الجامعية ولا يشاركون فيها وبالتالي فالحياة الجامعية وكأنها امتداد للحياة العائلية مدة يقضيها الطالب ريث نيله للشهادة الجامعية، وبهذا تتحول الى روتين يومي وملل بالنسبة للطالب المقيم.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 23% من الذكور ونسبة 22% من الإناث، وعلى قلة الأفراد من عينة الدراسة الذين يرون أن الحياة الجامعية مرحلة مهمة وممتعة ويمكن أن يستفيد منها الطالب باعتبارها تتيح قدرا من الحرية للإبداع وتفجير الطاقة سواء في المجال الرياضي أو

الثقافي كالمسرح والغناء وتنظيم الرحلات أو ممارسة العمل النقابي الطلابي، أو الاحتكاك بين الطلبة في مختلف الجامعات.

كما وضّح عدد من أفراد عينة الدراسة أن ما توفره الاقامات الجامعية من نشاطات لا يكون طوال السنة بل هو مناسباتي في أغلب الأحيان، كأن نجد قاعة انترنت على مستوى الإقامة في حالة يرثى لها وأجهزة الإعلام الآلي معطلة، أو المرشاة غير صالحة فكيف نتكلم عن النشاط الرياضي في الوسط الجامعي دون توفير أدنى الشروط لقيامه، لكن هذا الوضع لا يعكس حالة كل الاقامات ولا يعكس تقصير الإدارة بل هناك جزء من المسؤولية يتحمله الطالب الجامعي، لأننا لاحظنا مع انطلاقة كل موسم جامعي نجد كافة المرافق مهيأة وصالحة للاستعمال، لكن سرعان ما تصبح تالفة.

أما عبارة "ليس لدي أفكار يمكنني الاعتماد عليها مستقبلا" يوافق على محتواها نسبة 52% من الذكور ونسبة 30% من الإناث، وتعكس استجابات المبحوثين على هذه العبارة أن الدراسة في الجامعة ليست اختيارا بقدر ما هي ضرورة ملحة، يملئها النظام الاجتماعي القائم في المجتمع الجزائري إذ تعد الشهادة الجامعية مطلبا أساسيا لكل فرد، وهي التي تمكن الطالب من بدء حياته والبحث عن عمل وبداية السعي الى تحقيق الذات، وبالتالي يرى أكثر من نصف الذكور من أفراد عينة الدراسة انه ليست لديهم أفكار يمكنهم الاعتماد عليها في مستقبلهم وأن الشهادة الجامعية هي جل ما يعتمدون عليه مستقبلا. على اعتبار أنه لا توجد خيارات أخرى خاصة في ظل البطالة وقلة المناصب وعدم تناسب سوق العمل مع مخرجات الجامعة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 34% من الذكور ونسبة 17% من الإناث، كما أن نسبة 52% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة. وكما أسلفنا فان عدم إبداء الرأي والاستجابة إزاء عبارة معينة يدل لا محالة على الاتجاه السلبي إزاءها.

وفي إطار اتجاهات الطلبة الجامعيين حول الوسط الجامعي وتصوراتهم له جاءت عبارة "تمنيت لو لم أكن موجودا في الجامعة أصلا" ويوافق على محتوى العبارة نسبة 75% من الذكور ونسبة 30% من الإناث، إن أقل ما نلاحظه على استجابات الذكور أنها مرتفعة جدا وتعكس عدم رضاهم على الانتماء الى الجامعة أو جدوى هذا الانتماء، كون القيم المادية تسيطر على النظام الاجتماعي وتتحكم في العلاقات السائدة فيه، وأيضا الاعتقاد السائد لدى الطالب الجامعي في تحقيق ذاته ينطلق من ما هو مادي، وهذا ما توصلنا إليه في مناقشة القيم الاقتصادية "بالمال تحقق كل شيء"، كما أننا من خلال المقابلات وجدنا أن الكثير من الطلبة الجامعيين وكأنهم يساءلون في حياتهم اليومية وضعهم الأسري وانتمائهم الطبقي، أنهم يقارنون أنفسهم بزملاء لهم

لم يوفقوا في دخول الجامعة لكنهم نجحوا على المستوى الاجتماعي في الحصول على وظائف أو في امتحان حرف أو مهن جعلتهم يحققون نوعا من النجاح إن صح التعبير (امتلاك سيارة أو سكن...)، في حين يبقى الطالب الجامعي يسعى للحصول على شهادة لا يدري إن كانت تؤهله لتحقيق ما هو مطلوب منه اجتماعيا.

إن معاناة الأفراد من اللامعنى في ظل النظام الرأسمالي جعلتهم يفقدون الاهتمام بعضويتهم في المجتمع التقليدي، ويلجئون إلى واقع بديل لهذا المجتمع، ويتفق هذا الاتجاه مع ما ذهب إليه نسيبت (nesbet) الذي نظر إلى حالة الاغتراب على أنه ليس الحالة التي يشعر فيها الفرد بأنه ليس جزءا من النظام الاجتماعي، بل يفقد أيضا الاهتمام بأن يكون عضوا فيه.¹

غير انه لا يوافق على مضمونها نسبة 20% من الذكور ونسبة 22% من الإناث، وهي استجابات متقاربة بين الجنسين خاصة وان الرغبة لدى الكثير من أفراد عينة الدراسة في مواصلة الدراسات العليا وتتويج مساهمهم التعليمي بشهادات عليا عبر عنها الكثيرون من أفراد عينة الدراسة، وبالتالي من المهم جدا التجاوب مع الوسط الجامعي والتعامل مع المرحلة بايجابية، كما أن نسبة 49% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة. وهن يعبرن عن عدم وضوح الرؤية والهدف لديهن من الجامعة كمرحلة، لان عدم التعبير عن الرأي إزاء هذه العبارة يبرر عدم تحديد معنى واضح لدى الطالب من الوجود في الجامعة.

كما أن عبارة " لا يهمني أي شيء في الوسط الجامعي" يوافق على محتواها نسبة 61% من الذكور ونسبة 35% من الإناث، وهي نسب تفسر حالة اللامبالاة وعدم الاهتمام التي يشعر بها أفراد عينة الدراسة خاصة من الذكور، وبيّنا سابقا في محور القيم الأسرية بأنه عادة ما يشعر أفراد عينة الدراسة أنهم قريبون من أسرهم أكثر حينما يكونون في الإقامة الجامعية.

كما أن ارتباط أفراد عينة الدراسة بأسرهم يرجع لعدم الاستقلالية المادية حيث نجد أن اغلب أفراد عينة الدراسة لا يمارسون أعمالا تتيح لهم الاستقلالية المادية عن أسرهم ومنه الحرية في اتخاذ القرار، أو تدبير أمورهم من دون الرجوع الى أسرهم، كما أن طبيعة التنشئة الاجتماعية لأفراد عينة الدراسة خاصة الذين ينحدرون من أوساط ريفية لا تساعدهم على التكيف مع الحياة الجامعية، إذ لاحظنا انه في نهاية الأسبوع تكون الاقامات خالية من المقيمين وتتقص أعدادهم مقارنة بأيام الأسبوع الأخرى.

¹ - المرجع السابق، ص68

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 36% من الذكور ونسبة 24% من الإناث، وهي نسب تعكس اهتمامات متنوعة لأفراد عينة الدراسة هذه الاهتمامات عادة ما تكون خارج الدراسة كممارسة بعض النشاطات الثقافية والرياضية التي توفرها الجامعة، أو الانخراط في النوادي والمنظمات الطلابية، والمشاركة في المسابقات العلمية والأدبية أو الأنشطة الترفيهية، كما أن نسبة 40% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

وفي سؤالنا للمبحوثين "لا اعرف لماذا أنا على هذا الحال وهل يمكن أن تتغير حياتي للأحسن" تبين أنه يوافق على محتوى العبارة نسبة 62% من الذكور ونسبة 40% من الإناث، وما يلاحظ هو درجات الاستجابة العالية للمبحوثين إزاء العبارة خاصة من الذكور، إنهم ليسوا راضين عن حالهم، عن أوضاعهم، لا يوجد ما يبعث على الارتياح في حاضرهم أو ما يطمئنهم على المستقبل، فالأوضاع في الاقامات الجامعية لا تبعث على الارتياح ولا تحقق لهم رغباتهم ولا تشبع حاجياتهم، كما أن الدراسة الجامعية وما تتطلبه حسبهم تبقى محصورة في المحاضرة والتطبيق؛ وبالتالي يرون أن تحسين مستواهم لا يتحقق في ظل الطوابير التي تميز الحياة في الوسط الجامعي، طوابير المكتبة، المطعم، قاعات الانترنت معطلة أو مشغولة كل الوقت، ومن جهة أخرى أن عدم استقلاليتهم المادية تجعلهم لا يتمتعون بالحياة في الوسط الجامعي ولا يعيشون كما يرغبون، كون أن أغلبهم مرتبطون ماديا بأسرهم، وهذا كله يجعلهم يعيشون ضغطا نفسيا خاصة وان ما توصلنا إليه في محور القيم الاقتصادية نسبة 51% من المبحوثين يرون أن عصرنا مادي ويتطلب كسب المال بأي طريقة.

ولتحقيق الأفضل وإشباع الحاجات المتزايدة للأفراد والأسر يرى 51% من المبحوثين انه تتطلب الحياة المعاصرة أن يمارس الشخص أعمالا إضافية، خاصة مع انفتاح الجزائر على اقتصاد السوق حيث ظهرت مهن جديدة تتطلب من الفرد أن يتقن أبعدياتها فقط، كالسمسة في العقارات والسيارات وغيرها.

بينما لا يوافق على مضمون العبارة نسبة 28% من الذكور ونسبة 29% من الإناث، إذ يرون إن الجامعة ما هي إلا مرحلة تكوين وإعداد للمستقبل على الطالب أن يستغلها لتكوين شخصيته والحصول على الشهادة وتحسين مستواه.

وعن عبارة "لا يوجد ما يستهويني في الجامعة" يوافق على محتوى العبارة نسبة 73% من الذكور ونسبة 56% من الإناث، إنها نسبة استجابات عالية بين أفراد عينة الدراسة من الذين لا يجدون ما يستهويهم في الجامعة، ما يعبر عن رغباتهم وطموحاتهم ما يحقق لهم الإشباع ويعزز الانتماء الى الوسط الجامعي لديهم.

ولعل المحاور التي ناقشناها في مقياس التغير القيمي توضح تغير وتحول منظومة القيم لدى الطلبة الجامعيين، وطبيعة التغير القيمي واتجاهاته حيث أن لاحتلال القيم الاقتصادية (المادية) مكانة هامة على حساب قيم أخرى، كما أن الوضع الذي تعيشه الجامعة والتحويلات التي يشهدها المجتمع الجزائري بصفة عامة تبرر هذه النظرة لدى أفراد عينة الدراسة، فالإقامات الجامعية تشهد الكثير من الظواهر الدخيلة كالعنف وغياب الأمن وتفتشي بعض المظاهر السلبية التي لا تشجع الطالب على الانتماء إليه، كما أن كثرة الاحتجاجات والإضرابات خاصة في ظل الإصلاحات التي طرأت على نظام التعليم العالي أثرت على الطالب خاصة طلبة السنوات الأولى. بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 21% من الذكور ونسبة 29% من الإناث.

ونظرا للتغير في العديد من القيم سواء المتعلقة بالعلم أو العمل سألنا المبحوثين "لو اتجهت إلى الحياة العملية لكان خيرا لي من الجامعة" فكانت استجاباتهم كالتالي: يوافق على محتوى العبارة نسبة 59% من الذكور ونسبة 35% من الإناث.

وهذا ما يتوافق مع درجات استجابات المبحوثين في محور القيم التعليمية، فمن خلال سؤالنا للمبحوثين عن أهمية تعلم حرف معينة أو أن التعليم الجامعي أفضل، فإن نسبة 37% يوافقون على محتوى عبارة التعليم الحرفي أفضل من التعليم الجامعي، فالتعليم الجامعي ليس مرتبطا بالتوظيف-حسبهم- أو بالأحرى لا يضمن وظيفة، في حين أن تعلم حرف معينة يؤهل لسوق العمل ويضمن عائدا ماديا للفرد.

وربما ترتبط هذه النظرة بسواد القيم المادية وطغيانها على تفكير أفراد عينة الدراسة، كما ترتبط بعدم الاستقلالية المادية للطالب الجامعي عن أسرته إذ دائما ما توفر له أسرته حاجياته المادية ونفقاته، وبالتالي يبقى مقيدا من الناحية المادية في إشباع الضروريات بما يتوفر من مال لدى الأسرة، خاصة وفي ظل الثقافة الاستهلاكية الواسعة يبقى الطالب في حاجة الى الكثير من المال من أجل توفير ما يشبع حاجاته الاستهلاكية من ملابس وهاتف نقال وكمبيوتر محمول...، غير أن 38% لا يوافقون على محتوى العبارة ويرون أن التعليم الجامعي أفضل وأنه مهما كانت الظروف تبقى للشهادة الجامعية قيمتها وحظها في التوظيف، وأن المجتمع الجزائري وما يشهده من حراك اجتماعي كان للتعليم الجامعي الفضل الأكبر فيه، في تحسين مستوى الأفراد ومراكزهم وأوارهم. بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 23% من الذكور ونسبة 22% من الإناث، كما أن نسبة 43% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

ونجد في المجتمع الجزائري عموما نظرة سلبية لمستقبل الطالب الجامعي حتى من المثقفين أنفسهم، على اعتبار أعداد المتخرجين سنويا، وأن الطالب الجامعي ما هو إلا مشروع بطل.

جاءت عبارة "النجاح والفشل في الدراسة سواء بالنسبة لي لأنني في النهاية أصبح بطالا، حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 64% من الذكور ونسبة 46% من الإناث، إنه ومن خلال الدرجات العالية لاستجابات المبحوثين حول هذه العبارة يتبين كيف يتكرس اللامعنى كمظهر من مظاهر الاغتراب بين أفراد عينة الدراسة، وكيف يؤثر تغير القيم الاجتماعية السائدة، والوجود الاجتماعي في رؤية المبحوث للهدف من الدراسة والوعي بجدوى ما يقوم به، حيث نجد أن النظرة السائدة اجتماعيا غالبا ما ترهن مستقبل الطالب وتولد فيه الشعور باليأس من المستقبل، وتجعله مجرد مشروع بطل ينتظر نيل الشهادة ثم الانضمام الى سوق البطالة.

إن ما لاحظناه أثناء تحقيق الدراسة الميدانية من خلال ما يسود الوسط الجامعي من أوضاع وما يحمله الطالب من قيم اجتماعية نتيجة للتأثر بهذا الوسط وحتى من خلال انتمائه الى وسطه الاجتماعي كله يؤثر فيه، ويؤثر في القيم التي يحملها وفي نظراته للهدف من الجامعة ونظراته للمستقبل.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 31% من الذكور ونسبة 25% من الإناث، حيث يرون أن النجاح في الدراسة يمهد للنجاح في الحياة العملية وأنهم يسعون جاهدين لإتمام الدراسات العليا، لأنها ترفع من مستواهم ومن طموحاتهم وآمالهم، كما أن نسبة 28% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

2.1. علاقة التغير القيمي بظهور اللامعنى:

جدول رقم: (21)

يوضح معامل الارتباط بيرسون بين محاور مقياس التغير القيمي
وظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة

اللامعنى		
مستوى الدلالة	قيمة معامل الارتباط	محاور مقياس القيم
0.05	0.47	القيم الأسرية
0.05	*0.64	القيم الاقتصادية
0.05	*0.71	القيم السياسية
0.05	*0.85	القيم التعليمية
0.05	0.34	القيم الدينية

يتبين من خلال معطيات الجدول رقم (21) والذي يوضح العلاقة بين محاور مقياس التغير القيمي وظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة وفقا لمعامل الارتباط بيرسون، انه لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين القيم الأسرية والدينية وظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة حسب قيمة معاملي الارتباط.

رغم النتائج التي توصلنا إليها من أن الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة مرتبطون بأسرهم أكثر من الوسط الجامعي واقرب ما يكونون الى أسرهم عندما يتواجدون بالإقامة الجامعية التي ينتمون إليها، لأنه لا يوجد ما يستهويهم في الجامعة، خاصة وان اغلب الطلبة يقيمون أيام الدراسة فقط ونهاية الأسبوع يذهبون الى أسرهم وهذا راجع الى التوسع الكبير في إنشاء الجامعات والكليات على مستوى كل ولاية في الجزائر، بحيث تلاشى المفهوم التقليدي للإقامة وما تتيحه من فرص تفاعل بين مختلف أبناء الوطن فأصبحت الجامعات تضم طلبة من نفس الولاية أو على الأقل من ولايات مجاورة جغرافيا.

ووفقا لهذا المنظور فان الجامعة بالرغم مما توفره من إمكانيات إلا أن ما يسود فيها من مظاهر غريبة، وإضرابات واحتجاجات متكررة وطواير في اغلب مرافقها، ومظاهر العنف وعدم الأمن في محيط الاقامات الجامعية وما تنتشر من ظواهر سلبية كلها تعزز الشعور بعدم الانتماء لدى الطالب الجامعي، غير أن اللامعنى يكون مصدره قيما أخرى يوضحها الجدول أعلاه.

حيث تبين أن الاقتصادية لها علاقة ارتباطيه بظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين وبلغ معامل الارتباط 0.64^* عند مستوى دلالة 0.05 ، إذ تعمل القيم الاقتصادية والتي تبرز في النزعة المادية لدى أفراد عينة الدراسة وتقديسهم للمادة التي تعد روح الحضارة المعاصرة وعصبها، فالوسط الجامعي الهدف منه الحصول على شهادة ومؤهل علمي يضمن وظيفة أو عملاً حسب المبحوثين، فيصبح الانتماء للوسط الجامعي لا معنى له إذا كان الطالب في النهاية مشروع بطل، أو يعتقد ذلك على الأقل، بالنظر الى عدم التناسب بين ما يتوفر من فرص عمل وأعداد الخريجين الذي يتزايد في كل سنة.

وربما هناك أسباب عديدة تعمل على تكريس اللامعنى في الوسط الجامعي بحيث أصبح بعض أفراد عينة الدراسة وكأنهم خارج الوسط الجامعي لا يتفاعلون معه ويجهلون أغلب مرافقه أو النشاطات التي تنظم فيه، منغلِقون على أنفسهم في وسط مفتوح على مختلف النشاطات العلمية والأدبية والثقافية والرياضية، يعيشون بين ثلوث الدراسة والإقامة والأسرة.

كما يتضح جلياً من خلال معطيات الجدول أعلاه أن هناك علاقة ارتباطيه بين القيم السياسية وظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين من الجنسين في الوسط الجامعي من عينة الدراسة، حيث بلغت نسبة معامل الارتباط 0.71^* عند مستوى دلالة 0.05 ، ولعل ما توصلنا إليه في محور القيم السياسية يعكس حالة من الإحباط واليأس من المستقبل لدى الشباب الجامعي.

فالعلمية السياسية يشوبها الكثير من الغموض وواقعها يعكس أزمة الثقة بين المواطن والسياسي؛ إذ عبر الكثير من أفراد عينة الدراسة عن عدم اهتمامه بالسياسة وأنها لا تعنيهم، طالما أنها لا تغير الواقع، ونتائج الانتخابات تكون محسومة مسبقاً، كما أن الوعود الانتخابية كثيراً ما تتبخر، والأحزاب لا تتحرك إلا في مواعيد انتخابية ومناسباتية معينة، وواقع الأحزاب نفسه واقع متأزم يتميز بالانقسامات والانشقاقات والبحث عن الزعامة والولاءات، وأن سياسات التشغيل مفرغة من محتواها، ورغم الإصلاحات السياسية التي مرتت في الآونة الأخيرة إلا أنه لم يتم تثمين الشهادة الجامعية وحاملها في الانخراط في العملية السياسية، إذ يبقى أصحاب الأموال والنفوذ يسيطرون على أغلب المواقع والمراكز والعملية الانتخابية تعيد إنتاج نفس الطبقة السياسية.

يعكس واقع كهذا الإطار السياسي الذي ينتمي إليه الطالب الجامعي والنظرة التي يستطيع أن يكونها عن نفسه وعن مستقبله في ضوءها، ولا غرابة إن كانت تتميز بنوع من الاغتراب واللامعنى لدى الطالب الجامعي، كما أن هذه النظرة يمكن إسقاطها على المنظمات الطلابية

وبينت الدراسة الحالية كيف أصبحت هذه المنظمات تدافع عن قضايا بعيدة عن انشغالات الطالب الجوهرية والحقيقية.

كما بينت الدراسة الحالية أن استجابات أفراد عينة الدراسة حول عبارة أرغب في الانخراط في المنظمات الطلابية بالرفض بنسبة 65% أنهم لا يرغبون في الانخراط بالمنظمات الطلابية، والمنظمات الطلابية تعد مدرسة في التكوين النقابي والعمل السياسي كون الطالب الجامعي يجد نفسه ينتمي الى تنظيم معين له أهداف يريد تحقيقها، يتبنى قناعات معينة، ويتدرج في المناصب والمراكز حسب نشاطه وقدرته على إثبات ذاته.

غير أن العمل الطلابي يرفضه الكثير من الطلبة من عينة الدراسة ولهم أفكار وتصورات مشوهة عن المنظمات الطلابية، فبالنسبة لهم ومن خلال المقابلات التي أجريناها تعد المنظمات الطلابية أماكن للتجمع وقضاء وقت الفراغ، وإنها تستغل من طلبة انتهازيين يسعون الى تحقيق مصالح شخصية، يسعون الى توطيد علاقاتهم بالإدارة، مطالبهم أصبحت مفهومة ومستهلكة جداً، أنهم لا يسعون إلى نشر أفكار بناءة والدفاع عن قيم ومبادئ بقدر سعيهم الى تكريس الوضع القائم والمحافظة عليه.

إن المنظمات الطلابية وفق هذا التصور قد وقعت فيما يسميه فرنسيس فوكوياما بالأسر التنظيمي، فعوض أن تقوم بالدفاع عن الطلبة والضغط على الإدارة الجامعية، أصبحت بدورها أداة في يد الإدارة التنظيمية للجامعة من أجل امتصاص غضب الطلبة وإضراباتهم.

إن الفاعلين من الطلبة الجامعيين في المنظمات الطلابية لا يختلفون عن الفاعلين السياسيين في مختلف الأحزاب السياسية، يسعون الى تحقيق مصالح ضيقة، وكأنها عملية إعادة إنتاج للبنى الفوقية والتي تشكلت أساساً في البنى الذهنية. كما يمكن أن نستنتج من خلال الجدول أعلاه أنه للقيم التعليمية علاقة وطيدة بظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، حيث بلغ معامل الارتباط 0.85^* عند مستوى دلالة 0.05، وهي أكثر القيم تأثيراً في ظهور اللامعنى إذا ما قورنت بالقيم السابقة.

ومرد هذا الى أن الطالب الجامعي وبفعل التحولات التي يعيشها المجتمع الجزائري والجامعة، تغيرت لديه الكثير من القيم المتعلقة بالعلم ومكانته وطالب العلم والشهادة الجامعية وغيرها، ووقفت الدراسة الحالية على الكثير من الحقائق؛ حيث تبين أن أغلب أفراد عينة الدراسة لا يفرقون بين النظام الكلاسيكي ونظام ل.م.د بل تبقى المقارنة على نحو المفاضلة أي أيهما أفضل بالنسبة للطالب الجامعي؟

إضافة الى تشكل نوع من النظرة الدونية لقيمة الشهادة الجامعية والجدوى منها، على اعتبار أن الجامعة تهتم بالكم لا بالكيف، كما أنها لا تضمن وظيفة، وحتى أفراد عينة الدراسة لا يهتمون بالوسط الجامعي ولا يتفاعلون مع مختلف الفعاليات والأنشطة التي تنظم من فترة لأخرى، وربما يبقى ارتباطهم بالوسط الأسري وجماعة الرفاق أكثر منه بالوسط الجامعي، أي أنها تعكس أزمة انتماء بالدرجة الأولى لدى الطالب الجامعي.

وفي مقام آخر تبين لنا من خلال القيم التعليمية أن أغلب أفراد عينة الدراسة لا يتقنون في إمكانياتهم والمفاهيم التي كونوها عن أنفسهم وعن العالم المحيط بهم، وهل يمكنهم فهم ما يجري حولهم، وهل حقيقة استطاعت الجامعة أن تطور من إمكانياتهم ومهاراتهم؟

والملفت للانتباه أن بعضا من أفراد عينة الدراسة لهم اتجاه إزاء التعليم الجامعي لم يكن سائدا من قبل لدى الطالب الجزائري حسب الدراسات التي اطلعنا عليها؛ وهو اتجاه يهتم بالتعليم الحرفي وتفضيله على التعليم الجامعي طالما أن التعليم الحرفي يضمن دخلا أو وظيفة والتعليم الجامعي في الأغلب لا يضمن ذلك.

وعليه وفي ظل النتائج المتوصل إليها فيما تعلق بهذا المحور فانه يتبين جليا أن الفرضية الفرعية الأولى والتي مفادها أن هناك علاقة توجد علاقة بين التغير في نسق القيم لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعنى لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب، أنها قد تحققت حيث تبين أن القيم السياسية والقيم التعليمية والقيم الاقتصادية لها علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية.

2- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الفرعية الثانية: والتي مفادها:

توجد علاقة بين التغير في نسق القيم لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور اللامعيارية لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب.

1.2. مناقشة محور اللامعيارية:

تعد الجامعة مجتمعا بشريا وتربويا تظهر فيها أنواع متعددة من المواقف، وتنشط بداخلها صور مختلفة من التفاعل، وتتضح بين أفرادها أشكال متنوعة من العلاقات، وهي تهدف إلى تزويد طلابها بالمعلومات والخبرات والمهارات والقيم والاتجاهات التي تسهم في تشكيل الجوانب الأساسية في الشخصية.

وتعكس اللامعيارية حالة من حالات اختلال القيم والمعايير على مستوى المجتمع بكافة فئاته ونظمه ومؤسساته الاجتماعية خاصة الجامعة، بحيث يصبح أي نمط من أنماط السلوك المنحرف لا يمثل مشكلة فردية تتم عن اختلال في النسق القيمي والأخلاقي للطالب، بل يصير هذا السلوك

انعكاسا لما يدور في البيئة الاجتماعية من ممارسات، لا يتقيد أصحابها بالشروط اللازم توفرها في الوسائل لتجعلها سبلا قانونية ومشروعة للوصول الى الأهداف.

وإذا وصل معدل اللامعيارية الى المستوى الذي لا يستطيع الناس أن يتفوقوا بدرجة كافية، في أن يكون سلوك الآخرين مطابقا للمعايير المشروعة، فإن هذا يعني أن أزمة اللامعيارية هي أزمة اجتماعية، وليست أزمة تخص جماعة محدودة من أعضاء المجتمع.

وسوف نعالج من خلال هذا المحور واقع اللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي ومدى انتشارها بين الطلبة الجامعيين، من خلال مؤشرات تعبر عنها سلوكيات وممارسات تسود في الوسط الجامعي، كالغش في الامتحانات، ومدى الامتثال للقيم والمعايير والقوانين التي تنظم الحرم الجامعي، ومستوى الثقة بين الطالب ومختلف الفاعلين في الوسط الجامعي، خاصة الأستاذ، وهل يعتقد الطالب أنه واثق من عدالة التقويم في الامتحانات؟ أم أن التقويم يخضع لاعتبارات أخرى حسب الطلبة من عينة الدراسة؟ وهل النسق القيمي للطلبة الجامعيين من عينة الدراسة يتماشى مع القيم التي يفرضها عليهم المجتمع ودورهم الاجتماعي؟ وان كان كذلك؛ كيف نفسر بعض السلوكيات المنحرفة التي تسود في الوسط الجامعي كإتلاف الممتلكات العامة على مستوى الاقامات الجامعية؟ كيف نفسر استهداف التجهيزات والإنارة والحنفيات.... في الوسط الجامعي؟

وهل يحتكم الطلبة الجامعيون الى القيم والعادات وما تمليه عليهم التوقعات الاجتماعية؟ أم أنهم لا يبالون بها وهم أكثر إتباعا للموضة وما هو رائج عبر وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي؟ وهل للأخلاق حيز في حياتهم أم أنهم يسعون الى تحقيق مصالحهم وبأية طريقة؟ هذا ما نحاول تحليله من خلال هذا المحور من محاور مقياس الاغتراب في الوسط الجامعي، حيث يتضمن الجدول التالي استجابات أفراد عينة الدراسة:

الجدول رقم (22) يوضح
استجابات الطلبة والطالبات على محور اللامعيارية

لا ادري				لا أوافق				أوافق				مباراة 3 مقياس مظاهر الانتماء 4	
%	نكور		%	إناث	%	نكور		%	إناث	%	نكور	إناث	محور اللامعيارية لدى الإناث والذكور
	20	11				27	55				133	73	
10	24	29	90	34	16	52	106	65	50	73	133	226	من حق الفرد أن يغش في الامتحانات ما دام يحقق له النجاح
12	10	02	06	06	11	30	61	48	71	49	98	152	من الضروري أن يعد الفرد نفسه لانتهاز الفرص وتحقيق غايته
05	24	18	56	56	30	40	82	43	34	87	88	270	أنا غير مقتنع بعدالة التقييم في الامتحانات
12	71	20	62	62	16	22	45	45	93	51	92	158	كل شيء نسبي وليس هناك من تطبيق عادل للقانون في الجامعة
35	84	27	84	84	28	14	29	65	50	64	133	198	المهم أن أتمشى مع الموضة ولا تهمني آراء الناس وقيمهم
41	53	27	84	84	32	09	18	24	87	45	45	139	أحقق أهدافي بكل السبل الممكنة، فالغاية تبرر الوسيلة.
26	61	27	84	84	62	61	124	61	99	41	124	127	لا مشكلة في تحقيق الأهداف ولو على حساب الآخرين
30	57	23	71	71	29	07	14	09	192	11	16	34	يستهنوني إتلاف الممتلكات العامة في الإقامة الجامعية
28	29	27	84	84	15	22	45	65	90	48	133	149	التعامل بالأخذ والعطاء أحسن من التعامل بالقيم والعواطف
14	29	27	84	84	45	22	45	64	46	58	130	180	التزامي بالقيم والعادات يفقدي حريتي في الجامعة
المجموع													
514													

يتضح من خلال بيانات الجدول رقم (22) والذي يوضح استجابات الطلبة والطالبات من عينة الدراسة على محور اللامعيارية، أن عبارة من حق الفرد أن يغش في الامتحانات ما دام يحقق له النجاح حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 65% من الذكور ونسبة 73% من الإناث، وهي نسبة عالية جدا تعبر عن سلوك غير مرغوب فيه اجتماعيا وأخلاقيا ودينيا وتربويا، بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 27% من الذكور ونسبة 16% من الإناث.

حقيقة النجاح في الامتحان شرط أساسي للانتقال بين مراحل التعليم، والوصول الى الهدف، وهو الحصول على شهادة من الشهادات الجامعية، لذلك يدخل الطالب خلال حياته الدراسية عددا من الامتحانات، إذ يمتحن في كل مادة وفي كل سنة دراسية. فالامتحان هو السبيل الوحيد، والمعترف به للتقدم نحو الهدف. وللامتحان شروط مكتوبة ومعلنة ومعروفة تنظم سيره وتلزم الطالب باحترامها.

ويمكن القول أن أغلب الامتحانات التي يمر بها الطالب، تعتمد على الحفظ والاستذكار والتذكر. أيضا أن لمعظم الامتحانات التي يمر بها الطالب رهبة خاصة لما تحاط به من تنظيمات وطقوس، خاصة في المجتمع الجزائري. ويصاب بعض الطلاب بحالات من الخوف الشديد عند التفكير في الامتحانات.

ويتعرض الطالب لضغوطات النجاح والتفوق، ليضمن الانتقال إلى مراحل أعلى، تأتي الضغوطات من مصادر متعددة، مثل الأسرة، والرغبة الداخلية، وجماعة الأصدقاء، وأفراد آخرين مثل الأستاذ والأقارب، بالطبع لا يتعرض جميع الطلبة للضغوطات بنفس القوة، بل قد لا يتعرض بعضهم لأية ضغوطات.

لكن يظل النجاح والتفوق في ذهن الجميع، ويظل هنالك طلبة لا يستطيعون الوصول إليه عبر السبل المشروعة، وينتشر نمط سلوكي يخالف القيم والمعايير المتعلقة بالسبل المشروعة، ويمر عبر طريق يعرف بطريق الغش في الامتحانات. وللغش قيم ومعايير خاصة به. لكن إذا تكرر عدد الذين يسلكون الغش وانتشروا كما توضح النسب المعبر عنها في الجدول أعلاه.

وتكثر عدد المؤيدين من خارج شريحة الطلبة الجامعيين، مثل أولياء الأمور، والأساتذة، والإدارة، فيفترض أنهم سيطورون ما يمكن أن يطلق عليها "ثقافة فرعية" ذات خصوصية في قيمها وفي معاييرها، تقدم دعما معنويا للذين سيسلكون طريق الغش. وهي ثقافة فرعية تطورت نتيجة عدد من الأسباب، أهمها انتشار ظاهرة تبرير الغش في الامتحانات، أو التغاضي عنه من طرف المسؤولين، أو التسامح مع مرتكبيه بين شريحة كبيرة في المجتمع.

وفي الوسط الجامعي تنتشر قيم تبرر وتدعم الغش في الامتحانات تعبر عن هذه الثقافة الفرعية، من بينها "من نَقَلَ انتقل، ومن اعتمد على نفسه بقي في قسمه"، كما طورت آليات للغش في الامتحانات مستفيدة من التكنولوجيا الحديثة وتقنيات الاتصال، وأصبحت الامتحانات، ورغم القوانين الصارمة التي تفرضها الإدارة الجامعية إلا أنها تبقى عاجزة أمام استفحال الظاهرة وبراعة الطلبة في أساليب الغش.

ونشير هنا الى أن الغش في الامتحانات ليست مسؤولية الطالب لوحده، بل تشترك أطراف عديدة في المسؤولية، من بينها الإدارة في تساهلها، والأستاذ خاصة فيما تعلق بطرائق التدريس التي لا تعزز الثقة في النفس ولا تراعي تنمية بعض سمات الشخصية ولا روح النقد والإبداع والتحليل، وطريقة إعداد الاختبار الذي يكون مضمونه يعتمد على التذكر والاسترجاع، كما أن الطالب الجامعي في الجزائر يعد ضحية لمساره التعليمي في مراحل سابقة.

إنّ النسب المعبر عنها من طرف أفراد عينة الدراسة تدعو الى القلق والتعامل بسرعة مع الظاهرة لعمق الأزمة التي تطرحها، وإشراك الكثير من الأطراف التي تعمل على سير العملية التعليمية التعليمية، كما أنها تعد امتدادا للواقع الاجتماعي وما يسود فيه من مظاهر تبرر الغش تحت غطاء الربح والفائدة.

وجاءت عبارة "من الضروري أن يعد الفرد نفسه لانتهاز الفرص وتحقيق غاياته" كتعبير لإسقاطات الوعي من الواقع الاجتماعي إلى الممارسات في الوسط الجامعي من أفراد عينة الدراسة، حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 48% من الذكور ونسبة 49% من الإناث، أي أنهم يعتقدون أن الحصول على المكاسب والفرص التي تحقق النجاح يكون بالاستعداد لاستغلالها، وهي تعبر عن طغيان للنزعة الفردانية التي أصبح يتميز بها المجتمع الجزائري في مقابل تراجع قيم الجماعة والتعاون مما يدل على التغير القيمي الحاصل.

هذه النزعة الفردانية التي عبر عنها المبحوثون، وكأنها تعبر عن مظاهر الفساد التي تشهدها مختلف مؤسسات المجتمع الجزائري، والتي تعلي من شأن الكسب والربح الفردي، وبالتالي انعكاس تلك القيم على تفكير الشباب وما يريد تحقيقه، بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 51% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، كما أن نسبة 28% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

وبالرجوع الى المظاهر السلبية التي تميز الوسط الجامعي فإنه من دون شك أن هناك أزمة ثقة يعيشها الطالب الجامعي وعلى عدة مستويات؛ سواء على الصعيد النفسي أو على صعيد المؤسسات والأفراد المحيطين به، وعبارة "أنا غير مقتنع بعدالة التقييم في الامتحانات" يوافق

على محتواها نسبة 43% من الذكور ونسبة 87% من الإناث، نلاحظ النسبة الكبيرة لدرجات الاستجابة لدى الإناث إذا ما قورنت بالذكور.

فهم غير مقتنعين بعدالة التقييم في الامتحانات ويرون أن هناك مجاملات ومساومات واعتبارات معينة يخضع لها التقييم في الامتحانات، خاصة في ظل النظام الجديد للتعليم العالي، والذي يعتمد على قدرة الطالب على تحقيق نتائج أفضل ومراتب جيدة تسمح له باجتياز مرحلة الليسانس الى الماجستير والدكتوراه، وحتى عدم الثقة في عدالة التقييم تكون من بين الأسباب التي تدفع الى الغش في الامتحانات، لأنها في الأساس عدم ثقة في النفس، وسلوك يجعل الطالب لا يعطي وقتا كبيرا للدراسة ويتفرغ لأمر آخرى داخل أو خارج الجامعة، فلا يحضر المحاضرات ولا يدخل المكتبة إلا مجبرا، ولا يلتزم إلا ببرنامج الأعمال الموجهة والامتحانات وبالتالي يعد الغش طريقة تعوض له ما فاتته وضيّعه من وقت دون جهد كبير.

كما أن خصوصية نظام ل.م.د. والذي يعد نظاما تنافسيا يكون الارتقاء فيه عبر المراحل الدراسية خاضعا لترتيب المعدلات، وعليه فان بعض الممارسات الشائعة في منح النقاط من استغلال علاقات القرابة والمحسوبية وغيرها، أثرت على المنظومة ككل ولعل ابرز إفرازات هذا الوضع؛ تلك الإضرابات المتكررة للطلبة والمطالبة بنجاح الجميع في المرور إلى الماجستير.

حقيقة إن التقييم العادل في الامتحانات وإعطاء كل ذي حق حقه، من شأنه أن يعزز الثقة في النفس بين الطلبة ويجعلهم يبذلون مجهودا إضافيا من أجل رفع مستوى تحصيلهم، إذ يقر عدد من المبحوثين بأن هناك تقييم عادل في الامتحانات من طرف أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين، حيث لا يوافق على مضمون العبارة نسبة 30% من الذكور ونسبة 11% من الإناث. وبحضورنا للعديد من الامتحانات في الجامعة لاحظنا أن ظاهرة الغش وكأنها في طريقها لتصبح أمرا عاديا أو سمة من سمات التعليم لهذا العصر الذي نعيشه.

وفي نفس السياق جاءت عبارة "كل شيء نسبي وليس هناك من تطبيق عادل للقانون في الجامعة" حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 45% من الذكور ونسبة 52% من الإناث، وهي استجابات ذات درجات عالية تعكس تأثر المبحوثين بالوسط الجامعي وما يسوده من ممارسات غير سوية، فحسب ما توصلنا إليه من خلال المقابلات مع الطلبة أن الغيابات واحتساب الحضور عادة ما يكون شكليا بالنسبة لبعض الطلبة، أو يتم عدم احتسابه بفضل العلاقات الشخصية، كما أن تنظيم المسابقات وإعلان الناجحين فيها عادة ما يتخذ صورا وأشكالا غير منطقية، وكأن الوسط الجامعي امتداد لبعض المؤسسات الموجودة في المجتمع الجزائري والتي تشهد مظاهر الفساد الإداري.

كما أن الإدارة الجامعية نفسها تتجاوز في بعض الأحيان تطبيق القوانين من أجل امتصاص غضب الطلبة أو حل بعض الإضرابات التي تشهدها الجامعة، وإلا كيف نفسر حل إضرابات الطلبة برفع نسبة الانتقال من الليسانس الى الماستر، كما أن معايير القبول والانتقال تختلف من جامعة الى أخرى ومن كلية الى أخرى، بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 40% من الذكور ونسبة 30% من الإناث.

أما فيما يخص الاعتناء بالمظهر والقيم التي يعكسها والاهتمام بآراء وتوقعات الآخرين تجيبنا عبارة "المهم أن أتماشى مع الموضة ولا تهمني آراء الناس وقيمهم" إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 65% من الذكور ونسبة 64% من الإناث، وهي نسبة عالية من درجات الاستجابة في هذا المحور، وحقيقة أن ثقافة الاستهلاك ظاهرة انتشرت في المجتمع الجزائري على الأقل في العشرية الأخيرة، وهو وضع ساعد على ظهور قيم جديدة، تحث على التوسع في الاستهلاك وتزين طريقه، وإتباع الموضة والميل الى الرفاهية في العيش، واستعمال التكنولوجيا وتقنيات الاتصال الحديثة في الحياة اليومية بشكل واسع، ونلاحظ في الوسط الجامعي مزيجا غير متجانس من أزياء وألبسة، فتترواح بالنسبة للإناث من اللباس الأصولي المتشدد كالجلباب مع تغطية الوجه واليدين الى الحجاب والحجاب المعولم أي مع إدخال بعض لمسات الموضة عليه، الى عدم التحجب ولبس السروال وكل ما يستجد في عالم الموضة، الى ارتداء لباس السهرات والذي يستر أجزاء من الجسد الأنثوي؛ والذي يعد غريبا عن الوسط الجامعي حتى في المجتمعات الغربية.

أما بالنسبة للذكور فاللباس يبدأ من القميص والإسبال في السروال والذي يعبر عن مظهر ديني بحت، الى اللباس العادي أو حتى الرياضي، الى السراويل الضيقة والممزقة والتي تعبر عن تقليد غربي تمثله شبابنا*، وحتى ما يتوفر في السوق والمحلات من ملابس تكاد تكون الأكثر رواجاً وموضة وقد سجلت ارتفاع ملحوظ لهذه المبيعات خصوصا النسبة الكبيرة من الشباب الجامعي متتبعي هذه الثقافة.

وحتى الخيوط والقبعات التي يربطونها في اليدين والسلاسل التي يلبسونها في الرقبة، كما أن قصات الشعر لها أنواع عديدة وتواكب ما يستجد في المجتمعات الغربية.

* يذكر أن هذه الموضة ظهرت في أوساط الشباب الذين يؤدون موسيقى الراب. يستخدم النوع الموسيقي أحيانا في التعبير عن استيائهم وغضبهم على عدم توفير الخدمات أو فرص العمل، وعلى غير ذلك. يمتاز أصحاب هذا النوع من الغناء باللباس الفضفاض الواسع وهذا اللباس مستوحى من لباس رياضة البيسبول أو لباس المساجين.

وتجدر الإشارة إلى أنه قد ظهرت في الآونة الأخيرة ميل لدى البعض لعدم الاعتناء بالنظافة وترتيب الهندام وتنظيم الشعر، وظهرت أشكال من قصّات الشعر وموضات الثياب يخرج بعضها عن الأعراف الاجتماعية السائدة وقد يُخلُّ بعضها بالآداب العامة والقيم المُتعارف عليها. وبلغت المحاكاة غير السليمة للمجتمعات الأخرى حداً وصل بالبعض لاستخدام رابطات الشعر ووضع الأساور والسلاسل وما شابه ذلك مما يدخل في باب اللامبالاة والميل الخاطئ للظهور، ومما يستوجب مراجعة الذات والحرص للعودة لجادة الصواب وإعمال أساليب التربية والتوجيه السديدة.

ولقد ثبت أنّ الأزياء الأوروبية والأمريكية قد كتبت عليها عبارات باللغة الإنجليزية، تحتوي على ألفاظ وجمل جنسية مسيئة ومثيرة للشهوات ومحركة للغرائز الجنسية، وأيضاً لا دينية تمس المشاعر والمقدسات والأخلاق الإسلامية وتروج للثقافة الغربية التي تقوم على الإباحية والحرية الفوضوية في مجال العلاقات بين الرجل والمرأة، ومن تلك الكلمات والعبارات المكتوبة على ملابس الأطفال والشباب: kiss me: قبلني take me: خذني - Sow: خنزير - I'm Jewish: أنا يهودي - prostitute: عاهر - Adultery: ابن الزنا - Zion: صهيوني.¹

إنها مظاهر تعبر عن شيوع الثقافة الاستهلاكية -لأنّ العولمة تمجّد ثقافة الاستهلاك- التي استخدمت كأداة قوية فاعلة في إطلاق شهوات الاستهلاك إلى أقصى عنان، ومن ثمّ تشويه التقاليد والأعراف السائدة في العالم الإسلامي. كما أن المنتجات الاستهلاكية الثقافية تكرر مفهوم الاغتراب عن الذات، والدين والمعتقد، والتقاليد والأعراف.²

أما بالنسبة للذكور فنلاحظ انه لا يوافق على مضمونها نسبة 22% من الذكور ونسبة 16% من الإناث، كما أن نسبة 35% من الذكور اختارت عبارة لا ادري ونسبة 20% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

فدرجات الاستجابة عن هذه العبارة عالية، وهي بلا شك تعكس اللامعيارية في سلوكات الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، مما يشكل خطراً على النسق القيمي السائد في المجتمع الجزائري، ويبين بجلاء مظاهر التغير فيه، نتيجة لمحاولات اختراق البنية الثقافية المحلية، وتفاقم مخاطر الاستلاب والغزو والاستعمار الثقافي، بما يؤدي إلى محو الهوية الحضارية الثقافية للأمة

¹ - برهان غليون: رهانات العولمة، الإسلام في عصر العولمة سلسلة مقالات نشرت في جريدة الاتحاد اللبنانية عام 1991، ص 136-137.

² - راضية الشرعي: الإعلام العربي وتحديات العولمة الثقافية، مركز العهد الثقافي، 2006/2/24م- ص 4:47، انظر موقعه على شبكة المعلومات الدولية (www.alahd.com)

المسلمة، ونزع الخصوصية الشخصية للشعوب المسلمة (التي تتمثل في: الدين واللغة والتاريخ والعادات والتقاليد والأخلاق)، بما تنطوي عليه من الترويج لقيم معينة لحضارة معينة هي الحضارة الغربية.¹

إنَّ أخطر ما في العولمة أنها تنتشر أفكاراً وسلوكيات من شأنها تحطيم الولاء للقيم التراثية والدينية الأصلية، والولاء للوطن والأمة، وإحلال أفكار وولاءات جديدة محلها.² تقول الباحثة راضية الشرعبي: "إنَّ العولمة في شكلها الثقافي تهدف إلى إزالة الحدود الدينية والعادات والتقاليد، حتى تكون العقول المستقبلية للمادة الثقافية أكثر انفتاحاً وتقبلاً لما يأتي من الخارج، دون تفكير أو إعادة نظر بعد أن حطمت كل بوابات المراقبة والنقد، يقوم النظام العالمي الجديد في مشروعه المعولم لكل شيء على اختراق الثقافات الوطنية والثوابت الذاتية، ويعمل على طمس معالم الذات والأصل، بطرح بدائل هجينة منمقة ومزوقة، بحيث تجلب الأنظار ومن ثمة القلوب والعقول".³

لقد بيّنت الدراسة الحالية التغيرات العميقة التي حدثت في النسق القيمي لدى الشباب الجامعي، ولعل أبرز مظاهر هذا التغير هو شيوع الثقافة المادية والقيم المعبرة عنها وعليه جاء سؤالنا للمبحوثين عن النجاح المادي في عبارة "أسعى الى النجاح المادي بكل السبل الممكنة، فالغاية تبرر الوسيلة"، إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 48% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، لا شك أن درجات الاستجابة عالية حول هذه العبارة خاصة من الذكور، فهي تمثل ما يقارب 36% من أفراد عينة الدراسة، كما أن مضمونها يتناقض مع القيم التي يتلقاها الطالب الجامعي من مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي مر بها وتفاعل معها سابقاً، خاصة وأنا نتحدث عن نخبة المجتمع.

ولاشك أن هناك قيماً عديدة تحتل على النجاح المادي وكسب المال في المجتمع الجزائري ليتمكن الفرد من الشراء والاقتناء الكثير والمستمر، ضمن الثقافة الاستهلاكية الواسعة التي يعرفها المجتمع الجزائري، وهي تعبر عن تحولات جذرية في قيمه واتجاهات أفرادها.

غير أن التأكيد وبقوة على النجاح المادي وكسب المال، لا بد أن يصاحبه التأكيد وبنفس القوة على أن يتم هذا الكسب بالأساليب المعيارية، وأن يرتبط به نظام صارم للضرب وبشدة

¹ - برهان غليون: المرجع السابق، ص 16.

² - أمين جلال: العولمة والدولة، ضمن كتاب (العرب والعولمة) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير الخولي، أسامة أمين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/1998) ص156.

³ - راضية الشرعبي: المرجع السابق. نفس الصفحة.

على يد كل مخالف بغض النظر عن موقعه الاجتماعي، وقد يكثر عندئذ عدد الذين يستسهلون الطرق، ويختارون أقصرها، حتى ولو لم تكن شرعية، أو لا تحظى باحترام الملتزمين بالقيم الثقافية.

فمثلا قد يختار الطالب الجامعي الغش في الامتحانات لتحقيق النجاح كما بينا سابقا، وقد تكثر حالات الذين يختارون القيام بأعمال غير منتجة اجتماعيا في المجتمع، كأعمال السمسرة والوساطة، والتحايل على القوانين، وغيرها من الأنماط التي لا تحتاج الى مجهود كبير، ولا الى التسلح بقدرات علمية أو فنية. والأمثلة كثيرة في المجتمع الجزائري إذ لا يرتبط النجاح وتحقيق مركز اجتماعي معين بالمستوى العلمي بقدر ما يرتبط بالثروة والمال.

وهذا ما بيناه في محور القيم الاقتصادية إذ يرى 77% من المبحوثين أنه أصبحت الثروة هي من تكسب السمعة والمكانة في المجتمع، والثروة بمعنى المال وحسب المبحوثين أن يكون لك المال فتحترم ولا يهم من تكون أو أخلاقك أو القيم التي تؤمن بها، فالنظرة المادية للطلبة الجامعيين تمتد من والى المجتمع والعلاقات السائدة فيه.

وفي هذا المعنى يقول سمير نعيم: "يكتسب الشباب من خلال تعامله اليومي في المجتمع ومن خلال تجاربه ومشاهداته، قيما هدامة تجعل من المال القيمة العظمى في الحياة، بحيث تتوارى وراءه كل القيم الإنسانية، فالشجاعة والشرف والتقدير والاحترام، بل وحتى العلم والمعرفة كلها أشياء يمكن أن تشتري".¹

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 51% من الذكور ونسبة 49% من الإناث، كما أن نسبة 28% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة. لكن النسق القيمي بما يحمله من قيم تقتضي أن من يستوعب قيمة المال، عليه، أن يستوعب بالمقابل قيمة الحصول عليه بالسبل المقررة أي المشروعة، غير أن السائد في المجتمع الجزائري في الوقت الحاضر، أن هناك ثقافة غير رسمية، تشجع الفرد على تحقيق النجاح المادي من دون أن تحثه على الالتزام بالقيم والمثل على إتباع الوسائل المشروعة، المؤدية لذلك النجاح .

وإلا كيف يمكن تفسير قيام أفراد يحتلون مراكز اجتماعية مرموقة، باستغلال هذه المراكز لكسب المال الكثير، وبدون حدود، وبوسائل غير مشروعة، وما تنتشره الجرائد الوطنية من قضايا الفساد والرشوة والاختلاسات تكاد تكون يوميا.

¹ - سمير نعيم: مرجع سبق ذكره، ص 96

كما أن هناك من أصحاب المال من يتفخرون بما حققوه ولا مشكلة لدى بعضهم في مواجهة الناس على اعتبار أنها قفازة (شتارة). ولكن على الجانب الآخر أيضا، يلاحظ أن البعض ما يزالون يحققون أهدافهم أو بعضها بالسبل المشروعة، وتحمل قيمة النجاح عندهم مكانة عالية، هل يعني أن هؤلاء يتمتعون بصحة ضمير لا يتمتع بها أعضاء آخرون؟ وماذا تعني صحة الضمير؟ هل تعني أكثر من تشرب الفرد للقيم الثقافية الصحيحة؟

أما عن عبارة "لا مشكلة في تحقيق الأهداف ولو على حساب الآخرين" فيوافق على محتواها نسبة 24% من الذكور ونسبة 45% من الإناث، وهي عبارة تدعم سابقتها من حيث المغزى، وتعتبر عن مدى ارتباط الطالب الجامعي ونجاحه في إقامة علاقات تضمن له الانتماء الى الوسط الذي يعيش فيه من عدمه، وقد أكدت الدراسات على أهمية الوسط الجامعي من حيث تأثيره على العلاقات الاجتماعية المتبادلة بين الطلبة من جهة، والعلاقات بين الطلبة والأساتذة من جهة أخرى، حيث تتميز البيئة الاجتماعية للطلبة بوجود شبكة معقدة من التفاعلات بين بعضهم البعض، وبين الجماعات الداخلية في إطار هذا الوسط.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 14% من الذكور ونسبة 28% من الإناث، كما أن نسبة 40% من الذكور يرون أنهم لا يدرون، ونسبة 26% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم وتأتي هذه العبارة في نفس سياق العبارة السابقة من حيث المحتوى.

وتأتي عبارة "يستهويني إتلاف الممتلكات العامة في الإقامة الجامعية" إذ يعتبر الوسط الجامعي من أهم المؤثرات على سلوك الطلبة وانجازهم واتجاهاتهم، فالطالب الذي يجد في الوسط الجامعي ما يساعده على النمو السوي والشعور بالأمن والتقدير نجده متوافقا نفسيا واجتماعيا، أما إذا كانت البيئة الجامعية فقيرة وملينة بالإحباط والتهديدات، فإن ذلك قد يؤدي إلى حدوث اضطرابات سلوكية تتمثل في الرفض والتعصب والعنف، كما أن ذلك قد يؤدي إلى تكوين اتجاهات سلبية اتجاه الدراسة نفسها أو الإقامة التي ينتمي إليها؛ ويعبر عن ذلك بإتلاف الأملاك العمومية في الإقامة الجامعية، وكسر الزجاج والحنفيات وإتلاف دورات المياه، وتكسير المعدات الموجودة بها.

ولعلنا نلاحظ في الكثير من الأحيان مطالبة التنظيمات الطلابية بصيانة المرافق في الإقامة الجامعية وترميمها، مع أن الإقامة في بداية العام الدراسي تفتح وكل التجهيزات متوفرة، وإن كل ذلك يؤثر في سلوك الطلاب في كل أوجه حياتهم، كما أنه يحد من قدرتهم على التوافق مع الوسط الجامعي، وبالتالي فقد يؤدي هذا كله إلى تعرض الطلاب لاضطرابات نفسية واجتماعية، تحول دون تقدمهم دراسيا، وبالتالي تصبح هذه البيئة عامل طرد وليست عامل جذب .

ويوافق على محتوى العبارة نسبة 09% من الذكور ونسبة 11% من الإناث، وهي نسبة ضعيفة من حيث درجات الاستجابة، لكنها لا تعكس الواقع الفعلي، فالوسط الجامعي المتمثل خاصة في الاقامات الجامعية يثير العديد من التساؤلات حول هوية الذي يتلف المرافق العامة، ويكتب على الجدران العبارات النابية، ويكسر الزجاج والأبواب، ناهيك عن عدم النظافة وتكسير المصابيح في الممرات والأروقة، وغير ذلك من الممارسات السلبية التي تعكس العنف بكل أنواعه في الوسط الجامعي.

كما ذهب بعض الباحثين إلى أن السلوك العدواني ناجم عن الغضب المرتبط بعدم رضا الفرد عن كل ما حوله، حيث أن من أهم مثيرات الغضب والتي تتمثل في الألم والأذى الجسدي والمعنوي هو الشعور بالحرمان والإحباط. بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 61% من الذكور ونسبة 62% من الإناث، كما أن نسبة 30% من الذكور ونسبة 27% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

ونشير إلى أن الجزائر وفرت وتعمل على توفير كل مستلزمات الإقامة الجامعية المريحة للطلاب وبالمجان، وجعلت من الاهتمام بالخدمات التي تقدم للطلبة من أساسيات اهتماماتها في الوسط الجامعي، ولعل من أهم هذه الخدمات توفير الغذاء الجيد للطلبة، وتوفير الخدمات الطبية، حيث توفر الغذاء والعناية الصحية وبالمجان، مع الاهتمام بتوفير وسائل المواصلات.

كما أنها توفر وسائل الترفيه والتي تعد من العوامل الأساسية في الاستقرار النفسي للطلبة وذلك بالاهتمام بالميادين الرياضية والثقافية، وتوفير المساحات الخضراء، وكذلك فإن هناك أهمية كبرى لإعداد أماكن للنشاط اللاصفي والمتمثل في الأنشطة الثقافية، وإتاحة فرص التعبير السياسي من لقاءات وندوات وأنشطة للمنظمات الطلابية، إضافة إلى تنظيم الرحلات العلمية والثقافية والترفيهية، وكذلك الاهتمام بالأنشطة الرياضية بإعداد الملاعب وتجهيزها لمختلف النشاطات، وذلك نظرا للدور الكبير الذي تلعبه الأنشطة الثقافية والرياضية في المساعدة على إقامة علاقات جيدة بين الطلبة.

ولعل عبارة "التعامل بالأخذ والعطاء المادي أحسن من التعامل بالقيم والعواطف" تدل على التوجه القيمي لدى المبحوثين إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 65% من الذكور، ونسبة 48% من الإناث، وهي درجات استجابة عالية خاصة بين الذكور تتم عن انتشار للقيم المادية وهذا ما يتفق ما عرضناه آنفا في محور القيم الاقتصادية، فصحيح إن المال هو عصب الحياة في المجتمع، لكنه ليس كل شيء في حياة الإنسان، فهو وسيلة لتحقيق غايات، وليس غاية في حد ذاته.

" إن المال قادر فعليا على شراء أي شيء، إلا أنه يعجز عن أداء هذه الوظيفة في العالم الإنساني الحقيقي، ففي مثل هذا العالم، يستطيع الفرد مثلا أن يتبادل الحب بالحب فقط. فالثروة مجرد مظهر خارجي، إذا نزعت فإنها لا تترك أثرا، لكن عالمية الحاجات والقدرات، وصور الاستمتاع، والقوى الإنتاجية للأفراد ... الخ. تتحقق في ظل عملية تبادل شاملة، فماذا يحدث إذا لم يتحكم الإنسان كلية في قوى الطبيعة؟ طبيعة الإنسان نفسه، والطبيعة بالمعنى الشائع؟ وماذا إذا لم تحدث بلورة وتطوير لكامل نزعات الإنسان الإبداعية"¹.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 07% من الذكور ونسبة 29% من الإناث، وهي درجات منخفضة خاصة بين الذكور، حيث كما أن نسبة 28% من الذكور يرون أنهم لا يدرون نسبة 22% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

أما عبارة "التزامي بالقيم والعادات يفقدني حريتي في الجامعة" فيوافق على محتوى العبارة نسبة 64% من الذكور، ونسبة 58% من الإناث، هذا الاتجاه من عدم الالتزام بالقيم السائدة اجتماعيا في الوسط الجامعي نتلمسه بوضوح في درجات الاستجابة العالية إزاء هذه العبارة من قبل المبحوثين من الجنسين، فالوسط الجامعي يتيح قدرا من الحرية لا يوفرها المجتمع أو الأسرة للطالب، خاصة باعتبار المرحلة العمرية التي يمرون بها، فهم أكثر ميلا إلى ما هو حديث فكريا وسلوكيا وملبسا ومظهرا، وعليه كلما كان الوسط الجامعي متجاوبا مع روح العصر كلما قل الصراع القيمي، ولعل ما نشاهده من مظاهر في جامعة ما من الوطن قد يكون منعما في جامعة أخرى، أو ما هو مرفوض في جامعة معينة قد يكون مقبولا أو عاديا في غيرها، إذن الوسط الجامعي له تأثيره على الأفراد، لأنه يتفاعل مع المجتمع ومؤسساته وليس بعيدا عن التحولات التي تظهر فيه، لذلك فإن اختلاف البيئات الاجتماعية للطلبة قد يعزز فيهم التحرر من القيم التي نشئوا عليها إذا ما كان الوسط الجامعي أكثر تحررا.

وهذا التحرر قد لا يكون مطلقا في اتجاه روح العصر والحدثة، إذ أن هناك اتجاها نحو الماضي يحاول من خلاله الطالب أن يعيد إحياء سيرة الأولين ممن عاشوا في صدر الإسلام، ملبسا وسلوكا ومعاملة، فنرى في الجامعة ما يصطلح عليه بالسلفية أو حتى مذاهب أخرى تحاول بدورها أن تترجم هذا التحرر الذي يتيح الوسط الجامعي من قيود المجتمع، فنرى السلفيين يعبرون عن أنفسهم كجماعة لها هويتها ينتقلون إلى مسجد الجامعة وقيمون الحلقات، ويعارضون إقامة الحفلات، وبعض الأنشطة.

¹ - الجوهري، محمد وآخرون، التغير الاجتماعي، ط3، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1993، ص 120.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 15% من الذكور ونسبة 15% من الإناث، كما أن نسبة 35% من الذكور يرون أنهم لا يدرون ونسبة 27% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

عند الحديث عن انتشار اللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، لا بد من الإشارة الى أنها ليست حالة عامة، تشمل جميع أفراد المجتمع، وإلا لما سميت بهذا الاسم. هي حالة تنتشر بين شريحة من أفراد المجتمع، تتخذ موقفا من عدد محدود من القيم والمعايير. ويظل أعضاء هذه الشريحة يؤمنون ببقية القيم ويحترمونها، ويلتزمون بالمعايير المتعلقة بها. بل أن أعضاء هذه الشريحة قد يبررون فعلا ما في ظروف معينة، وليس في جميع الحالات، فمثلا قد يبرر الشاب سلوكه المتمثل في تطوير علاقة غرامية في السر مع فتاة، ولكنه لن يسمح بنفس السلوك إذا كانت المعنية أخته. فهو يسمح لنفسه، ولا يبرر أن تشترك أخته في علاقة مماثلة مع شاب آخر. وهكذا بالنسبة لعدد آخر من أنماط السلوك.

يطور كل من أعضاء الشريحة المعنية اللامعيارية في داخله، نسقا قيميا يشمل قيما من الثقافة التي ينتمي إليها، وقيما أخرى عبارة عن تحويلات للقيم الرئيسية، أو حتى قيما جديدة. حيث يقوم الطالب من خلال نسقه القيمي بتبرير تلك الأفعال، التي يخطط للقيام بها، وهو يعلم مسبقا أنها غير مشروعة في عرف الثقافة العامة. وعملية التبرير هذه ضرورية، وإلا لما تمكن الفرد من أن يقوم بالفعل ويحافظ على درجة من الاتزان مع نفسه.

فهذه الإمكانية التي يتمتع بها، هي ما يمكن أن يشار إليها بحالته الخاصة من اللامعيارية، والتي تعرف باصطلاح (الأنوميا). ويقع على الجامعة مسؤولية تعليم الطلبة القيم والمعايير التي تدعم العملية التعليمية. وهي قيم ومعايير تؤكد على الجد والاجتهاد، وتحقر من شأن أنماط السلوك التي لا تناسب صفات الطالب الملتزم النجيب. ولكن سيكون بين الطلبة ملتزمون، وغير ملتزمين.

لذلك تحرص الجامعة على تطبيق مواد قانونية ولوائح تتعلق بجميع أنماط السلوك الممنوعة. وتنزل إدارتها العقاب بكل مخالف، ليمنتل الجميع لقوانين الجامعة.

ويفترض أن تكون الجامعة مؤهلة للقيام بهذه المهمة. مؤهلة من حيث الطاقات البشرية، ومن حيث استعدادها لتطبيق اللوائح كلما دعى الأمر لذلك. فالاستعداد للتطبيق مرحلة هامة لدعم القيم الصحيحة. لكن الذي يحصل في بعض الأحيان، أن المسؤولين يقررون أن القواعد صارمة أكثر من اللازم، لذلك يتهاونون في تطبيقها. وإذا أغفلت إدارة الجامعة تطبيق الجزاءات المتعلقة بالغش في الامتحانات عندما تحدث حالات غش، فستكون بذلك قد شجعت عليه بطريق غير مباشر.

فالجامعة عندما تتهاون في مواجهة الغش، فإنها ترسخ في أذهان بعض طلبتها قناعات خاطئة. ومن بينها أن الغش ليس ضمن الأفعال الخطأ. ثم أن الجامعة تقلل من خطأ ارتكاب الغش في نظر الطلبة، عندما تتولى بنفسها عن طريق الأساتذة أو الإداريين تسهيل عمليات الغش تحت مبررات معينة. قد تعلن هذه المبررات على شكل أن الجامعة مقصرة في حق الطلبة، أو أن الغش في الامتحان لا يعني شيئا كبيرا، ولن يصبح عادة دائمة الخ.. وفي مثل هذه الأحوال لا يتوقع أن يشجب الطالب سلوك الغش.

من جانب آخر لا يمكن فهم هذه الاختلالات بمعزل عن التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري، إذ أصبح هناك انتقال في القيم الجديدة التي يعرفها المجتمع وهي قيم متنوعة تحمل في مضمونها قيما سلبية، مثلا بعض مظاهر الاستلاب الفكري الإيديولوجي التي انتقلت إلى الوسط الجامعي، وأفرزت بعض مظاهر التسبب، وهذا يعزى أساسا إلى الانفتاح المتزايد الذي عرفه المجتمع الجزائري والمرتبطة بظاهرة العولمة، إذن هناك صيرورة عرفها المجتمع الجزائري ككل وهي صيرورة عولمة القيم.

كما يمكن أن نرجع سبب هذه الاختلالات أيضا إلى تراجع السلطة العائلية، وخاصة السلطة الأبوية وهذا التراجع هو ما أفرز أشكال تمرد الأجيال التي بدأت تنتقل إلى الجامعة، وتؤثر سلبا على العلاقة بين الأستاذ والطالب، وكذلك نوع من الضبابية والغموض الذي أصبح يكتنف وظيفة الجامعة بين التربية والتعليم أو التعليم فقط، وهذا الغموض هو الذي أفقد الجامعة دورها التأطيري، وأثر على مصداقيتها، كما أن اجتياز مرحلة الجامعة بالنسبة للطالب كان يضمن مباشرة الولوج إلى سوق العمل. أما الآن الجامعة لم تعد تضمن العمل، وترابط كل هذه العناصر، يؤثر سلبا على علاقة الطالب بالأستاذ، ومشكل التواصل أصبح مطروحا بشدة بين الطرفين.

إضافة إلى عنصر المصداقية التي فقدها الطلبة في الجامعة باعتبارها لا تؤهل الولوج المباشر للعمل، كما زادت إكراهات الإصلاحات الجامعية الجديدة التي لا تتناسب مع التحولات الحالية في توسيع الشرح الحاصل بين الأستاذ والطالب.

ومرد هذا التراجع لسلطة المدرس لتراجع دور كل الهيئات والمؤسسات الاجتماعية بما فيها الوالدين، وبالممارسة اليومية لمهنة التعليم، كما كرست النكت والأقوال الساخرة عن مهنة التعليم بصفة عامة التي تروج داخل المجتمع هذا التراجع الذي جعل التلميذ يغير من نظرة الوقار الواجبة للمعلم، وبالتالي لم يعد يتردد لا في شتمه ولا في ضربه. كما أن السبب الرئيسي في تراجع دور المعلم إلى تراجع دور المؤسسة التعليمية ككل، لأنه في السابق بالإضافة إلى دورها التربوي والتوجيهي كانت لها وظيفة الحراك الاجتماعي، أي أن المدرسة كانت وسيلة من

الوسائل التي ينتقل بها الأشخاص من وضعية دونية إلى وضعية أعلى، والآن لم تعد هي بوابة النجاح وبوابة المستقبل. مما أثر على نظرة الاحترام والتقدير التي كان ينظر بها التلميذ للأستاذ. ويجدر أن نذكر هنا حقيقة مفادها أن بعض المفكرين الأمريكيين يرون استحالة تحقيق الغرب لعولمة الثقافة بحيث تدرج الشعوب غير الغربية في الثقافة الغربية المنفردة، لأن كل ثقافة تحمل خصائص تاريخية ودينية وثقافية تجعل من الصعوبة أن يندمج فيها أصحاب الثقافة الأخرى، ومن هؤلاء الكاتب الأمريكي صمويل هنتغتون صاحب كتاب صراع الحضارات. الذي كتب في عدد شهري نوفمبر - ديسمبر 1996م من مجلة (شؤون خارجية) دراسة تحت عنوان مثير للغرابة: (الغرب متفرد وليس عالمياً) يقول فيها:

"إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية، وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح كل حضارة هي: اللغة والدين والقيم والتقاليد والعادات، وحضارة الغرب تتميز بكونها وريثة الحضارات اليونانية والرومانية، والمسيحية الغربية والأصول اللاتينية للغات شعوبها، والفصل بين الدين والدولة، وسيادة القانون والتعددية في ظل المجتمع المدني، والهيكل النيابية والحرية الفردية".¹

كما تعد نظرية أبراهام ماسلو من أهم هذه النظريات، حيث يري ماسلو أن الإنسان لديه عدد من الحاجات الفطرية مرتبة ترتيباً هرمياً على أساس قوتها، وإنه كلما انخفضت الحاجة في التنظيم الهرمي، كانت أكثر قوة، وكلما ارتفعت كلما كانت مميزة للإنسان بدرجة أكبر، وينظر ماسلو إلى الرضا كنتيجة لإشباع هذه الحاجات، وقد قدم خمسة مستويات للحاجات ترتبط جميعها ببيئة الفرد وهي الحاجات الفسيولوجية، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الحب، والحاجة إلى تقدير الذات. واعتبر ماسلو أن الحاجة إلى تقدير الذات تمثل أعلى قمة الهرم، وهي مرتبطة بما يحفز الفرد على الانجاز والإنتاج والإبداع.

ومما لا شك فيه أن طلبة الجامعات يمثلون واحدة من أهم الفئات المستنيرة التي يعول عليها كثيراً في بناء مستقبل الأمم. ولذا فإنه من الضروري أن تسعى هذه الشريحة الاجتماعية المهمة لأن تكون مثلاً للمواكبة الراشدة للتغيرات الحضارية.

وقد يمثل التزام الطالب الجامعي بالزي اللائق وبحسن ترتيب الهيئة أحد الثوابت المهمة التي تحرص المجتمعات الجامعية على التأكيد عليها. وتعود أسباب هذا الحرص الكبير إلى أهمية تأثير

¹ - انظر ما كتبه في دراسته المثيرة:

The West :unique ,not universal - Foreign affairs - v :6 n :75 - nov./oct 1996 .page 28.

الشباب في عكس الصورة الحقيقية لواقع المجتمع. ولأن الإناء بما فيه ينضح، فإن ميل الشباب للحفاظ على تقاليد مجتمعاتهم الطيبة يُعدّ مؤشراً حضارياً مهماً لحُسن إعدادهم لتحمل مسؤوليات المستقبل، ويعكس نجاحاً عاماً لأساليب التنشئة الاجتماعية والريادة الفكرية والتربوية السائدة في مجتمعاتهم. وفي المقابل، فإن ميل الشباب لإتباع النماذج غير الجيدة في المجتمعات الأخرى، ومحاكاتهم لموضات الآخرين دون الحرص على عرضها على محكّات الأعراف الاجتماعية السوية، قد يُمثّل ظاهرة ينبغي الاهتمام التام بتسليط الضوء على تداعياتها وأسس معالجتها.

2.2. علاقة التغير القيمي بظهور اللامعيارية:

جدول رقم: (23)

يوضح معامل الارتباط بيرسون بين محاور مقياس التغير القيمي
وظهور اللامعيارية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة

محور اللامعيارية		
مقياس التغير القيمي	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة
القيم الأسرية	0.36	0.05
القيم الاقتصادية	0.46	0.05
القيم السياسية	*0.60	0.05
القيم التعليمية	*0.83	0.05
القيم الدينية	0.48	0.05

إن ما وقفنا عليه من خلال مناقشة البيانات المحصل عليها في هذا المحور من محاور مقياس الاغتراب ليبين بوضوح مدى انتشار اللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي بين أفراد عينة الدراسة من الجنسين، فالغش في الامتحانات واعتباره وسيلة لتحقيق النجاح، وخلق قيم تبرر هذا السلوك بل وتجعله مرغوبا الى درجة أنه أصبح ظاهرة تعاني منها المؤسسة الجامعية، ولم تنفع معها الكثير من الإجراءات العقابية للحد من الظاهرة، وعدم الثقة بالتقييم العادل في الامتحانات والاعتقاد أن القوانين نسبية من حيث تطبيقها في الجامعة، وان هناك محكات ووسائل تتحكم في الوسط الجامعي وتفرض منطقتها بعيدا عن سلطة القوانين، وعدم الالتزام بالقيم الاجتماعية واعتبار الوسط الجامعي وسطا يضمن التحرر من القيم السائدة اجتماعيا ومجالا للتعبير عن النفس ورغباتها، وأن النجاح المادي يبرر كل الأساليب للوصول إليه وأن النجاح في المسار الدراسي لا معنى له إذا ما قورن بالنجاح المادي، كما أن حالة الاقامات الجامعية والوضعية التي تؤول إليها بعد كل دخول جامعي تعكس مستوى القيم السائد لدى الطلبة على اعتبار ما اشرنا إليه من عنف وإتلاف للممتلكات العامة ومختلف المرافق والوسائل وحتى سرقة البعض منها. هذه كلها مؤشرات تؤكد بوضوح مدى انتشار اللامعيارية بين أفراد عينة الدراسة من طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

وتوضح بيانات الجدول رقم (23) قيمة معامل الارتباط بيرسون بين استجابات الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة على مقياس التغير القيمي واستجاباتهم على محور اللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب حيث يتبين أن هناك علاقة ارتباطيه بين القيم التعليمية وظهور اللامعيارية بين أفراد عينة الدراسة من الجنسين في الوسط الجامعي، حيث بلغ معامل الارتباط نسبة 0.83 وهو دال عند مستوى دلالة 0.05، فمسار الطالب التعليمي وما ميّزه من عدم استقرار على مستوى النظام التربوي الذي ينتمي إليه خاصة بعد الإصلاحات التي مست المنظومة التربوية، والأزمات التي أفرزها من عدم تجاوب الفاعلين في المنظومة التربوية مع الإصلاحات حتى بالنسبة للمعلمين والأساتذة المشرفين على العملية التربوية، فالإصلاحات كانت جذرية مست كل أطراف المنظومة التربوية؛ فلسفة التربية البرامج والمناهج المقاربة التربوية... لكن حافظت على نفس المعلمين بنفس المعطيات والمؤهلات التي يملكونها، وهو ما أفرز عدم استجابة من طرف المعلمين لهذه الإصلاحات لكن وزارة التربية حاولت التدارك وتكوين المعلمين ولا زالت تحاول.

إنّ من أهم إفرزات هذا الوضع هو التساهل في منح النقاط من أجل إنجاح الإصلاحات وتجنب المعلمين للمسائلة الإدارية حول الفشل الدراسي ومن ثم المدارس ومديريات التربية وعلى مستوى أعلى وزارة التربية، وتنازل المعلم عن دوره التربوي والاحتفاظ بالدور التعليمي الذي أصبح جديدا عليه وغريبا عنه، وهو ما جعل المتمدرسين يعانون من الكثير من المشكلات النفسية إزاء هذا الوضع.

ونلاحظ مصطلحات تدل على هذا الوضع الجديد؛ كالعتبة، وإلغاء نظام الإنقاذ تارة والرجوع إليه تارة أخرى، ومحاربة الغش في الامتحانات، لأن الظاهرة أصبحت تأخذ شكلا جماعيا ومنظما ويشرف عليها من مهمتهم عدم السماح بها.

كما أن القيم السياسية لها علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بظهور اللامعيارية بين أفراد عينة الدراسة. حيث بلغ معامل ارتباط بين القيم السياسية وظهور اللامعيارية بين أفراد عينة الدراسة 0.60 وهو دال عند مستوى 0.05، ولا شك أن الواقع السياسي يكشف عن جوانب عديدة للامعيارية، فالوعد الانتخابية والعمل السياسي المناسباتي وعدم وجود برامج حقيقية تتكفل بالشباب وتبعث الأمل في المستقبل لديهم يؤثر بلا شك في قيمهم.

كما تظهر بيانات الجدول أن القيم الدينية والقيم الاقتصادية والقيم الأسرية لا علاقة لها بظهور اللامعيارية في الوسط الجامعي، حيث لم تكن معاملات الارتباط لبيرسون لهذه القيم دالة إحصائيا.

وعليه فإن الفرضية التي مفادها أنه توجد علاقة ارتباطية بين التغير في نسق القيم وظهور اللامعيارية في الوسط الجامعي بين الطلبة الجامعيين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، قد تحققت في الدراسة الحالية.

3- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الفرعية الثالثة: والتي مفادها:

توجد علاقة بين التغير في نسق القيم لدى طلبة الاقامات الجامعية من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور العزلة الاجتماعية لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب.

1.3. مناقشة محور العزلة الاجتماعية:

يعد مفهوم الانتماء الاجتماعي واحداً من أهم المفاهيم المركزية التي تحدد طبيعة علاقة الفرد بالجماعة في كل زمان ومكان، ويقابله على الضد تماماً مفهوم العزلة الاجتماعية الذي يعد أحد مظاهر الاغتراب، بمعنى أوسع والذي يعني الابتعاد النفسي للفرد عن ذاته وعن جماعته. وسواء ابتعد الفرد عن جماعته أو غادرها إلى جماعة أخرى، فهو في كلتا الحالتين إنما يفقد انتماءه لجماعته من جانب ويواجه برفض الجماعة الأخرى له من جانب آخر، لاختلاف عاداته وقيمه ونمط شخصيته وخبراته، مما يسبب غربته من ناحية وعدم انتمائه لمجتمعه من ناحية أخرى، وهناك حقيقة أن البشر كائنات اجتماعية، مخلوقات تتجمع سوياً ويعتمد كل منها على الآخر في الحياة.

فالعلاقات الوثيقة مع الآخرين تبدو من الضروريات وهي أمور تتكامل مع بقاء الإنسان ورفاهيته فالبشر قادرون على تقديم كل منهم للآخر أعظم مسرات الحياة وأفراحها، وكذلك أحزانها العميقة، كما يمكنهم إعطاء نوع من التعاطف والتأكيد والحماية من الأخطار، وبالتالي فإن حاجة الفرد للآخرين تكمن في مساعدته على حل مشاكله وإرضاء حاجاته التي لا يستطيع حلها وإرضاءها بمجهوده الخاص فيشعره بالأمن ويزيدون من احترامه لنفسه.

ونحاول في هذا المحور من الدراسة أن نستعرض استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين من كلا الجنسين حول محور العزلة الاجتماعية، لنتبين مدى انتشار هذا المظهر من مظاهر الاغتراب وعلاقته بالتغير القيمي الذي طرأ على نسق القيم لدى الطالب الجامعي في تفاعله مع مختلف الأحداث والأنشطة والفعاليات في الوسط الجامعي.

والجدول التالي يوضح بالتفصيل استجابات أفراد عينة الدراسة على محور العزلة الاجتماعية كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي:

الجدول رقم (24) يوضح
استجابات الطلبة والطالبات على محور العزلة الاجتماعية

لا ادري				لا اوافق				أوافق				مجموع	
%	ذكور	%	إناث	%	ذكور	%	إناث	%	ذكور	%	إناث		
02	205	02	06	27	55	20	62	71	145	78	242	لا يمكنني الوثوق في أي أحد	
10	20	20	62	60	122	47	146	31	63	32	99	أنا احضر في أكثر المناسبات الجامعية (حفلات، ملتقيات، رحلات...)	
18	37	19	59	57	116	42	130	25	51	40	124	أشعر بأنني قريب من عائلتي أكثر عندما أكون في الإقامة الجامعية	
15	31	31	96	36	73	32	99	48	98	37	115	مشكلاتي أحفظ بها لنفسي وأتجنب قدر الإمكان أن أكون في مجموعة	
31	63	20	62	25	124	23	71	44	90	58	180	لا أحب الانضمام إلى المنظمات الطلابية	
11	22	45	136	24	49	35	108	54	110	20	62	أشعر بأن الذين حولي لا يفهموني	
25	51	12	37	30	61	41	127	44	90	47	146	أشعر بأنني وحيد في الجامعة أو الإقامة التي انتمي إليها	
03	12	27	84	73	149	50	155	24	49	23	71	لا أحد يسأل عني ولو غبت فترة طويلة	
08	16	14	34	48	98	19	59	44	90	67	208	لا أحب الانتماء للجامعة بسبب ما ينتشر فيها من مظاهر لا تعجبني	
11	22	19	59	25	51	24	74	64	131	57	177	أرى أن البعد عن الناس بجميني من شروهم	
514												المجموع	

يتضح من خلال البيانات المعروضة في الجدول رقم (24) والذي يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة على محور العزلة الاجتماعية أن الطلبة الجامعيين منقسمون في آرائهم حول الانتماء للوسط الجامعي، انقسام تغذيه طبيعة النسق القيمي الموجود لديهم، كما نستشفه من العبارات المتضمنة في هذا المحور.

وفيما يتعلق بدرجات الاستجابة على عبارة "لا يمكنني الوثوق في أي أحد" حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 71% من الذكور ونسبة 78% من الإناث؛ وهي درجات عالية تعكس عدم الثقة في الآخر من طرف أفراد عينة الدراسة سواء كان الآخر من نفس الجنس أو من جنس مغاير، إنها تعكس ثقافة فرعية سائدة في الوسط الجامعي، هي ثقافة الخوف والشك وعدم الثقة في الآخر، وهي ربما راجعة الى القيم الموجودة في المجتمع الجزائري وما تنتشر فيه من مظاهر وأحداث، تصبح كنموذج يتعلم الفرد من خلاله أو من دروسه، كما أن للتنشئة الأسرية دور كبير في تعزيز الثقة في النفس وعلماء النفس -خاصة اريكسون- يجعلون من الأسرة المسئول الوحيد على اكتساب الثقة في النفس، خاصة خلال المراحل الأولى من الطفولة، وعليه فالوسط الجامعي حسب استجابات أفراد عينة الدراسة يرون أن العلاقات الاجتماعية السائدة فيه لا تبني على الثقة، بقدر ما هي علاقات حذرة وبراغماتية.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 27% من الذكور ونسبة 20% من الإناث، ويرون أن هناك أشخاص يمكن الثقة فيهم والتعامل معهم بدون اعتبارات أو أحكام مسبقة وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت بسابقتها وحقيقة أن وظيفة أي عملية تربوية رسمية أو غير رسمية مهما كانت المؤسسة التي ينتمي إليها الفرد؛ هي تعزيز الجوانب الايجابية في شخصية الفرد ومحاولة التقليل من تلك السمات السلبية وتجاوزها في شخصية الفرد، وهنا ربما نتساءل عن دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية -خاصة الجامعة- في المجتمع الجزائري في تعزيز السمات الايجابية لشخصية الفرد وجعله يتكيف مع مجتمعه منتما إليه وفاعلا فيه.

وتأتي عبارة "أنا احضر في أكثر المناسبات الجامعية (حفلات، ملتقيات، رحلات...)" وهي تعكس النشاطات الموجودة في الوسط الجامعي خاصة الإقامة الجامعية كامتداد طبيعي لهذا الوسط وما يتوفر فيه من نشاطات ثقافية وترفيهية وعلمية وأدبية ورياضية تهدف أساسا الى تعزيز قيم الانتماء لدى الطالب الجامعي وتكثيف عمليات التفاعل الاجتماعي وإيصال بعض القيم الاجتماعية عن طريق هذه النشاطات، لتمتد رسالة الجامعة من إطارها الرسمي والعلمي الى الإطار غير المباشر والذي يتجسد عن طريق التنشئة بما تحمله هذه النشاطات من قيم ومعايير اجتماعية تعمل الجامعة على تعزيزها، غير أن أفراد عينة الدراسة جاءت استجاباتهم كالتالي:

يوافق على محتوى العبارة نسبة 30% من الذكور ونسبة 32% من الإناث، وهذه النسبة تعكس نوعاً من التكيف لدى أفراد عينة الدراسة مع الوسط الجامعي، كون أن النشاطات التي توفرها الجامعة تشمل جميع الاتجاهات وتستوعبها بالنظر للفائمين عليها ومنظمتها من تنظيمات طلابية، فالتركيبة السوسيوثقافية للمنظمات الطلابية تعكس ذلك المزيج الثقافي والسياسي للمجتمع الجزائري، وهي تمثيل مصغر للمجتمع الجزائري بمختلف الهويات؛ سياسية ودينية وعرقية في الجامعة الجزائرية؛ تنظيمات ذات ولايات لأحزاب سياسية وتنظيمات ذات طابع يعكس الإسلام السياسي بمختلف مفاهيمه، وتنظيمات تعكس بعض الثقافات الفرعية، وتنظيمات تهتم بالمجال الرياضي فقط، ولا شك أن هذا كله ينعكس على نوع النشاطات المقدمة، لذلك نجد استجابات الطلبة إزاء هذه العبارة هو تجسيد لما يلبي رغباتهم من خلال تلك الأنشطة المقدمة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 60% من الذكور ونسبة 47% من الإناث، وهي نسبة كبيرة تعبر عن الرفض كسلوك وعن العزلة الاجتماعية كشعور في هذا الوسط أو عدم الإحساس بالرضا والرغبة في الانتماء إليه، فهناك تضارب حول العلاقة بين الطالب والوسط الجامعي، خاصة وأن الذكور يبدون رفضاً لبعض النشاطات كما أن بعض من يتبنون اتجاهها دينياً معيناً غالباً ما يدخلون في صراع يصل إلى حد استعمال العنف مع المنظمات التي تنظم حفلات غنائية خاصة إذا كانت حفلات مختلطة، كما أن بعض النشاطات تنظم في توقيت غير مناسب، خاصة إذا تزامنت مع فترة الامتحانات، ولعل النقطة التي يجدر الإشارة إليها هنا أن المستفيدين من الإقامة لا يقضون أوقات طويلة فيها، كون أن المسافة بين مقر السكن والإقامة الجامعية ليست بعيدة، إذا ما قورنت مع وقت سابق؛ إذ أن سياسة التوسع في إنشاء الجامعات واستفادة أغلب ولايات الوطن من منشآت جامعية تفتح أغلب التخصصات، جعل الطالب لا يبتعد كثيراً عن مقر سكنه، وحركة الانتقال لا تتعدى إقليم الولاية أو الولاية المجاورة لها، وعليه فإن أغلب أفراد عينة الدراسة لا يقضون أوقاتاً طويلة في الاقامات الجامعية.

كما أن نسبة 20% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة، والتجاهل لمحتوى العبارة أو عدم تحديد اتجاه محدد منها يعكس حالة من عدم الثقة من أن الوسط الجامعي يوفر ما يحتاج إليه الطالب الجامعي خاصة بالنسبة للإناث الذي لا يهتمون بمثل هذه النشاطات.

والطالب الجامعي يأتي إلى الجامعة وهو يحمل معه قيماً وآراء واتجاهات تمتد من الأسرة، ومن الوسط الذي ينتمي إليه بمعطيته، وقد يكون من خلال التنشئة التي تلقاها حقق استقلاليتها عن الأسرة، وبنى اتجاهات تعكس شخصيته المستقلة أو يكون مازال يعتمد على أسرته في الكثير من

المواقف، وعليه حاولنا أن نستطلع آراء أفراد عينة الدراسة حول اندماجهم في الوسط الجامعي وهل حقيقة يشعرون بالانتماء إليه، أم أن الانتماء للأسرة هو الغالب لديهم؟

ويتجسد ذلك من خلال عبارة "أشعر بأني قريب من عائلتي أكثر عندما أكون في الإقامة الجامعية" إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 25% من الذكور ونسبة 40% من الإناث، أي أن 32% من أفراد عينة الدراسة يحسون بانتمائهم إلى الأسرة أكثر عندما يكونون في الإقامة الجامعية، وذلك لعدم استجابة الوسط الجامعي لتطلعاتهم ورغباتهم ولا يوفر في نظرهم ما توفره الأسرة من اشباع، لكن ما يفتقدونه في الوسط الجامعي لا يمكن تلبيته في الأسرة لأن كل وسط له خصوصيته، كما أن عدم استقلاليتهم عن أسرهم في مختلف المراحل العمرية التي مروا بها خاصة مرحلة المراهقة هي التي جعلتهم لا يفهمون خصوصية الوسط الجامعي، وأن عليهم بناء علاقات تعزز الانتماء لهذا الوسط والاستفادة منه كتجربة تتميز بكثافة التفاعل الاجتماعي مع أفراد متجانسين في أغلب الأحيان يشتركون في الكثير من الخصائص ونقصد بهم الطلبة.

وكما وضحنا في محور القيم الأسرية أن هناك استقلالية أو نزوع نحو الاستقلالية في صنع القرار واتخاذ من قبل أفراد عينة الدراسة داخل الأسر التي ينتمون إليها، غير أنها ليست استقلالية تامة طالما أن أغلب أفراد عينة الدراسة لا يتمتعون بالاستقلالية المادية فكما بينّا من خلال البيانات العامة أن الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة يعتمدون على أسرهم ماديا وأن أغلبهم يتلقون أموالا من أسرهم بالإضافة إلى منحة الدراسة الجامعية التي لا تكفي لمتطلبات الدراسة الجامعية رغم رفعها في المدة الأخيرة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 57% من الذكور ونسبة 42% من الإناث. بمتوسط قدره 49% من الذين يرون أنهم لا يحسون بدرجة كبيرة بانتمائهم إلى أسرهم وهم في الوسط الجامعي، بل يرون أنه يتوفر على الكثير من الأصدقاء والنشاطات وأنهم في كل الأحوال يعودون باستمرار إلى أسرهم خاصة في نهاية الأسبوع.

وبالتالي يعكس هذا التحليل أن الأسرة وجماعات الأصدقاء هي أكثر دوائر الانتماء لدى أفراد عينة الدراسة، وترتبط لدى الفرد بمدى تمتعه بدرجات الاستقلالية كسمة من سمات الشخصية لديه، وكلما تمتع الفرد بالاستقلالية كلما كان لديه انتماء إلى دوائر تتعدى الأسرة.

وفي دراسة عن الهوية والانتماء، أجريت في أواخر القرن الماضي بمصر، اتضح أن أكثر دوائر الانتماء أهمية في حياة الشباب هي الأسرة والأصدقاء، ثم الدين والمؤسسات الدينية (دور العبادة)، ثم الانتماء لزملاء العمل والدراسة. كما اتضح أن الانتماء لمنطقة السكن، والانتماء للمجتمع المحلي (المدينة التي يعيش فيها الشخص)، والمجتمع القومي يحتل درجة أقل من

سابقاتها. فمن الواضح أن مشكلة الانتماء تكمن في أن الدوائر الأولية الصغيرة كالأسرة وجماعة الأصدقاء والزملاء تحتل أهمية تفوق الدوائر المتسعة كالانتماء الوطني والقومي¹.

ومن أهم عمليات التطبيع الاجتماعي والتي تقوم بها الأسرة تأصيل الانتماء، والتي تعني أن الفرد من طفولته المبكرة يحيا في ظل مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ التي تترسب في وجدانه، حتى تتحول لديه إلى وجود غير محسوس، ومن خلال ذلك يصبح الفرد منتمياً إلى المكان، وإلى الأسرة، وإلى الجماعة، وإلى المجتمع والوطن.

وفيما تعلق بعبارة "مشكلاتي أحفظ بها لنفسي وأتجنب قدر الإمكان أن أكون في مجموعة" يوافق على محتوى العبارة نسبة 48% من الذكور ونسبة 37% من الإناث، إذ يرون أنهم لا يملكون أصدقاء يتقنون فيهم ويناقشون معهم مختلف القضايا التي تهمهم خاصة الشخصية منها، وبالتالي لم يتح الوسط الجامعي لهؤلاء من عينة الدراسة إقامة علاقات مبنية على الثقة، والتواصل الجيد وإمكانية الانضمام إلى جماعة تكفل لهم الانتماء إلى هذا الوسط، خاصة وأن أغلب أفراد عينة الدراسة تبين أن انتماءهم للأسرة أكثر منه للوسط الجامعي، وبالتالي الوسط الجامعي مهم جداً في تنمية بعض الاتجاهات وسمات الشخصية، غير أن مثل هذا الإحساس المعبر عنه قد يعيق الانتماء إليه من طرف الطلبة من عينة الدراسة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 36% من الذكور ونسبة 32% من الإناث، وهي نسبة تعبر عن 34% من الجنسين يرون أن لديهم علاقات وأشخاص يمكن الثقة بهم، ومناقشة مختلف القضايا معهم حتى ولو كانت شخصية. كما أن العلاقات في الوسط الجامعي وحسب نتائج العديد من الدراسات تبين أنها تكون في اتجاه الجنس نفسه، ونادراً ما تتميز بالاختلاط بين الجنسين. ويرجع هذا لاعتبارات اجتماعية ونفسية لدى الطالب الجامعي.

غير أنه ومن خلال البيانات العامة للدراسة نستطيع أن نبرز أن منطق الجهوية ومقر السكن؛ أي الانتماء الجغرافي يلعب دوراً هاماً في إنشاء العلاقات ودرجة التفاعل الاجتماعي، حتى توزيع الطلبة على الغرف عادة ما يتم تعديله من قبل الطلبة والطالبات وفق هذا المنطق، ولاحظنا في بداية العام الدراسي عدة تحويلات غير رسمية بين غرف الطلبة، وفق اعتبارات الجهة ومقر السكن، كما أن المنظمات الطلابية توصف بحسب المنتمين إليها وخارطة تركيبها من تنظيم لآخر إلى جهة معينة؛ أي أن تنظيمًا ما مثلاً يشرف عليه طلبة أغلبهم من بوسعادة يقال

¹ - هاني عياد: الإنسان المصري وتحديات المستقبل، الهيئة القبطية للخدمات الاجتماعية، القاهرة، 2007 ص 37.

أن ذلك التنظيم يخص طلبة منطقة بوسعادة. كما أن نسبة 31% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة، وهو اتجاه سلبي لا يعبر عن موافقة أو رفض.

وعن ثقافة الانتماء للمنظمات الطلابية وممارسة الطلبة للعمل النقابي في الوسط الجامعي، جاءت استجابات الطلبة حول عبارة "لا أحب الانضمام إلى المنظمات الطلابية" حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 44% من الذكور ونسبة 58% من الإناث، وعليه يرفض نسبة 51% من الطلبة الجامعيين بصفة عامة الانتماء إلى المنظمات الطلابية وكل أشكال العمل معهم.

وكما بينا في محور القيم السياسية من هذه الدراسة، فإن العمل الطلابي يرفضه الكثير من الطلبة من عينة الدراسة ولهم أفكار وتصورات مشوهة عن المنظمات الطلابية، فبالنسبة لهم ومن خلال المقابلات التي أجريناها تعد المنظمات الطلابية أماكن للتجمع وقضاء وقت الفراغ، وإنها تستغل من طلبة انتهازيين يسعون إلى تحقيق مصالح شخصية، يسعون إلى توطيد علاقاتهم بالإدارة، ومطالبهم أصبحت مهضومة ومستهلكة جدا، إنهم لا يسعون إلى نشر أفكار والدفاع عن قيم ومبادئ بقدر سعيهم إلى تكريس الوضع القائم والمحافظة عليه والاستفادة منه.

إن المنظمات الطلابية وفق هذا التصور قد وقعت فيما يسميه فرنسيس فوكوياما بالأسر التنظيمي، فعوض أن تقوم بالدفاع عن الطلبة والضغط على الإدارة الجامعية، أصبحت بدورها أداة في يد الإدارة التنظيمية للجامعة من أجل امتصاص غضب الطلبة وإضراباتهم.

إن الفاعلين من الطلبة الجامعيين في المنظمات الطلابية لا يختلفون عن الفاعلين السياسيين في مختلف الأحزاب السياسية، يسعون إلى تحقيق مصالح ضيقة، وكذلك بالنسبة للمشاركة السياسية في المجتمع الجزائري التي تبقى تتميز بالرفض والمقاطعة بصور متعددة، حيث امتدت إلى الوسط الجامعي، وكأنها عملية إعادة إنتاج للبنى الفوقية والتي تشكلت أساسا في البنى الذهنية.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 25% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، إذ أنهم ينخرطون في هذه المنظمات ويمارسون العمل النقابي، وينظمون مختلف النشاطات ويتبنون قضايا الطلبة والدفاع عنها، لكن ربما مشاكل المنظمات الطلابية ليست من صنعها ولا من إنتاجها بل هي امتداد للمجتمع الجزائري وما يسوده ويميز واقعه المتأزم في مختلف المجالات، ولعل العلاقة المتأزمة بين الطالب الجامعي والمنظمات الطلابية تعكس تلك العلاقة بين الفرد الجزائري بصفة عامة والأحزاب السياسية وما يكتنف العملية السياسية في كل مرة من ملابسات وظروف، وعدم ثقة بين المواطن والسياسي، كما أن نسبة 30% من الذكور لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

ويأتي الطالب الى الجامعة وهو يتوقع أنه سيجد قائمة من الأشياء، إذا استطاع أن يقوم بها سيحقق "الصورة المثالية"، بمعنى أنه يأتي وهو يحمل معه قيما وأفكار مسبقة تتوافق مع المجتمع أو مع تنشئته الأولى، وبتعبير آخر الحكم المسبق هو رأي أو شعور أو موقف يتشكل ويتم التعبير عنه من خلال المعرفة المباشرة للجماعة أو الفرد، ولكنها معرفة قائمة على السطحية والابتدال وعلى قوالب جامدة يتم مشاطرتها ضمن نطاق معين.

ولذلك فإن أحد سمات الحكم المسبق هو مقاومته العنيدة للاختبار التجريبي والمعرفي والتعامل المباشر مع موضوعه. هو يميل إلى بلورة تصورات ثابتة تغدو معايير معتادة ومشاركة اجتماعيا في إدراك وتصوير فئات اجتماعية أو أقلية معينة، وبالتالي فإن الأحكام المسبقة يمكن أن تزيد أو تبرز التمييز وتدفع باتجاه العزلة الاجتماعية¹.

وبالتالي يكون سلوكه امتدادا لما يحمله من قيم اجتماعية، غير أن الوسط الجامعي والفاعلين فيه يختلف عن الأسرة أو باقي المؤسسات التي مر عليها الطالب من قبل، وبالتالي يطرح نوعا من الصعوبة في تقبله لسلوكات الآخرين، أو عدم توافق سلوكه مع توقعات الآخرين، وتوضح الاستجابات حول عبارة "أشعر بان الذين حولي لا يفهمونني" تبين أن هناك فروق واضحة في الاستجابة إزاءها من الجنسين إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 54% من الذكور ونسبة 20% من الإناث، وتفسير ذلك أن الإناث أكثر تمثلا للقيم الاجتماعية ويحسون دائما بالانتماء للأسرة والرقابة الذاتية، وبالتالي لا يتقبلن قيما جديدة أو لا يتصرفن بما يخالف تنشئتهن. وبالتالي يملن الى تكوين صداقات وعلاقات مع طالبات يتناسبن مع ما يحملنه من قيم، ويتوافقن معهن في الاتجاهات والآراء.

أما الذكور من عينة الدراسة فيحاولون وبطريقة أسرع التفاعل مع الوسط الجامعي وتكوين صداقات وعلاقات متنوعة، وهذا ما يجعلهم ربما في كل مرة يلاحظون الفرق في خلفياتهم الثقافية وما ينبغي أن يكونوا عليه في الوسط الجامعي، وعليه يحسون بأن الآخرين لا يفهمونهم، وفي الحقيقة هم من لا يفهمون خصوصية الوسط الجامعي والقيم السائدة فيه، وهذا ما يجعل علاقتهم بهذا الوسط تميل الى العزلة على حسب الانتماء إليه.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 35% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، ويرون أنهم والى حد ما يتفاهمون مع من حولهم، لكن ربما يبقى على الفرد أن يختار مع من يتعامل. وهناك مساهمة مهمة قدمها هنري تاجفيل تعاملت مع الوظيفة الاجتماعية للحكم المسبق الناتج عن القيم

1- أناماريا ريفير: الأحكام المسبقة، ترجمة: حارث القرعاوي:

<http://www.resetdoc.org/story/00000021246/translate/Arabic>

التي يحملها الفرد كـرأس مال قيمي، وتركز تحليلها بشكل صحيح في إطار العلاقات - المتعددة والمعقدة والمتحولة - بين المكونات الاجتماعية.

حيث اقترح تاجفيل دراسة العمليات التي تقود الى اتخاذ مواقف تمييزية اتجاه الأفراد والجماعات التي تختلف عنا، مشددا على الكيفية التي يلعب فيها الحكم المسبق دورا في مجال الهوية، لاسيما عندما يشعر البعض أن هويتهم تتعرض للاهتزاز أو التهديد فيميلون إلى الحفاظ عليها أو إعادة ابتكارها من خلال العمليات التصنيفية التي تؤكد ثنائية نحن/الآخرون، الصورة الإيجابية عن الـ"نحن"، والصورة السلبية عن الـ"آخر".

تصبح القوالب الجاهزة أو الأحكام المسبقة جزءا من بنية تقوم على التقليد الثقافي وعلى نظام القيم والمصالح، وعلى الحاجة للتمييز تجاه جماعة معينة ويمكنها أن تبرر المواقف التمييزية والعنصرية.¹

وتعتبر العلاقات الاجتماعية من أهم مصادر الدعم الاجتماعي والحماية من الضغوطات، بحيث تشكل درعا واقيا من الانحرافات والعزلة الاجتماعية والاعترا ب مما تجعله يعيش مطمئنا، هادئ النفس، كما تساعده على أن يكون شخصا فعالا في المجتمع لينال تقديره وإعجابه واحترامه، لأننا نعيش اليوم في عصر يتميز بتغيرات ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، وسياسية مختلفة أدت إلى تغير أساليب التوافق والرضا عن الحياة وذلك لما يتميز به هذا العصر من سمات : كالضغط النفسي والتوتر والتعصب والاعترا ب.²

ونتيجة لذلك أصبح الفرد عرضة لمجموعة من الاضطرابات والانفعالات الشخصية مما تدفعه إلى الانطواء والعزلة، فالشعور بالوحدة النفسية كنقطة بداية لإصابة الفرد بالعديد من المشكلات التي يمكن أن يعاني ويشكو منها الفرد، ويتصدرها الشعور الذاتي بعدم السعادة والتشاؤم نتيجة الانعزال الاجتماعي والانفعالي.

وجاءت الاستجابات حول عبارة "أشعر بأني وحيد في الجامعة أو الإقامة التي انتمي إليها" إذ يوافق على العبارة نسبة 44% من الذكور ونسبة 47% من الإناث، ويشير كل من جونز وآخرون إلى أن الشخص الذي يشعر بالوحدة النفسية، يكون وعيه العام بذاته مرتفعا، كما

¹ - المرجع السابق نفس الصفحة.

² - متولي، عباس إبراهيم: "الضغوط النفسية وعلاقتها بالجنس ومدة الخبرة وبعض سمات الشخصية لدى معلمي

المرحلة الابتدائية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، المجلد 10، العدد 26، أبريل، ص 125. الأنجلو المصرية،

القاهرة. (2000) ص 102

يكون قلقه اجتماعياً، ولديه مستويات عالية من الخجل وعدم السواء، وتقديره لذاته منخفض، ولا يحب الآخرين وتقبله لهم ضعيف.

ويؤكد ماهون وآخرون أن ارتفاع مستوى الشعور بالوحدة النفسية يؤثر سلباً على قدرات التفكير الابتكاري لدى المراهقين. ويذكر أن هناك عدة متغيرات سلبية تصاحب خبرة الشعور بالوحدة النفسية وترتبط بها، وتتضمن هذه المتغيرات كلاً من الاكتئاب والاعترا ب والحزن والأسى والحاجة إلى الألفة الاجتماعية واللامبالاة والتبدل العاطفي.¹

وربما كل هذه السمات النفسية والانفعالية والاجتماعية تظهر في الفترة التي ينتقل فيها الطالب من أسرته إلى الجامعة، لما توفره الأسرة كوسط مفعم بتلبية الرغبات والاستجابات من طرف الوالدين عن طريق الاهتمام والرعاية، لكن الانتقال الى الوسط الجامعي يجعل الطالب يعتمد على نفسه ويعمل على استخدام مهاراته في التواصل وإيجاد جماعة تشبع رغبته في الانتماء، وغالباً ما تكون هذه المرحلة عابرة، بمجرد أن يتأقلم الطالب مع الوسط الجديد ويطور علاقاته بالمحيطين به.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 30% من الذكور ونسبة 41% من الإناث، حيث يرون أنهم لا يشعرون بالوحدة في الجامعة وأنهم ينتمون الى الوسط الجامعي بفضل علاقاتهم وانتمائهم الى جماعات معينة حسب خصوصية كل فرد، وأنهم واجهتهم مشاكل من هذا النوع في بداية إلتحاقهم بالوسط الجامعي، لكن سرعان ما تجاوزوا المرحلة، كما أن نسبة 25% من الذكور لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

وتبين من خلال تحليل بيانات مقياس التغير القيمي أن ما يعانيه الطالب الجامعي من تناقضات راجع للتعارض بين تنشئته الاجتماعية والقيم التي يحملها من جهة، وبين بعض القيم والمعارف والمهارات التي يتلقاها في الجامعة، لذا لا بد من إعداد أجيال قادرة على التعامل مع العلوم والمعارف المختلفة من جهة وامتلاك ثقافة إنسانية واسعة، وتأخذ دورها الإنساني المميز من دون استعلاء أو انتقاص من حضارات الشعوب وثقافتها، وتنشيط التفاعل بين الثقافات المختلفة، وإدراك أن أي ثقافة من هذه الثقافات إنما هي حصيلة ظروف وبيئات حضارية وتراث أمم مختلفة.

كما أن ثقافة المجتمع هي انعكاس لمجموعة من الخصائص السائدة في هذا المجتمع، فالمجتمع الجزائري مجتمع له ثقافته المتميزة التي تراكمت عبر الزمن، فهي تتميز بوجود نسق

¹ - Jones, W. et al. (1982) : Loneliness and social deficits. Journal of Personality and social Psychology, Vol. 42 (4), PP. 682-689.

قيمي متميز، ويشترك أفراد في قيم ومعتقدات أو اتجاهات وتصورات تختلف الى حد ما عن الثقافة الكلية، وتؤثر في سلوك الأفراد وتحدد اتجاهاتهم.

وتأتي العبارة التالية لتؤكد العبارات السابقة حول ميل أفراد الدراسة الى العزلة الاجتماعية "لا أحد يسأل عني ولو غبت فترة طويلة"، إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 24% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، وهي تعكس فشل أفراد عينة الدراسة في التأقلم مع الوسط الجامعي، وتحقيق الانتماء إليه عن طريق الانضمام الى جماعات تكفل الحاجات النفسية والانفعالية لأفرادها، فهي نسبة كبيرة تمثل ربع أفراد عينة الدراسة، ولعل ارتباطهم وانتماءهم يبقى للأسرة بالدرجة الأولى، كما أن التكاليف المادية وعدم الاستقلالية المادية لأفراد عينة الدراسة ربما تجعلهم أقرب للأسرة منه الى الجامعة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 73% من الذكور ونسبة 50% من الإناث. غير أن الذكور وحسب النسبة المذكورة، لهم علاقات جيدة واستطاعوا أن يكونوا جماعات تحقق الانتماء لهم والاندماج في الوسط الجامعي، ولا نتكلم هنا عن الاندماج التام مع الوسط الجامعي، بل هو اندماج هامشي في أغلب الأحيان ويعود إلى جماعات من نفس الخصائص، وقد يكون منفصلا عن الوسط الجامعي، ومثال ذلك بعض الجماعات من الطلبة ذات التوجه الديني، فهي تعيش في الوسط الجامعي لكنها لا تتفاعل معه، بل هو تفاعل في إطار الجماعة فقط.

أما عن عبارة "لا أحب البقاء في الجامعة بسبب ما ينتشر فيها من مظاهر لا تعجبني" يوافق على محتوى العبارة نسبة 44% من الذكور ونسبة 67% من الإناث، ونقصد بالمظاهر التي لا تروق للطلاب الجامعي هي تلك المظاهر اللاأخلاقية، والعلاقات المشبوهة، وانتشار بعض الآفات كالدعارة والمخدرات والعنف في الوسط الجامعي، حيث تسجل الجامعة الجزائية أحداث عنف متكررة ضد الأساتذة وبين الطلبة، ولعل الإناث درجات استجابتهن حول محتوى العبارة أكثر من الذكور، ويرجع هذا الى الوصم الاجتماعي للطلبة الجامعية خاصة في فترات سابقة داخل المجتمع الجزائري، إذ يربط أي موقف سلبي بالجامعة والطالبات ككل، فهناك حالة تعميم تلصق بالجميع. وأثناء فترة إجراء الدراسة الميدانية تم تداول فيديو بين الطلبة الجامعيين لفتيات يرقصن... وعنوان الفيديو "انظروا ماذا يفعل بنات الجامعة"، هل حقيقة يمكن التعميم في هكذا موقف؟

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 48% من الذكور ونسبة 19% من الإناث. ولعل الذكور لا يكثرثون بواقع الجامعة حيث يرون أن الجامعة مهما انتشر فيها من مظاهر فهي امتداد للمجتمع وتعكس بطريقة ما مكونات المجتمع الجزائري.

ولأنّ مجال اهتمام الدراسة لم يتح لنا تقصي المظاهر التي لا تروق للطلاب الجامعي في الوسط الجامعي، فإننا استعنا باستطلاع لرأي الطلبة أجرته الأمانة الولائية للاتحاد العام الطلابي الحر بجامعات عنابة ومختلف الاقامات الجامعية.

حيث أظهرت نتائج استطلاع للرأي، الذي أجرته الأمانة الولائية للاتحاد العام الطلابي الحر لولاية عنابة شارك فيه 2600 طالب وطالبة بجامعة عنابة من مختلف الإقامات والكليات التابعة لها، وتوصلت النتائج بعد 6 أشهر كاملة من العمل الميداني إلى أن 58 بالمائة يعترفون بوجود انحرافات أخلاقية.¹

وعن مظاهر وأشكال هذا التدهور رتبها الطلبة بحسب الخطورة وورد في مقدمتها مظاهر لأخلاقية 58.83 بالمائة، ضعف التحصيل العلمي 10.89 بالمائة، انتشار المخدرات في الوسط الجامعي بـ 12.65 بالمائة ومظاهر العنف بكل أشكاله. واقترح التقرير الذي رفع إلى السلطات العليا، وكل الجهات الفاعلة والتي لها شأن مباشر وغير مباشر بالجامعة ومحيطها، جملة من الحلول التي رأوها كفيلة بالتقليص من حدة الانحطاط بالجامعة تمثلت في المطالبة بإزالة الاختلاط نهائيا من الاقامات الجامعية، فرض الرقابة الأخلاقية والإدارية داخل الحرم الجامعي، مع ضرورة تفعيل دور المنظمات الطلابية في هذا الاتجاه بالتنسيق مع الإدارة.

وعليه ظهر إلى الوجود ميثاق الأخلاقيات والآداب الجامعية كاستجابة حتمية فرضها تدني المستوى الأخلاقي بالجامعة الجزائرية التي يفترض بها أن تشكل منبعا للعلم والأخلاق لإنقاذ المشهد الجامعي من استفحال ظاهرة العنف لتدفع أرواح الأساتذة والطلبة ثمنا لذلك.²

والعبارة الأخيرة في هذا المحور هي "أرى أن البعد عن الناس يحميني من شرورهم" يوافق على محتوى العبارة نسبة 64% من الذكور ونسبة 57% من الإناث، وهي نسبة كبيرة جدا تعكس ميل الشباب الى العزلة الاجتماعية، إن توجه الطلبة الجامعيين نحو العزلة الاجتماعية يدق ناقوس الخطر معلنا عن بداية عملية الانحراف والخروج عن مسار الحركة التكاملية التي رسمتها الجامعة في علاقتها بمختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، وتنتج من خلالها المنظومة القيمية بما تمتلكه من القيم والأخلاق فتكون هذه البداية تمهيدا لحالة السقوط التي يرسمها الفرد لنفسه، ومع إهمالها من قبل الجهات المسؤولة عن حفظ الهوية الثقافية والفكرية لأبناء المجتمع فإنها بالتأكيد تمتد الى باقي أفراد المجتمع.

¹ -<https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/alfsad-alakhlaqy-fy-aljamat>

² -<http://www.djazairnews.info/analyse/38-2009-03-26-18-28-54/14628-2010-05-17-17-45-00.html>

ومثلما بيّنا في تحليل مقياس التغير القيمي أن هناك نزعة مادية تترجم في القيم الاقتصادية لدى الطلبة الجامعيين، إذ تبين أن أغلب المبحوثين يرون أن العلاقات في الوسط الجامعي تحكمها المصالح، ولا تحتكم الى منطق القيم الإنسانية وأن الغاية أصبحت تبرر الوسيلة، لذلك هناك حالة من انعدام الثقة والحذر في الدخول في علاقات في الوسط الجامعي، إنتقلت من المجتمع الى الجامعة. بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 25% من الذكور ونسبة 24% من الإناث.

2.3. علاقة التغير القيمي بالعزلة الاجتماعية:

جدول رقم: (25)

يوضح معامل الارتباط بيرسون بين محاور مقياس التغير القيمي وظهور العزلة الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة

محور العزلة الاجتماعية		مقياس التغير القيمي
مستوى الدلالة	قيمة معامل الارتباط	
0.05	*0.93	القيم الأسرية
0.05	0.21	القيم الاقتصادية
0.05	0.29	القيم السياسية
0.05	0.31	القيم التعليمية
0.05	*0.66	القيم الدينية

يتبين من خلال قراءة معطيات الجدول رقم (25) أن هناك علاقة ارتباطيه بين محور القيم الأسرية ومحور العزلة الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، حيث بلغت قيمة معامل الارتباط 0.93* وهي نسبة تدل على وجود علاقة ارتباطيه عند مستوى دلالة بلغ 0.05. ومن خلال ما ناقشناه في محور القيم الأسرية من قيم يحملها الطلبة الجامعيون ودرجات الاستجابة التي عبروا عنها إزاء عبارات هذا المحور، تعكس بدرجة جلية تأثير التنشئة الأسرية على سلوك الفرد، بل تمتد معه الى مؤسسات أخرى وحتى الى الوسط الجامعي، إذ بيّنا أن أفراد عينة الدراسة وعند الانتقال من الأسرة الى الوسط الجامعي؛ تعد مرحلة تجعل الطالب يعتمد على نفسه ويعمل على استخدام مهاراته في التواصل وإيجاد جماعة تشبع رغبته في الانتماء، وغالبا ما تكون هذه المرحلة عابرة، بمجرد أن يتأقلم الطالب مع الوسط الجديد ويطور علاقاته بالمحيطين به.

غير أنه وحين قدومه إلى الوسط الجامعي يأتي وهو يحمل قيما ومعايير تتعلق بالوسط الجامعي وما يتيح له كوسط مغاير عن الأسرة أو المدرسة، إلا أن ما يميز الوسط الجامعي من مظاهر وسلوكات مرضية، كالعنف الموجه نحو الأستاذ أو بين الطلبة أنفسهم، والصراعات بين الطلبة لأسباب تمتد إلى الانتماء الجغرافي أو حتى السياسي، علاوة على بعض المظاهر غير الأخلاقية التي أصبحت منتشرة في أغلب الجامعات، كما أن المنظمات الطلابية لا تلعب الأدوار التي أنشئت من أجلها إذ تظهر استجابات أفراد عينة الدراسة أنهم لا ينخرطون فيها وأنهم لا يهتمهم ما يقومون به من نشاطات، كون أن الطالب الجامعي يأتي في آخر اهتمامات هذه المنظمات.

كما أن عدم استقلالية الطالب الجامعي من الناحية المادية تجعله في الغالب تابعاً لأسرته، وبالتالي مهما كان الانتماء للوسط الجامعي يبقى الولاء والانتماء إلى الأسرة، لما توفره من اشباعات نفسية واجتماعية ومادية، فالطالب لا يستطيع أن يحقق ذاته وهو عاجز عن تأمين متطلباته الأساسية.

وأجرى "إريكسون وولكر" (Eriksson & walker) دراسة حول البناء التنظيمي للمؤسسة التربوية "المدرسة" توصل الباحثان إلى أن الطلبة الذين كانت تربطهم علاقات رسمية وجامدة كانوا أقل انتماء للبيئة المدرسية، في حين أن أولئك الذين يتواصلون مع مدرسيهم ويشاركونهم الأنشطة ويناقشونهم في قضايا مختلفة كانوا أكثر شعوراً بالسعادة وانتماءاً لمدرستهم ومدرسيهم وزملائهم¹.

كما تبين من خلال استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين أن هناك ميلاً إلى تجنب التفاعل الاجتماعي وعدم المشاركة في المواقف الاجتماعية ومختلف النشاطات التي تنظم في الوسط الجامعي، بشكل مناسب والافتقار إلى أساليب التواصل الاجتماعي ويتراوح هذا السلوك بين عدم إقامة علاقات اجتماعية وبناء صداقة مع الأقران إلى كراهية الاتصال بالآخرين والانعزال عن الناس والبيئة المحيطة وعدم الاكتراث بما يحدث فيها.

إضافة إلى القيم الأسرية فإنه يمكن لنا أن نتبين من خلال الجدول أعلاه أن القيم الدينية هي الأخرى لها علاقة ارتباطية بظهور العزلة الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، حيث بلغ معامل الارتباط 0.66^* وهو دال عند مستوى دلالة 0.05.

1- Erikson, E. & Walker, L. (1972). Organizational Structure and Student Alienation. Educational Administration Quarter. Iy, 8, (5) 15 – 22,

لا شك أن التنشئة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها وخاصة الأسرة في المجتمع الجزائري تعلي من شأن القيم الدينية، وتقدمها على كثير من القيم، لذلك نلاحظ في الوسط الجامعي مظاهر تدل على التدين وتعتبر الدين المقياس الحقيقي الذي نقيّم من خلاله الفرد وسلوكاته، لكن تختلف النظرة من فرد لآخر، خاصة أن الوسط الجامعي يتيح هامشا كبيرا من الحرية للأفراد فنجدهم يعبرون عن قيمهم في شكل انتماء وولاء الى جماعات معينة أو مقاطعة نشاطات أو جماعات أخرى أو حتى مقاطعة الوسط الذي ينتمون إليه.

إن الجماعات غير الرسمية والتي تؤسس على مبدأ ديني أو عرقي، يشترك أفرادها في الكثير من الخصائص والسمات، وقد تكون هذه الجماعات تعاني من العزلة الاجتماعية عن الوسط الذي توجد فيه بالرغم من حجم التفاعل الاجتماعي بين أفرادها وما تحقّقه من اشباعات لهم، لأنها تعلي من شأن القيم التي تحملها وتقضي الآخر والقيم التي يؤمن بها، إنها ترفض أن يكون هناك آخر غيرها.

لقد اشتركنا مع كثير من البشر ليس في الجزائر وحدها بل في العالم أجمع، في هذا الأسلوب من التنشئة الذي يعلي من الإطار المثالي المرسوم مسبقا، والذي كان بعضنا يعاني من الوصول إليه، والبعض الآخر اكتسب بعضا من المثاليات عن قناعة ولكنه اكتفى بها وأخذ يقيس الناس على ذلك الميزان، ويحكم عليهم بما يحمله من معايير، ظنا منه أن ما يعتقد أنه ذو قيمة فيجب أن يعتقد الآخرون أيضا مثل اعتقاده، وإذا خالفه أحد في الرؤية أصبح هذا المخالف خارجا عن الأخلاقيات.

ركز بعضنا على الفجوة بين ما هو عليه وما يود أن يكون عليه. وبعضنا سجن نفسه في أطر جميلة من الأخلاقيات، شعر بالفرحة لأنه حققها، ولكنها لم تساعد على السير للأمام، لأنه اكتفى بها فمألته. وبعضنا كان يكتسب رضاه عن نفسه من رضا المجتمع المحيط به عنه، ومتجاهلا ما يمليه عليه قلبه. فعاش أسيرا لما يقوله الناس، ولم يتساءل عما يريده هو من الأعماق.

ولعل الخطاب الديني في المجتمع الجزائري - الخطاب السلفي منه - يتسم بالسطحية والالتزام بالمظهر الديني؛ من لباس ولحية وحمل للسواك وتيمن في استغلال بعض ما أنتجته الحضارة الغربية وغيرها....، فهو حبيس فترة تاريخية يتجسد وفق منظومة من أقوال وأفعال لأشخاص معينين في حقبة زمنية محددة.

ويلاحظ أن ظهور السلفية كنمط تفكير وممارسة فعلية في الفكر العربي الإسلامي لم تكن إلا في العصر العباسي، بمعنى أنه كلما امتد الزمان عن تلك الحقبة ازداد الحنين إليها، باعتبار أنها خير القرون والأزمنة؛ دونما فهم مستتير لتلك الخيرية، فالسلفية في المجتمع الجزائري تأثرت كثيرا بالفكر الوهابي الذي يعد أكثر رجعية وسطحية، لأنه ليس لعلمائها أي علم أو دراية بمناهج التفكير العلمي المعاصر.

فالسلفية هي خطاب تاريخي خارج التاريخ، لأن الفرد فيها يصبح مغتربا عن مجتمعه لباسا وسلوكا، متماهيا بالحقبة الأولى للإسلام معتقدا أن الفهم السطحي للدين من أحد علماء السلفية هو الدين المستقيم أو الإسلام الصحيح وما دونه هم فئة ضالة.

وبالتالي فعوض أن يقدم المتدين من السلفيين صورة معرفية وسلوكية تناسب مقاصد الإسلام في مبادئه الأساسية من توحيد ورسالة حضارية إنسانية عالمية، يقدم صورة تعكس بطريقة مشوهة الإسلام في زمانه الأول رغم الاختلاف الزماني والمكاني.

فهو لا يؤمن بالعقل ولا ينتج المعرفة بل العقل مجرد أداة تعكس فهم السلف وتضبط التقليد، فهو ليس فعالا في إنتاج المعرفة أو صناعة المفاهيم ولكنه مجرد آلة نسخ لا تزيد ولا تنقص ولا تنقد ولا تبدع، ولا تضيف أي رؤية خاصة بها تغير ظروفها الزمانية وتستوعب متغيرات الحياة اليومية، مع أنها لا تجد إشكالا في الانتقاع والاستفادة من آخر التطورات التكنولوجية، ولكن بطريقة سطحية تحاول أن تسقط التفكير السلفي عليها وإضفاء بعض اللمسات، كلبس ساعة اليد الالكترونية في اليد اليمنى بدل اليسرى، والسواك بدل فرشاة الأسنان، والأكل على الأرض بدل الأكل فوق مائدة، وركوب سيارة الشيفروليه لكن مع نزع علامة الصليب، واقتناء الألبسة مع إعادة تشكيلها كقص السراويل وتقصيرها.

إذن هذا الفكر يحاول سحب الحاضر إلى الماضي، عوض أن يقوم بفهم النصوص الدينية وتفكيكها وفق مسارها التاريخي وقواعده، وهي تعبر عن فشل العقل الديني في إيصال أفكاره بوضوح إلى عالمنا المعاصر.

إذن من شأن هذا الفكر أن ينتج أفرادا مغتربين عن مجتمعاتهم تفكيرا وسلوكا وانتماء، رافضين لكل تغير وتبن للمعرفة، مستندين إلى علل واهية وتبريرات نظرية، وإلا كيف نفسر وضع بعض الطلبة الجامعيين يعيشون في الجامعة لكنهم في الحقيقة لا ينتمون إليها، لا يتفاعلون مع الأحداث الجارية فيها منغلِقون على أنفسهم، يعيشون في حالة تتسم بتمييز الناس وسلوكياتهم بين ثنائيات الحلال والحرام والكافر والمؤمن، يقاطعون النشاطات الجامعية ويتحصنون داخل جماعات متجانسة في الأفكار والقناعات.

وعليه نستنتج أن هناك علاقة ارتباطيه وثيقة بين القيم الأسرية والدينية حيث تؤثر في ظهور العزلة الاجتماعية كمظهر من مظاهر الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة. وعليه فان هذه الفرضية الفرعية تحققت إذ تبين من خلالها كيفية تأثير القيم الأسرية والدينية في ظهور العزلة الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة في الوسط الجامعي.

4- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الفرعية الرابعة: والتي مفادها:

توجد علاقة بين التغير في نسق القيم لدى طلبة الاقامات الجامعة من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور التشيؤ لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب.

1.4. مناقشة محور التشيؤ:

عرف المجتمع الجزائري تغيرات وتحولات مست البنى الفوقية والتحتية وانعكست بذلك على التشكيل الاجتماعي للمجتمع الجزائري من خلال التغيرات التي طرأت على مكونات البناء الاجتماعي فيه، كما كان لها الأثر الكبير في تحديد وتوجيه سلوكيات الأفراد والجماعات مما نتج عنها تحولات وتغيرات عميقة في المراكز والأدوار داخل المجتمع وعلى كل المستويات.

وهكذا تشهد العلاقات الاجتماعية وعمليات التنشئة الاجتماعية تفاعلا بينها وبين التحولات التي يشهدها المجتمع الجزائري، مما يعرضها حتما لتغيرات جوهرية، يكون لها بالغ الأثر في نمط العلاقات الاجتماعية وتفاعل الأفراد بينهم، وتكون الشخصية ومحدداتها وفقا للإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد بما يحمله المجتمع من قيم ومعايير، وعليه فالمنظومة القيمية في المجتمع الجزائري يتم إعادة ترتيبها وتشكيلها وفقا للتحولات التي يعرفها المجتمع.

ونحاول أن نناقش في هذا المحور من الدراسة مظهرا من مظاهر الاغتراب وهو التشيؤ بين الطلبة الجامعيين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة، حول قيمة الإنسان وأين يكمن جوهرها؟ وما هو المقياس الحقيقي الذي يكسب السمعة والشرف؟ وهل تحول إنسان اليوم كما تروج له بعض الوسائط الإعلامية الى سلعة؟ وما حقيقة ما يعتقد أفراد عينة الدراسة حول المشاعر والحب والقيم النبيلة؟ وهل تمثل القيم المادية بالنسبة لهم معيارا يحدد قيمة الأشياء، وهل تشكل المادة خلفية لنظرتهم الى المجتمع؟

وجاءت استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء عبارات محور التشيؤ كمظهر من مظاهر الاغتراب كالتالي:

الجدول رقم (26) يوضح
استجابات الطلبة والطالبات على محور التشبؤ

لا ادري				لا أوافق				أوافق				مباراة مقاييس مظاهر الاختلاف	
%	انث	%	انث	%	ذكور	%	انث	%	ذكور	%	انث	محور التشبؤ لدى الإناث و الذكور	
03	06	06	19	21	43	20	62	76	155	74	229	إنسان اليوم تحول إلى سلعة أو مادة	01
01	02	09	28	16	33	27	84	82	167	64	198	بالمادة (المال) تحقق كل شيء	02
09	18	05	15	13	27	60	186	78	159	36	112	قلما يهتم أحد بحقيقة شعوري الداخلي	03
04	08	18	56	06	12	16	49	90	183	66	205	العالم المادي يحطم قيمة الإنسان	04
18	36	44	136	09	18	32	99	73	149	24	74	لم يعد للعلاقات الإنسانية في الجامعة أي معنى	05
25	51	11	34	16	33	59	183	59	120	30	93	لا ألوم أي شخص يحاول أن يحصل لنفسه على أي شيء بأيّة وسيلة	06
06	12	11	34	24	49	47	146	70	142	41	127	في عالم اليوم لا اعتقد بوجود حب صادق بين الناس	07
23	46	11	34	06	12	19	59	71	145	70	217	كل الناس يحبون المادة لا غير	08
08	16	22	68	13	26	39	121	78	159	40	124	الصداقات الجامعية قائمة على المصالح الشخصية الضيقة	09
33	67	38	118	07	14	40	124	60	122	22	68	أشعر بالغربة حتى بين أقرب الناس إلي	10
514												المجموع	

نلاحظ من خلال الجدول رقم (26) أن درجات الاستجابة لأفراد عينة الدراسة إزاء محور التشيؤ كانت مرتفعة إذا ما قورنت بدرجات الاستجابة على المحاور السابقة. حيث يظهر من بيانات الجدول أعلاه أن عبارة "إنسان اليوم تحول إلى سلعة أو مادة" يوافق على محتواها إنسان اليوم تحول إلى سلعة أو مادة نسبة 76% من الذكور ونسبة 74% من الإناث، وهي تعكس درجة الاغتراب والتشيؤ لدى أفراد عينة الدراسة، لقد أفرزت التحولات الاقتصادية في المجتمع الجزائري والاتجاه نحو اقتصاد السوق بمنهجه الاقتصادي المعولم، وتمكنت بوسائلها المغربية من طمس المنظومات القيمية والمناهج الفكرية والخصوصيات الثقافية في العالم أجمع، فقولبت الإنسان وأخضعته لقيم أخلاقية وفكرية نفعية رسمتها مناهج وأفكار معدة سلفاً، فأصبح الإنسان غائباً عن دوره كمؤلف للعالم الإنساني وكصانع لتاريخه، وجنح نحو تأليه عقلية السلع وفلسفة المنفعة والمقايضة، فصار كل شيء قابل للبيع والشراء، بل "موضة" تستهلك وتتلاشى.

ففي ظل سلطة الأشياء وانتقال الأهمية من الإنسان المنتج إلى السلعة المنتجة، كقانون عام سائد محتكر، يخضع الفرد إلى غيبوبة استلابية على كافة المستويات الفكرية والوجدية والحياتية، متماهياً مع كينونة الشيء موازياً له، فيفقد القدرة على إدراك ذاته، وتتمحور أهدافه بل تنحصر ضمن نطاق ضيق لا يتجاوز السطح المادي البسيط، وتتلاشى نزعتة الإنسانية اتجاهاً وبنيةً ووعياً وسلوكاً، فيحدد قيمته بصورة آلية بمقدار ما يملك من الأشياء التي تميزه عن غيره، وبالتالي تضمحل سلطته كإنسان وتبرز سلطة الشيء لتعيد صناعته وتشكيله وفق ترميط مؤدلج، وبالشكل الذي تريده الجهة الصانعة الحاكمة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 21% من الذكور ونسبة 20% من الإناث. وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت مع باقي أفراد عينة الدراسة، وما يميز الاستجابات إزاء هذه العبارة أنها متقاربة النسب بين الجنسين، بمعنى أن كلا الجنسين يشتركون في النظر إلى قيمة العالم المادي على حساب البعد القيمي الإنساني.

وعليه نتساءل هل بالمادة (المال) تحقق كل شيء؟ يوافق على محتوى العبارة نسبة 82% من الذكور ونسبة 64% من الإناث، وهي درجات استجابة عالية جداً وتعبّر عن مدى التشيؤ وطغيان النظرة المادية لأفراد عينة الدراسة، وهذا ما أثبتناه في محور القيم الاقتصادية، بحيث لم يعد الفرد ينظر إلى نفسه بوصفه فاعلاً مفكراً حاملاً للقدرات الإنسانية، يعبر اندماجه عن وعي أو بغير وعي في نمط الاقتصاد السائد، بل إنه أضحي يحدد علاقته بنفسه على أساس أنه شيء يمكن استخدامه بنجاح في السوق، مادة خام قد تستثمر بنجاح، إذا أحسن استثمار نفسه، وهدفه أن

يجني أكبر كم ممكن من المال جرّاء عرضه. فإذا جنى الكمّ المطلوب فهو ناجح، وإذا لم يجن فهو فاشل! بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 16% من الذكور ونسبة 27% من الإناث.

بلا شك أن مثل هذه النظرة تعزز حالات التشيؤ والاغتراب في المجتمع الجزائري، بل وتعمل على تنميط الحياة على نموذج محدد؛ فنمط الحياة الغربية يعد مطلباً لكل فرد، إذ يعد امتلاك سيارة وبيت مستقل وعمل مستقر مطلب كل فرد، وهو حق مشروع ما إن كان بالطرق المشروعة، أما أن تصبح المادة مطلباً بأيّة طريقة ممكنة، فلا ريب أنه خطر على المجتمع ويساهم في انهيار منظومة القيم السائدة فيه، بل وتجعل الإنسان مجرد من إنسانيته، يسعى إلى الكسب والتماهي بما يملك، وتفقد تدريجياً مؤسسات مثل المدرسة والجامعة وحتى الأسرة قيمتها، بل وحتى وظائفها التقليدية، ألم يتنازل الأب وحتى الأم بعد خروجها للعمل عن دورهما التربوي لصالح مؤسسات أخرى؟ ألم تسيطر وسائل الإعلام والاتصال والانترنت على عقول شبابنا وجعلتهم يعيشون انفصاماً قيمياً بين ثقافة مجتمع ينتمون إليه وثقافة مجتمع غربي معروضة عبر تلك الوسائط؟

وإذا كانت قيم المبحوثين من عينة الدراسة تمجد المال وتؤسس للعلاقات على أساس المادة والمصلحة، فما قيمة الحب والعطاء والأخلاق وغيرها في حياتهم؟ ومن يهتم بما يجري من حوله؟، لذلك جاءت عبارة "قلما يهتم أحد بحقيقة شعوري الداخلي" ويوافق على محتوى العبارة نسبة 78% من الذكور ونسبة 36% من الإناث، ونلاحظ أن هناك تبايناً في الاستجابات لصالح الذكور على حساب الإناث، ولعلّ الخطورة الكبرى تكمن في عدم شعور الفرد في كثير من الأحيان بتشوّيهه، وانقياده وراء مقولة "أنه حر في اختياراته"، إذ إنّ عدم الشعور والوعي بفقدان الشعور الإنساني لديه هو من أبرز ما يساهم في استشراف هذه الظاهرة وتعميمها مجتمعياً، وترسيخ عقلية السوق على أنها النموذج الحضاري الجديد الذي يستحق الاحتذاء به.

وهذا ما يريده صانعوا هذا النموذج: أن يتسللوا إلى العمق عبر وسائل وأدوات ذكية، بصورة تدريجية، لتوليف العقل على قبول فكرة تسليع مظاهر الحياة بكافة أشكالها. من متابعة الموضة واقتناء للهواتف الذكية والإدمان على الانترنت، بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 13% من الذكور ونسبة 60% من الإناث.

وكما يقول المفكر (أريك فروم) فإن الطريقة التي يخبر بها الفرد نفسه هي التوجه التسويقي، وبالتالي فهو لا يتفاعل مع الواقع العملي بوصفه إنساناً ذو محبة وخوف وقناعات وشكوك، بل بوصفه ذلك التجريد المغترّب عن طبيعته الحقيقية، والذي يؤدي وظيفة معينة في النظام الاجتماعي الجديد. وعليه فإن الإنسان المعاصر يكاد يكون بلا ذات، لأن الأشياء ليس لها ذات.

إن الشعور بالحرية الذي يعتري الفرد رغم تشيؤّه، حيث أن قيم العولمة حريصة على جعل الفرد يشعر بحريته داخل حركة عالم السوق وتقبله، دون أن يعلم أن هناك من يصنع له حريته المؤطرة بأطر محدودة، ودون أن يدرك أنها ليست "حرية" بل وهم حرية، بحكم أن الطابع المشيئاً لهذه الحرية لا يظهر للعيان مباشرة لأنه طابع إيديولوجي مدروس.

ويشير (جورج لوكاش) "فإن مصلحة العقل الرأسمالي تقتضي أن يتوهم الفرد بأنه حر"، وإلا لتزعزعت ثقته بالنظام الذي يعمل وفق منهجه، ولفقد النظام "إنسانيته المزعومة" وبالتالي تصبح الرأسمالية في خطر.

أما عبارة العالم المادي يحطم قيمة الإنسان" يوافق على محتواها نسبة 90% من الذكور ونسبة 66% من الإناث. وتعكس درجات الاستجابة على العبارة درجات التأثير لدى الأفراد من عينة الدراسة بالتغير في نسق القيم والاتجاه نحو تقديس المادة وزيادة الاستهلاك في ظل الثقافة الاستهلاكية السائدة.

إن محاولة تعميم درجات الاستجابة لأفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين على المجتمع الجزائري، يجعلنا أمام حقيقة واحدة؛ وهي أن نعترف "بمقتل" الإنسان الحق، فهو لم يعد في ظل اقتصاد السوق وقانونه الذي تحكمه لغة الرأسمالية فاعلاً بل مفعولاً به إلى أقصى درجات الفعل. ولم يعد كائناً ذو شخصية مستقلة وكيونة فريدة ذات قيمة وجودية، بل بات قطعة ورقية تقذف من سوق إلى سوق، تحكمها قوانين العرض والطلب، كأى سلعة منتجة، فاقدة الإرادة والاختيار، منتهية الصلاحية الإنسانية، خاضعة للصناعة الحاكمة ولأدواتها، ولم يعد يختار من الحاجات ما يشاء وما يحتاج إليها بالفعل، بل أضحت الحاجات هي التي تمتلكه وتتحكم باختياراته وتفرض عليه إيديولوجيتها الزائفة القائمة على التلاعب بالعقول وأدلجتها وفق إطار ربحي بحت، ليتحول من ذات مفكرة فاعلة إلى ذات مغتربة متشظية فاقدة لمركزيتها، لا تشكل في التعداد التجاري أكثر من رقم متحد بنظام غريب عنه، يمكن أن يتخلى عنه كرقم في أي لحظة.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 06% من الذكور ونسبة 16% من الإناث. وهي نسبة قليلة لا تكاد تظهر أمام درجات الاستجابة الموافقة على مضمون العبارة.

وإذا كان ذلك هو الحال بالنسبة للقيم الإنسانية وقيمة الإنسان في المجتمع الجزائري، الذي لا يملك نظاما اقتصاديا واضحا فلا هو اقتصاد اشتراكي تم التخلي عنه كلية تتحدد فيه العلاقات الإنسانية وفق مفاهيم معينة، ولا هو بالاقتصاد الرأسمالي تتحكم فيه عقلية السوق ونظامه، فإن العلاقات الاجتماعية في هكذا وضع تأخذ نصيبها من التراجع والتغير في قيمتها.

وعليه جاءت استجابات أفراد عينة الدراسة على عبارة "لم يعد للعلاقات الإنسانية في الجامعة أي معنى" إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 73% من الذكور ونسبة 24% من الإناث، وتوضح درجات الاستجابة حول العبارة ارتفاعا كبيرا بالنسبة للذكور من عينة الدراسة، لقد أصبحت المادة غاية الإنسان، بدلا من أن تكون وسيلته، فهو يضحى بكل شيء من أجل الحصول عليها، بل وربما دفعه ذلك إلى السلوك بطريقة تناقض تماما ما يدعيه وما يقوله، وبفعل ذلك غدى الإنسان غريبا عن نفسه مثلما أصبح غريبا عن الآخرين الذين قد يضحى بهم من أجل المادة، ومن ثم أصبح الاغتراب كما لو كان نوعا من الوباء الاجتماعي الذي يهدد المجتمعات الحديثة.

وكنتيجة لذلك باتت العلاقات الرابطة بين إنسان وآخر، هي نفسها العلاقات الرابطة بين شيء وآخر، تحكمها قيم السوق وتجسد صورة حركة السلع المادية، أي صارت عبارة عن علاقات آلية غير شخصية، وموضعا للتبادل التجاري والاستغلالي، وبالتالي فإنها أصبحت علاقات مجردة بين أشياء أو بين آلات حيّة تتنفس تأكل وتشرب وتموت، وكل آلة تستخدم الأخرى لأغراض شخصية مادية بالدرجة الأولى، وبذلك أصبحت المجتمعات الحديثة مؤلفة من ذرات منفصلة وجزئيات يغترب بعضها عن بعض، لكنها تتماسك بالمصالح الأنانية وضرورة استفادة كل طرف من الآخر.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 09% من الذكور ونسبة 34% من الإناث، كما أن نسبة 44% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة. كما نشير أن عدم التعبير عن الرأي ينم عن تردد وارتياب لدى المبحوث وفي الغالب يكون في الاتجاه السلبي للعبارة، لان المبحوث لو كان رافضا لقيمة ما لا يحتاج الى جهد في التعبير عن ذلك.

إن الاعتقاد بقيمة الأشياء وما يمكن أن تحققه المادة في ظل الثقافة الاستهلاكية، تجعل الأفراد يقرّون بأن المشاكل التي تواجههم حلولها تتعلق بتوفر المال، فهل تحت ذريعة الحصول على المال يمكن أن يبرر أي سلوك؟

هذا ما سألنا المبحوثين عنه في عبارة "لا أؤمن أي شخص يحاول أن يحصل لنفسه على أي شيء بأية وسيلة"، ويوافق على محتوى العبارة نسبة 59% من الذكور ونسبة 30% من الإناث بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 16% من الذكور ونسبة 59% من الإناث، كما أن نسبة 25% من الذكور لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

رغم التباين في درجات الاستجابة بين الجنسين إزاء محتوى العبارة؛ إلا أنها تعبر عن درجات عالية من التشيؤ بين أفراد عينة الدراسة استنادا الى سيطرة القيم الاقتصادية واحتلالها

صدارة القيم بين المبحوثين، ولعل الصورة النمطية للناجح اجتماعيا في المجتمع الجزائري لا ترتبط بمستواه الدراسي أو درجته العلمية، بقدر ما ترتبط بما يملكه، فالكسب غير المشروع قد يجد مبرراته بين أفراد عينة الدراسة، لأن هذا التبرير تم اجتماعيا قبل أن يبرر نفسيا، فالكثير من الأفراد في المجتمع أصبحوا يملكون الأموال والعقارات في فترة وجيزة، وربما بطرق غير مشروعة لكنهم يلقون في المقابل الاحترام والتقدير من طرف أفراد المجتمع؛ وهذا نوع من الاعتراف الاجتماعي وتبرير لسلوك غير شرعي، فالضمير الجمعي يتقبل مثل هؤلاء الأفراد بل ويصبحون فاعلين في المجتمع لهم أدوار ومراكز تعبر عن مكانة مرموقة اجتماعيا، هذه المكانة بدورها تعد تبريرا اجتماعيا لسلوكهم. وعليه فأفراد عينة الدراسة تعد استجاباتهم امتدادا للإطار الاجتماعي الذي يعيشون فيه ويتفاعلون معه بما يحمله من قيم ومعايير.

وحتى في مجال القيم التعليمية بينا من خلال هذه الدراسة كيف أصبح الغش في الامتحانات ظاهرة تكاد تكون عامة بين أفراد عينة الدراسة، وأصبحت تجد لها مبررات في الوسط الجامعي وحتى خارجه، عن طريق بعض المقولات التي تعد كقالب جاهزة لتبرير ذلك السلوك وإضفاء نوع من الشرعية الاجتماعية عليه، إنه وفي ظل سيطرة القيم المادية لا يبقى للإنسان أن يبحث عن مبررات للسلوك بقدر ما يبحث عن وسائل لتحقيق أهداف معينة.

وإذا كانت النظريات الغربية تتكلم عن موت الإنسان وفقدانه لجوهره من حيث هو صانع لعالمه، فانه في هذه الدراسة تصدق هذه النظرة الى حد ما، حيث تبين الاستجابات على عبارة "في عالم اليوم لا اعتقد بوجود حب صادق بين الناس" يوافق على محتوى العبارة نسبة 70% من الذكور ونسبة 41% من الإناث بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 24% من الذكور ونسبة 27% من الإناث.

إن مستوى الاستجابات والدرجات العالية إزاء هذه العبارة يعكس حالة الصدمة التي يعيشها شبابنا من عينة الدراسة، إنها أزمة ثقة على نطاق واسع، إن قيمة الحب والصدق في تكوين علاقات اجتماعية وكأنها اختفت أو كادت أن تختفي كقيمة يجب التأكيد عليها من قبل المبحوثين، في مقابل الانتشار الرهيب للثقافة المادية، فالعالم المادي بما يمتلكه من قيم تجرد الإنسان من إنسانيته ومن قيمه النبيلة بل وتجعله يتجرد من جوهره الواعي وتحوله الى مجرد آلة يسعى الى الكسب، والى العيش وفق نموذج معين تحدده الثقافة المادية التي تتدفق من وسائل الإعلام ووسائط الاتصالات المختلفة.

ولعل التنشئة الأسرية والمدرسة الجزائرية وفقا لهذا المعطى يقع على عاتقها المسؤولية الكبرى كون أن الأسرة الجزائرية طالما كانت تنادي بقيم الأصالة وتسعى إلى الحفاظ على القيم الموروثة، لكن التحولات التي مست الأسرة الجزائرية في بنيتها لتتماشى مع النظام الاقتصادي والتحولات التي عرفها المجتمع الجزائري أثرت على وظيفتها وحتى على أولويات التنشئة فيها، كما أن النظام الاقتصادي السائد جعل من الوالدين يتخلون عن أدوارهما التربوية لصالح مؤسسات أخرى.

ولعل العبارات السابقة تبين بوضوح تأثر أفراد عينة الدراسة بالقيم الاقتصادية ونظرتهم المادية للكثير من القضايا فهل حقيقة أصبح "كل الناس يحبون المادة لا غير"، يوافق على محتوى العبارة نسبة 71% من الذكور ونسبة 70% من الإناث، وهي نسب عالية توضح اتجاه المبحوثين ورؤيتهم لباقي أفراد المجتمع، الذي تحكمه المصلحة المادية بين أفرادها، وهو مؤشر على تحولات عميقة حدثت في المجتمع الجزائري، سواء على مستوى البنى التحتية أو الفوقية، فما شهدته الأسرة من تحول على بنيتها من أسرة ممتدة الى أسرة نواة يعد استجابة لبروز النزعة المادية لدى الأفراد، فوضع المرأة تغير جذريا من حيث أنها حرمت -سابقا- من أبسط حقوقها في التربية والتعليم الى امرأة متحررة اقتحمت كافة المجالات في العمل.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 06% من الذكور ونسبة 19% من الإناث، كما أن نسبة 23% من الذكور لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة. وهي نسب قليلة ولعلها تعكس انتماءات أفراد عينة الدراسة وتمسكهم بالقيم التي نشئوا عليها.

في العبارة السابقة عبر المبحوثين عن رأيهم في أفراد المجتمع وهل حقيقة يقدسون المادة، وفي هذه العبارة يعبر المبحوثون عن رأيهم في الوسط الجامعي وهل نظرتهم للوسط الجامعي تتوافق مع نظرتهم للمجتمع بصفة عامة، من خلال عبارة "الصدقات الجامعية قائمة على المصالح الشخصية الضيقة".

حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 78% من الذكور ونسبة 40% من الإناث، بالنسبة للذكور هناك توافق في النظرة للمجتمع مع ما يسود الوسط الجامعي، من أن العلاقات الاجتماعية بين الطلبة تحكمها المصالح وما يرجو تحقيقه من الآخر سواء في الجامعة أو المجتمع، أما بالنسبة للإناث فيرون أن الوسط الجامعي أقل تأثرا بالقيم المادية في العلاقات الاجتماعية من المجتمع بصفة عامة، ومرد هذا الى أن الإناث أقل احتكاكا بأفراد المجتمع فهنّ يتفاععن مع الوسط الجامعي وأسرهن بكثافة، أقل ما يتفاععن مع المجتمع وأفراده، وأن الذكور أكثر تفاعلا مع

أفراد المجتمع، وهذه الاستجابات في مجملها تعبر عن حالة من التشيؤ والاغتراب لدى أفراد عينة الدراسة.

وكان كارل ماركس قد تكلم في كتابه "رأس المال" عن التشيؤ، مستخدماً مصطلح "صنمية السلع" مستفيداً في تحليلاته من الاقتصاد البرجوازي في القرن التاسع عشر كمرجعية لتوضيح هذه الظاهرة.

كما تكلم عنه "جورج لوكاش" إلا أنه أخرج المفهوم من سياقه الفلسفي الفكري ودلالته الاقتصادية إلى النطاق الاجتماعي (الإنثروبولوجي)، للحكم على طبيعة العلاقات الإنسانية التي تنبثق عن النزوع الاستهلاكي للفرد، ويؤسس لنزعته الاستهلاكية. وتكلم عنه مفكرون ومنظرون. ما يهمننا هو أنه أحد الإفرازات التي أنتجت الرأسمالية واقتصاد السوق، بعقلية الربح والخضوع، القائم على تجريد الإنسان من معناه وإسقاط مفاهيم السوق والنزعة الاستهلاكية على المفاهيم الإنسانية.

بينما لا يوافق على مضمون العبارة نسبة 13% من الذكور ونسبة 39% من الإناث، إذ يرون أن الجامعة فضاء مهم لتكوين صداقات خاصة من نفس الجنس أو من الجنسين وأنها مرحلة مهمة في صقل شخصية الفرد ويتعلم فيها الطالب الكثير من الأمور، خاصة وأنها فضاء يعطي نوعاً من الحرية، ولعله المكان الأول الذي يجعل الطالب يعيش خارج أسرته ويتمتع بنوع من الاستقلالية عنهم، كما أن نسبة 22% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

أما عبارة "أشعر بالغربة حتى بين أقرب الناس إلي"، يوافق على محتوى العبارة نسبة 60% من الذكور ونسبة 22% من الإناث، وينشأ الاغتراب من وجهة نظر فرويد نتيجة الصراع بين الذات وضوابط المدينة أو الحضارة، حيث تتولد لدى الفرد مشاعر الضيق والقلق حين يواجه ضغوط الحضارة وتعقيداتها المختلفة، فهذه الضغوط أو الضوابط الحضارية تؤدي بالضرورة إلى الكبت كحيلة دفاعية تلجأ إليها الأنا كحل للصراع بين رغبات الفرد وضوابط المجتمع ولكنه حل مرضي يؤدي إلى مزيد من الشعور بالقلق والاغتراب.

والمقصود هنا بالضوابط ما يواجهه الفرد من ضغوط وعدم تكيف بعد انتقاله من وسط اجتماعي معين إلى الوسط الجامعي، حيث يجده وسطاً مختلفاً يتيح قدراً من الاستقلالية والحرية، وربما يلزم الأفراد على التحلي ببعض الصفات كي يتماشى مع يتيح هذا الوسط من عمليات اجتماعية وتفاعل بين أفراد.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 07% من الذكور ونسبة 40% من الإناث، فالتحليل النفسي يوضح لنا أن الاغتراب ما هو إلا اغتراب في العلاقة التي تهدف إلى التوفيق بين مطالب الفرد وحاجاته وإمكاناته من جانب، وبين الواقع وأبعاده المختلفة من جانب آخر؛ وبعبارة أخرى: هو اضطراب في العلاقة بين الإنسان والموضوع علماً بأن الإنسان له طبيعة مخالفة لطبيعة الحيوان متعالية عليه بفضل تميزه عن الحيوان بالعقل والتفكير والخيال، ومن ثم كانت حاجته ومسؤوليته في التغيير من نفسه ومن العالم المحيط به.

كذلك تعرض علاقته بالموضوع إلى الاضطراب، الأمر الذي لا يحدث في علاقة الشعور بالأمن وتحقيق ذات الإنسان بوصفه إنساناً كي تتحقق الصحة النفسية والبعد عن الاغتراب.

غير أن نسبة 33% من الذكور لا يدرون ونسبة من 38% الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

2.4. علاقة التغير القيمي بالتشويؤ:

جدول رقم: (27)

يوضح معامل الارتباط بيرسون بين محاور مقياس التغير القيمي

وظهور التشويؤ لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة

التشويؤ		
مقياس التغير القيمي	قيمة معامل الارتباط	مستوى الدلالة
القيم الأسرية	*0.73	0.05
القيم الاقتصادية	*0.96	0.05
القيم السياسية	0.42	0.05
القيم التعليمية	0.20	0.05
القيم الدينية	0.33	0.05

يتضح من خلال تحليل محور التشويؤ أنه من بين المظاهر الأكثر شيوعاً بين أفراد عينة الدراسة من الجنسين، وذلك لسيطرة النظرة المادية لدى الأفراد لمختلف القضايا التي تشغلهم بحيث شكلت هذه النظرة خلفية لسلوكياتهم وتصرفاتهم.

ويحتل المركز الأول وفقاً لدرجات الاستجابة على مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، وبيننا العديد من مظاهره لدى أفراد عينة الدراسة، لكن السؤال المطروح ماهي القيم الأكثر ارتباطاً بالتشويء؟ أو ما هي القيم التي تساعد على ظهوره لدى الأفراد؟

من خلال بيانات الجدول رقم (27) يتبين أن القيم الاقتصادية تعد من بين القيم الأكثر ارتباطاً بظهور التشويء لدى المبحوثين حيث بلغ معامل الارتباط بين المحورين 0.96^* وهو يدل على ارتباط قوي ويدل أنه كلما سيطرت على الأفراد القيم المادية والاقتصادية كلما كانت علاقاتهم مبنية على المصالح وعلى التأكيد على قيم الربح وتحقيق المصلحة، وكلما انخفضت في المقابل لديهم القيم الأخلاقية والروحية، وهو ما يؤثر على سلوكياتهم وعلى انتماءهم للوسط الجامعي ودرجة تفاعلهم فيه، بحيث يصبح التشويء أهم مظهر يميز المبحوثين الذين يميلون إلى تبني القيم الاقتصادية والمادية وجعلها من بين أولويات القيم لديهم.

وفي ظل النظرة المادية التي تتحكم في شكل وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد فإنه يمكن أن نفر بأننا أمام تحدٍّ حقيقي ووعاءٍ لا يحمل في مضمونه سوى الربح ومسح العقل في ظل الثقافة الاستهلاكية السائدة، تتلاشى فيه قيمة الإنسان ومقولات الحب والفن والجمال والأخلاق والتسامح والإخاء والبحث عن الحقيقة، لتتحول إلى مفاهيم مجردة بعيدة كل البعد عن الإنسان، ولتتحول الخوض في تجاربها محض محاولات عبثية لا نفع منها، ولتتحول الوقت إلى معيار تجاري اقتصادي بالدرجة الأولى، ولتتحول الإنسان من مستوى المغزى إلى مستوى الشكل، إلى النزعة الأنانية والتملك والثقافة النرجسية وشرعنة الغاب، إلى اللانتماء، اللامعيارية القيمية، إلى الرضوخ لفيض المغريات الحسية، إلى "الرعية على دين ملوكها"، إلى تشكيل وعي استهلاكي سلبي، إلى الأشياء والأرقام...

كما يبين معامل الارتباط بين محور القيم الأسرية ومحور التشويء أنه دال على وجود علاقة بين التنشئة داخل الأسرة الجزائرية والقيم التي تسعى لتكريسها وتربية أبنائها عليها وظهور التشويء لدى الأفراد من عينة الدراسة، حيث بلغت نسبة معامل الارتباط 0.73^* ، وهي نسبة دالة عند مستوى دلالة 0.05، حيث بين محور القيم الأسرية أن أفراد عينة الدراسة لا يناقشون الكثير من القرارات مع أسرهم وأنهم يرتبطون بأسرهم في الجانب الاقتصادي فقط أي الاعتماد على الأسرة في توفير مصاريف الدراسة فقط، وإن أوليائهم عادة ما يفضلون ويقدرّون العامل من الأبناء داخل الأسرة على الطالب كونه يساهم في مصاريف البيت، إذ أنه ورغم أن أفراد عينة الدراسة ينزعون إلى الاستقلالية عن أسرهم لكن يبقى الجانب المادي وهو الأهم صعب التحقيق.

كما أن قيمة الطالب سواء في الأسرة أو في المجتمع من قيمة العلم وبيننا كيف تدهورت قيمة العلم في المجتمع الجزائري لصالح القيم المادية، حيث لم يعد العلم وسيلة لتحقيق الاستقرار المادي أو النجاح بقدر ما توجد آليات أخرى لتحقيقه وفي وقت أقل ولو بطرق ملتوية. وحتى الشهادة الجامعية ينظر إليها سواء من طرف المبحوثين أو أسرهم كشيء يسهل الانخراط في سوق العمل أو على الأقل يوفر حظوظا أكبر في الحصول على وظيفة، ويسود سؤال عادة ما يوجه الى الطالب في أسرته أو في المجتمع "بعدها تتخرج، واش تخدم" وعليه فالقيم الأسرية تغذي التشيؤ لدى أفراد عينة الدراسة، كون أن أسر المبحوثين والقيم التي يركزون عليها والسلوكات التي يقومون بها تعزز هذا المظهر من مظاهر الاغتراب لدى المبحوثين من عينة الدراسة.

وتظهر قيمة معامل الارتباط الخاصة بالقيم السياسية أنها غير دالة في الجدول أعلاه، لكن مع هذا لا ننسى ما ذكره المبحوثين فيما تعلق بالقيم السياسية فهي تدل على مظاهر عميقة للتشيؤ، إذ أظهرت النتائج أن العملية السياسية في الجزائر لا تعكس توجهات وطموحات المجتمع الجزائري بقدر ما تعكس رغبة المرشحين والسياسيين في تحقيق غايات مادية ومصالح شخصية ضيقة، في العملية السياسية كل شيء قابل للبيع والشراء؛ الأصوات، وسائل الإعلام، المرشحين الأحزاب، التجول بين الأحزاب السياسية أو شراء الانتماء السياسي، كل هذه المظاهر والقيم تنتشر على حساب قيم أخرى وعليه فالطالب الجامعي متابع للعملية السياسية رغم مقاطعته لها وهذا ما يدل على عدم رضاه على الواقع السياسي.

إذن هناك علاقة بين التغير في القيم الاقتصادية والأسرية التي يحملها الطلبة الجامعيون من الجنسين من أفراد عينة الدراسة بمختلف الاقامات الجامعية وظهور التشيؤ لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب.

5- عرض ومناقشة نتائج الفرضية الفرعية الخامسة: والتي مفادها: توجد علاقة بين التغير في نسق القيم لدى طلبة الاقامات الجامعة من الجنسين بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور العجز لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب.

1.5. مناقشة محور العجز:

والعجز هو شعور الفرد بعدم قدرته في التأثير على المواقف الاجتماعية المهمة في حياته، فهو لا يستطيع تقرير مصيره، أو التأثير في مجرى الأحداث، بل ولا يفهم لماذا تسير الأحداث على النحو الذي تسير عليه، فيبقى عاجزا عن صنع القرارات المصيرية المهمة في حياته، يشعر باللاحول واللاقوة، وبالتالي لا يستطيع أن يتخذ أي قرار بمفرده دون الرجوع الى أشخاص آخرين، ومصدر التأثير في قراراته لا تحدده إرادته أو رغباته بل يتحدد من خلال قوى وعوامل خارجة عن إرادته الذاتية، بالتالي يعجز عن تحقيق ذاته.

وفيما يلي استعراض لاستجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين إزاء محور العجز، ونسعى من خلاله الى تحليل العجز كمظهر من مظاهر الاغتراب والكشف عن مستوياته بين أفراد عينة الدراسة، وجاءت الاستجابات فيما تعلق بهذا المحور كالتالي:

الجدول رقم (28) يوضح
استجابات الطلبة والطالبات على محور العجز

لا ادري				لا اوافق				أوافق				مجموعاً : مقاييس مظاهر الانحسار و	
%	ذكور	%	إناث	%	ذكور	%	إناث	%	ذكور	%	إناث	محور العجز لدى الإناث و الذكور	
31	63	29	90	37	75	25	77	31	63	46	143	يصعب عليا معرفة الصحيح من الخطأ لأن العالم يتغير بسرعة	01
15	31	05	16	27	55	35	108	58	118	59	183	مشكلات الحياة أحيانا أكبر من طاقتي	02
37	75	16	50	56	114	52	161	06	19	31	96	ليس لي دور محدد في الحياة	03
13	27	22	68	34	69	26	81	53	108	52	161	يتناوبني الشعور بالعجز في تدبير أموري المستقبلية	04
11	22	12	37	53	108	31	96	36	73	57	177	اعتمد كثيراً على الآخرين في حياتي	05
05	10	05	16	34	69	19	59	72	147	76	236	المستقبل يبدو مخيف جداً	06
15	31	14	43	37	75	28	87	70	143	58	180	أشعر بعدم استطاعتي على التعبير عن أفكار ي ومشاعري كما يجب	07
22	45	31	96	24	49	03	09	54	110	66	205	يتناوبني الخوف من الفشل من اتخاذ القرار وحدي	08
36	73	23	71	62	126	58	180	04	08	20	62	لا أصلح لشيء في هذه الحياة	09
05	10	21	65	24	50	23	71	70	143	57	177	كثيراً ما أفقد القدرة على تغيير حياتي	10
514												المجموع	

من خلال البيانات المعروضة في الجدول رقم (28) يتبين أن أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة، عبروا عن استجاباتهم إزاء هذا المحور وجاءت درجات الاستجابة متقاربة بين الجنسين إزاء كل عبارة والتي تعكس القضايا التي تشغل الطالب في الحياة اليومية بالوسط الجامعي.

إن التغير السريع والمتلاحق سمة أساسية من سمات العصر الحديث، نظرا للمتغيرات التي أحدثت تطورا هائلا على مستوى المؤسسات والأفراد والاحتكاك بينهم، والتناقضات في مجالات الحياة العامة كما أثرت على أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين لمسايرة هذا الوضع، وأصبح الطلبة الجامعيون اليوم لا يكادون يستقرون على أمر من الأمور إلا ويجدون في حياتهم الدوافع والمبررات للبحث في سبيل تجاوز ما حققوه سابقا واستقروا عليه.

وفي هذا الصدد يوافق على محتوى العبارة يصعب عليا معرفة الصحيح من الخطأ لان العالم يتغير بسرعة، نسبة 31% من الذكور ونسبة 46% من الإناث، ونلاحظ إن هناك تفاوتاً في الاستجابة إزاء هذه العبارة مع الإقرار بان درجات الاستجابة من الجنسين تعتبر عالية خاصة بالنسبة للإناث، ومرد هذا الى أن الذكور أكثر تقبلاً للقيم الجديدة والتقدمية من الإناث اللائي يبقين محافظات، كما أن قيمهن مؤطرة وفق انتمائهن لجماعات من نفس خصائص منطقة السكن، أو العلاقات القرابية، فيحدث لديهن الإقرار على نفس القيم بين ما استقروا عليه من قيم وما يجدون له مبررات في مختلف المواقف لتجاوزه.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 40% من الذكور ونسبة 25% من الإناث. وهي استجابات تعكس تفاوتاً لصالح الذكور حيث يرون أن ما يرغبون في تحقيقه خاصة في الوسط الجامعي، يرجع بالدرجة الأولى الى قناعاتهم الشخصية والى تجاوز التقليدي والعيش بروح العصر دون تجاوز الخطوط الحمراء للمنظومة القيمية في المجتمع الجزائري كما عبر عنها البعض من أفراد عينة الدراسة.

إن الحياة الجامعية مثيرة وتختلف عن أي وسط في المجتمع فهي تتيح قدرا من الحرية والتفاعل الاجتماعي بين الجنسين، وتجعل الطالب الجامعي يمارس أدوارا ويشغل مراكز أشبه ما تكون في المجتمع، ولكنها قد تكون مليئة بالتوتر والضغط خاصة على مستوى الاقامات الجامعية، وما لاحظناه من مظاهر سلبية ونقص في بعض الخدمات وإتلاف للمرافق فيها، وانتشار ظواهر وآفات اجتماعية في الوسط الجامعي أو في محيطه، تصعب من الحياة في الإقامة الجامعية وتؤثر على تكيف الطلبة واندماجهم مع الوسط الجامعي، ومع هذا يجد الطالب نفسه مجبرا على أداء الكثير من المهام في دراسته الجامعية في وقت محدد، إضافة الى ما تمليه عليه

واجباته في الحياة اليومية في الأسرة أو خارجها وقد يكون عاملاً مؤقتاً أو موظفاً أو مساعداً لأبيه في مهنة ما... تبعا لحالته وظروفه الاجتماعية والاقتصادية.

فالحياة الجامعية فترة انتقالية يختار فيها الطالب دراسيا ما يعتقد أن يمكنه أو يؤهله لوظيفة ما أو عمل ما، وبذلك ما يريده من الدراسة الجامعية هي زيادة فرص حصوله على وظيفة، وبذلك تصبح التزاماته الجامعية والعائلية ومشاكل الحياة جزءا من عملية التغير والتعديل في قيمه وسلوكه ونظرته لذاته، وتثير بذلك لديه الضغوط النفسية والاجتماعية التي تجعله يشعر بالاغتراب والعجز.

وبخصوص العبارة التي تعكس ما ذهبنا إليه "أن مشكلات الحياة أحيانا أكبر من طاقتي" يوافق على محتواها نسبة 58% من الذكور ونسبة 59% من الإناث، وهي عبارة حققت نسبة عالية من الاستجابات وشبه اتفاق بين المبحوثين من الجنسين؛ لأنها تعكس ما يعيشه الطالب الجامعي وما يرغب في تحقيقه، وحجم الضغط الذي يتعرض إليه، فمن جهة الحياة اليومية بتعقيداتها وتغيراتها ومتطلباتها، ومن جهة أخرى تطلعاتهم في الدراسة الجامعية وما تفرضه عليهم من التزامات وما يعلقه الطالب عليها من آمال وطموحات.

وربما هذا ما يفسر ظاهرة الإضرابات المطالبة برفع نسبة الانتقال إلى "الماستر" في الجامعة، من أجل تدعيم فرصهم وحظوظهم في الحصول على وظيفة بتحسين مستواهم الدراسي دونما الخضوع للشروط الإدارية التي تفرض معايير معينة في الانتقال من مستوى لآخر.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 27% من الذكور ونسبة 35% من الإناث. إذ يرون أن الحياة الجامعية بالفعل مرحلة انتقالية ويجب التعامل معها وفق معطياتها دونما قلق.

إن الاغتراب يؤثر على الدور الذي يقوم به الفرد في المجتمع فيولد لديه الإحباط والعجز وافتقاد المعنى، وأنه كلما زادت المواقف الضاغطة على الفرد كلما قلّ اتزانه النفسي، فيحس أن لا دور له في الحياة، وأن الدراسة الجامعية لا جدوى منها، ونحاول من خلال عبارة "ليس لي دور محدد في الحياة" أن نتبين مدى استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء هذه العبارة، إذ يوافق على محتوى العبارة نسبة 06% من الذكور ونسبة 31% من الإناث، لا شك أن هناك تفاوتاً في الاستجابات إزاء هذه العبارة بين الذكور والإناث، فالذكور بنسبة قليلة جداً يوافقون على محتواها بينما ثلث الإناث من عينة الدراسة يوافقون على أن لا دور لهم في الحياة، ومرد هذا إلى أن المرأة في المجتمع الجزائري خاصة في البيئة الريفية لا تتمتع بكامل درجات الحرية الفردية المتاحة لنظيراتها في البيئة الحضرية أو تلك المتاحة للذكور في البيئتين، وعليه فإن أدوارها محددة سلفاً أي اجتماعياً أو أسرياً، لا انطلاقاً من رغباتها الشخصية، فالمرأة في ثقافتنا هي ربة

البيت بالدرجة الأولى، فهي لا تشارك في اتخاذ القرار داخل الأسرة وربما ليس لها الحق حتى في تقرير أمورها المصيرية.

وبينما في المحور المتعلق بالقيم الأسرية من هذه الدراسة أن 30% يؤكدون على أنه لا يوجد حوار داخل الأسرة وأنهم لا يناقشون الكثير من القرارات الأسرية وأن الأم دائما ما تلعب دور الوسيط بين الأب والأبناء في مناقشة القرارات الأسرية.

لأن الأب يملك سلطة مرجعية القانون ويعتمد كرمز للتماهي والتقليد على الصعيد الذهني، أما الأم فهي صاحبة السلطة العاطفية التي تبعث عند الأبناء الشعور بالأمان والاطمئنان والانتماء وهي التي تؤمن لهم حرارة العلاقة الأسرية، لذلك نجدها تعمل دور الوسيط بين الأب والأبناء في الأسر التي لا تعتمد على الحوار والنقاش في اتخاذ القرارات الأسرية.

بينما لا يوافق على مضمون العبارة نسبة 57% من الذكور ونسبة 52% من الإناث، إذ يرون أن لهم أدوارا في الحياة بل ويرسمون أهدافا مستقبلية تعتبر فيها الحياة الجامعية مرحلة انتقالية تعزز من فرص تحقيقها، كما أن نسبة 37% من الذكور لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

وهذه النسبة من الاستجابات عالية جدا، ذلك أن تفسير من لا يدري أن له دورا أم لا يعبر على أنه لا يملك أهدافا وقد يقوم بأدوار متناقضة مع المرحلة التي يعيشها، وهي تعبر عن اضطراب في التفكير وضعف في القدرة على التركيز، وهذا ما يؤثر على القدرة في إصدار الأحكام وأسلوب اتخاذ القرارات، ولا شك أن هذا بتأثير من المواقف التي يتعرض لها الطالب الجامعي في الوسط الجامعي أو خارجه.

إن كل فرد منا مهما كان الدور أو المركز الذي يشغله، ومهما كانت انتماءاته الثقافية أو السياسية إلا ويسعى إلى تحقيق ذاته، وحدّد ماسلو الذي يُعدّ من أهم علماء النفس الذين تحدثوا عن الذات، سلم الحاجات الإنسانية Hierarchy of the needs حسب أهميتها التي تنتهي بحاجة تحقيق الذات. فعدم إشباع تلك الحاجات في المستويات الأربعة الأولى سيؤدي حسب رأي ماسلو؛ إلى حدوث القلق الذي يدفع بالفرد إلى محاولة إشباعها بغية استعادة التوازن، والطالب الجامعي وفق هذه المقاربة لم يتخطى المراحل الأربعة الأولى لاعتبارات تتعلق بالمرحلة التي يمر بها، وهي في كل الأحوال أحد الشروط الموضوعية لتحقيق ذاته، ولا اعتبارات أخلاقية تتعلق بالثقافة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطالب والتي تحرم بعض الإشباع كإشباع الجنسي لأن الدين هو الذي ينظمها وفق شروط معينة.

كما أن الطالب الجامعي من الجنسين - لا يتمتع بالاستقلالية في حياته فهو تابع لأسرته في الكثير من الجوانب خاصة الجانب الاقتصادي، فالأسرة هي التي تؤمن له حاجاته المادية، كما أن الحديث عن المستقبل يتعلق بالأساس في الحصول على وظيفة لأنها تحقق له الاستقلالية المادية والتصرف في حياته حسب الأولويات التي يراها.

وعليه لا يخفى على أحد ما ينتشر في المجتمع الجزائري من مظاهر للفساد، هذا الفساد الواسع يحدث فقدان الثقة في النظام الاجتماعي والسياسي، ويظهر أكثر في طرق الحصول على وظيفة، وبالتالي فقدان شعور المواطن والانتماء القائم على علاقة تعاقدية بين الفرد والدولة، إلى جانب هجرة العقول والكفاءات، والتي تفقد الأمل في الحصول على موقع يتلاءم مع قدراتها، مما يدفعها للبحث عن فرص عمل ونجاح في الخارج. هذا الذي يؤدي إلى خلخلة القيم الأخلاقية وإلى الإحباط وانتشار اللامبالاة والسلبية بين أفراد المجتمع، وبروز التعصب والتطرف في الآراء وانتشار الجريمة كرد فعل لانهايار القيم وعدم تكافؤ الفرص.

وفي ظل ما تقدم يمكن أن نتبين مدى تأثير مثل تلك المظاهر السلوكية في الطلبة الجامعيين ونظرتهم للمستقبل، بتحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين حول عبارة "ينتابني الشعور بالعجز في تدبير أموري المستقبلية" حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 53% من الذكور ونسبة 52% من الإناث، وهي نسبة استجابات عالية تؤكد تأثر أفراد عينة الدراسة بالعوامل النفسية والاجتماعية التي ذكرناها سابقا، لان الأفراد ليسوا بمعزل عن البيئة الاجتماعية وما يسود فيها من ممارسات سلوكية تعبر عن قيم اجتماعية، خاصة وان تمثلاتهم وتصوراتهم لعملية التوظيف متشائمة جدا وتتم في الغالب وفق الأساليب غير المشروعة حسبهم، غير أنه لا ننكر أن هناك صورة مشرقة تلوح في الأفق فيما تعلق بالتشغيل في الجزائر ومكافحة الفساد وتوفير فرص الشغل خاصة للطلبة الجامعيين.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 24% من الذكور ونسبة 26% من الإناث. وربما يشعرون بالعجز إلا أنهم يطورون أساليب لتجاوزه وتحقيق ذاتهم وسمى أدلر تطوير الإنسان لحياته وتحقيق التفوق على الآخرين الذي يتم بدافع الشعور بالعجز، بـ(أسلوب الحياة)، وكل فرد فريد في أسلوب حياته، بسبب التأثيرات المختلفة للذات الداخلية وتركيباتها، حيث يدفع الشعور بالعجز الإنسان إلى العمل، وزيادة العمل، وإتقانه من قبيل التعويض عن النقص.¹

¹ - متولي عباس إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص 102.

أما فيما تعلق بعبارة "اعتمد كثيرا على الآخرين في حياتي" يوافق على محتوى العبارة نسبة 36% من الذكور ونسبة 57% من الإناث، لا شك أنه وبحكم القيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الجزائري والتي تجعل من المرأة أكثر تبعية لأسرتها وأكثر اتكالية واعتمادية من الذكور وهذا ما يفسر التفاوت بين الإناث والذكور من عينة الدراسة في استجاباتهم إزاء هذه العبارة غير أن الذكور بدورهم يشكلون نسبة لا بأس بها ومرد هذا أن المرحلة الجامعية تتسم بكثرة المصاريف دون وجود دخل كاف مما يجعل الطالب يعتمد على أسرته أو أحد أفرادها ماديا، وبالتالي من يوفر الدعم المادي في أغلب الأحيان يشكل مرجعا للطالب في اتخاذ قراراته، ومناقشتها.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 57% من الذكور ونسبة 31% من الإناث. وهو تعبير عن المرحلة الجامعية وما تتسم به من إعداد وتدعيم لمختلف جوانب الشخصية، وعن القدر الذي تتيحه من الحرية والاستقلالية للطالب الجامعي دونما الاعتماد على الأسرة أو جماعة الأصدقاء في اتخاذ القرارات أو القيام بأعمال معينة كاجتياز الامتحانات أو انجاز واجبات دراسية.

وعندما يتصف فرد ما بالقلق حول المستقبل، فهو يعبر به عن إستعداده في تقديم إستجابة سلوكية تتميز بالثبات النفسي عبر المواقف المثيرة والتي لا تظهر لدى الأفراد الآخرين بنفس الحدة إذا ما تعرضوا لنفس المواقف. ويحول القلق في حالاته الشديدة حياة الفرد إلى حياة عاجزة، ويشل قدرته على التفاعل الاجتماعي والتوافق البناء، والفرد عندما يشعر بقلق حول المستقبل، فإنه يشعر بالعجز اتجاهه. ويرى سيليكمان إن هذا الشعور بالعجز الذي يطلق عليه "العجز المكتسب بالتعلم"، يرتبط مباشرة بالاكنتاب.

وعليه حاولنا أن نتبين مدى وجود القلق حول المستقبل لدى أفراد عينة الدراسة من خلال عبارة "المستقبل يبدو مخيفا جدا" إذ تبين أنها حققت أعلى نسبة استجابة، حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 72% من الذكور ونسبة 76% من الإناث، وبالرغم من إعتقاد علماء التحليل النفسي ونظرية الأنماط، بأن الأمزجة المتواجدة داخل الشخصية هي مصدر سلوك الإنسان، فإن للظروف المحيطة بالإنسان دور هام على أفعاله وتفكيره وشعوره، وبالتالي على سلوكه وشخصيته. فشخصية الفرد تتغير باستمرار مع التجارب التي يمر بها وفق تأثير عوامل البيئة الاجتماعية والثقافية خاصة في ظل المعطيات السائدة في المجتمع الجزائري والتي ذكرناها آنفا.

وتوصل "ماو" إلى أن "الطالب يشعر بالعجز داخل الجامعة حينما يتوقع أن سلوكه مقيد من قبل الآخرين"¹، وخاصة الإدارة الجامعية والإقامة التي ينتمي إليها ومن على شاكلتهم خارج أسوار الجامعة. بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 23% من الذكور ونسبة 19% من الإناث. وعلى الرغم من أنها نسبة استجابات ضئيلة إذا ما قورنت بسابقتها إلا أنها تعبر عن نسبة من الطلبة الجامعيين، يحتفظون بالأمل ويتطلعون إلى المستقبل وتحقيق ذواتهم.

وحسب تحليلات إيريك فروم إن المجتمع هو الذي يحدد سلوك الفرد ويتحكم فيه، بل وينتج غرائزه ويقودها ويختار ما يناسبه منها طبقا لضروريات الحاجيات الاقتصادية المتحكمة في هذا المجتمع، فهذا الأخير هو الذي يصنع بميكانيزماته الخاصة سلوك الفرد ومنها اللاوعي المجتمعي. وإذا كان الأنا الأعلى عند فرويد مكونا من القيم والمثل العليا التي تسود مجتمعا ما، فإن هذه القيم والمثل في نظر فروم محكومة بطبيعة نمط الاقتصاد السائد في المجتمع.² وبالتالي فهو يشترك مع الاتجاه الماركسي في مقولة أن البنى التحتية هي التي تحدد طبيعة البنى الفوقية، أي طبيعة النظام الاقتصادي هي التي تحدد نمط القيم والعلاقات الاجتماعية كامتداد لعلاقات الإنتاج وتوزيع رأس المال، دون أن يبتعد عن مقولات التحليل النفسي بل ويبرز كيف يتشكل الأنا الأعلى متأثرا بالنمط الاقتصادي السائد، وبالتالي يفقد الإنسان في ظل الثقافة الاستهلاكية والاتجاه المادي للحياة المعاصرة جوهره وحقيقته.

ونحاول في هذا الإطار أن نتبين استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين وهل افتقدوا إلى هذا البعد في ظل القيم السائدة في المجتمع الجزائري التي تنزح إلى اقتصاد السوق، وتفكك الكثير من مظاهر التضامن الاجتماعي التي كانت سائدة من قبل، ويتجلى ذلك في عبارة "أشعر بعدم استطاعتي على التعبير عن أفكاري ومشاعري كما يجب"، حيث يوافق على محتوى العبارة نسبة 70% من الذكور ونسبة 58% من الإناث، لا شك أنها نسب عالية من العجز في التعبير عن المشاعر والأفكار والاتجاهات في ظل القيم السائدة في الوسط الجامعي ومنه في المجتمع الجزائري بصفة عامة، وتفسير هذا ما توصلنا إليه في المحور المتعلق بالقيم الاقتصادية حيث تبين أن القيم الاقتصادية والاتجاه المادي للأفراد في المجتمع الجزائري أفقدهم كثيرا من القيم وربما اختفت بعضها، وتدعيما لذلك يرى 77,45% من المبحوثين في محور القيم الاقتصادية أنه أصبحت الثروة هي من تكسب السمعة والمكانة في المجتمع، والثروة بمعنى المال

¹ - Mau, R. (1992). The Validity and Evaluation of a Concept: Stude Alienation. Adolescence, 27, (107), 731-741.

² - إيريك فروم: الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ص 10

وحسب المبحوثين أن يكون لك المال فتحترم ولا يهم من تكون أو أخلاقك أو القيم التي تؤمن بها، فالنظرة المادية للطلبة الجامعيين تمتد الى المجتمع والعلاقات السائدة فيه.

كما أن الفرد الناجح اجتماعيا ليس المثقف ولا المتعلم ولا ذلك الذي يمتلك أعلى الشهادات، بل الناجح هو من يملك المال أو ما يدل على الثراء ومظاهره، ولعل العلم لا يكسب المال الوفير ومنه نلاحظ قلة الاعتبار الاجتماعي للطلاب الجامعي ولطالب العلم بصفة عامة في المجتمع الجزائري إذا ما قورن بفئات أخرى، أو إذا ما قارنا الطالب الجامعي بفترات سابقة حيث كان يكتسي قداسة واحتراما بين كافة فئات المجتمع. بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 15% من الذكور ونسبة 42% من الإناث.

وتأتي عبارة "ينتابني الخوف من الفشل من اتخاذ القرار وحدي" يوافق على محتوى العبارة نسبة 52% من الذكور ونسبة 30% من الإناث، إن ما توصلنا إليه في هذا المحور من قلق حول المستقبل والعجز في التفكير فيه والتأثر بالنماذج الاجتماعية التي يعتبرها المجتمع قد حققت النجاح واعتبارا لما يسود من فساد إداري وعراقيل تحيط بعمليات التوظيف، ونظرا لعدم الاستقلالية والتبعية التي يتمتع بها أفراد عينة الدراسة فإنها عوامل تؤدي بالفرد لا محالة الى الخوف من اتخاذ القرار بمفرده دون الرجوع الى أسرته أو الى جماعته، إن الخوف من الفشل؛ هو خوف في حد ذاته ينم عن عجز يترجمه الاعتماد على الآخرين سواء ما تعلق بالحياة الجامعية وما تتطلبه من اختبارات وواجبات والتزامات، أو الحياة اليومية بتعقيداتها واملاءاتها مما يجعل الفرد يواجه موافقا يجب التعامل معها لا الهروب منها.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 34% من الذكور ونسبة 17% من الإناث، وهي درجات استجابة تعكس نوع من الاستقلالية لدى أفراد عينة الدراسة، وتترجم وعيهم بالمرحلة التي يمرون بها، كما يمكن أن تكون حسب علماء النفس مرحلة النضج في الشخصية بمختلف جوانبها، إنها مرحلة الانطلاق لتحقيق الذات للكشف عن شخصية الفرد واتجاهاتها، أنها المرحلة التي يجد الفرد فيها نفسه محتاجا الى الطرف الآخر وبالتالي الى تكوين علاقات تحقق له الإشباع النفسي والتفكير في المستقبل، كما أن ممارسة بعض الأنشطة الطلابية أو الانخراط في المنظمات الطلابية من شأنها أن تكون إعدادا وتهيئة للأفراد وتزويدهم بالخبرات اللازمة ليكونوا فاعلين في المستقبل ويتمثلون أدوارا قيادية. غير أن نسبة 31% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

إن الكثير من حالات العجز الذي يعاني منها الطالب الجامعي في اتخاذ قراراته قد يكون متأثراً من حالة الصراع التي تواجهه بين رغبته في التمتع بحريته وخوفه من فقدان مصادر إشباع حاجاته المادية.

أما عن الاستجابات حول عبارة "لا أصلح لشيء في هذه الحياة" ومن ملاحظتنا في الوسط الجامعي تبين أن الشباب في مرحلة التعليم الجامعي يعاني من نقص في العلاقات الاجتماعية وبعض مهاراتها اللازمة لتحقيق الذات، نتيجة للآثار السلبية للتنشئة الاجتماعية التي تكونت في شخصياتهم، مما يؤدي بهم إلى العزلة والوحدة النفسية أو الشعور بالاكتئاب أو الاضطرابات الانفعالية، كما يفقدون توازنهم النفسي.

ويرى ماجزكوفيك أن الشعور بالعجز والعزلة في مرحلة التعليم الجامعي يفوق المراحل العمرية الأخرى؛ وذلك نتيجة لظهور حاجات شخصية جديدة للفرد وعوامل بيئية متداخلة داخل الحياة الجامعية، كحاجته للود والألفة في علاقاته الشخصية، وحاجته إلى الشعور بالانتماء من خلال تكوين علاقات ودية حميمة مع الآخرين، وفشل الفرد في بناء مثل هذه العلاقات الاجتماعية يساهم بدرجة كبيرة في شعوره بالوحدة والقصور.

وجاءت الاستجابات إزاء عبارة لا أصلح لشيء في الحياة؛ يوافق على محتوى العبارة نسبة 04% من الذكور ونسبة 20% من الإناث، على قلة درجات الاستجابة إزاء هذه العبارة فإنها تعكس أن هناك من أفراد عينة الدراسة من يعانون من الوحدة والعجز وإن درجات الاغتراب لديهم عالية، فالمرحلة الجامعية بما تتيحه من تفاعل اجتماعي مع الأفراد ومختلف الفعاليات والأنشطة التي تتيحها الجامعة، إلا أن هناك من لا يشعر بالانتماء إليها، أو لم يجد ما يشبع حاجاته ورغباته في هذا الوسط.

بينما لا يوافق على مضمونها نسبة 62% من الذكور ونسبة 58% من الإناث، إذ يرون أنهم طلبة جامعيون يتمتعون بالكثير من الامتيازات التي لم تتح لغيرهم وأن عليهم إثبات ذاتهم في هذه المرحلة أكثر من التفكير في المستقبل وتعقيداته، لأن المستقبل يتعلق بما قدره الله وأن الفرد عليه أن يقدم الأسباب الكفيلة بالنجاح، وهذه العبارة لم ترق للمبحوثين أثناء تطبيق الاستمارة على اعتبار أنها متشائمة كثيراً. كما أن نسبة 34% من الذكور لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

ويرى حليم بركات أنه قد سلبت الدولة في مختلف دول الوطن العربي المجتمع وظائفه الحيوية واحتكرتها لنفسها، لقد سيطرت الدولة على مختلف البنى الاجتماعية؛ منها السيطرة على العائلة والقبيلة والطائفة والدين والأحزاب والنقابات والجمعيات، وسخرتها لتحقيق أمنها الخاص

واستمرار حكمها على حساب أمن المجتمع وسلامته، وما زاد من سلطوية الدولة ضعفها اتجاه القوى الخارجية، وحاجتها إلى الحماية والمساعدة.¹

فهي أنظمة مغرّبة تحيل الشعب أفرادا وجماعات وطبقات وحركات اجتماعية إلى كائنات عاجزة، في علاقاتها بالمؤسسات العامة وبذاتها، ببساطة شعب مغلوب على أمره، مستلب من حقوقه وممتلكاته المادية والمعنوية ومنجزاته ومؤسساته، ومهدد في صميم حياته وكيانه.²

فالجزائري مثلا يعرف أنه يستطيع أن ينتخب ممثليه السياسيين، ولكنه يدرك جيدا في الوقت ذاته أن العملية الانتخابية ستؤدي إلى استمرار نفس الطبقة الحاكمة، إنّ مثل هذا الإدراك المستمر يزيد من حدة شعور الفرد بالعجز، مع يقينه أنه يعيش في ظل دولة ديمقراطية وتتادي بالحرية، لكن الديمقراطية التي يمارسها هي شكلية في جوهرها، وهذا ما يزيد من خيبة أمله ويأسه.

وتبين نسب الاستجابة في الجدول أعلاه على العبارة التالية "كثيرا ما افقد القدرة على تغيير حياتي" أنه يوافق على محتواها نسبة 70% من الذكور ونسبة 57% من الإناث، وهي نسب استجابة عالية خاصة من الذكور، لأنه لا يمكن فصل العوامل الداخلية التي يعيشها الفرد عن إطارها الاجتماعي، والظروف المحيطة بالفرد ونمط علاقته بالمؤسسات التي ينتمي إليها والتي تعمل على تكريس قيم معينة، وبالتالي يجد الطالب الجامعي أنه عاجز على تغيير الكثير من الأمور بمفرده؛ لأن الأنا الأعلى لديه تكوّن وتشكل متوافقا لما تملّيه عليه مؤسسات المجتمع التي تضعف وتقلل من شأن الهو والأنا معا، وبالتالي يبقى الفرد دائم الاعتقاد بأنه بحاجة إلى الآخرين لمساعدته. بينما لا يوافق على مضمون العبارة نسبة 25% من الذكور ونسبة 23% من الإناث، كما أن نسبة 21% من الإناث لا يدرون أو لم يعبروا عن رأيهم حول محتوى العبارة.

¹ - حليم بركات ، مرجع سبق ذكره، ص 75

² - نفس المرجع، ص 76.

2.5. علاقة التغير القيمي بالعجز:

جدول رقم: (29)

يوضح معامل الارتباط بيرسون بين محاور مقياس التغير القيمي
وظهور العجز لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة

العجز		
مستوى الدلالة	قيمة معامل الارتباط	محاور مقياس القيم
0.05	*0.51	القيم الأسرية
0.05	*0.44	القيم الاقتصادية
0.05	*0.72	القيم السياسية
0.05	0.49	القيم التعليمية
0.05	0.22	القيم الدينية

من خلال تحليل استجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين يتبين أن الكثير من حالات العجز الذي يعاني منها الطالب الجامعي في اتخاذ قراراته قد يكون متأثراً من حالة الصراع التي تواجهه بين رغبته في التمتع بحريته وخوفه من فقدان مصادر إشباع حاجاته المادية.

كما يتمظهر العجز في عدم قدرة الطالب الجامعي في بناء علاقات اجتماعية في الوسط الجامعي تتميز بالثقة والاستقرار، من شأنها أن تعزز الانتماء لديه، كما أن النشاطات الجامعية ومختلف الفعاليات ينظر إليها في الأغلب بنظرة سلبية بين الطلبة كل حسب تكوينه النفسي وحاجاته الاجتماعية، غير أن التكيف مع الوسط الجامعي يظهر في توافق الطالب مع هذا الوسط، وانخراطه في مختلف التنظيمات الثقافية والرياضية والطلابية، واستفادته مما يقدم في الوسط الجامعي.

كما انه واعتباراً للمرحلة العمرية التي يمر بها الطالب الجامعي، والتكوين الذي يتلقاه في الجامعة وما تتيحه من فرص للتفاعل الاجتماعي والثقاف بين الطلبة على اختلاف اتجاهاتهم، من المفروض أن يكون متفهماً لكل ما يحدث في المجتمع واعياً وحاملاً لقضاياها متفاعلاً معها، غير أن أفراد عينة الدراسة اظهروا عدم اهتمام لما يجري حولهم، علاوة على عدم فهمهم للأحداث السياسية والاقتصادية وغيرها التي تجري في المجتمع الجزائري والعربي، كونها أحداث متسارعة وتتغير بسرعة وعليه لا يمكن تمييز الصحيح من الخطأ خاصة في ظل التطورات التي أفرزتها التحولات السياسية على مستوى الدول العربية وأحداث الربيع العربي.

ونلاحظ من خلال البيانات المعروضة في الجدول رقم (29) أن هناك علاقة ارتباطيه دالة بين القيم الأسرية وظهور العجز كمظهر من مظاهر الاغتراب لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، حيث بلغ معامل الارتباط 0.51^* وهو دال عند مستوى دلالة 0.05، إذ توصلنا من خلال تحليل القيم الأسرية الى أن اغلب أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين لا يتمتعون بالاستقلالية في شخصياتهم، أنهم اعتماديون الى درجة كبيرة، وربما بيتنا أن الاعتمادية أخذت منحى مرضي بتأثيرها على المسار الدراسي لديهم؛ وما الغش في الامتحانات إلا دليل على الاعتمادية وعدم الثقة في النفس وسوء لتقدير الذات وهي كلها سمات تنشأ من خلال التنشئة الأسرية.

وعليه فالتنشئة الاجتماعية والأساليب التي تتم بها في المجتمع الجزائري وآلياتها؛ من حيث انعدام الحوار بين أفرادها وعدم المشاركة في مناقشة واتخاذ القرار داخل الأسرة، وتركيز الأسرة على إشباع الحاجات الأولية دون مراعاة للجوانب الأخرى في شخصية الفرد، تساهم في تطبيع الفرد على قيم معينة تغذي لديه الشعور بالعجز، من جهة أخرى تبين أن للبناء الاجتماعي والقيم السائدة في المجتمع الجزائري تأثير على الأفراد في نظرتهم للمستقبل والتطلع الى تحقيق أهدافهم، فانهيال القيم التي تعلي من شأن التعليم والشهادة الجامعية وانتشار الفساد وتبريره اجتماعيا، يعد عاملا مساعدا على ظهور الشعور بالعجز وهذا ما تبيناه لدى أفراد عينة الدراسة. كما تدل بيانات الجدول أعلاه على أنه هناك علاقة ارتباطيه دالة إحصائيا بين القيم الاقتصادية التي يحملها الطالب الجامعي من عينة الدراسة وظهور الشعور بالعجز لديه، حيث بلغ معامل الارتباط 0.44^* عند مستوى دلالة 0.05.

إذ تبين أن الاتجاه الغالب لدى أفراد عينة الدراسة هو اتجاه مادي يعلي من شأن القيم المادية على حساب قيم أخرى، وهذا مبين في نتائج الدراسة إذ احتلت القيم الاقتصادية المقام الأول على مقياس التغير القيمي، وهي نزعة لم تكن موجودة لدى الطالب الجامعي حسب الدراسات السابقة التي أجريت حول القيم في الوسط الجامعي الجزائري، فالسعي وراء تحقيق النجاح المادي يحتل أولوية كبيرة بين أفراد عينة الدراسة، وحتى ولو لم تكن الطرق مشروعة، وربما هذا يرجع الى التمثلات الاجتماعية للطالب الجامعي اتجاه النجاح الاجتماعي، وتصوراتة حول من هو الناجح اجتماعيا.

إن القيم التي يحملها الطالب الجامعي هي امتداد للقيم السائدة اجتماعيا وانتماءه الى الوسط الجامعي لم يؤثر فيه الى الدرجة التي تجعله يقر بقيم عقلانية قد لا تتماشى مع ماهو اجتماعي،

إن الطالب الجامعي لا يصنع قيمه ولا يؤكدّها أو ينفيها بقدر ما هو مسير لها، أو كما نقول في المثل الشعبي "كي الناس".

كل هذا يقابله قلة الاعتبار الاجتماعي للمتقف لحامل الشهادة الجامعية، ولعل عوامل كثيرة مهدت لهذا الوضع، منها تدني مستوى شهادة البكالوريا، وكثرة خريجي الجامعات، وقلة الوظائف وفرص العامل، كما أن النجاح وتحقيق الذات لا يعتمد على الشهادة والكفاءة بقدر ما يعتمد على كيفية استغلال الفرص وانتهازها في ظل ما يوفره اقتصاد السوق من فرص.

كما يظهر من خلال بيانات الجدول أنه للقيم السياسية علاقة ارتباطية دالة إحصائيا في ظهور العجز لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، حيث بلغ معامل الارتباط بين المتغيرين 0.72^* عند مستوى دلالة 0.05.

من خلال استجابات أفراد عينة الدراسة من الطلبة الجامعيين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة المسيلة من الجنسين، يتبين بأن أغلب أفراد عينة الدراسة لا تعنيهم السياسة، ولا يريدون الانخراط في العملية السياسية، حتى أداء الواجب الانتخابي يلاقي نوعا من الرفض، وهذا يعبر عن قطيعة بين السياسي والاجتماعي كون الطالب الجامعي يرى بان صانعي القرار السياسي لا يضعون له اعتبارا ولا يعملون له حسابا، فيمتد هذا المفهوم لدى الطالب الجامعي ليشمل كل أنواع الاتجاهات السلبية نحو المجتمع عموما والنظام السياسي خصوصا.

كما يلاحظ من العرض السالف لاستجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم السياسية، أن هناك أزمة في المشاركة السياسية للطالب الجامعي، بالرغم من اختلاف الاستجابات إلا أن هناك تشابها فيما بينها مما يؤكد الاتجاه العام السائد والرافض للعملية السياسية والانخراط فيها، لعدم الثقة في الانتخابات وبأهمية الصوت الانتخابي وضعف فاعلية الوسائط السياسية كالأسرة والمؤسسة الجامعية، ووسائل الإعلام والأحزاب، فضلا عن الانشغال بالدراسة الجامعية ومشاكل الحياة اليومية، وربما اللامبالاة والاعتقاد بعدم جدوى المشاركة السياسية.

إذ يمكن أن نرجع العجز الى العامل السياسي وفقا لهذا المفهوم، نظرا لصورية العملية السياسية وعدم وضوحها، وجعلها مجرد مسرحية تتجدد في كل مرة ويعرف الجميع نهايتها، فما جدوى أن ينتخب الفرد وهو يعلم أن الوضع سوف يبقى على ما هو عليه، إنه لا يمكن فصل العوامل الداخلية أو النفسية للفرد عن إطارها الاجتماعي الذي وجدت فيه.

كما تبين نتائج الجدول أعلاه أنه لا توجد علاقة دالة إحصائيا بين القيم التعليمية والدينية وظهور العجز لدى الطلبة الجامعيين من الجنسين من عينة الدراسة.

وعليه فإن الفرضية التي مفادها أن هناك علاقة بين التغير في نسق القيم التي يحملها الطلبة الجامعيون من الجنسين بالاقامات الجامعية بجامعة المسيلة وظهور العجز لديهم كمظهر من مظاهر الاغتراب قد تحققت بنسبة كبيرة.

ثانيا. ترتيب مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي حسب درجات الاستجابة:

جدول رقم (30) يبين ترتيب مظاهر الاغتراب حسب المتوسط الحسابي

مظاهر الاغتراب	التشويؤ	اللامعنى	العزلة الاجتماعية	اللامعيارية	العجز
المتوسط الحسابي	23.83	21.72	20.88	19.25	17.48

يتبين من خلال الجدول أعلاه أن التشويؤ يتجلى لدى أفراد عينة الدراسة كأكثر مظاهر الاغتراب شيوعا بين أفراد عينة الدراسة من الجنسين حسب قيمة المتوسط الحسابي والذي بلغ 23.83، ومرد ذلك أن القيم التي يحملها أفراد عينة الدراسة هي قيم مادية أكثر منها قيم أخلاقية أو روحية، بفعل التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري وما انجر عنها من تغير قيمي مسّ منظومة القيم للطلبة الجامعيين ومنه فئة الشباب بصفة عامة.

كما أن التعبير عن مظاهر الاغتراب لدى أفراد عينة الدراسة تتداخل فيما بينها كتداخل القيم التي يحملونها، وقد يدل سلوك ما على أكثر من مظهر للاغتراب فلا توجد حدود بين القيم المكونة للمنظومة القيمية لديهم، كما لا توجد فواصل لمظاهر الاغتراب وتجلياته لدى أفراد عينة الدراسة، أما التصنيف الذي اعتمدناه في الدراسة الحالية فهو للتدليل على كل مظهر من خلال استجابات معينة ولتبيان غلبة مظهر على آخر كون أن لكل مظهر من مظاهر الاغتراب جانبين كل جانب يعبر عن شدته أو ضعفه لدى أفراد عينة الدراسة.

ثالثا. مناقشة الفرضية العامة للدراسة:

تمثل القيم معتقدات الفرد والمعايير التي يحملها عن طريق مختلف العمليات الاجتماعية والتي تمنح له القدرة على إيجاد معنى لحياته، وتجعله يتبنى أهدافا يسعى الى تحقيقها في الإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه، وعلى هذا فهي تعد جزءا هاما من الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة وفي مجالاتها المختلفة دينيا، وعلميا، واجتماعيا، واقتصاديا، وسياسيا، وفنيا، نظرا لأنها تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها وذلك لأنها ضرورة اجتماعية ولأنها معايير وأهداف لا بد أن نجدها في كل مجتمع منظم سواء أكان متقدما أو متخلف، فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات. كما تعمل على ترشيد أنماط السلوك، وتؤثر القيم في حكم الأفراد على الأمور وفي اختياراتهم لوسائل تحقيقها.

غير أن مشكلة الاغتراب ظاهرة بارزة ومتميزة في العصر الحديث، ذلك لأنه عصر يعكس أزومات سياسية واجتماعية وفكرية وأخلاقية وتربوية، ولذلك فقد غلبت عليه جوانب اللاعقلانية والنزعات اللايقينية، ومن جهة أخرى شهد هذا العصر شعور الإنسان بقدراته وإنجازاته الهائلة التي سببت له القلق على مصيره والخوف من سرعة التغيير على مختلف الأصعدة والمستويات.

جدول رقم: (31)

يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي ومقياس مظاهر الاغتراب في

الوسط الجامعي

مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي		مقياس التغير القيمي
مستوى الدلالة	قيمة معامل الارتباط	
0.05	*0.89	

ويشير الجدول رقم (31) والذي بين قيمة معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي ومقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، حيث بلغ معامل الارتباط *0.89 وهو دال على وجود علاقة ارتباطية بين القيم التي يحملها الطلبة الجامعيون وظهور الاغتراب بمختلف مظاهره ومستوياته لديهم عند مستوى دلالة 0.05. حيث ومن خلال العرض والتحليل السابق تبين أنه:

1. فيما تعلق بمحور اللامعنى فإنه يظهر حين يفقد الفرد القدرة على التنبؤ بأفعاله المستقبلية، ويموت فيه الطموح والسعي الى تحقيق تلك الأهداف ويفتقد الرغبة في القيام بأشياء يمكنها أن تساعد في ذلك، كعدم الاهتمام بالدراسة وافتقاد الانتماء الى الوسط الجامعي، بذلك لا يملك معنى لما يقوم به في الحاضر، خاصة في ظل التآسي بنماذج اجتماعية ربما يرى أنها حققت النجاح والأهداف التي يسعى إليها في وقت قصير وبدون مواصلتهم للدراسة أو الاهتمام بها، وتوجد أمثلة كثيرة في المجتمع الجزائري من أولئك الفاشلين دراسيا الذين يشغلون مناصب ومراكز مهمة في مختلف المؤسسات، أو ممن يملكون رؤوس الأموال.

حيث يرى أغلب أفراد عينة الدراسة أنه من المهم الحصول على شهادة ومواصلة الدراسات العليا إن أمكن، لكن حسبهم النجاح في الدراسة أو النجاح في الحصول على شهادة، لا يعني النجاح في ضمان المستقبل أو في الحصول على وظيفة، في ظل المعطيات الحالية السائدة في المجتمع الجزائري والتي تتميز بكثرة خريجي الجامعات وقلة فرص العمل.

وما نلاحظه من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية إن القيم التعليمية تراجعت لصالح القيم المادية، وهذا التراجع يفسر بدوره تراجع قيمة الطالب وقلة الاعتبار الاجتماعي لمركزه في المجتمع الجزائري وقيمة الشهادة التي يحملها، وبالتالي الطالب الجامعي أفكاره وقيمه

لصيقة بالإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه، انه يساءل واقعه الطبقي ووضعه الأسري وانتمائه الاجتماعي باستمرار، وبالتالي يؤثر هذا على نظرته الى الشهادة الجامعية التي يسعى إلى الحصول عليها.

ويمكن أن نضيف ملاحظة مفادها أنه يتكرس لدى المبحوثين من الجنسين نزعة سلبية في الوسط الجامعي من حيث المشاركة والتفاعل مع مختلف الأنشطة والفعاليات التي ينظمها من فترة لأخرى، كما أن أغلبهم لا ينخرطون في مختلف التنظيمات الطلابية والثقافية والرياضية، أنهم في واقع الأمر منغلزون على أنفسهم أو على جماعتهم المرجعية التي تكون في الأغلب تعكس انتمائهم الى وسط ريفي أو حضري معين، أنهم يختصرون الحياة الجامعية في ثلوث ممل وروتيني يمتد من الإقامة الجامعية الى قاعات الدراسة الى البيت، ولعل هذا ما يفسر حالات الملل والروتين التي عبر عنها المبحوثون في أكثر من مرة أثناء إعداد هذه الدراسة.

كما أن الاهتمام بالدراسة الجامعية لدى المبحوثين فقد قيمته مقارنة بنتائج الدراسات السابقة، إذ يعتبرون أن الدراسة الجامعية ليست خيارا بالنسبة لهم، بقدرما هي ضرورة أملتها عليهم معطيات التوظيف وسوق العمل في الجزائر، ويشير البعض منهم؛ لو حصلوا على فرص عمل مناسبة لما التحقوا بالجامعة، فهم غير راضين عن انتمائهم للوسط الجامعي بالمعطيات الحالية، إن التركيز على الشهادة الجامعية وما يرجوه الطالب من المرحلة الجامعية بعد نهايتها، هو في حد ذاته تكريس للامعنى والشعور بالاغتراب، إذ ما جدوى الجد والكد من أجل الحصول على شهادة وفي النهاية الطالب نفسه يعتقد أنه مشروع بطل ليس إلا.

ومرد هذا الإحساس الى طبيعة التغير في النسق القيمي السائد لدى المبحوثين من عينة الدراسة إذ تسيطر عليه القيم المادية بحيث ينظر الى ما يمكن أن تحققه الدراسة من عائد مادي، كون الحياة الاجتماعية بصفة عامة في المجتمع الجزائري تتمطت وأصبح أغلب أفراد المجتمع يفكرون بنفس الطريقة متأثرين في ذلك بالنموذج الغربي، الذي تتناوله وسائل الإعلام ووسائل الاتصالات المختلفة، فأصبحت قيمة الإنسان بما يملك وما يستهلك، فامتلاك منزل وسيارة ووظيفة مطلب لأي شاب ويعد معيارا للفرد الناجح في المجتمع.

وتوصلت الدراسة الى أن الأسرة أهم وسط يحقق الانتماء لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة حيث يحسون بأنهم أقرب الى أسرهم أثناء تواجدهم بالوسط الجامعي، إذ يرون أن الجامعة لا تتوفر على ما يستهويهم، وهذا يعكس تأثر الطالب بالوضع الذي تعيشه الجامعة وهشاشة العلاقة بين الجامعة ومختلف المؤسسات الاجتماعية، حيث ما يسود الجامعة من احتجاجات وإضرابات متكررة، وعدم توفر الأمن في محيط الاقامات الجامعية، وحالات العنف

وتدني مستوى الخدمات الجامعية.... وغيرها من المظاهر السلبية كلها تؤثر على الطالب الجامعي وفي نظرتة للوسط الذي ينتمي إليه، بل وتجعل من الوسط الأسري وسطا بديلا عن الوسط الجامعي لما يحققه من اشباعات وبذلك يعزز الانتماء للأسرة بدلا من الجامعة.

كما توصلت الدراسة الحالية الى أن القيم التعليمية أكثر القيم ارتباطا بظهور اللامعنى لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، حيث يقر أغلب المبحوثين بأن الكم الهائل لخريجي الجامعات هو على حساب الكيف، وان سوق العمل لا يستوعب هذا الكم من الخريجين، وبالتالي وكأنهم مجرد أرقام في طابور، كما أنهم لا يتقنون في إمكانياتهم أو لا يعتقدون بقدرتهم على تفسير ما يحدث في العالم أو في المجتمع الجزائري، بل يرون أن تسارع الأحداث خاصة تلك التي ميزت العالم العربي من أحداث الربيع العربي جعلتهم تائهين بين القنوات الإخبارية، بينما بقيت الجامعة بعيدة عن تفسير تلك الأحداث أو تناولها، وبالتالي يرون أن الجامعة لم تطور من إمكانياتهم وقدراتهم.

2. أما فيما يخص اللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي فتبين أن اغلب أفراد عينة الدراسة تنتشر بينهم اللامعيارية سواء من خلال القيم التي يحملونها أو من خلال التصرفات التي يقومون بها، فحقيقة لاحظنا وجود ازدواجية بين ما يعتقد الطالب وما يقوم به من سلوك، فعلى سبيل المثال توصلت الدراسة الى أن نسبة كبيرة من أفراد عينة الدراسة يمارسون الغش في الامتحانات، ويطورون أساليبه باستعمال التكنولوجيا الحديثة، وفي نفس الوقت يقررون بأن الغش سلوك غير مرغوب فيه اجتماعيا بل ومحرم دينيا، غير أنه يتم تطويع قيمة الغش اجتماعيا عن طريق استعمال بعض المقولات التي يتداولها الطلبة في الوسط الجامعي والتي تحفز على الغش وتبرره لتجعله عملا مشروعاً أو حتى حقا للطالب.

فالغش في الامتحانات يعبر عن ثقافة فرعية تسود في الوسط الجامعي غذتها العديد من الظروف والمعطيات التي مر بها الطالب عبر مساره الدراسي، حيث أصبحت لها الكثير من المقولات والأمثال كما تحددها قواعد معينة ووسائل، تتطور بتطور أساليب الحد منه ومعاينة المتورطين فيه. ومن بين القيم التي تغذي اللامعيارية في الوسط الجامعي هو اعتقاد المبحوثين انه ما من تقييم عادل في الامتحانات، أو في احتساب عدد الغيابات، وان الوسط الجامعي هو نفسه يعاني من اللامعيارية لأنه يستند في عمله على قواعد ومعايير ولا يطبقها. كون تطبيق القوانين في الجامعة يبقى نسبيا والأفراد ليسوا بدرجة متساوية أمامها، كما يقر المبحوثون أن هناك بعض الممارسات والاعتبارات الشخصية التي تدخل أحيانا في التقييم.

من الواضح تأثر أفراد عينة الدراسة بالإطار الاجتماعي الذي ينتمون إليه، فكيف نفسر الغش في الامتحانات وروح الاعتمادية السائدة لديهم، فأى معنى للنجاح الذي يكون طريقه الغش؟ وكأن الغاية تبرر الوسيلة، أليس للقيم الاقتصادية والمادية المسيطرة على النسق القيمي للمبجوثين دور في تعزيز هذا الاعتقاد، خاصة في ظل تراجع مكانة العلم والمعلم وطالب العلم في المجتمع الجزائري، إذ وإلى وقت قريب كان يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، لم يكن الناجح دراسيا هو بالضرورة ناجح اجتماعيا، لكن وفي ظل الكثير من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المجتمع الجزائري، أصبح الناجح اجتماعيا من يملك المال حتى وان كان لا يعرف كتابة اسمه.

كما لاحظنا أن مختلف الاقامات الجامعية تسودها الفوضى وإتلاف لمختلف المرافق فيها، وتفسير لأدواتها وتعطيل في قاعات الانترنت، وتخريب لدورات المياه والإنارة في الممرات، ومظاهر متعددة للعنف؛ شجارات، كتابة العبارات النابية والشعارات الجهوية على الجدران، موسيقى صاخبة تنبعث من الغرف وإلى أوقات متأخرة من الليل، والكثير من المظاهر السلبية. مع العلم أن الاقامات تسلم مع بداية العام الدراسي جاهزة لكن سرعان ما تتلف، ألا يتحمل الطالب مسؤولية اتجاه هذا الوضع؟ أليست القيم التي يحملها الطالب هي المسؤولة عن مثل هذه التصرفات والسلوكات؟ إذن مثل هذه السلوكات تعبر بشكل واضح عن اللامعيارية كمظهر من مظاهر الاغتراب لدى المبجوثين من عينة الدراسة.

3. العزلة الاجتماعية: إن انتقال الفرد من أسرته ومن بيئته الاجتماعية التي نشأ وتربى فيها إلى الوسط الجامعي قد تصاحبه تغيرات واضطرابات نفسية وانفعالية تظهر على الطالب في عدم تكيفه مع الوسط الجامعي، نظرا لما توفره الأسرة من اشباع واهتمام ورعاية، على عكس الوسط الجامعي الذي يجعل الطالب يتمتع بنوع من الحرية والاستقلالية والاعتماد على النفس، غير أن هذه الحالة عادة ما تكون ظرفية وعابرة بمجرد تكيف الطالب مع متطلبات الوسط الجامعي، لكن هناك من الطلبة لا يستطيع تجاوز المرحلة ولا يحقق التكيف بسهولة، ويعيش حالة من الشعور بعدم الثقة في الآخرين ويجد صعوبات في بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين، ويعيش المرحلة الجامعية في ثلوث مغلق، متقلبا من حبرات الدراسة إلى الإقامة الجامعية إلى الوسط الأسري الذي ينتمي إليه.

وتظهر عليه بعض الاضطرابات السلوكية في الجامعة والتي بينا بعضها في الدراسة الحالية كالغش في الامتحانات والعنف وغيرها من مظاهر، كما تظهر عليه هذه الاضطرابات في الإقامة الجامعية في شكل مقاطعته لمختلف النشاطات أو في تخريبه للممتلكات وإتلافها.

وتبين من خلال مناقشة محور العزلة الاجتماعية وتحليل استجابات أفراد عينة الدراسة، أن العلاقات الاجتماعية في الوسط الجامعي ميدان الدراسة تتميز بكثافة التفاعل الاجتماعي بين الجنس نفسه، وبدرجة أقل بين الجنسين حيث تتسم بالحذر وعدم الثقة، إذ تعمل القيم الأسرية على تعزيز هذا الاتجاه، كما يتسم المبحوثين من الجنسين بعدم تفاعلهم مع الوسط الجامعي من خلال عدم المشاركة في مختلف الفعاليات والنشاطات التي تنظم في الوسط الجامعي وعلى مستوى الاقامات، تحت مبررات متعددة غير أن النشاطات الرياضية تستقطب الاهتمام، أما الحفلات الفنية فعادة ما تكون سببا في الصراع بين الطلبة والتنظيمات التي ينتمون إليها بين رافض لها وساع إلى إقامتها.

وتجدر الإشارة إلى أن الاقامات الجامعية أو حتى الجامعة لم تعد تضم طلبة من ولايات مختلفة، وبيئات جغرافية متنوعة من الجزائر تعكس تنوع الثقافات الفرعية والاختلاف في العادات والتقاليد كما في السابق؛ حيث ونظرا للتوسع في فتح الجامعات وعلى مستوى كل ولاية وفتح اغلب التخصصات فيها أصبحت الجامعة تضم طلبة من الولاية نفسها والبعض من ولايات مجاورة ما عدا بعض التخصصات، وعليه نلاحظ في نهاية الأسبوع الاقامات الجامعية شبه خالية من الطلبة لقربها النسبي من مقر الإقامة، وهي بذلك لا تتيح لهم التفاعل مع مختلف النشاطات والمشاركة فيها، وتقل درجة تأثير الوسط الجامعي في الطلبة وتجعلهم أكثر تعلقا بالقيم التي يحملونها من الوسط الذي نشؤ فيه.

ولاحظنا في الدراسة الحالية أن الأسرة وجماعة الأصدقاء هي أكثر دوائر الانتماء للمبحوثين، وهم أكثر تعلقا بأسرهم مع أن الوسط الجامعي يعد ميدانا خصبا لتكوين الصداقات والانخراط في الجماعات والتنظيمات، ومع ما يوفره الوسط الجامعي من حرية واستقلالية إلا أن اختيار الفرد لأصدقاء أو جماعة معينة يتم وفق شروط وضوابط محددة، قد لا تختلف عن تلك التي تنتم بها خارج الجامعة، وقد تكون الجماعة التي يختارها الفرد هي نفسها منعزلة اجتماعيا مغلقة على نفسها لا تتيح لأفرادها التفاعل مع المجتمع وأفراده مع مختلف الأحداث في الوسط الجامعي.

فالجماعات التي تنشأ على أساس ديني وتتبنى أفكار غير سائدة اجتماعيا، بل وقد ترفض بعض العادات والتقاليد والممارسات الدينية في المجتمع الذي توجد فيه، فهم يعيشون في الوسط الجامعي ولا ينتمون إليه، يقاطعون مختلف النشاطات يرفضون التفاعل مع الأحداث، بل ويضعون قواعد وضوابط تحد من حرية الفرد المنتمي إليها، فذهنية التكفير والتحريم هي السائدة

وعليه فاغتراب الأفراد قد يكون ناتجا عن اغتراب الجماعة التي ينتمون إليها، وعزلة الأفراد اجتماعيا قد يكون ناتجا عن عزلة الجماعة التي ينتمون إليها، ورجعية الأفكار التي ينادون بها.

4.التشويؤ: إن خضوع الإنسان المعاصر لمنطق الاستهلاك وغريزة حب التملك والتماهي بما يملك دون أن يعرف قيمة الأشياء التي يملكها أو جواهرها، والنظر للإنسان بما يملكه من أشياء كلها على حساب جوهره كإنسان، على حساب مشاعره وإنسانيته، على تقديره للأمور والمعايير التي يعتمد عليها في ذلك، فأصبح الإنسان يتميز عن غيره ويكتسب مكانته بمقدار ما يملك من أشياء، وما يقتنيه من منتجات، وبذلك يصبح للشيء سلطة على الإنسان الذي صنعه، وربما يكون جل ما يريد أن يحققه، وبالتالي يتمط سلوك الإنسان ويصبح خاضعا لقيم ومعايير الجهة التي تنتج وما يسوق من سلع، فهمه أن يقتني ما يكسبه مكانة بين أفراد المجتمع، ويصبح المال وسيلة وغاية في نفس الوقت لارتباط المكانة الاجتماعية به، لكن وسائل كسبه تتعدد وتتعدى في بعض الأحيان.

لذلك فالمجتمع الجزائري وفي ظل اقتصاد السوق والتحويلات التي انجرت عنه ظهرت وظائف جديدة وأثرىاء جدد أصبح ينظر إليهم المجتمع كأفراد نجحوا في استغلال الفرص التي أتيحت لهم، وعليه ارتبطت هذه التحويلات والممارسات بقيم جديدة في المجتمع، حيث يؤمن السوق ووظائف تعتمد على الذكاء وحسن التعامل مع معطيات العرض والطلب، وظهر مفهوم "القفازة" أو "الشتارة" لتؤمن المال لأصحابها، وفي المقابل تقلص الدور التقليدي للمدرسة والجامعة في ضمان ووظائف وتأهيل الأفراد لها، فالغني أو من يملك ليس بالضرورة متعلما.

إن حقيقة الإنسان وجوهره ومشاعره وطموحاته لم تعد محل اهتمام سواء من المجتمع أو من مختلف مؤسساته، ولا تتيح له أن يعبر عنها، بل ما يعبر عنه يكون في حدود ما أريد له من طرف تلك المؤسسات الإعلامية والسياسية والمالية التي تدير شؤونهم وترسم واقعهم وتتنبأ بمستقبله، إن سيطرة المادة على النسق القيمي للمبجوشين ما هو إلا انعكاس لسيطرة القيم المادية في المجتمع الجزائري ورواجها في ظل تفهقر القيم الروحية والأخلاقية وتراجعها، فهي قيم تتحكم في الإنسان وتصنع سلوكه وتصرفاته إزاء المواقف التي يواجهها.

إن توجه أفراد عينة الدراسة نحو الإقرار بسيطرة العالم المادي على الإنسان، وتحديد قيمته بما يملك ويستهلك لا بما ينتج وبما يعتقد، ليدلل بوضوح على صحة النتائج التي توصلنا إليها من خلال تحليل مقياس التغير القيمي أين تبين أن القيم الاقتصادية تحتل الصدارة من حيث درجة الاستجابات، وتراجعت القيم التعليمية والدينية، مع العلم أن هاتين القيمتين سيطرت على أولوية القيم في دراسات سابقة أجريت مع الطلبة الجامعيين.

5. العجز: من خلال مناقشة بيانات الفرضية الفرعية الخامسة والمتعلقة بعلاقة القيم بظهور العجز لدى الطلبة الجامعيين من عينة الدراسة، تبين أن هناك علاقة ارتباطية بين القيم والعجز كمظهر من مظاهر الاغتراب حسب قيمة معامل الارتباط، حيث يتمظهر العجز في عدة سلوكيات ومواقف من بينها:

العجز عن فهم التغيرات التي تحدث في المجتمع الجزائري، وعدم الاستقرار على رأي معين والنظر الى الأحداث وكأنها متسارعة ولا تتيح للفرد وقتاً كافياً لتحليلها وفهمها، خاصة وان الدراسة الميدانية تزامنت مع أحداث داخلية وخارجية جد معقدة كأحداث الربيع العربي وأزمة دول الساحل الإفريقي، كما تبين أن الإناث لا يبدون اهتماماً بالأوضاع السياسية وهن أكثر حفاظاً على القيم المستقاة من خلال التنشئة الأسرية أو من المراحل التي سبقت الجامعة.

كما أن أعلى نسبة استجابة بين أفراد عينة الدراسة جاءت حول عبارة مشكلات الحياة اكبر من طاقتي حيث يتفق أكثر من نصف المبحوثين ومن الجنسين على أن ضغوطات الحياة وما تمليه عليهم التزاماتهم وواجباتهم تقابلها واجبات والتزامات في الجامعة والتقييد بالدراسة والنجاح فيها وهذا بدوره يشكل ضغطاً على الطالب الجامعي، وربما هذا ما يفسر حالات الإضرابات المتكررة في الجامعة والتي تطالب برفع نسبة النجاح في الماستر لينال اكبر عدد من الطلبة حظهم من الدراسات العليا دونما الحاجة للكد والاجتهاد من أجل الحصول على معدل أو ترتيب جيد على الدفعة.

ويتميز أفراد عينة الدراسة بالاعتمادية وعدم الاستقلالية عن أسرهم، وهو ما يفسر عدم تكيف بعضهم مع متطلبات الوسط الجامعي وما تقتضيه الحياة في الإقامة الجامعية، حيث بينوا أنهم أكثر ارتباطاً بأسرهم حينما يكون بالإقامة الجامعية، كما أن فشل الفرد في بناء علاقات اجتماعية وتكوين صداقات في الوسط الجامعي يسهم في الشعور بالوحدة والعجز.

كما ينظر أفراد عينة الدراسة خاصة من الذكور الى المرحلة الجامعية نظرة تشاؤمية؛ وكأنها مرحلة لا جدوى منها أو لا يمكن أن يحققوا ذواتهم من خلالها، على الرغم من توفره الجامعة من تطوير للقدرات والمعارف والتي تتوج في النهاية بشهادة عليا في تخصص معين، تمكن الطالب من اقتحام سوق العمل.

إن التطلع الى المستقبل وما يمكن أن يحققه الطالب من خلال الجامعة كمرحلة مهمة في حياته يشوبه التشاؤم وعدم الرضا ويترجم عند الطالب في الشعور بالعجز عند التفكير في المستقبل وهو شعور ينتشر بين أكثر أفراد عينة الدراسة من الجنسين، وقد يرجع هذا التشاؤم والنظرة الظلامية للمستقبل لما يملكه الطالب من تصورات وتمثلات اجتماعية لمسابقات التوظيف

وكيفية تنظيمها ومعايير الانتقاء التي تعتمد على المحسوبية واعتبارات أخرى، وهذه مظاهر سلوكية شائعة في المجتمع الجزائري وبلا شك تؤثر في الطالب الذي تعد الجامعة بداية طريقه وأولى الأشواط في مساره. فشعور الفرد بالعجز ليس نفسيا بقدر ما هو اجتماعي مرتبط بالإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد، والقيم التي يحملها.

فانتشار الفساد في مجتمع ما من شأنه أن يخلق أزمة ثقة بين الفرد ومختلف مؤسسات المجتمع الذي ينتمي إليه، ويجعل الفرد غير قادر على التنبؤ بنتائج أفعاله مستقبلا، كما أن العامل السياسي يلعب دورا هاما في تفشي العجز وتعزيزه، فالعملية السياسية لا تعدوا أن تكون مسرحية تتوزع فيها الأدوار بين الأحزاب والمعارضة، كما أن الناخب يعرف نتائج الانتخابات قبل إعلانها، ناهيك عن شراء الأصوات والمقاعد والأحزاب، والكثير من الممارسات التي تجعل الفرد يقر بعدم جدوى المشاركة السياسية وهو يعلم مسبقا أن الوضع سيبقى على ما هو عليه، وإذا انتقلنا إلى التوظيف أو غيره من المواقف يراها الفرد انعكاسا للوضع السابق، وبالتالي لا يمكن فصل العوامل الداخلية عن إطارها الاجتماعي بل هي امتداد له ولما يسوده من قيم.

من خلال مناقشتنا لاستجابات أفراد عينة الدراسة على محاور مقياس مظاهر الاغتراب، وقيمة معامل الارتباط بين مقياس التغير القيمي مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي الذي بلغ 0.89 عند مستوى دلالة 0.05 يتبين أن هناك علاقة ارتباطية دالة إحصائية بين التغير في نسق القيم لدى الطلبة الجامعيين من الجنسين المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة وظهور الاغتراب لديهم. وعليه يمكن أن نقر أن الفرضية العامة للدراسة قد تحققت.

النتائج العامة للدراسة

رابعاً. النتائج العامة للدراسة:

1. النتائج الخاصة بالتغير القيمي:

- توصلت الدراسة إلى أن التغير القيمي الحاصل لدى الشباب الجامعي إزاء الكثير من المفاهيم والقضايا الاجتماعية؛ كالاختيار للزواج وشروطه، والعمل، والتعليم،.... كونهم متأثرين في ذلك بالسياق الاجتماعي والثقافي العام السائد في المجتمع الجزائري، كما أن للتحويلات السياسية والاقتصادية علاقة كبيرة بالتغير في قيم الشباب الجامعي.

- كما تبين أن المستوى الاقتصادي والثقافي لأسر المبحوثين دور كبير في ترسيخ القيم التي يحملها الشباب الجامعي، فعلى الرغم من إندماج المبحوثين للوسط الجامعي إلا أن نسبة معتبرة لم تندمج فيه، ويعبرون عن ارتباطهم بأسرهم كأهم دوائر الانتماء لديهم.

- تحتل القيم الاقتصادية والثقافة المادية صدارة سلم القيم بين المبحوثين، ثم تأتي القيم الأسرية وتليها القيم الدينية ثم التعليمية وأخيراً القيم السياسية، ونلاحظ هنا تراجع القيم الدينية والتعليمية لصالح القيم الاقتصادية في مجتمع الدراسة مقارنة بنتائج دراسات سابقة أجريت في الوسط الجامعي.

تراجع يعكس سيطرة القيم المادية المرتبطة بثقافة العولمة وقيم السوق والاستهلاك والتي بدأت اقتصادية وتنتهي انعكاساتها على القيم المعنوية والأخلاقية للشباب. كما أنها نتيجة للاستفادة من مختلف مقومات الحياة الحديثة، ما جعل مستوى الطموحات يرتفع، وتزداد معها الرغبة في تحقيق النجاح المادي.

- توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن هناك تراجع في دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية التقليدية في مجال التأثير على قيم الشباب الجامعي وصياغة توجهاته، وعدم التكامل فيما بينها، خاصة فيما تعلق بدور الجامعة في المجتمع.

- يتميز أفراد عينة الدراسة من الشباب الجامعي بالانسحاب وسيطرة النزعة السلبية إزاء العملية السياسية، ولا يبدون اهتماماً بالمشاركة أو الانخراط في التنظيمات الطلابية والحزبية في المجتمع، بل ولا يتطلعون مستقبلاً إلى الانخراط في الحياة السياسية أو شغل مناصب سياسية.

- يسود الشعور بقلق المستقبل بين المبحوثين، يمتزج بنظرة تشاؤمية إزاءه، تعكس تأثير الشباب الجامعي بالوضع العام السائد في المجتمع الجزائري، ويبرز أيضاً شعور لديهم يتميز بانعدام الثقة في المستقبل، ومختلف المؤسسات الاجتماعية.

- يعيش الشباب الجامعي ازدواجية قيمية بين الفكر والممارسة، كما أن هناك اتجاهًا تبريرياً لبعض السلوكات غير المشروعة اجتماعياً، كالغش في الامتحانات الذي يكاد يصبح ظاهرة

عادية، فعلى الرغم من أن الطالب الجامعي يعتقد بحرمة هذا السلوك وعدم شرعيته، إلا أنه يقوم به ولا يجد حرجا، بعد تحوير وتطويع بعض القيم لتضفي مشروعيتها على هذا السلوك.

- الغش في الامتحانات من أكثر مظاهر اللامعيارية انتشارا في الوسط الجامعي، مهّدت له ظروف ومعطيات مرّ بها الطالب الجامعي عبر مساره الدراسي، كما أن الغش في الوسط الجامعي هو امتداد لبعض ممارسات الغش في علاقات الإنتاج والاستهلاك السائدة في المجتمع الجزائري، ويعبر عن ثقافة فرعية تطوّر وسائلها وقواعدها بتطور أساليب الحد منه والقوانين التي تعاقب عليه.

كما تعكس الظاهرة أزمة الثقة بين الطالب الجامعي والأستاذ والإدارة الجامعية، إذ يرى الكثير من المبحوثين أن التقييم غير عادل في الامتحانات والمسابقات، وتخضع النتائج لاعتبارات غير علمية حسبهم.

- كما يختلف المبحوثون من أفراد عينة الدراسة حول التماشي مع الموضة وروح العصر مظهرا وسلوكا، إذ يبين هذا التمظهر للتقليدي والحديث معا، على أنه كلما زادت حدة المبالغة في التحديث مظهرا وسلوكا كلما قل الاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية، والعكس من ذلك يعبر عن التدين بتمظهراته لباسا وسلوكا في الوسط الجامعي. فالمبالغة يقابلها الانسلاخ، والتمسك يقابله التحجر والفشل في مواكبة التطورات.

2. النتائج الخاصة بمظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي:

- يعد التشيؤ أكثر مظاهر الاغتراب شيوعا بين المبحوثين من عينة الدراسة، ويليه اللامعنى ثم العزلة الاجتماعية، واللامعيارية ثم العجز.

- يظهر اللامعنى لدى الطالب الجامعي من عينة الدراسة في نظراته لواقعه، لوجوده الاجتماعي، للوسط الجامعي الذي ينتمي إليه، للشهادة التي يسعى للحصول عليها، لمستقبله الذي يكتنفه الغموض، إلا أنه مع هذا الشعور وهذه النظرة يواصل الطالب الجامعي مشواره الدراسي بل ويسعى الى إكمال الدراسات العليا، ونشير الى أن بعض المبحوثين اعتبر تواجده في الوسط الجامعي ليس خيارا بقدرما هو ضرورة أملت عليها معطيات المجتمع الجزائري وسوق العمل.

- تراجع القيم التعليمية ليس في نظر الطالب الجامعي فقط بل وحتى في المجتمع الجزائري، إذ نلاحظ قلة الاعتبار الاجتماعي للطالب الجامعي، وقيمة الشهادة التي يحملها، وهذا بدوره يعمل على التأثير في نظرة الطالب الجامعي لنفسه وتقديره لذاته، وللشهادة التي يحملها أو يسعى للحصول عليها، ومن ثم نظراته لمستقبله. فالقيم التعليمية هي أكثر القيم تأثيرا في ظهور اللامعنى بين الطلبة الجامعيين.

- الانسحاب الاجتماعي سمة فئة عريضة من المبحوثين في الوسط الجامعي، فهم لا يشاركون في مختلف النشاطات والفعاليات التي تنظم داخل الاقامات الجامعية، ولا ينخرطون في النوادي الرياضية والثقافية والتنظيمات الطلابية بالعدد المطلوب، وهو وضع يعكس الوضع العام للشباب في المجتمع الجزائري من حيث المشاركة السياسية أو الثقافية وحتى الرياضية.
- إن الوضع العام السائد في الاقامات الجامعية وما ينتشر فيها من مظاهر سلوكية سلبية وممارسات منحرفة، وما يميزها من تخريب في المرافق على مستوى الغرف أو المرافق المشتركة للطلبة، والكتابة على الجدران للعبارات النابية وغيرها، يتحمل الطالب الجامعي فيها جزءا كبيرا من المسؤولية، كما أنها انعكاس لعدم تكيفه مع الوسط الجامعي واغترابه عنه.
- أسفرت نتائج الدراسة فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية داخل الوسط الجامعي أنها تتميز بالحدز وانعدام الثقة بين الجنسين، ويكون التفاعل الاجتماعي أكثر كثافة بين الطلبة من نفس الجنس، ويعزز هذا الاتجاه القيم الأسرية السائدة في أسر المبحوثين، والتي يتمسك بها الطلبة في الوسط الجامعي كما أن للعلاقات القرابية والانتماء الجغرافي دور هام في تشكيل العلاقات الاجتماعية.
- العزلة الاجتماعية لا ترتبط كمفهوم بالفرد فقط، بل يمتد مفهومها إلى بعض الجماعات داخل الوسط الجامعي، كالجماعات التي تتكون على أساس ديني، فرغم كثافة التفاعل الاجتماعي بين أفرادها إلا أنها تعد منعزلة اجتماعيا عن الوسط الجامعي بل وحتى عن المجتمع، إذ تطور مفاهيم وقيم يميزها المنع والتحرير لتعزيز تماسكها وتدفع بأصحابها الى العيش خارج إطار الواقع (الحاضر).
- يعد التشيؤ من بين أبرز مظاهر الاغتراب لدى أفراد عينة الدراسة، ويرتبط بالقيم الاقتصادية بدرجة كبيرة، حيث يسود اتجاه نحو القيم المادية وتقديس للنجاح المادي بين المبحوثين ونزوع الى الحياة الاستهلاكية بكل مظاهرها، فقيمة الإنسان -حسبهم- بما يملك من مال وبما يستهلك، وهي قيم تجسد تأثيرات ثقافة السوق والتحولات الاقتصادية التي شهدتها المجتمع الجزائري.
- كما أن القيم الأسرية التي تحث على عدم الاستقلالية والاعتمادية ترتبط بظهور العجز بين أفراد عينة الدراسة، كمظهر مغترب يتجسد في عدم التكيف مع متطلبات الانتماء للوسط الجامعي، وفي عجز المبحوثين في فهم التحولات والتطورات التي يعيشها المجتمع الجزائري، وعجزهم عند التفكير في المستقبل، عجز تعززه تصوراتهم وتمثلاتهم الاجتماعية للعمليات التي تنظم التوظيف والحصول على منصب عمل، كما تعززه القيم المادية وغلاء المعيشة وتكاليف بناء حياة جديدة وتكوين أسرة وحياة مستقلة.

عجز تغذيه عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية لم تنجح في إعادة الثقة للشباب الجامعي في مختلف المؤسسات وفي المستقبل، فشعور الفرد بالعجز ليس ذو منشأ نفسي بقدر ما يعد منشأ اجتماعيا يرتبط بالإطار الاجتماعي الذي ينتمي إليه الفرد. وتوصلت الدراسة الى أنه توجد علاقة ارتباطية دالة إحصائيا بين التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي لدى الطلبة المقيمين بمختلف الاقامات الجامعية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

خامسا. استنتاجات عامة للدراسة:

مما تقدم يمكن أن نقر بأن هناك العديد من الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة الحالية بعيدا عن التساؤلات التي طرحت وتم الإجابة عليها والتحقق من صحتها؛ وهي بالأساس تتعلق بواقع التغير القيمي في المجتمع الجزائري وأبرز السمات الاجتماعية التي تميز سلوك الأفراد داخله والقيم التي يحملونها ومصادرها.

فالمجتمع الجزائري الذي يمر بمرحلة انتقالية تتجه من التقليدي الى الحداثي، لم يستوفي شروط هذا الانتقال بعد، بحيث مازالت التقليدية تعيش في قلب الحداثة والعكس، إنها التعبير عن الازدواجية بين الفكر والسلوك، بين القيم التي ننادي بها والممارسات التي لا تمت بصلة لها. لكن وعلى الأرجح في هذه المرحلة يقوم الأفراد بتطويع للحداثة بمفاهيم تقليدية، أو سحب للحداثة باتجاه التقليدي (الماضي)، مع أننا لا ننكر أن هناك من ينادي بالرجوع الى الماضي واعتبار الحداثة تغريبا للمجتمع وخطرا عليه، أو السعي الى التحديث من دون الاهتمام بالماضي وما يحمله من قيم.

ولعل الاستهلاك المظهري وتبلور الثقافة الاستهلاكية وبزوغ الثقافة الالكترونية والاهتمام بها في المجتمع الجزائري؛ يؤشر لظهور المجتمع المعلوماتي خاصة وأن المنظومة القانونية تعرف العديد من التشريعات للحد من الجرائم الالكترونية وتحاول التماشي مع التحولات الجديدة للمجتمع، وهذا معناه أن المجتمع يجب أن يتكيف مع التطورات الحديثة لأنه لا خيار له غير التكيف، كما أن هذا كله مهدد لبروز العديد من المشكلات والظواهر الاجتماعية السلبية التي تنعكس على الفرد والمجتمع كاللامعيارية والتشويط طغيان الثقافة المادية، والعجز، والعزلة الاجتماعية— وفقدان المعنى في الحياة والجدوى منها، وأقول اهتمام الناس بتراثهم، وظهور مفاهيم الهجرة الشرعية وغير الشرعية نحو المجتمعات الغربية لتحقيق النجاح المادي.

1. الاستهلاك المظهري كانعكاس للتشويط في المجتمع الجزائري:

إن ما نتج عن التحولات والتغيرات التي يعيشها المجتمع الجزائري هي الانتقال من الضروريات الى الكماليات لارتقاء المستوى المعيشي من جهة، ولإعطاء الأفراد مظهرهم

الاجتماعي الحيوية الزائفة والبريق الخارجي من جهة أخرى، فاقتناء السلع النفيسة والملابس الفاخرة والعطور الغالية والأثاث المستورد والأجهزة الالكترومنزلية والسيارات للاستمتاع بالحياة التي جاءت مع التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري. يسهم بلا شك في تفاقم ظاهرة الاستهلاك المنمطة بالتميط المظهري التي تقوم بتجميل وتلميع مظاهرهم الاجتماعية ومواقعهم في المجتمع.

فقيمة الإنسان وقيمة الأشياء تحسب اليوم بمعايير الاستهلاك وبالقدرة على الاستهلاك، لكي يستطيع الفرد تمييز نفسه عن الآخرين بملابسه ومقتنياته وما يملكه والاستمتاع بملذات الحياة الترفيهية، غير أنه يفتر الاهتمام بالعلاقات الأسرية والصداقات لتصبح سطحية ومصلحية وغير ملتزمة بمتطلبات أدوارها الاجتماعية، ذاهبة نحو التفكك والتقليل من شأن القيم الاجتماعية والأخلاقية. ولعل نسبة حدوث الجريمة والانحرافات ونسبة الطلاق المسجلة في المجتمع الجزائري تبين أنها في تزايد وارتفاع، وهي بلا شك انعكاس للثقافة التي راجت مؤخرا بين أفراد المجتمع.

2. تبلور الثقافة الاستهلاكية:

إن التحولات السياسية والاقتصادية والثقافية التي عرفها المجتمع الجزائري جعلته يستفيد من التكنولوجيا والتطورات الالكترونية وشبكات الانترنت والجيل الثالث والرابع، ووسائل الاتصال في ظل سيطرة لقيم العولمة والسوق، لكن كل هذا أفرز ثقافة واسعة في المجتمع الجزائري هي استهلاكية بالأساس وليست إنتاجية، ففي عصر الدعاية والإعلان عبر مختلف الوسائط الذي يحمل في طياته التأكيد على الذات وإمكانية الاستفادة والربح المادي، صار هاجس الحياة وفقها هو اللهو واللذة والمتعة وأصبحت هذه المعايير نموذجية لنمط الحياة المعاصرة.

وعندما يتساءل عبد الخالق عبد الله حول الهوية في ظل العولمة يقول بأنها هوية استهلاكية مسطحة لا عمق فيها ولا معنى، إنها ثقافة السلعة والتسويق والربح، إنها توحد شباب العالم على قيم الاستهلاك واللذة، إنها ثقافة الأزياء، والمأكولات و"البيتزا" والمياه الغازية والأفلام الإباحية، وملابس الجينز،... الخ.

فهو بلا شك ثقافة تشجع على اللذة والنزعة الشهوانية لدى الإنسان الفرد وما تنطوي عليه من مقولات تمجد اللذة الجسدية والمتعة، تحت ستار أن الحياة قصيرة جدا وهي مجموعة لحظات آنية من الشهوات الجنسية والمتعة.

كما أنه في ظل هذه الثقافة الاستهلاكية نجد المتقف هو المتضرر منها بدرجة أكبر؛ فالمتقف الذي كان في أيام سابقة يملك قدرا من الثقافة والتربية الفنية والأدبية، ويحظى بمعارف أساسية حول الدين والحق والجمال والخير، ومفتحا على ثقافة الآخرين كي يستحق لقب متقف، غير

أنه اليوم مثل هذه الصفات في المجتمع الجزائري أصبحت تنطبق على فئة نخبوية قليلة جدا، بل ويرفض بعض الأفراد في ظل هذه الثقافة الاستهلاكية مقولة نخبوية في الثقافة والفكر والفن وربما يسخرون منهم.

لقد أوجدت الثقافة الاستهلاكية في سبيل ضمان التمتع بمكانة اجتماعية مرموقة، على اعتبار أن درجة المكانة مرتبط بالقدرة على الاستهلاك، فهي تتجاوز تلبية الحاجة المادية للمنتوج الى تلبية الحاجة المعنوية له. كما أفرزت حاجة ماسة الى وظائف جديدة لم يعرفها المجتمع الجزائري من قبل بهذه الصورة؛ كالسمسرة ومقاولي الثقافة، ".حيث وجد الفرد نفسه في مقابل إستراتيجية اجتماعية صعب تجاهلها، امتلاك كل شيء والقدرة على كل شيء هو شرط الارتقاء الى مكانة اجتماعية مرموقة...الامتلاك والقدرة بصفة جزئية أو أقل يساوي إمكانية وارتقاء اجتماعي محدود.¹"

حيث تبلور مفهوم القفازة* الذي يعبر عن اديولوجية صراع ومواجهة مع الآخر، الآخر الذي يتسع لاستيعاب الكثير من مفردات الواقع الجزائري، بيروقراطية مؤسسات الدولة، الواقع الاجتماعي والاقتصادي الصعب، المنظومة القيمية في المجتمع الجزائري، والقفازة ومن خلال التنشئة الاجتماعية التي تحت على تعليمها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في المجتمع الجزائري أصبحت من متطلبات العيش وتحقيق النجاح.

ويوحي واقع المجتمع الجزائري بأن النزعة نحو الفردانية صارت منتشرة على نطاق واسع، وان السعي وراء تحقيق المصلحة الشخصية أصبح مبدءا متفقا عليه، كما يوحي الواقع الجديد للمجتمع الجزائري بوجود حراك اجتماعي واسع، وسعي حثيث من طرف الأفراد لتحقيق الغنى والنجاح المادي وبأي الطرق؛ "إلى حد اعتبار الشخص صاحب المبادئ الأخلاقية والطموح المحدود، والذي لا يطلب شيئا من مؤسسات الدولة، اعتباره شخصا غير عادي A-Normal أو هامشي وحتى فاشل، أما الشخص العادي في هذا البناء الاجتماعي المرن فهو رجل الأعمال* (l'affairiste) الذي يملك معارف وعلاقات واسعة، ويمكنه حل المشكلات بسرعة وسهولة.²

¹ Mustafa boutefnouchet, la societe algérienne en transition, opu,alger,2004,p61.

* هي كلمة دارجة يشيع استعمالها في اللهجة الجزائرية يقابلها مفهوم الشطارة بالشرق العربي وهي تحمل دلالات ثقافية واجتماعية تعكس خصوصية المجتمع الجزائري، وهي تعني الفرد القافز الراجل الفحل الذي يستطيع حل مشاكله بسرعة ويتجاوز كل العراقيل التي تواجهه بذكاء، وله شبكة علاقات كبيرة يستغلها في ذلك، ويحقق النجاح في وقت قصير.

* رجل الأعمال ليس بالمفهوم الشائع اقتصاديا

²-Ibid,p:61

فالفازة هي سلوك مرضي غرضي مصلحي يصدر عن أفراد لا يملكون الأهلية والكفاءة من العمل، أو لا يستطيعون الصعود على السلم الاجتماعي فيجتاحون الى استخدام الحيل والمبررات، كما أنها حالة مرضية تظهر في المجتمع الانتقالي حال المجتمع الجزائري، أكثر من المجتمعات التقليدية أو المحافظة أو المتطورة، ومرد هذا كون الضوابط الاجتماعية في المجتمع الانتقالي لم تتضح ولم تستقر بعد، بل هي متبدلة وتتعدل من فترة لأخرى حسب التطورات السريعة التي تخضع لها.

3. تبلور ثقافة الكترونية:

لقد تبلورت في المجتمع الجزائري ثقافة الكترونية تحتل مكانتها بين الأفراد وداخل الأسر، وفي مختلف المؤسسات التعليمية والاجتماعية، وهي تتفاعل مع ثقافات اجتماعية أخرى خارج حدودها ومجتمعها تتناول مواضيع في شتى مجالات الحياة الاجتماعية، كما أن المعلومات المتبادلة بين الأفراد في هذا الإطار تستخدم من أجل التواصل البشري، كمواقع التواصل الاجتماعي التي راجت من حيث الاستخدام في المجتمع الجزائري، كما أنها أصبحت تتيح للأفراد حرية تبادل المعلومات ونشرها ونقدها والتفاعل مع الأحداث والتعليق عليها.

4. النفاق الاجتماعي كتمظهر للامعيارية في المجتمع الجزائري:

لقد برز في المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة أفراد يقصدون مصلحتهم الفردية، ويسعون الى تحقيق ذواتهم بشتى الطرق ولعل ما تطرقت إليه الدراسة الحالية في محور اللامعيارية والنظرة الى الغش في الامتحانات من قبل أفراد عينة الدراسة، يعكس التغير القيمي الحاصل في المجتمع الجزائري، إذ اصطنع الأفراد لأنفسهم شخصيات لا تعبر عن حقيقتهم بقدر ما هي وسيلة للوصول الى أغراض شخصية، فنجد فيه المداهن الذي يمتدح أصحاب النفوذ ويبالغ في ثنائه عليه، ونجد المصلحي الذي يبحث عن منفعة ذاتية يخفيها وراء اهتمام كاذب أو تقرب زائف لصاحب المصلحة أو النفوذ، والمتملق الذي يمتدح ويتظاهر بالحب والمودة والكلام المعسول والمنمق دون الإفصاح عن مصلحته والإعلان عنها، والانتهازي الذي يستعد دائما لاقتناص الفرص وانتهازها للاستفادة من الوضع القائم غير مكترث بالقيم والمعايير الأخلاقية.

إن أغلب الأزمات التي يعرفها المجتمع الجزائري ويمر بها تسبب فيها أشخاص من هذا النوع سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي والتربوي والثقافي والرياضي وحتى الديني، فهم منافقون من أجل التكسب غير المشروع واللاأخلاقي.

5. العجز في المجتمع الجزائري:

التغير القيمي هو أحد العناصر التي تؤدي إلى العجز على المستوى الفردي والاجتماعي، وكون المجتمع الجزائري منفتح على التغيرات العالمية في مجالات عدة، فإن القيم والثقافة السائدة فيه تصطدم بقيم وثقافة وافدة من شأنها أن تزعزع الشعور بالثقة لدى الأفراد وإحساسهم بالأمن والطمأنينة على قيمهم وأخلاقهم، وإذا تفاقم الإحساس بالعجز فإن الفرد يفقد إحساسه بقيمته وبالهدف من حياته، ويصل إلى حالة اللامبالاة.

كما أن انشغال الأم خارج منزلها وابتعادها عن تربية أبنائها وارتفاع معدلات الطلاق بسبب الاستقلال المالي للزوجة، والإدمان على الخمر والمخدرات من طرف الأفراد، والهجرة ومشاكلها الثقافية والاجتماعية، وارتفاع معدلات الجريمة، وتسطح العلاقات الاجتماعية وتقطع العلاقات الأسرية. كلها تعد مظاهر للعجز في المجتمع الجزائري.

6. المشاركة السياسية للمرأة:

إن المشاركة السياسية للمرأة تعد مؤشرا هاما من مؤشرات التغير القيمي والاجتماعي، فمحور المشاركة السياسية للشباب الجامعي خاصة الإناث منه يتعلق بالدرجة الأولى بمكانة ودور المرأة في المجتمع الجزائري، حيث ظلت قضايا المرأة تحتل أهمية كبيرة في المجتمع الجزائري وعلى جميع الأصعدة، خاصة بعد الإصلاحات السياسية التي أطلقها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وهي ذات دلالة على الوعي بمكانة المرأة ودورها في تحقيق التنمية والتقدم في المجتمع إذ يقول "...ذلك إذ نحن أبينا على المرأة حقوقها وحرّيتها ومشاركتها في بناء الوطن، فإننا نكون قد اكتفينا بنصف العمل ونصف التقدم.... وأنا لا أفهم كيف تصرف الأمة أمولا طائلة على تعليم البنات ثم نرغمها على البقاء في البيت ونطلب منها بعد ذلك تربية الجيل الصالح".³

لقد أصبحت المرأة الجزائرية تحتل فضاءات أوسع إلى جانب الرجل، فهي تشاركه في العمل والتعليم والصحة، والاقتصاد والسياسة، إضافة إلى دورها الاجتماعي التقليدي في رعاية الأطفال والعناية بزوجها، حيث عرفت في السنوات الأخيرة مشاركة سياسية ظهرت في الميدان على مستوى النشاط الحزبي أو الحياة البرلمانية وبنسبة معتبرة، وحتى ما تعلق بالتمثيل الدبلوماسي وحمل الحقايب الوزارية وتأسيس الأحزاب والحق في الترشح للرئاسة.

وربما هذه المكاسب التي حصلت عليها المرأة كانت بفضل الخطاب الرسمي للدولة الجزائرية الذي طالما ناشد أفراد المجتمع للعمل على تحررها، لأن الذهنيات والقيم في المجتمع

³ - مقتبس من نص كلمة رئيس الجمهورية الجزائرية في اختتام الدورة العاشرة للمؤتمر القومي العربي، المستقبل

العربي، عدد 255، ماي 2000، بيروت، ص 203

الجزائري تتميز بالبطء في تقبل مثل هذه الأدوار، لذلك انتظرت المرأة سنوات حتى حققت هذه المكاسب ولا تزال تنتظر وتتاضل من أجل فرض نفسها في المجتمع الجزائري. كما أن أي تغيير للقيم والذهنيات يمر بالضرورة عبر إشراك الأسرة والمدرسة والجامعة ومؤسسات المجتمع الجزائري من أجل تكريس صورة نمطية إيجابية للمرأة الجزائرية.

كما نلاحظ أن هناك نزعة من الشك والتشكيك في العمل السياسي من قبل الطلبة الجامعيين، نظرة تميزها عدم الثقة في وعود المسؤولين، وما عزز هذا الاتجاه لديهم تلك الازدواجية التي تميز السياسي في المجتمع الجزائري تظهر في الفجوة بين القول والفعل، بين الوعود والممارسات التي لا تتطابق معها.

هذا ما دفع بالشباب الجامعي وفئات عريضة من المجتمع الجزائري إلى العزوف عن العمل السياسي والمشاركة فيه، خاصة وأن العمل السياسي في المجتمع الجزائري هو عمل مناسباتي في عمومته يتعلق بالمواعيد الانتخابية، كما أن طبيعة التنشئة الاجتماعية في المجتمع الجزائري خاصة داخل الأسرة لا تشجع على العمل السياسي خوفا من إلحاق الأذى بأولادهم. كما أن التهميش السياسي للشباب يلعب دورا بارزا في هذا العزوف فالكبار هم صنّاع القرار دائما.

توصيات الدراسة

سادسا.توصيات الدراسة:

على ضوء النتائج التي خلصت إليها الدراسة، نستطيع أن نقدّم عددا من التوصيات التي يمكن أن تساهم في دراسة وتطوير موضوعات تتعلق بالتغير القيمي في المجتمع الجزائري وقضايا الشباب الجامعي وظاهرة الاغتراب التي ترتبط بالنسق القيمي للأفراد وتنعكس في شكل سلوكيات ومظاهر تعكس الاغتراب بمختلف أبعاده. كما أنه من شأن هذه التوصيات أن تفتح المجال للباحثين والدارسين في العلوم الإنسانية والاجتماعية للبحث وإجراء دراسات تتعلق بالقيم والاغتراب بصفة عامة والشباب الجامعي بصفة خاصة، إذ نوجزها في النقاط التالية:

1- من الضروري التشجيع على الدراسات والبحوث العلمية في المجتمع الجزائري خاصة في مجال القيم وما يتعلق بالشباب بصفة عامة والشباب الجامعي بصفة خاصة، خاصة الدراسات المقارنة والطولية التي تتبع القيم عند فئة اجتماعية معينة، مع الإشارة الى أن المكتبة الجامعية الجزائرية تفتقر الى مثل هذه الدراسات والبحوث الميدانية التي تهتم بالنسق القيمي وما يطرأ عليه من تحولات وتغيرات لعلاقته بالعديد من الأنساق الاجتماعية التي يتأثر بها ويؤثر من خلالها في السلوكيات والممارسات اليومية للأفراد داخل المجتمع.

2- إن المجتمع الجزائري يعيش مرحلة انتقالية تتميز بالازدواجية وتعايش التقليدي مع الحداثي، بفعل التغيرات والتحولات التي عاشها وما يزال يعيشها، والتي تترك آثارها على النسق القيمي، وإذا كانت هذه التحولات تبدو واضحة على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فإنها لا تزال غامضة على الصعيد القيمي للأفراد في المجتمع، وعليه لا بد من القيام بدراسات تتعلق بمنظومة القيم لدى أفراد المجتمع الجزائري بمختلف أفرادها ومعرفة مصدر التغير والتأثير فيها.

3- ضرورة تشجيع الشباب الجامعي وصياغة برامج تشغيل حقيقية تربط الجامعة بسوق العمل، حتى يتخلص الطالب من قلق المستقبل ويغير من تمثلاته الاجتماعية التي تتعلق بالتوظيف والتي تمتزج بالإحباط والتشاؤم في اغلب الأحيان، حيث يواجه خريج الجامعة في الجزائر صعوبات كبيرة للحصول على منصب شغل، ولعله من أبرز هذه الصعوبات هي تلك السيطرة التي تفرضها الذهنيات البيروقراطية التقليدية على الوضع وعلى الإدارات الجزائرية، فهي التي تعرقل مشروعه وطموحاته حين يسعى للحصول على فرصة عمل تلبي مطالبه الاجتماعية العديدة.

4- يجب أن تكون فلسفة التعليم العالي واضحة وذات أسس علمية تطبيقية؛ إذ يبقى البحث العلمي النظري منقوصا ولا يحقق أهدافه إلا إذا تم تدعيمه بالبحث التطبيقي وعمل يسقط التنظير على الواقع، فما فائدة علم يحمله الطالب إذا لم يكن على اطلاع بواقع المجتمع الذي

ينتمي إليه ويعيش فيه؟ وما فائدة دراسته إذا لم يستطع توظيفها في المخبر ويستفيد منها المجتمع الجزائري، وتضيف شيئاً جديداً للجزائر؟ وحسب رأي أحد الخبراء الاقتصاديين فإن عالمنا اليوم تحتاج فيه المؤسسات الى قوى عاملة مدربة ومكونة في الميدان لا على السبورة، أي التعليم بالممارسة في الميدان الصناعي، فالتعليم الذاتي وخروج الطالب من المدرج الى الواقع تعد من الوسائل الضرورية للتغيير وتحقيق الأهداف المجتمعية، وعلى هذا الأساس يجب على الحكومة أن تدعم البحث التطبيقي الجامعي وتفتح التخصصات التي لها علاقة بالواقع الجزائري وكيفية إصلاحه وإيجاد حلول له، إذ لم يعد يجدي نفعا في عصر العولمة ومجتمع المعرفة التسيير الارتجالي والتفرد في اتخاذ القرارات المتعلقة بالجامعة ومخرجاتها، خاصة فيما تعلق بمراجعة الآليات الكفيلة بإنجاح نظام ل.م.د..

5- تطوير التعليم العالي وتحديثه ليصبح أكثر قدرة على تخريج طلبة مؤهلين وقادرين على تلبية متطلبات سوق العمل والتطلعات التنموية للجزائر في مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، مزودين بالمؤهلات الأكاديمية والتطبيقية التي تنسجم مع الاحتياجات الحالية والمستقبلية للمجتمع الجزائري، كما يجب التركيز على النوع والكيف لا على الكم حيث لا يهم جلب أكبر عدد ممكن من الطلبة الى الجامعات وتخرجهم، بقدر ما يهم الجودة والنوعية وقدرتهم على إحداث التطور والتنمية في المجتمع الجزائري.

خاتمة

خاتمة:

إن دراسة موضوع التغير القيمي وعلاقته بمظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي يعتبر نقطة التقاء علم اجتماع التربية بالعديد من التخصصات خاصة مع علم النفس الاجتماعي، لعلاقته بمستويات مختلفة من الدراسة سواء على المستوى الفردي أو المستوى الاجتماعي، المستوى القيمي أو السلوكي، هذا الطابع التركيبي يعطي مجالا واسعا للدراسة، وهذا تبعا للمستوى المعتمد في الدراسة أو التخصص المعالج في نطاقه.

وقد كانت دراستنا للتغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي في هذا الاطار من خلال الاعتماد على اقتراب نظري نفسي اجتماعي، يحاول تحليل وتفسير بيانات الدراسة الميدانية وفقا للربط والتركيب بين معطيات التحليل النفسي ومقولات علم الاجتماع الماركسي. وهي بذلك اتسمت بطابع التركيب في الجانب النظري والحرص في الميدان والعينة على الطلبة الجامعيين، مما يفتح الباب واسعا لدراسات في مثل هذا المجال ومن زوايا مختلفة، وعلى عينات وفئات اجتماعية أخرى تتميز بالتنوع لتسليط الضوء أكثر على واقع التغير القيمي في المجتمع الجزائري وقضايا الشباب الجامعي ومظاهر الاغتراب فيه.

وعليه فنحن بحاجة ماسة الى معرفة طبيعة النسق القيمي السائد لدى شبابنا خاصة الجامعي منه، والعوامل التي تؤثر في تغير منظومة القيم لديه، من أجل أن نصحح الكثير من المفاهيم الخاطئة ونزيل الارتباك واللبس لدى شبابنا، خاصة في ظل الازدواجية القيمية التي تسود المجتمع الجزائري والذي يمر بمرحلة انتقالية، تمتزج فيه قيم تنادي بالماضي وتحد من تحرر العقل والطاقات الإبداعية من جهة، وقيم دخيلة تنادي بعالمية القيم وعولمتها وتحاول أن تذيب مقومات هويتنا الجزائرية.

وعليه فمن الضرورة بما كان أن تضطلع الدراسات والأبحاث العلمية في الكشف عن منظومة القيم السائدة في المجتمع الجزائري في ظل التحولات التي يعرفها، وكيفية التحكم في تأمين انتقال آمن للمجتمع الجزائري من وضع لآخر، وبالتالي التحكم في التغير الاجتماعي والتقليل من آثاره السلبية بطريقة علمية رصينة مبنية على دراسات واستشراف للمستقبل.

قائمة المراجع

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

أولاً- المراجع باللغة العربية:

1- الكتب:

- (1)- إبراهيم، عبد الستار: العلاج النفسي الحديث، مجلة عالم المعرفة، العدد 27، الكويت. د ت
- (2)- أبو جادو، صالح محمد علي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1 عمان، الأردن 1998.
- (3)- أحمد، عبد السميع سيد: ظاهرة الاغتراب بين طلب الجامعة المصرية، رسالة دكتوراه كلية التربية جامعة عين شمس مصر 1981.
- (4)- أحمد، غريب سيد: علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1983.
- (5)- إسكندر، نبيل رمزي، الاغتراب وأزمة الإنسان المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1988.
- (6)- الأشول، عادل احمد عز الدين: موسوعة التربية الخاصة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987.
- (7)- افاية، محمد نور الدين: السلطة والفكر، منشورات الزمن، سلسلة شرفات، النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب، 2003.
- (8)- انجرس، مورييس: ترجمة مجموعة من الباحثين، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر 2004.
- (9)- أندرسون، بيني ديكت: الجماعات المتخيلة، ترجمة محمد الشرقاوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999.
- (10)- اوغست، كورنو: جوهر الفكر الماركسي، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الآداب، بيروت 1969.
- (11)- بركات، حليم: الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الإنسان بين الحلم والواقع، ط1 مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2006.
- (12)- بركات، حليم: المجتمع العربي في القرن العشرين، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2000.
- (13)- بن نبي، مالك: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، ترجمة محمد عبد العظيم علي، منشورات anep د.ط الجزائر 2005.
- (14)- بيومي، أحمد: علم اجتماع القيم، دار المعرفة، الإسكندرية، مصر بدون تاريخ.

- (15) - بيومي، محمد احمد: القيم وموجهات السلوك لاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 2006.
- (16) - التابعي، كمال: علم اجتماع المعرفة، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، الطبعة الأولى، القاهرة مصر، 2007.
- (17) - التيجاني، ثريا: القيم الاجتماعية والتلفزيون الجزائري، دار الهدى، الجزائر، 2011.
- (18) - الجابري، محمد عابد: العقل الأخلاقي العربي ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2001.
- (19) - جودت، سعيد: في آفاق المستقبل، نظرة تحليلية للثقافة العربية، منشورات ملتقى الأسرة العربية والمستقبل، القاهرة، مصر 1989.
- (20) - جون، ماكوري: الوجودية، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، رقم 58، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1982
- (21) - الجوهري، محمد ، وآخرون، التغير الاجتماعي، ط3، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، مصر ، 1993 م.
- (22) - جيندز، أنتوني: علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، ط4، بيروت لبنان، 2005.
- (23) - حافظ، محمد علي ، مستقبل الشباب العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر 1963.
- (24) - حجاج، قاسم: التنشئة السياسية في الجزائر في ظل العولمة بعض أعراض الأزمة ومستلزمات الانفراج، مجلة الباحث، عدد 02، 2003.
- (25) - حرب، علي: حديث النهايات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- (26) - الحسن، حسن محمد: النظرية النقدية عند هربرت ماركيز، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 1993، ص 191.
- (27) - حلمي، إجلال إسماعيل ، محاضرات في علم الاجتماع العائلي ، إخوان زريق، مصر الجديدة، 1987.
- (28) - حماد، أحمد: الاغتراب في الأدب العربي المعاصر، عالم الفكر، المجلد 24، العدد 3، الكويت مارس 1996.
- (29) - خروف، حميد وآخرين، الإشكالات النظرية والواقع، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، 1999.
- (30) - خليفة، عبد اللطيف محمد: ارتقاء القيم، سلسلة عام المعرفة، العدد 160، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990.

- (31) - خليفة، عبد اللطيف محمد: دراسات في علم النفس الاجتماعي، المجلد الثاني، دار قباء، للنشر والتوزيع، القاهرة، 1992
- (32) - خليفة، عبد اللطيف محمد: دراسة في سيكولوجية الاغتراب ، دار غريب، القاهرة، 2003.
- (33) - الخولي، سناء: الزواج والعلاقات الأسرية، دار المعرفة الجامعية، ب.ت، القاهرة، مصر.
- (34) - داود، ليلي خليل ، احمد عبد العزيز الأصفر: الجماعة وخصائص التفاعل الاجتماعي، منشورات جامعة دمشق، سوريا 2005.
- (35) - دبله، عبد العالي: مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، دار الخلدونية الجزائر 2001.
- (36) - دليو، فضيل وآخرون: أسس المنهجية في العلوم الاجتماعية، دار البعث، قسنطينة، الجزائر 1999
- (37) - دور كايم، اميل: التربية الأخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوي، مكتبة مصر القاهرة، دت، مصر.
- (38) - دياب، فوزية: القيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1980.
- (39) - دياب، فوزية: القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر 1996.
- (40) - راشد، علي: الجامعة والتدريس الجامعي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، 2007.
- (41) - رجب، محمود: الاغتراب، سيرة مصطلح، دار المعارف، القاهرة، مصر 1988.
- (42) - روبنسون، بول: اليسار الفرويدي، ترجمة لطفي فطيم، الطليعة بيروت، 1974.
- (43) - الزراد، فيصل محمد خير: مشكلات المراهقة والشباب، دار النفائس، دمشق، سوريا 1995.
- (44) - زرواتي، رشيد: مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2007.
- (45) - الزلباني، محمد: القيم الاجتماعية، مدخل للدراسات الانثربولوجية الاجتماعية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، مصر 1973.
- (46) - زين الدين، امتثال: القيم والاتجاهات السلوكية والمواقف الاجتماعية للشباب الجامعي، دار المنهل اللبناني، بيروت، لبنان، 2014.
- (47) - الزيود، ماجد ، القيم والشباب في عالم متغير، ط1، دار الشروق، الأردن 2006.

- (48) - سعد، جلال: المرجع في علم النفس، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1985
- (49) - سلاطنية، بلقاسم و الجيلاني، حسان: أسس البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، الكتاب الأول، الجزائر، 2007.
- (50) - السيد، سميرة أحمد: علم اجتماع التربية، دار الفكر العربي ، ط1، القاهرة، مصر 1993.
- (51) - الشحات، أحمد حسن: الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، 1988.
- (52) - شرابي هشام: البنية البطيريركية: بحث في المجتمع العربي المعاصر، سلسلة السياسة والمجتمع، دار الطليعة، 1987.
- (53) - شفيق، محمد: البحث العلمي - الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، المكتبة الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 2001.
- (54) - الشمالية، نسرين: الاغتراب لدى الشباب العربي ،منتدى الفكر العربي، الشباب العربي في المهجر، عمان .الأردن 2008.
- (55) - صابر، محي الدين: الثقافة العربية المعاصرة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا 1983.
- (56) - عاطف محمد ، زعتر رشاد: بعض سمات الشخصية وعلاقتها بالاغتراب النفسي لدى الشباب الجامعي، رسالة دكتوراه كلية الآداب جامعة الزقازيق، مصر 1989.
- (57) - عباس، فيصل: الاغتراب، الإنسان المعاصر وشقاء الوعي، دار المنهل اللبناني، لبنان 2008.
- (58) - عباس، فيصل: الإنسان المعاصر والتحليل النفسي الفرويدي،، دار المنهل اللبناني، لبنان 2004
- (59) - عبد الرحمن، عبد الله محمد : سوسيولوجيا التعليم العالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1989.
- (60) - عبد الرحمن، عبد الله محمد: سوسيولوجيا التعليم العالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1989.
- (61) - عبد الرحمن، عبد الله محمد: دراسات في علم الاجتماع ، ط1، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 2000.
- (62) - عبد العال، سيد محمد: مدخل إلى علم النفس الاجتماعي، مكتبة سعيد رأفت، مصر، 1980.

- (63) - عبد الله، مجدي احمد محمد: الاغتراب والهجرة غير الشرعية، دراسة سيكومترية مقارنة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر 2012.
- (64) - عبد المختار، محمد خضر: الاغتراب والتطرف نحو العنف، دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب، القاهرة، مصر 1998.
- (65) - عبد المنعم، مجاهد : الاغتراب في الفلسفة المعاصرة، سعد الدين للنشر القاهرة، مصر 1985
- (66) - عبد الهادي، نبيل احمد: منهجية البحث في العلوم الإنسانية، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 2006.
- (67) - عبيدات، محمد وآخرون: منهج البحث العلمي - القواعد والمراحل والتطبيقات - ، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الأردن، الأردن، 1999.
- (68) - علي عبد الرزاق جليبي: دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان 1984.
- (69) - العمري، أبو النجا محمد: الخطوات المنهجية في بحوث الخدمة الاجتماعية، المكتبة الجامعية الأزاريطة، الإسكندرية، مصر، 2000.
- (70) - عياد، هاني: (تحرير)، الإنسان المصري وتحديات المستقبل، الهيئة القبطية للخدمات الاجتماعية، القاهرة، مصر 2007.
- (71) - عيد، محمد إبراهيم: الاغتراب النفسي، الرسالة الدولية للإعلان، القاهرة، مصر، 1990
- (72) - فروم إيريك: الأعمال الكاملة، المجلد 11، التحليل النفسي السياسي، شتوتغارت، 1999
- (73) - فروم إيريك: الخوف من الحرية، ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، العدد 140، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989
- (74) - فروم، إيريك : الإنسان المستلب وآفاق تحرره، ترجمة حميد لشهب، شركة نداكوم للطباعة والنشر، الجزائر، 2003
- (75) - فروم، إيريك: ما وراء الأوهام، ترجمة صلاح حاتم، دار الحوار، اللاذقية، 1994.
- (76) - فهمي، نورهان منير حسن: القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر 1999.
- (77) - فولغين: تطور الفكر الاجتماعي في فرنسا خلال القرن الثامن عشر ترجمة سعيد كامل، دار الفارابي، بيروت، 1988
- (78) - فيلهلم، رايتش: المادية الجدلية والتحليل النفسي، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحداثة، بيروت، لبنان 1980.

- (79) - قاليري، ليبين: مذهب التحليل النفسي والفلسفة الفرويدية الجديدة، الفارابي، بيروت، لبنان 1981
- (80) - قباري، محمد إسماعيل: قضايا علم الاجتماع دراسة نقدية من زاوية علم الاجتماع؟ ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، مصر، 1975.
- (81) - القريوتي، محمد قاسم: التعليم العالي في الاردن، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1996.
- (82) - قمحاوي، عبد الحميد: المستوى الثقافي للأسرة وتأثيره على تربية الأطفال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1985.
- (83) - كريب، أيان: النظرية الاجتماعية، ترجمة: محمد عصفور ومحمد حسين غلوم، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990.
- (84) - الكنز، علي: حول الأزمة، دار بوشان للنشر، الجزائر، 1990.
- (85) - لجنة إدارة شئون المجتمع العالمي: جيران في مجتمع واحد، ترجمة مجموعة من المترجمين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2001.
- (86) - ليلة، علي وآخرون: الشباب القطري وقضاياهم، مركز الوثائق والدراسات الانسانية، الدوحة، قطر 1991.
- (87) - ليلة، علي: الشباب في مجتمع متغير، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1995.
- (88) - ماركيز، هيربرت: الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، لبنان.
- (89) - ماركيز، هيربرت: العقل والثورة، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر 1980.
- (90) - مجموعة من المؤلفين: موجز تاريخ الفلسفة ج3 ترجمة توفيق سلوم ، دار الجماهير العربية دمشق، سوريا 1976.
- (91) - محمد، علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي ، دراسة في طرائق البحث وأساليبه، ط2، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية. مصر. دت.
- (92) - مخداني، نسيم: الجامعة الجزائرية بين الأصالة والمعاصرة، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر ، 2013.
- (93) - مرعي، توفيق، وبلقيس أحمد، الميسر في علم النفس الاجتماعي ، ط2 عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1994.

- (94) - مسلم، محمد: الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني، ط1، دار قرطبة، الجزائر ، 2009.
- (95) - مطاع، صفدي: نقد العقل الغربي، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان 1990
- (96) - المغربي، سعد: الاغتراب في حياة الإنسان، الكتاب السنوي الثالث للجمعية المصرية للدراسات النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
- (97) - مكي، عباس محمود: دينامية الأسرة في عصر العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 2007.
- (98) - الموسوي، ضياء مجيد: الخصوصية والتصحيحات الهيكلية، ديوان المطبوعات الجامعية، دون تاريخ ، الجزائر .
- (99) - موسى، احمد محمد: الشباب بين التهميش والتشخيص، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، مصر 2009.
- (100) - ميكشلي، اليكس، الهوية: ترجمة علي أسعد وطفة، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق، سوريا 1993
- (101) - نصار، سامي محمد: قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، ط2 الدار المصرية اللبنانية، 2008.
- (102) - النكلاوي، أحمد : الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر، دراسة تحليلية ميدانية لافتقاد القدرة على ضوء الاتجاه الماكروبنوي في علم الاجتماع، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر 1989.
- (103) - نيتشة، فردريك: ما وراء الخير والشر، ترجمة جزيلا حجار، دار غروب، بيروت، 1995.
- (104) - واضح، رشيد : المؤسسة في التشريع الجزائري، دار هومه، الجزائر، 2002.
- (105) - وطفة، علي اسعد: الثقافة العربية وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي العدد 192، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان.
- (106) - وهبة، مراد: الاغتراب والوعي الكوني، دراسة في هيغل وماركس وفرويد، عالم الفكر، المجلد العاشر، 1979.
- 2- المعاجم والقواميس:**

- (107) - ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ج3، بيروت، 1997.

- (108)- بدوي، احمد زكي: معجم مصطلح العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت، 1977.
- (109)- الحفني، عبد المنعم: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ط4، مكتبة مدبولي القاهرة، 1994، ص60.
- (110)- غيث، محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية للطباعة ، الإسكندرية. دت.
- (111)- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مطبعة مصر، مصر .
- (112)- محمد، علي الحولي: قاموس التربية، دار العلم للملايين، بيروت 1985
- (113)- معتوق، فردريك: قاموس علم الاجتماع، دار أكاديميا، بيروت، لبنان، د ت.
- 3- المجلات والدوريات:**
- (114)- جابر، عبد الحميد جابر: التعليم الجامعي في العراق وتغير القيم، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، المجلد 05، العدد 01، 1998.
- (115)- جلال، أمين: العولمة والدولة، ضمن كتاب (العرب والعولمة) بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، تحرير الخولي، أسامة أمين، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1/1998).
- (116)- الجميل، سيار: العولمة والمستقبل: إستراتيجية تفكير، عمان، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2000م.
- (117)- حرب، علي: غزو ثقافي أم فتوحات فكرية، مجلة الفكر العربي، العدد 74، 1993.
- (118)- رحومة، عادل بلحاج: بحثا عن معنى للهوية الذاتية، مجلة ثقافة الشباب، بيت الحكمة، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس 2011.
- (119)- زايد، مصطفى: التعليم في الجزائر: المؤسسة الرسمية وإعادة تكوين البنية الاجتماعية، مجلة علم الاجتماع رقم 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
- (120)- سبيلا، محمد: الشباب والادبيولوجيات، مجلة الوحدة، العدد 10، يوليو 1985.
- (121)- سعيد، خالد: المرأة العربية، كائن بغيره لا بذاته، مجلة مواقف، العدد 12، 1991.
- (122)- سيف، علي: الصحوة الإسلامية المعاصرة والعلوم الإسلامية، مجلة المستقبل العربي، العدد 170، العام 1993.
- (123)- عبد المعطي، عبد الباسط محمد: بعض مظاهر صراع القيم في الأسرة القروية المصرية، المجلة الاجتماعية القومية ، القاهرة، مصر العدد الأول.
- (124)- علي، بشرى: مظاهر الاغتراب في بعض الجامعات المصرية، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24 العدد الأول ،كلية التربية جامعة دمشق سوريا 2008.

- (125)- غليون، برهان: رهانات العولمة، الإسلام في عصر العولمة سلسلة مقالات نشرت في جريدة الاتحاد اللبنانية عام 1991م.
- (126)- فيرلونج، اندري: الشباب في مرحلة التحولات، المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية، عدد 164، مركز اليونسكو، مصر، جويلية 2000، ص 134
- (127)- الكواري، علي خليفة. مفهوم المواطنة في الدولة القومية ، مجلة المستقبل العربي ، عدد 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 2001.
- (128)- الليل، محمد جعفر: دراسة بعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي لطلاب وطالبات جامعة الملك فيصل (بحث منشور في المجلة العربية للتربية ، المجلد (13) ، العدد (1) يونيو ، 1993).
- (129)- متولي، عباس إبراهيم (2000) "الضغوط النفسية وعلاقتها بالجنس ومدة الخبرة وبعض سمات الشخصية لدى معلمي المرحلة الابتدائية" ، المجلة المصرية للدراسات النفسية ، المجلد 10، العدد 26، أبريل، ص 125. الأنجلو المصرية، القاهرة.
- (130)- مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والنفسية: المجلد الثاني، العدد الثاني، جويلية 2010.
- (131)- مجلة جسور (مجلة ثقافية جامعية): العدد الأول السنة الأولى، شباط/فبراير 2005م.
- (132)- المشاط، علي: الاتصالات الفضائية في خدمة الوطن العربي، مجلة البحوث، العدد السادس، بغداد، العراق 1982.
- (133)- وطفة، علي اسعد: الثقافة العربية وأزمة القيم في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي العدد 192، مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، 1995.
- (134)- وطفة، علي اسعد: نسق الانتماء الاجتماعي وألوياته في المجتمع الكويتي المعاصر : مقارنة سوسيولوجية في جدل الانتماءات الاجتماعية واتجاهاتها ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، مجلس النشر العلمي في الكويت ، العدد 108، السنة 29، 2003.

4-الرسائل الجامعية:

- (135)- بوشلوش، طاهر: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على القيم في المجتمع الجزائري 1967-1999، دراسة ميدانية تحليلية لعينة من الشباب الجامعي ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علم الاجتماع 2006.
- (136)- خولة، دبلّة: دور التصدع الأسري المعنوي في ظهور الاغتراب النفسي لدى المراهق، مذكرة ماجستير في علم النفس الاجتماعي، إشراف جابر نصر الدين، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2007-2008.
- (137)- دروش، فاطمة فضيلة: الاستلاب الثقافي والتغير الاجتماعي، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر إشراف عبد الغني مغربي 1995-1996
- (138)- راتب، عاشور: القيم الاجتماعية في كتب القراءة للصفوف الأربعة الأولى بالأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، الأردن، 2000.
- (139)- رتيمي، الفضيل: التنشئة الاجتماعية وإشكالية العقلانية في المؤسسة الصناعية الجزائرية، أطروحة دكتوراه دولة في علم اجتماع، إشراف كمال على مزيغي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 2004، 2005
- (140)- السويدي، محمد: مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغير في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية - بن عكنون، الجزائر، 1990
- (141)- الشرعبي، راضية: الإعلام العربي وتحديات العولمة الثقافية، مركز العهد الثقافي، 2006/2/24م-، انظر موقعه على شبكة المعلومات الدولية (www.alahd.com)
- (142)- الصنعاني، عبده سعيد محمد أحمد: بعنوان: العلاقة بين الاغتراب النفسي وأساليب المعاملة الوالدية لدى الطلبة المعاقين سمعيا في المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير في علم النفس التربوي، جامعة تعز، 2009. اليمن منشورة عبر موقع جامعة تعز.
- (143)- طبال، لطيفة: التنشئة الاجتماعية وإشكالية القيم في الأسرة الجزائرية، دراسة ميدانية لبعض الأسر من ولايات مختلفة، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي جامعة البليدة، غير منشورة، 2009.
- (144)- عمروش، نجوى: الطلبة الجامعيون بين القيم السائدة والقيم المتتخية، إشراف مراد زعيمي، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، 2004-2005
- (145)- كيران، جازية: الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية، عوامله ونتائجه، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع الصناعي، غير منشورة، جامعة الجزائر 1988

- (146)- المحمداوي، حسن إبراهيم حسن: العلاقة بين الاغتراب والتوافق النفسي للجالية العرقية في السويد، دراسة على عينة من الجالية العرقية في السويد، 2007، دراسة منشورة في موقع: اجتماعي/ المنتديات الاجتماعية التعليمية www.ejtemay.com
- (147)- ياحي، عبد المالك: النسق التكنولوجي والاعتراب في المؤسسة الصناعية، مؤسسة سونلغاز سكيكدة نموذجاً، إشراف علي غربي، مذكرة ماجستير علم الاجتماع الموارد البشرية غير منشورة، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2009-2010.

ثانياً: مواقع الانترنت:

- (148)- ريفير، أناماريا: ترجمة : حارث القرعلاوي: الأحكام المسبقة، <http://www.resetdoc.org/story/00000021246/translate/Arabic>
- (149)- دور الأنشطة الجامعية للحد من اغتراب الطلبة دراسة ميدانية على عينة من الطلبة في جامعتي الهاشمية والزرقاء، الأردن موقع منتديات الجلفة، www.djalifa.info/vib
- (150)- <http://www.djazairnews.info/analyse/38-2009-03-26-18-28-54/14628-2010-05-17-17-45-00.html>
- (151)- <https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/alfsad-alakhlaqy-fy-aljamat>,
- (152)- الجمعي النوي: التغير القيمي وأزمة الأهداف في الحقل السياسي (المجتمع الجزائري نموذجاً)، مقال منشور عبر موقع الجلفة: www.eldjelfa.com

ثالثاً: المراجع باللغة الأجنبية:

1- المراجع باللغة الفرنسية:

- 153)- alain beitone, sciences sociales , 2eme edition ,dalloz , 2000
- 154)- celestin bougle , leçons de sociologie sur l'évolution des valeurs. paris, armand colin, 2eme edition , 1978
- 155)- iric from : la conception de l'homme chez mixed .payot, paris 1977
- 156)- jones, w. et al. (1982) : loneliness and social deficits. journal of personality and social psychology, vol. 42
- 157)- le noire. frederic, les metamorphoses de dieux, ed, hachette, 2003
- 158)- lies mairi: faut-il fermer l'universite, alger:ed:enal, 1994

159)- marchal mac lohan: electronique et decrochage psychologique, alain gras: sociologie de l'education, paris 1974

160)- revue population, maria rita testa et lenardo grilli: l'influence,des differences de fecondite dans les regions europeennes sur la taille ideale de la famille, volume 61, n°1-2 -2006, janvier avril, edition française, i n e d, paris,

ب - المراجع باللغة الإنجليزية:

161)- astin, a., sax, l., and avalos, j. long-term effects of volunteerism during the undergraduate years, review of higher education, 22, 1999,

162)- bok, derek. universities in the marketplace: the commercialization of higher education, princeton, nj: princeton university press, 2003.

163)- burke, joseph and associates. achieving accountability in higher education: balancing public, academic and market demands, san francisco, ca: jossey-bass, 2005

164)- calabrese, r . adolescence: a growth period conductive to alienation. adolescence, 22 . (1987)

165)- carr, david and landon, john. teachers and schools as agencies of value education: reflections on teachers' perceptions. part two: the hidden curriculum. journal of beliefs and values 20 . 1999

166)- durkheim (e) suicide : a study insociology, trons. by j.a spauldiney g simpson (n.y) free press 1996)

167)- -erikson, e. & walker, l. (1972). organizational structure and student alienation. educational administration quarter. iy,

168)- erikson, e. & walker, l. organizational structure and student alienation. educational administration quarter. iy, 8, (5) (1972)

169)- 1-goffeman, e,intracation rituel. harmonds- worth : penguin books. 1963

170)- holliday, a.e106 ways to better school–community relation. the education digest, . (1997).

171)- marc schabraq and carry cooper, to be me or not to be me : about alientation . counselling psychologie. quarterly.2003 .

- 172)- mau, r. (1992). the validity and evaluation of a concept: student alienation. adolescence, 27
- 173)- mentkowski, m. & associates. learning that last: interpreting learning, development, and performance in college and beyond, san francisco: jossey-bass, 2000
- 174)- merton, k. r., social theory and social structure, new york: the free press, 3rd edition, 1968
- 175)- parsons (t) sociological theory and modern society, new york : freepress 1967
- 176)- pascarella, grnest and terenzini, patrick. how college affects students. vol.2. a third decade of research. san francisco, ca: jossay-bass, a wiley imprint, 2005,
- 177)- piaget " the preadolescent and the propositional operations" london, 1982.
- 178)- polk,k.the new marginal youth crime and delinquency, 30 (1984)
- 179)- resher (n) introduction to values theory, new jersey 1969.
- 180)- scott, (w.a) "deessing norms and practices of families, schools and peer groups", vol 14, 1978
- 181)- seeman ,m on the meaning of alienation american, sociologie review ;24, 1995.
- 182)- shafer (d) "social psychology from a social-development perspective" , ny.1977.
- 183)- unesco. policy paper for change and development in higher education. paris: unesco, 1995
- 184)- weber, (m) the theory of social and economic organisation, ed t. parsons and trans.by a.m henderson and t. parsons (new york) the free press 1964.
- 185)- weston, anthony. a 21st century ethical tool-box. new york: oxford university press, 2001.

الملاحق

الملحق رقم (01)

دليل المقابلة مع المبحوثين

أسئلة المقابلة

(01)- فيما تكمن قيمة الإنسان؟

.....

.....

.....

(02)- هل ترى أن هناك قيمة جميلة في المجتمع الجزائري قد اختفت؟ وما هي؟

.....

.....

.....

(03)- في رأيك ما هي القيم التي حلت بديلا لها؟

.....

.....

.....

(04)- هل ترى أن هناك مهنا محددة لعمل المرأة؟

.....

.....

.....

(05)- هل ترى أنه من المهم كسب المال بأية طريقة؟ وكيف؟

.....

.....

.....

(06)- على ماذا تعتمد في فهم الأحداث الوطنية والدولية خاصة على المستوى السياسي؟

.....

.....

.....

(07)- في رأيك ماهي الوظيفة الأساسية للمرأة؟

.....

.....

.....

.....

(08)- ما هو الأسلوب الأمثل للتربية داخل الأسرة؟

.....

.....

.....

(09)- هل تشارك في اتخاذ القرارات داخل الأسرة؟

.....

.....

.....

(10)- هل ترى انه يوجد تعارض بين العلم والدين؟

.....

.....

.....

(11)- كيف تفسر انتشار بعض المظاهر غير الأخلاقية في الوسط الجامعي؟

.....

.....

.....

(12)- في رأيك ما هو دور المنظمات الطلابية؟

.....

.....

.....

(13)- هل تعتقد أن الجزائر ستعيش ربيعاً عربياً؟

.....

.....

.....

(14)- هل تعتقد أن النشاطات التي توفرها الإقامة الجامعية كافية أم أنها مناسبة فقط ؟

.....

.....

.....

الملحق رقم (02)

مقياس التغير القيمي في الوسط
الجامعي



جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع
تخصص: التربية

يقوم الباحث بإعداد دراسة للحصول على درجة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع
تخصص تربية بعنوان "التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، ونأمل منكم
التعاون معنا في استيفاء البيانات التي تتضمنها استمارة (الاستبيان) المرفقة بدقة، وبصراحة
تامة وبدون أي إحراج، حيث لا توجد إجابات صائبة وإجابات خاطئة.

ونود أن نؤكد لكم أن هذه الدراسة تتم لأغراض البحث العلمي فقط، وإن كافة
البيانات ستعامل بسرية تامة وحرص شديد.

والباحث يشكركم مقدما على حسن تعاونكم معه.

الأستاذ المشرف:
أ.د- تاويريت نور الدين

الطالب :
تالي جمال

- المستوى الجامعي: هل أعدت السنة: نعم ☐ لا ☐
- التخصص: ل.م.د. ☐ كلاسيك ☐
- الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐
- السن: سنة
- الحالة الاجتماعية: أعزب ☐ متزوج ☐
- هل تقوم بعمل موازاة مع الدراسة: نعم ☐ لا ☐
- إذا كانت الإجابة بنعم في أي مجال تعمل:
- منطقة السكن الأصلي: وسط ريفي ☐ وسط حضري ☐
- (يستحسن ذكر منطقة السكن)
- المستوى الدراسي: للأب: للأم:
- أذكر نوع عمل الأب: نوع عمل الأم:

مقياس التغير القيمي

لا ادري	لا اوافق	أوافق	مقياس التغير القيمي
			01 أطيع والدي طاعة مطلقة
			02 أشارك في اتخاذ قرارات الأسرة
			03 أفضل أن تكون تربية الوالدين موجهة على أساس الحوار لا التسلط
			04 أحب أن أختار شريك (ة) حياتي بمفردي
			05 أحب أن تختار لي الأسرة زوج أو زوجة من الأقارب
			06 أصبح التعليم مطلب للفتاة وشرطا أساسيا من شروط الاختيار للزواج
			07 أفضل الإقامة مع الأهل بعد الزواج
			08 كي يتعاون الزوجان على متاعب الحياة أصبح العمل مطلبا أساسيا للفتاة وشرطا من شروط الاختيار للزواج
			09 أفضل إنجاب عدد اكبر من الأطفال
			10 أفضل أن تكون رقابة الأسرة أكثر تشددا على سلوك البنات
			11 التعليم المناسب هو الذي يؤهل الفرد إلى المهن الحرة
			12 التعليم الحرفي أفضل من التعليم الجامعي
			13 أصبحت الشهادة الجامعية لا معنى لها حاليا
			14 أفكر كثيرا في ترك الدراسة
			15 ينبغي توقيف الأبناء عن الدراسة لمساعدة آبائهم على التجارة والأعمال الحرة
			16 في الطرف الراهن من الضروري الحصول على شهادة جامعية
			17 لحد الآن لا اعرف الفرق بين النظام الكلاسيكي والنظام الجديد
			18 لا شيء يشجع على طلب العلم في الجامعة
			19 أفكر في مواصلة الدراسات العليا
			20 الجامعة طوّرت مهاراتي وقدرتي على تحليل الاشياء وتفسيرها
			21 الوظيفة أهم من عائدها المادي
			22 تتطلب الحياة المعاصرة أن يمارس الشخص أعمالا إضافية
			23 أصبحت الثروة هي من تكسب السمعة والمكانة في المجتمع
			24 الهدف الأساسي للعمل هو الحصول على المال
			25 ينبغي على الفرد أن يتعلم من اجل كسب عيشه
			26 يجب أن يقتصر توظيف المرأة على مهن دون غيرها
			27 يتيح المجتمع فرصا كبيرة للكسب والعمل
			28 الحصول على وظيفة لدى الدولة اضمن من العمل الخاص أو الحر
			29 عصرنا مادي ويتطلب كسب المال بأي طريقة
			30 عصرنا مادي واختفت فيه الكثير من القيم الجميلة
			31 أحافظ على واجباتي الدينية

32	افضل قر اءة الكتب الدينية وزيارة المواقع الدينية		
33	السعادة الحقيقية تكمن في الايمان		
34	إن التمسك بالمبادئ الدينية لا يتعارض مع العقلانية في التفكير		
35	إن ضعف الإيمان لدى الأفراد هو سبب كل المظاهر السلبية التي نشاهدها في المجتمع والجامعة		
36	أشعر أني ضعيف الإيمان ومعلوماتي في الدين ناقصة		
37	أجد صعوبة في التوفيق بين مظاهر الحياة العصرية وتعاليم الدين		
38	أؤيد فكرة اختلاط البنات والذكور في الأقسام الدراسية		
39	أفضل أن ترتدي المرأة الحجاب		
40	أعتقد أن شباب اليوم مازال متمسكا بالقيم الدينية		
41	أحب أن انتخب في كل مرة		
42	أميل إلى انتخاب الفرد الصالح ولا يهمني الحزب الذي ينتمي إليه		
43	أحب الانخراط في العمل السياسي		
44	أرغب في الانخراط في المنظمات الطلابية		
45	أتطلع إلى الوصول إلى مراكز سياسية مستقبلا		
46	تخدم الأحزاب السياسية القائمة حاليا الأهداف العليا للمجتمع		
47	أعتقد أن الأحزاب السياسية تملك برامج جيدة		
48	الربيع العربي من صنع الدول الغربية		
49	السياسة لا تعنيني اطلاقا		
50	اعتقد ان هناك تعددية حزبية وديمقراطية في الجزائر		

الملحق رقم (03)

قائمة بأسماء الأساتذة المحكمين

لأداة الدراسة

	اسم ولقب الأستاذ	الدرجة العلمية	التخصص	الجامعة
01	جغلولي يوسف	دكتور	علم الاجتماع	جامعة محمد بوضياف المسيلة
02	مسعودان أحمد	دكتور	علم الاجتماع	المركز الجامعي برج بوعريريج
03	بن يمينة السعيد	دكتور	علم الاجتماع	جامعة محمد بوضياف المسيلة
04	بوالفلل إبراهيم	دكتور	علم الاجتماع	جامعة جيجل

الملحق رقم (04)

حساب معامل الثبات بطريقة
التجزئة النصفية

الملحق رقم (04)
يوضح كيفية حساب معامل الثبات بطريقة Fuzzy

30	29	28	27	26	25	24	23	22	21	20	19	18	17	16	13	12	13	12	11	10	9	8	7	6	3	2	3	2	1	المجموعين الفئات
2	2	2	3	2	2	2	1	3	2	3	3	2	3	3	2	2	1	2	1	3	1	1	2	2	2	3	2	2	3	1.
3	3	2	2	2	3	2	3	3	2	2	2	2	2	2	2	2	3	2	2	1	1	2	3	2	2	1	2	3	2	2.
2	2	3	3	2	3	3	2	2	3	2	2	2	3	2	3	2	1	2	2	2	1	3	2	1	2	2	3	2	2	3.
2	2	1	2	2	2	2	2	1	1	2	2	3	2	2	2	2	3	2	2	2	1	2	2	2	2	1	2	3	3	4.
2	2	3	3	2	2	2	1	3	3	2	2	2	3	2	2	2	3	2	2	1	2	1	2	2	1	2	2	3	2	5.
2	2	2	2	2	2	1	1	2	2	2	2	2	2	3	2	2	2	2	1	2	1	1	2	3	2	1	2	2	2	6.
1	1	2	2	2	3	2	3	3	2	2	3	2	2	2	2	2	3	2	3	2	2	2	1	2	2	3	2	3	3	7.
1	1	3	2	2	2	3	2	3	3	2	3	2	2	3	2	2	3	2	2	2	2	2	2	1	2	2	3	3	2	8.
1	1	2	2	3	3	2	2	3	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	1	1	2	2	3	3	2	2	9.
1	1	3	3	3	1	2	1	2	3	2	3	3	3	2	2	1	2	2	3	3	1	1	1	2	2	3	2	2	3	10.
3	3	2	2	3	3	2	3	3	2	2	2	2	2	2	1	2	3	2	2	2	1	2	3	1	2	3	3	2	2	11.
1	1	3	1	3	3	2	3	3	3	1	2	1	1	3	2	2	1	2	1	2	1	1	1	1	2	1	1	2	3	12.
3	3	1	2	3	3	3	3	2	1	3	2	2	2	2	2	1	3	2	1	2	2	1	3	1	2	3	2	2	2	13.
3	3	3	3	2	2	3	3	2	3	2	2	2	3	3	2	1	3	3	1	1	3	3	3	3	1	2	3	3	3	14.
3	3	2	1	2	2	3	2	3	2	3	2	2	1	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	3	2	2	2	15.
3	3	3	1	1	2	2	1	2	3	3	3	2	1	2	2	1	2	2	2	3	2	2	3	1	1	1	2	2	2	16.
3	3	2	2	3	2	3	1	3	2	3	3	2	2	2	2	3	2	1	2	2	2	2	3	3	1	1	3	3	3	17.
3	3	2	3	3	3	2	2	2	2	2	3	2	3	2	2	2	3	2	2	3	2	2	3	3	2	3	2	2	3	18.
1	1	2	2	2	2	3	1	3	2	3	3	2	2	3	2	1	2	1	1	1	2	2	1	1	2	2	3	2	3	19.
3	3	3	2	3	2	2	1	3	3	3	3	2	2	3	3	3	1	2	2	2	2	2	3	2	2	2	3	2	2	20.
3	3	3	2	3	2	2	1	3	3	2	3	2	2	2	2	2	3	2	3	2	2	2	3	2	2	2	3	2	2	21.
3	3	3	3	2	2	2	1	2	3	3	3	2	3	3	2	2	3	3	3	3	3	3	3	1	2	3	2	3	3	22.
1	1	1	3	3	2	2	1	2	1	2	2	3	3	3	2	2	3	3	2	2	2	2	3	1	1	1	1	3	3	23.
1	1	1	1	3	2	3	1	2	1	3	3	3	1	2	2	1	3	3	2	1	2	3	1	1	1	2	1	2	2	24.
3	3	2	2	3	3	3	3	2	2	3	3	2	2	3	2	2	2	2	3	3	1	2	3	1	2	3	2	3	3	25.
1	1	1	1	2	3	2	1	2	1	1	3	3	1	3	2	1	3	3	2	2	1	1	1	1	1	3	1	2	2	26.
3	3	2	2	2	2	2	1	3	2	2	2	2	2	2	2	2	3	3	2	2	3	1	3	3	2	3	2	3	3	27.
3	3	2	2	3	3	2	1	3	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	2	1	3	3	3	2	3	2	2	28.
3	3	3	3	3	3	3	1	3	3	3	2	2	3	2	2	3	3	2	2	2	3	2	3	1	2	2	3	3	2	29.
1	1	2	3	2	3	3	3	3	2	3	2	2	3	2	3	3	3	3	3	3	1	2	1	1	1	2	3	2	3	30.
3	3	2	2	2	3	2	3	3	2	2	2	2	2	3	2	2	2	2	2	2	3	2	3	2	1	2	2	3	2	31.
3	3	2	3	3	3	2	1	2	2	3	2	2	3	3	2	2	2	2	3	3	2	3	3	3	2	3	3	2	2	32.
1	1	3	2	2	3	3	3	2	3	2	2	3	2	3	3	2	3	2	3	3	1	2	1	2	3	2	2	2	2	33.
3	3	2	2	2	3	2	1	3	2	3	3	2	2	2	2	1	3	2	2	2	2	2	3	2	2	1	3	2	2	34.
1	1	1	2	1	2	1	3	3	1	1	2	2	2	3	2	1	3	3	2	2	1	1	1	1	1	2	1	3	2	35.
3	3	3	3	3	3	3	3	2	3	3	3	3	3	3	3	3	3	3	2	2	3	3	3	2	3	2	3	2	3	36.
3	3	2	2	1	3	2	3	3	2	3	2	2	2	2	2	3	3	2	3	3	2	1	3	3	2	2	3	3	3	37.
3	3	1	3	3	3	3	2	2	1	2	2	2	3	3	3	3	3	3	2	2	2	3	3	3	2	2	2	2	2	38.

[illegible]

الملحق رقم (05)

مقياس مظاهر الاغتراب في الوسط
الجامعي



جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة علم الاجتماع
تخصص: التربية

يقوم الباحث بإعداد دراسة للحصول على درجة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع - تخصص
تربية بعنوان " التغير القيمي ومظاهر الاغتراب في الوسط الجامعي، ونأمل منكم التعاون معنا في استيفاء
البيانات التي تتضمنها استمارة (الاستبيان) المرفقة بدقة، وبصراحة تامة وبدون أي إحراج، حيث لا
توجد إجابات صائبة وإجابات خاطئة.

ونود أن نؤكد لكم أن هذه الدراسة تتم لأغراض البحث العلمي فقط، وان كافة البيانات
ستعامل بسرية تامة وحرص شديد.

والباحث يشكركم مقدما على تعاونكم معه.

الأستاذ المشرف:

د- تاويريت

الطالب :

- تالي جمال

نور الدين

السنة الجامعية 2011-2012
مقياس الاغتراب في الوسط الجامعي

الرقم	العبارة	أوافق	لا أدري	لا أوافق
01	أنا متأكد أن حياتي لا هدف فيها			
02	الجامعة تؤهلني لما أحب أن أعمله في المستقبل			
03	الحياة في الجامعة مضيعة للوقت فهي مملة وروثينية			
04	ليس لدي أفكار يمكنني الاعتماد عليها مستقبلا			
05	تمنيت لو لم أكن موجودا في الجامعة أصلا			
06	لا يهمني شيء في الوسط الجامعي			
07	لا اعرف لماذا أنا على هذا الحال وهل يمكن أن تتغير حياتي للأحسن.			
08	لا يوجد ما يستهويني في الجامعة			
09	لو اتجهت إلى الحياة العملية لكان خيرا لي من الجامعة			
10	النجاح والفشل سواء بالنسبة لي ما دمت في النهاية أصبح بطالا			
11	من حق الفرد أن يغش في الامتحانات ما دام يحقق له النجاح			
12	من الضروري أن يعد الفرد نفسه لانتهاز الفرص وتحقيق غاياته			
13	أنا غير مقتنع بعدالة التقييم في الامتحانات			
14	كل شيء نسبي وليس هناك من تطبيق عادل للقانون في الجامعة			
15	المهم أن أتماشى مع الموضة ولا تهمني آراء الناس وقيمهم			
16	أحقق أهدافي بكل السبل الممكنة، فالغاية تبرر الوسيلة.			
17	لا مشكلة في تحقيق الأهداف ولو على حساب الآخرين			
18	يستهويني إتلاف الممتلكات العامة في الإقامة الجامعية			
19	التعامل بالأخذ والعطاء أحسن من التعامل بالقيم والعواطف			
20	التزامي بالقيم والعادات يفقدي حريتي في الجامعة			
21	لا يمكنني الوثوق في أي احد			
22	أنا احضر في أكثر المناسبات الجامعية (حفلات، ملتقيات، رحلات...)			
23	أشعر بأنني قريب من عائلتي أكثر عندما أكون في الإقامة الجامعية			
24	مشكلاتي أحتفظ بها لنفسني وأتجنب قدر الإمكان أن أكون في مجموعة			
25	لا أحب الانضمام إلى المنظمات الطلابية			

26	أشعر بان الذين حولي لا يفهمونني		
27	أشعر بأنني وحيد في الجامعة أو الإقامة التي انتمتي إليها		
28	لا أحد يسأل عني ولو غبت فترة طويلة		
29	لا أحب الانتماء للجامعة بسبب ما ينتشر فيها من مظاهر لا تعجبني		
30	أرى أن البعد عن الناس يحميني من شرورهم		
31	إنسان اليوم تحول إلى سلعة أو مادة		
32	بالمادة (المال) تحقق كل شيء		
33	قلما يهتم أحد بحقيقة شعوري الداخلي		
34	العالم المادي يحطم قيمة الإنسان		
35	لم يعد للعلاقات الإنسانية في الجامعة أي معنى		
36	لا ألوم أي شخص يحاول أن يحصل لنفسه على أي شيء بأية وسيلة		
37	في عالم اليوم لا اعتقد بوجود حب صادق بين الناس		
38	كل الناس يحبون المادة لا غير		
39	الصدقات الجامعية قائمة على المصالح الشخصية الضيقة		
40	أشعر بالغربة حتى بين أقرب الناس إلي		
41	يصعب عليا معرفة الصحيح من الخطأ لأن العالم يتغير بسرعة		
42	مشكلات الحياة أحيانا أكبر من طاقتي		
43	ليس لي دور محدد في الحياة		
44	ينتابني الشعور بالعجز في تدبير أموري المستقبلية		
45	اعتمد كثيرا على الآخرين في حياتي		
46	المستقبل يبدو مخيف جدا		
47	أشعر بعدم استطاعتي على التعبير عن أفكاري ومشاعري كما يجب		
48	ينتابني الخوف من الفشل من اتخاذ القرار وحدي		
49	لا أصلح لشيء في هذه الحياة		
50	كثيرا ما أفقد القدرة على تغيير حياتي		

شكرا لتعاونكم

جملہ

أ-ج	مقدمة
	الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة
	أولا - التصور النظري للدراسة
7	1- تحديد الإشكالية.....
11	2- فروض الدراسة.....
11	3- مبررات الدراسة وأسباب اختيار الموضوع.....
12	4- أهداف الدراسة.....
12	5- أهمية الدراسة.....
13	6- تحديد المفاهيم.....
27	ثانيا - التراث النظري للدراسة
27	1 -المقاربة النظرية للدراسة.....
40	2 - الدراسات السابقة.....
	الفصل الثاني: سوسيولوجيا القيم والتغير القيمي
81	أولا - الاتجاهات النظرية المفسرة للقيم
81	1. القيم كمفهوم.....
82	2. خصائص القيم.....
83	3. تصنيفات القيم.....
88	4. مكونات القيم.....
89	5. إكتساب القيم.....
92	6. مصادر القيم.....
93	7. وظائف النسق القيمي.....
95	8. الاتجاهات السوسيولوجية في تفسير القيم.....
107	9. صراع القيم.....
108	ثانيا. سوسيولوجيا التغير القيمي في المجتمع الجزائري
108	1. مفهوم التغير القيمي.....
108	2. القيم بين الثابت والمتغير.....
117	3. العولمة والتغير القيمي.....
118	4. سوسيولوجيا التغير القيمي في المجتمع الجزائري.....
125	5. الأزمة القيمية في المجتمع الجزائري.....
131	خلاصة

الفصل الثالث: الاتجاهات النظرية في تفسير الاغتراب	
135	1. الاغتراب في الفكر الفلسفي.....
139	2. الاغتراب في الفكر الاجتماعي.....
143	3. الاغتراب في الفكر الوجودي.....
145	4. الاغتراب في التحليل النفسي.....
154	5. أنواع الاغتراب.....
156	6. مظاهر الاغتراب.....
163	7. أشكال الاغتراب لدى الشباب.....
169	8. مراحل الاغتراب.....
170	9. مصادر الاغتراب في الثقافة العربية.....
الفصل الرابع: سوسيولوجيا الشباب والوسط الجامعي	
أولا. الوسط الجامعي مرسخ للقيم الاجتماعية	
178	1. مفهوم الوسط الجامعي.....
178	2. مفهوم التعليم الجامعي.....
179	3. مداخل نظرية لدور الجامعة.....
184	4. وظائف التعليم الجامعي.....
186	5. التنشئة الاجتماعية في الوسط الجامعي.....
188	6. وضع الجامعة الجزائرية.....
193	ثانيا. سوسيولوجيا الشباب الجامعي
193	1. الخصائص النفسية للشباب الجامعي.....
196	2. الخصائص الاجتماعية للشباب الجامعي.....
199	3. مشكلات الشباب الجامعي.....
202	4. أثر الوسط الجامعي على قيم الشباب الجامعي.....
204	5. الوسط الجامعي والصراع القيمي.....
الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية	
213	1. مجالات الدراسة.....
216	2. منهج الدراسة.....
217	3. عينة الدراسة.....
221	4. أدوات جمع البيانات.....
234	5. أساليب المعالجة الإحصائية.....

الفصل السادس: تحليل وتفسير نتائج مقياس التغير القيمي	
240	أولاً. عرض ومناقشة البيانات العامة.....
257	ثانياً. تحليل بيانات مقياس التغير القيمي.....
258	1. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم الاقتصادية.....
263	2. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم التعليمية.....
271	3. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم الأسرية.....
279	4. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم الدينية.....
286	5. تحليل استجابات أفراد العينة إزاء محور القيم السياسية.....
292	ثالثاً. التباين في التوجهات القيمية بين الطلبة والطالبات وفقاً لاختبار (ت).....
294	رابعاً. ترتيب القيم حسب استجابات أفراد عينة الدراسة من الجنسين.....
297	خامساً. ترتيب القيم حسب الجنسين من أفراد عينة الدراسة.....
الفصل السابع: عرض ومناقشة نتائج الدراسة	
301	أولاً - عرض ومناقشة نتائج الدراسة في ضوء الفرضيات.....
301	1- عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الأولى.....
313	2- عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الثانية.....
332	3- عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الثالثة.....
348	4- عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الرابعة.....
360	5- عرض ومناقشة الفرضية الفرعية الخامسة.....
374	ثانياً - عرض ومناقشة الفرضية العامة للدراسة.....
384	ثالثاً - النتائج العامة للدراسة.....
394	رابعاً - توصيات الدراسة.....
397	خاتمة.....
399	قائمة المراجع.....
	الملاحق.....

فهرس الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1.	جدول يوضح توزيع مجتمع الدراسة من الإناث على الاقامات الجامعية	213
2.	جدول يوضح توزيع مجتمع الدراسة من الذكور على الاقامات الجامعية	214
3.	جدول يوضح حجم عينة الدراسة من الجنسين	219
4.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة من الإناث على مختلف الاقامات الجامعية	220
5.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة من الذكور على مختلف الاقامات الجامعية	220
6.	جدول يوضح معاملات ارتباط بين التطبيقين الأول والثاني	232
7.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس	241
8.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب السن	242
9.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى الدراسي	244
10.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الانتماء الجغرافي	245
11.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية	246
12.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي للوالدين	248
13.	جدول يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية للوالدين	253
14.	جدول يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم الاقتصادية	259
15.	جدول يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم التعليمية	266
16.	جدول يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم الأسرية	273
17.	جدول يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم الدينية	280
18.	جدول يوضح استجابات أفراد عينة الدراسة إزاء محور القيم السياسية	288
19.	جدول يوضح التباين في التوجهات القيمية بين الطلبة والطالبات وفقا لاختبار "ت"	292
20.	جدول يوضح استجابات الطلبة والطالبات على محور اللامعنى	302
21.	جدول يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي وظهور اللامعنى	310
22.	جدول يوضح استجابات الطلبة والطالبات على محور اللامعيارية	315
23.	جدول يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي وظهور اللامعيارية	230
24.	جدول يوضح استجابات الطلبة والطالبات على محور العزلة الاجتماعية	333
25.	جدول يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي وظهور العزلة الاجتماعية	344
26.	جدول يوضح استجابات الطلبة والطالبات على محور التشيؤ	349
27.	جدول يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي وظهور التشيؤ	357
28.	جدول يوضح استجابات الطلبة والطالبات على محور العجز	361
29.	جدول يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي وظهور العجز	371
30.	جدول يوضح ترتيب مظاهر الاغتراب حسب المتوسط الحسابي	374
31.	يوضح معامل الارتباط بيرسون بين مقياس التغير القيمي ومقياس مظاهر الاغتراب	375